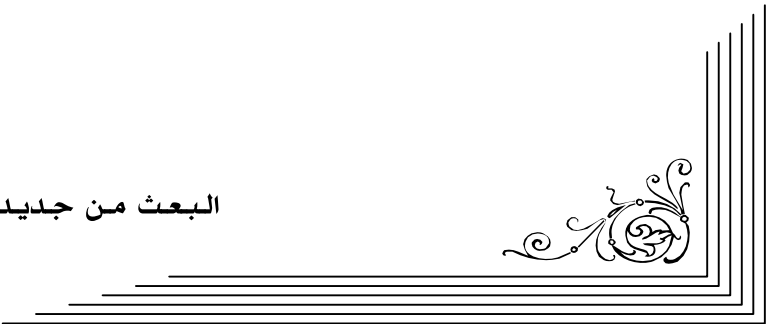




البعث من جديد



دار كليوباترا للنشر والتوزيع

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشؤون الفنية
فراج/ خالد

البعث من جديد الجزء الأول : خالد فراج
ط ١ . / القاهرة : دار كليوباترا للنشر والتوزيع.

التقييم الدولي : ٢-٥٦-٦٦١٩-٩٧٧-٩٧٨
رقم الإيداع: ٢٠١٧/٢٨١٨٤

تصنيف الكتاب :
الأحوال السياسية في الوطن العربي



الناشر دار كليوباترا للنشر والتوزيع

المدير التنفيذي: ضحى جبر

إشراف عام: عفاف محمد على

تصميم الغلاف : محمد عيد

عمليات الإخراج الداخلى والتصحيح اللغوي

(دار كليوباترا للنشر والتوزيع) (حسام الدين قاسم)

المراسلات:

لاتصال: / ٠١٠١٩٩٨٣٣٧١ / ٠٢٢٥٢٤٤٥٣٤ / ٠١١٢٥٥٧٤١٢٩

dar.cleopatra@gmail.com

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف والناشر، ويحظر نشر أو اقتباس

هذا العمل ، ومن يخالف ذلك يتعرض للمساءلة القانونية.



البعث من جديد

رؤية استراتيجية للدولة المصرية، والدول الإقليمية الكبرى

الجزء الأول

بقلم

مهندس/ خالد محمد فراج

إذا لم نقلق من واقعنا،

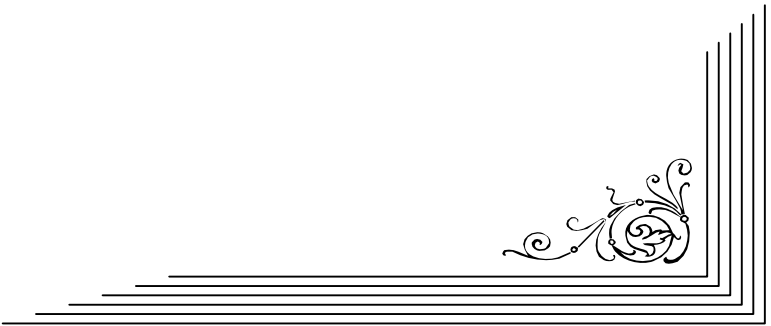
وبالتالي من مستقبلنا؛

فنحن أمة في خطر





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





الإهداء

إلى من مات شهيدًا
يُدافع عن حرية وكرامة
هذا الوطن وتلك الأمة
في كل عصر وأي مكان!



فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	١٧
مفهوم عناصر القوة الشاملة للدول (Total National Power (Capabilities)	٢٥
عناصر القوة الشاملة للجمهورية التركية	٤٠
القوة البشرية (السكان)	٤٠
القوة الاقتصادية	٤٢
القوة الجيوستراتيجية (الجغرافيا)	٤٨
القوة العسكرية	٥١
البرنامج الفضائي التركي	٥٣
القوة السياسية	٥٥
القوة الاجتماعية	٦٢
القوة الثقافية	٦٥
القوة المعنوية (القوة الناعمة)	٦٦
انقلاب تركيا الفاشل يوليو ٢٠١٦	٦٨
الخطة التركية هدف ٢٠٢٣-٢٠٥٣-٢٠٧١	٧٥
عناصر القوة الشاملة لدولة إسرائيل	٧٩
القوة البشرية (السكان)	٧٩
القوة الاقتصادية	٨٦
القوة الجيوستراتيجية (الجغرافية)	٩١
القوة العسكرية	٩٣
بيانات عددية إحصائية عن قدرات الجيش الإسرائيلي	٩٥

٩٨	المخابرات الإسرائيلية
٩٨	الموساد
٩٩	أمان (الاستخبارات الحربية)
٩٩	الشاباك (الاستخبارات الداخلية)
١٠٠	البرنامج الفضائي الإسرائيلي
١٠٢	القدرات النووية والاستراتيجية الإسرائيلية
١٠٣	القدرات الإلكترونية الاستراتيجية (الوحدة ٨٢٠٠)
١٠٥	القوة السياسية والقوة الناعمة
١١٠	العلاقات الإسرائيلية ودول القارة السمراء
١١٢	أهم المنظمات الإسرائيلية العاملة بإفريقيا
١١٩	العلاقات الإسرائيلية والولايات المتحدة
١٢٤	النفوذ اليهودي بروسيا
١٢٧	النفوذ الإسرائيلي واليهودي العالمي
١٣٢	القوة الاجتماعية لدولة إسرائيل
١٣٢	الأمن الداخلي
١٣٥	الرعاية الصحية
١٣٦	الهستدروت
١٣٨	القوة الثقافية
١٣٩	الخطة ٢٠٢٠ لدولة إسرائيل والمعدلة ٢٠٢٨
١٤٤	عناصر القوة الشاملة للجمهورية الإسلامية الإيرانية
١٤٤	السكان (القوة البشرية)
١٥٠	الموارد الاقتصادية (القوة الاقتصادية)
١٥٥	أهم محركات الاقتصاد الإيراني
١٥٥	النفط والغاز

١٥٥	السيارات
١٥٦	قطاع البتروكيماويات
١٥٦	قطاع الخدمات المالية
١٥٦	قطاع الصلب
١٥٦	القطاع التعاوني
١٥٧	البونباد
١٥٧	الحرس الثوري الإيراني
١٥٨	مؤسسة الإمام الخميني
١٦٤	القوة الجيوستراتيجية (الجغرافية)
١٦٥	القوة العسكرية
١٧٣	إيران وسياسة الاعتماد على الذات
١٧٤	الصناعات العسكرية الإيرانية
١٧٥	سلاح الجو الإيراني
١٧٦	سلاح الصواريخ الباليستية الاستراتيجية الإيراني
١٧٩	القوات البحرية
١٨٢	سلاح المدرعات والمركبات المصفحة
١٨٢	منظومات الدفاع الجوي
١٨٣	صواريخ المدفعية وراجمات الصواريخ
١٨٤	صواريخ مضادة للمروحيات
١٨٤	مضادات الدبابات والعربات المصفحة
١٨٤	الصواريخ مضادات السفن
١٨٦	العتاد العسكري لأفراد المشاة
١٨٧	القدرات الكمية للجيش الإيراني
١٨٧	القوات البحرية الإيرانية نذاجا كما يطلق عليها في إيران (IRIN)

١٩٠	القدرات الكمية لسلاح الجو الإيراني
١٩١	القدرات الكمية لسلاح الصواريخ الاستراتيجية الإيرانية
١٩٢	قوات الدفاع الجوي الإيراني
١٩٣	القدرات الكمية للقوات البرية الإيرانية
١٩٣	الحرس الثوري الإيراني (الباسدران)
١٩٦	الاتفاق النووي الإيراني - الغربي وتوازنات الأمن الإقليمي بمنطقة الشرق الأوسط
١٩٦	القدرات الاستراتيجية الإيرانية
١٩٦	البرنامج النووي الإيراني
٢٠٠	محطات مهمة في البرنامج النووي الإيراني
٢٠٧	اتفاقية لوزان
٢٠٩	الأسلحة الكيميائية والبيولوجية الإيرانية
٢١٠	برنامج إيران الفضائي
٢١٠	أهداف البرنامج الفضائي الإيراني وبرامج تصنيع الأقمار الصناعية الإيرانية
٢١١	تطور البرنامج الفضائي الإيراني
٢١٥	القدرات الإلكترونية الإيرانية
٢١٥	الجيش الإلكتروني الإيراني ICA
٢١٦	أهم وأبرز عمليات الجيش الإلكتروني الإيراني
٢١٨	الاستخبارات الإيرانية
٢٢٠	القوة السياسية للجمهورية الإسلامية
٢٢٣	أركان النظام السياسي الإيراني
٢٢٤	الولي الفقيه أو المرشد الأعلى للشورة
٢٢٥	صلاحيات المرشد
٢٢٦	رئيس الجمهورية ونوابه والوزراء
٢٢٨	صلاحيات الرئيس

٢٢٨ السلطة التشريعية	٢٢٨
٢٣٠ السلطة القضائية	٢٣٠
٢٣١ مجمع تشخيص مصلحة النظام	٢٣١
٢٣٢ مجلس خبراء القيادة (مجلس الخبراء)	٢٣٢
٢٣٣ المجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني	٢٣٣
٢٣٤ الأحزاب في إيران	٢٣٤
٢٣٥ سليات النظام السياسي الإيراني	٢٣٥
٢٣٦ القوة الاجتماعية	٢٣٦
٢٣٦ الأمن الداخلي	٢٣٦
٢٣٧ الرعاية الصحية	٢٣٧
٢٣٨ الرعاية الاجتماعية	٢٣٨
٢٣٨ وضع الأقليات	٢٣٨
٢٤٠ القوة الناعمة الإيرانية	٢٤٠
٢٤١ وثيقة إيران أفق ٢٠٢٥	٢٤١
٢٤٤ الهدف الرئيسي للمشروع الإيراني رؤية ٢٠٢٥-٢٠٠٥	٢٤٤
٢٤٧ عناصر القوة الشاملة للمملكة العربية السعودية	٢٤٧
٢٤٧ السكان (القوة البشرية)	٢٤٧
٢٥١ الموارد الاقتصادية (القوة الاقتصادية)	٢٥١
٢٥٢ أهم الصناعات بالمملكة	٢٥٢
٢٥٤ صناعة النفط والغاز (الاستكشاف - الإنتاج - التكرير - النقل - التوزيع)	٢٥٤
٢٥٤ صناعة البتروكيماويات	٢٥٤
٢٥٥ الصناعات الثقيلة والتحويلية والمتوسطة	٢٥٥
٢٥٧ القطاع الزراعي	٢٥٧
٢٥٨ قطاع السياحة	٢٥٨

٢٥٩	قطاع التشييد والبناء
٢٥٩	البنية التحتية للمملكة
٢٦١	القوة الجيوستراتيجية (الجغرافيا)
٢٦٣	القوة العسكرية
٢٦٨	القدرات الصاروخية والنوية الاستراتيجية السعودية
٢٦٩	الأقمار الصناعية السعودية
٢٧٢	الاستخبارات العامة السعودية
٢٧٤	القوة السياسية
٢٧٩	نظام سياسي مقترح ليوكب تغيرات العصر بالسعودية
٢٨٠	القوة الاجتماعية
٢٨٠	الأمن الداخلي
٢٨٣	الرعاية الصحية والاجتماعية
٢٨٤	القوة الثقافية
٢٨٧	القوة المعنوية (القوة الناعمة)
٢٨٨	ملخص أهداف رؤية المملكة ٢٠٣٠
٢٨٩	الأهداف الكمية لمشروع المملكة ٢٠٣٠
٢٩١	الأهداف العامة لمشروع رؤية المملكة ٢٠٣٠
٢٩٣	برنامج التحول الوطني ٢٠٢٠
٣٠٢	عناصر القوة الشاملة لجمهورية مصر العربية
٣٠٢	السكان (القوة البشرية)
٣١١	بعض علماء مصر رفيعي المستوى بالداخل والخارج
٣١٧	الموارد الاقتصادية (القوة الاقتصادية)
٣٢٧	الزراعة والثروة السمكية والحيوانية
٣٢٨	دراسة مقارنة لأهم دول العالم من حيث الموارد

- ٣٣١ الثروة السمكية والحيوانية
- ٣٣٤ الصناعة والتعدين
- ٣٣٥ أهم مشكلات الصناعة المصرية
- ٣٣٨ التعدين
- ٣٤٠ قطاع الخدمات
- ٣٤١ قطاع البناء والتشييد
- ٣٤٣ السياحة
- ٣٥١ قطاع البنوك والبورصة
- ٣٥٢ ركائز الإصلاح الاقتصادي في مصر
- ٣٥٥ القوة الجيوستراتيجية (الجغرافيا)
- ٣٥٦ القوة العسكرية
- ٣٥٨ المناورة بدر ١٩٩٦
- ٣٦٣ القدرات الكمية للجيش المصري ٢٠١٤
- ٣٦٤ الدفاع الجوي المصري
- ٣٦٦ القوات الجوية المصرية
- ٣٦٨ القوات البحرية المصرية
- ٣٧٠ القوات البرية المصرية
- ٣٧٠ الدبابات ومركبات المشاة القتالية وناقلات الجند المدرعة
- ٣٧٣ الأسلحة الخفيفة ومضادات الدروع
- ٣٧٥ أنظمة الجسور البرمائية
- ٣٧٥ قوات الصاعقة المصرية
- ٣٧٨ أبرز العمليات المشرفة لوحات الصاعقة المصرية
- ٣٨١ القدرات الصاروخية الباليستية للجيش المصري
- ٣٨٤ قدرات أسلحة الدمار الشامل المصرية

٣٨٨	القدرات الإلكترونية للجيش المصري
٣٩٠	التصنيع العسكري المصري
٣٩٣	الأجهزة الاستخباراتية المصرية
٣٩٤	إدارة المخابرات الحربية والاستطلاع (المخابرات العسكرية)
٣٩٨	المخابرات العامة المصرية
٤٠٠	جهاز الأمن الوطني (أمن الدولة سابقًا)
٤٠١	هيئة الرقابة الادارية
٤٠٢	القدرات الفضائية المصرية
٤٠٤	التوازن الاستراتيجي بين مصر وإسرائيل
٤٠٤	نقاط القوة الاستراتيجية المصرية
٤٠٥	نقاط الضعف الاستراتيجية المصرية
٤٠٦	نقاط القوة الاستراتيجية لدولة إسرائيل
٤٠٧	نقاط الضعف الاستراتيجية لدولة إسرائيل
٤٠٧	نظرية الأمن القومي المصري والاستراتيجية العسكرية المصرية والسياسات العامة للدولة
٤٠٩	مقدمة للتعريف بالنظرية
٤١٠	بنود نظرية الأمن القومي المصري كما نراها
٤١٣	الاستراتيجية والتكتيك
٤١٨	القوة السياسية والقوة الناعمة
٤١٩	تجربة سجن استانفورد
٤٢٢	التنظيم السري الطليعي
٤٢٩	أهمية استقلال القضاء
٤٢٩	سليات النظام القضائي المصري والتي تمنع استقلالته
٤٣٠	الفساد في مصر

٤٣٣	الهيكل التنظيمي للدولة	٤٣٣
٤٣٤	علاقة مؤسسات الدولة وسلطاتها وتوازنها	٤٣٤
٤٣٤	كفاءة وكفاية وحدائة القوانين السياسية والجنائية	٤٣٤
٤٣٥	الثقافة السياسية لجموع المواطنين ونسبة مشاركتهم في الحياة السياسية	٤٣٥
٤٣٥	القوة الثقافية	٤٣٥
٤٣٥	السينما	٤٣٥
٤٣٨	الأزهر والقراء المصريون وكبار العلماء	٤٣٨
٤٤٠	الكنيسة الأرثوذكسية	٤٤٠
٤٤٢	القوة الناعمة	٤٤٢
٤٤٢	الخطة المصرية رؤية ٢٠٣٠	٤٤٢
٤٤٧	مخاطر الأمن القومي المصري	٤٤٧
٤٤٨	المخاطر العسكرية	٤٤٨
٤٥٠	المخاطر الاقتصادية	٤٥٠
٤٥٢	المخاطر الاجتماعية والسياسية والبيئية	٤٥٢
٤٥٣	خارطة طريق نحو تحقيق مشروع نهضة مصر العظمى Road Map	٤٥٣
٤٥٤	الأهداف القومية الرئيسية	٤٥٤
٤٥٦	محاور تحقيق الأهداف القومية	٤٥٦
٤٥٧	١- الدستور	٤٥٧
٤٥٨	٢- التخطيط الشامل	٤٥٨
٤٥٨	٣- تطوير وتحديث الهيكل الإداري للدولة	٤٥٨
٤٥٩	٤- تحديد اولويات الاستثمار الحكومي	٤٥٩
٤٥٩	٥- (تحديث القوانين وترسيخ قيم الدولة المدنية)	٤٥٩
٤٦٠	٦- (تهيئة بيئة قوية لجذب الاستثمارات الخارجية)	٤٦٠
٤٦٢	خاتمة	٤٦٢

مُقَدِّمَةٌ

تقع مصر في قلب منطقة الشرق الأوسط، وهي منطقة جغرافية تشمل بلدان غرب آسيا وشمال إفريقيا، أول من أطلق هذا الاسم (الشرق الأوسط) واستخدمه هو الخبير الاستراتيجي، والسياسي الأمريكي المعروف، ألفريد ثاير ماهان (١٨٤٠-١٩١٤)، حيث وردت بمؤلفاته، التي أسست مبادئ البحرية الأمريكية في أوائل القرن العشرين، وتشمل تلك المنطقة ٢٢ دولة^(١)، تبلغ مساحة المنطقة ١٤.٤ مليون كم مربعاً، وعدد السكان حوالي ٥٣٠ مليون نسمة، وناتجها المحلي الإجمالي ٤٣٧٥ مليار دولار أمريكي (٢٠١٤)، انظر الجدول التالي:-

دول إقليم الشرق الأوسط: عدد السكان، والمساحة، وحجم الناتج المحلي الإجمالي ٢٠١٤. (قائمة البنك الدولي)				
مسلسل	الدولة	عدد السكان بالمليون	الناتج المحلي الإجمالي GDP بالمليار دولار (تعادل القدرة الشرائية)	المساحة كم مربع
١	مصر	٨٩	٢٨٧	١.٠٢٠.٠٠٠
٢	إيران	٧٩	٤١٦	١.٦٥٠.٠٠٠
٣	تركيا	٧٦	٨٠٠	٧٨٠.٠٠٠
٤	السودان	٣٩	٦٦.٥	١.٨٦٠.٠٠٠
٥	الجزائر	٣٨	٢١٠	٢.٣٦٠.٠٠٠

(١) وهي حسب الترتيب التنازلي من حيث عدد السكان: (مصر، إيران، تركيا، السودان، الجزائر، العراق، المغرب، السعودية، اليمن، سوريا، تونس، الأردن، ليبيا، الإمارات، لبنان، فلسطين، إسرائيل، الكويت، عمان، قطر، قبرص، البحرين).

٤٣٧.٠٠٠	٢٢٩	٣٧	العراق	٦
٧١٠.٠٠٠	١١٥	٣٣	المغرب	٧
٢.٢٤٠.٠٠٠	٧٤٦	٣١	السعودية	٨
٥٢٧.٠٠٠	٣٦	٢٥	اليمن	٩
١٨٥.٠٠٠	٤٠	٢٢	سوريا	١٠
١٦٣.٠٠٠	٤٧	١١	تونس	١١
٩٢.٣٠٠	٣٤	١٠	الأردن	١٢
١.٧٦٠.٠٠٠	٧٤	٨.٤	ليبيا	١٣
٨٤.٠٠٠	٤٠١	٨.١	الإمارات	١٤
٢٢.٠٠٠	٣٠٤	٨	إسرائيل	١٥
١٠.٥٠٠	٤٤	٤.٣	لبنان	١٦
٦.٣٠٠	١٢	٤	الضفة الغربية وغزة	١٧
١٨.٠٠٠	١٧٥	٣	الكويت	١٨
٣٩٠.٠٠٠	٨٠	٢.٩	سلطنة عمان	١٩
١١.٤٠٠	٢٠٤	٩ ، ١	قطر	٢٠
٩.٢٥٠	٢٢	١.١	قبرص	٢١
٦٦٥	٣٣	٠.٨	البحرين	٢٢
١٤.٤٠٠.٠٠٠	٤.٣٧٥.٥	٥٣٠.٦	الإجمالي	



صورة تجمع أهم دول منطقة الشرق الأوسط

ترجع أهمية المنطقة السياسية، والاقتصادية، والجغرافية، والتاريخية، في إيجاز إلى أنها: -

- ١- تتوسط قارات العالم، وتتحكم في أهم طرق المواصلات البرية والبحرية والجوية، فهي بمثابة جسر يربط بين دول العالم، شرقه وغربه، شماله وجنوبه، وتقع فيها أهم المضائق البحرية، مثل: مضيق جبل طارق، وباب المندب، ومضيق هرمز، إلى جانب قناة السويس التي يمر بها ١٠-١٢% من حجم التجارة العالمية سنوياً. كما تمثل نقطة التقاء لأهم الممرات البرية والبحرية والجوية وكابلات الاتصالات بالعالم.
- ٢- تحتوي المنطقة على أهم وأكبر آبار النفط والغاز المنتجة بالعالم، علاوة على سيطرتها على ٦٥% من احتياطياته من النفط والغاز المؤكدة، وتبلغ قيمة ما يحويه باطن الأرض بتلك المنطقة من احتياطات مؤكدة من النفط والغاز حوالي ١٤٠.٠٠٠ مليار دولار، حسب تقرير شركة (بريتش بتروليوم) عن حجم وقيمة احتياطيات النفط والغاز بالعالم^(١).

(١) محسوباً على متوسط سعر النفط والغاز ٢٠١٣.

٣- تعتبر المنطقة محرِّكًا رئيسًا من محركات الاقتصاد العالمي؛ نظرًا لما تتمتع به من كتلة سكانية ضخمة، وثروات مالية وطبيعية كبيرة، لو قُدِّر وأصبحت دول تلك المنطقة تحت اتحاد واحد على غرار الاتحاد الأوروبي، لتصدَّر اتحاد دول الشرق الأوسط الترتيب الرابع على مستوى العالم من حيث القدرة والقوة الاقتصادية؛ بعد الولايات المتحدة والصين واليابان -إجمالي الناتج المحلي الإجمالي الاسمي السنوي لتلك الدول حوالي ٤٣٠٠ مليار دولار ٢٠١٤-؛ ولاحتل المركز الأول عسكريًا محسوبًا على أساس القدرات الكمية للأسلحة التقليدية التي تمتلكها دولة مجتمعة وأحد المراكز الخمس الأولى بفرض احتساب القدرات الاستراتيجية لدى تركيا وإيران وإسرائيل.

٤- المنطقة مهد الأديان السماوية الثلاثة، ومنشأ أهم الحضارات الإنسانية القديمة، كما تحتوي على أهم الآثار العالمية، والكنوز الثقافية القديمة، والمزارات والمرقد الدينية المقدسة لدى مليارات من المسلمين والمسيحيين واليهود وأتباع ديانات عديدة أخرى، مثل: البهائية، واليزيدية، والإسماعيلية، والدرزية، والزرادشتية.

٥- تحتوي المنطقة على أكثر من مائة وعشرة مواقع تراثية عالمية نادرة، حسب تصنيف منظمة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة، والعدد قابل للزيادة.

تاريخيًا؛ تصارعت الدول العالمية الكبرى والإقليمية للسيطرة على تلك المنطقة وقامت حروب كبرى بين تلك الدول؛ لكي يكون لها النفوذ السياسي والاقتصادي والعسكري، وحتى اليوم ليس مستغربًا أبدًا أن تكون المنطقة من أكثر مناطق العالم سخونة وصراعًا بين الدول الكبرى لكسب السيطرة والنفوذ، كما يتوقع أن تكون مسرحًا للصراع بين الدول الكبرى مستقبلاً.

لهذا فإن فهمنا العميق والصحيح لأمننا القومي كأمة مصرية عظيمة تتوسط العالم وأهم مناطقه الاستراتيجية، واستيعابنا لعناصر القوة الشاملة لأمتنا والأمم الأخرى المهمة في نطاقنا الحيوي؛ يجعلنا مدركين لتحديات وأبعاد تحركات الدول الكبرى وترتيباتها الاستراتيجية، مثل ما حدث أخيرًا من اتفاق مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية بشأن قدراتها النووية مع الدول الغربية الكبرى،

وأيضًا يجعلنا ندرك التوازنات الإقليمية والعالمية المتوقعة خلال العقود القادمة، ويساعد قادتنا السياسيين والعسكريين في توقع مصادر التهديد المحتملة، ورسم الخطط العسكرية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية اللازمة لتحقيق أمننا القومي وحمايته، وحشد عناصر قوتنا الشاملة وتطويرها لكي تظل مصر دائمًا عَصِيَّةً ضد من يهددها بسوء، وقوية تستطيع أن تفرض إرادتها داخل مجالها الحيوي، وأن تكون لاعبًا رئيسًا في لعبة ترتيب الأوراق بالمنطقة والعالم، ولديها من الوسائل والقوة ما يُمكنها مستقبلاً من تحقيق أمن شعبها المادي والمعنوي ضد أي عدو مستقبلي يسعى إلى ابتزازها أو التدخل في شئونها أو حتى محاولة استعمارها من جديد، إن كتابنا هذا سيتناول ما يمكن أن نطلق عليه بعثًا جديدًا للدولة المصرية، يعيد إليها مجدها السابق ومكانتها الرائدة الطبيعية بالمنطقة والعالم، ويرسم أبعادًا لهذا البعث وأهدافه العليا واستراتيجياته وسياساته وبرامجه ومبادراته.

لهذا؛ واتساقًا لما سبق ولأهمية الحدث فإننا نرى الاتفاق النووي الإيراني مع الدول الكبرى هو فرصة لالتقاط الأنفاس، وإعادة لترتيب الأوراق، وتحسين عناصر القوة الشاملة لجميع الدول الإقليمية الرئيسة المتنافسة الأخرى بالمنطقة، ومن ضمنها مصر، وأيضًا مناورة بين الدول الكبرى لكسب الوقت حتى يتم الاتفاق فيما بينها على مناطق التبعية والنفوذ، وتقاسم مصادر الدخل والموارد الطبيعية العالمية. منذ الأزمة الاقتصادية العالمية ٢٠٠٨ ويجري بجديّة تشكيل جزء مهم من أسس النظام العالمي الجديد (اقتصاديًا، وأمنيًا، وسياسيًا) الذي سيحكم العالم في المستقبل القريب. ولقد لخص الرئيس الأمريكي «باراك أوباما» كل ما سبق في تصريحه الشهير أمام أعضاء الكونجرس، المريكي وهو يشرح تفاصيل الاتفاق ويطلب موافقتهم، وإن الاتفاق عطل طموحات إيران النووية العسكرية، لمدة لا تقل عن ثماني سنوات، ولعل للرقم ثماني سنوات دلالة مغزى، فالدول الكبرى لا تطلق الأرقام مجازًا أو مصادفة، فماذا يا تُرى وراء الثماني سنوات؟ وماذا يُعد للمنطقة وللعالم خلال تلك الفترة؟ لم يتحدث «أوباما» عن إنهاء البرنامج النووي أو تدميره؛ فإيران دولة نووية منذ عام ٢٠١١، ولم يتحدث عن استخدام الخيار العسكري ضد طموحات إيران، فإيران قد استعدت جيدًا دفاعيًا، ونسجت من التحالفات الدولية مع: روسيا، والصين،

وكوريا الشمالية، وسوريا ما يؤمن أهدافها القومية العليا، كما أن استخدام القوة ضد دولة عضو بالأمم المتحدة له تعقيداته العالمية، ويفتقد إلى الشرعية القانونية اللازمة للقيام بمثل هذا العمل الخطير. فالمخطط الإيراني وهو ينتقي مواقع برنامجه الاستراتيجي النووي جعل من العمل العسكري عملاً أحمقاً قد يعطل البرنامج عدة سنوات، ولكن يستحيل إنهاؤه أو تدميره مثل ما حدث بالعراق وسوريا، تلك حقيقة وواقع وليست خيالاً أو توقعات أو احتمالات، أعتقد أن «أوباما» وهو يتحدث عن إنجازاته الاتفاق كان يتحدث -أيضاً- ولكن بصوت خافت عن هدنة وفسحة من الوقت تُنسخ فيها الخطط، وتُحدد الأهداف، وتُحاك المؤامرات، وتعمل مراكز الأبحاث في دعم الأهداف المستقبلية للدولة، ومنها توفير الأدوات العسكرية اللازمة لتنفيذ إرادة الولايات المتحدة نحو احتواء البرنامج النووي الإيراني بعد انتهاء مدة الاتفاق، وتُختبر خلاله أسلحة جديدة وتكنولوجيا متقدمة تجعل ما هو مستحيل عسكرياً اليوم ممكناً غداً، وقد كان «أوباما» واقعياً ويعلم جيداً مدى التقدم العلمي الإيراني، ومدى الكفاءة، ووضوح الأهداف والسياسات التي تتوفر لدى إيران كأمة وقيادات سياسية وعسكرية، فكان واقعياً برمجاتاً طيلة فترة المفاوضات، وأعلنها صراحة وبوضوح: يستحيل إنهاء البرنامج النووي الإيراني عسكرياً اليوم.

لهذا، ونحن نحاول وضع أسس بعث أمتنا ودولتنا من جديد، وإعادة مجدها وعزها وقوتها فإنه يجب علينا أولاً وقبل أي شيء قراءة توازنات الأمن الإقليمي، اليوم وفي المستقبل علينا أن ندرس واقع الدول الرئيسة الكبرى بالمنطقة، وعناصر قوتها الشاملة، ومنها نستطيع أن نستنبط شكل تلك الدول وقوتها وإمكاناتها على فرض سياساتها ورؤيتها بمجالها الحيوي وأسس الأمن الإقليمي بالمنطقة اليوم وفي المستقبل، كما أن الحقائق التي سنتناولها دراستنا توجب علينا أن نراجع خطة الدولة الاستراتيجية التي طرحتها الحكومة عام ٢٠١٦، والتي أطلقت عليها رؤية مصر ٢٠٣٠، لنواجه السباق الحالي بين دول الإقليم الرئيسة، نحو القوة والتفرد والنفوذ وحتى يكون لنا حضور وقوة ومنعة يوم تجتمع الدول الكبرى لاقتسام العالم وإعادة رسم حدوده وموارده خلال السنوات القليلة القادمة، فمثلاً في المجال الاقتصادي -وهو الممول لكافة عناصر القدرات

الشاملة للدولة المصرية- الهدف الاقتصادي الاستراتيجي العام للرؤية عام ٢٠٣٠: أن يكون الاقتصاد المصري ضمن أهم ٣٠ اقتصادًا عالميًا، وهذا غير دقيق، وغير علمي ولا يلبي طموحات دولة كبرى مثل مصر، خصوصًا وأن الدول الإقليمية الكبرى الأخرى لها خطط وطموحات تفوق الخطة التي طرحتها الحكومة في رؤيتها بكثير، كما سيتضح خلال الصفحات القادمة من الكتاب، وكان من الأولى أن يكون هدفنا الاقتصادي هو أن نكون ضمن أهم ١٥ اقتصادًا عالميًا، وإنما لو أضفنا اليوم ونحن في عام ٢٠١٦ حجم الاقتصاد المصري غير الرسمي والمعروف بالاقتصاد الموازي إلى اقتصادنا الرسمي فإن مصر اليوم ضمن أهم ٢٢ اقتصادًا بالعالم، أي أن الرؤية المطروحة غير واقعية، وغير مدروسة، ولا تلبي آمال الطموحات المشروعة لشعبنا أيضًا في نهاية عام ٢٠١٦ قامت الحكومة بتعويم الجنيه المصري أمام الدولار والعملات الأجنبية الأخرى، ترتب على هذا القرار انخفاض الناتج المحلي الإجمالي موقومًا بالدولار الأمريكي إلى ما يعادل ٢٣٠ مليار دولار بنهاية عام ٢٠١٦ وارتفاع معدلات التضخم إلى أرقام مزعجة لتتجاوز ٣٠٪ وزاد إجمالي الدين العام إلى ما يساوي ١٣٥٪ من الناتج المحلي الإجمالي وجميعها تحديات ضخمة تحتم علينا مراجعات شاملة لأهدافنا القومية، ودمج الاقتصاد الموازي، وتشجيع الاستثمارات الأجنبية لمعادلة فجوة الاستثمار *Investment gap*، وتشجيع الصناعات التصديرية، وإحلال الواردات لمعادلة الفجوة التجارية *Trading gap*، والتركيز على التنمية البشرية بالريف، وبرامج محاربة الفقر وتحقيق المجتمع الضريبي القائم على جباية الضرائب بدقة، وإنفاقها بدقة وحساب، وفق أولويات يُراعى فيها تحقيق الحاجات الأساسية لشعبنا، من تعليم، ورعاية صحية، وتوفير فرص عمل لجميع الفئات والأعمار والمهين، وتوفير خدمات عامة بمستوى مناسب - يجب أن يكون جميع ما سبق ضمن أهدافنا القومية العليا خلال الفترة القادمة.



مفهوم عناصر القوة الشاملة للدول

Total National Power (Capabilities)

أهم الكتاب الذين كتبوا عن عناصر القوة الشاملة للدول في العقد الماضي وحتى اليوم:-

- روجر هيلمان، السياسي، والمحاضر الأمريكي (١٩١٩-٢٠١٤).
 - شارلز ميريام، عالم السياسة الأمريكي (١٨٧٤-١٩٥٣).
 - هارولد لاسويل، العالم في الإعلام السياسي (١٩٠٢-١٩٧٨).
 - مورتون كابلان، أستاذ العلاقات الدولية بجامعة شيكاغو (١٩٢١-٢٠٠٤).
 - راي ستانلي هوفمان، أستاذ السياسة الدولية بجامعة هارفارد (١٩٢٣-٢٠١٥).
 - هانز مولر جانتو، أستاذ السياسة الدولية الألماني المعروف (١٩٠٤-١٩٨٠).
 - ديفيد بالدوين، أستاذ السياسة والاقتصاد جامعة كولومبيا (١٩٤٠-٢٠١٦).
 - اليكس توكفيل، عالم السياسة والاجتماع الفرنسي (١٨٠٥-١٨٥٩).
 - كلاوس كنور، صاحب الكتاب المهم القدرات الحربية للدول (١٩١٢-١٩٩٠).
 - أرلوند توينيني، أهم مؤرخي القرن العشرين، والباحث في صراع الحضارات (١٨٨٩-١٩٧٥).
 - مالك بن نبي، المهندس، والمفكر، والأديب الجزائري، الملقب بابن خلدون العصر الحديث (١٩٠٥-١٩٧٣).
- كما أن هناك كُتَّابًا حاولوا أن يربطوا عناصر القوة أو بعضًا منها بعالم الرياضيات والمعادلات والقياسات الكمية وعمل نماذج رياضية، كان منهم:-
- ١- أطروحات ميكافيلي، الذي ربط فيها قدرة وقوة الدولة بالقدرات العسكرية الكمية العددية.
 - ٢- أفلاطون، وأيده في ذلك ماكيندر وماهان، اللذان ربطا قوة وقدرة الدولة بقوة النظام السياسي، وربطوا قدرة الدولة بعدد السكان.

- ٣- جيمس سكوت الأمريكي مواليد نيو جيرسي عام ١٩٢٦ وله كتاب هام بعنوان كيف ترى كدولة؟
- ٤- فيلهم فون همبولت (١٧٦٧-١٨٣٥) وله كتاب هام بعنوان مقدمة لتصنيف فاعلية الدولة.
- ٥- أطوني داونز الأمريكي الأصل وله نظرية في إدارة منظومة البيروقراطية الحكومية.
- ٦- راي كلاين، الذي ربط قوة الدولة بالخمسة مكونات التالية: - الكتلة السكانية (الحيوية)، القدرة الاقتصادية، القدرة العسكرية، الهدف الاستراتيجي، الإرادة القومية (السياسية).
- ٧- أرسطو، وإليكس توكفيل، اللذان ربطا قوة الدولة بقوتها الاقتصادية، ووجهها الآخر القوة السياسية.
- ٨- أضاف دكتور زهران، عالم السياسة والاقتصاد المصري، والمحاضر بأكاديمية ناصر العسكرية، إلى نموذج (راي كلاين) القوة الناعمة (النفوذ)، انظر كتاب دكتور زهران المهم (قياس قوة الدول واحتمالات الصراع العربي الإسرائيلي)، الصادر عن مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ٢٠٠٦.
- ٩- كليفورد جيرمان، الذي سَطَّر في عام ١٩٦٠ المعادلة التالية: قوة الدولة تساوي القدرات النووية + المساحة + عدد السكان + حجم الإنتاج الصناعي + حجم القوات العسكرية.
- ١٠- وليام فوكس، القوة = إنتاج الطاقة بالكيلووات + كمية إنتاج الصلب بالطن + الجذر التكعيبي لعدد السكان.
- ١١- ديفيد سنجر، القوة = (نسبة عدد السكان إلى عدد سكان العالم + نسبة الحضر إلى عدد السكان + نسبة إنتاج الحديد الصلب إلى العالم + نسبة إنتاج الطاقة إلى العالم + نسبة الإنفاق العسكري إلى العالم + نسبة القوات المسلحة إلى عدد السكان) (٦/).
- ١٢- بول كيندي، الذي ربط صعود وهبوط القوة الإقليمية والعالمية إلى عاملين رئيسيين فقط، هما: النمو الاقتصادي، والقدرات العسكرية.

بالقراءة المتأنية والعميقة لما كتبه كل هؤلاء، وما كتبه قديماً ابن خلدون منذ أكثر من (٦٠٠) عام، وبعد أن درسنا العيوب التي أخذت على كتابات السابقين ونظرياتهم؛ يمكن أن نرصد أن النماذج السابقة كانت قاصرة وغير مكتملة الأركان، ولم تراع أهم مكونات القوة الشاملة للدول، وأغفلت عنصر إدارة القدرات، وهو موهبة وقدرة الحكومات والمجتمعات على توظيف عناصر القوة؛ لتحقيق أكبر قدر من المكاسب والنتائج الإيجابية، وتقليل الخسائر مع استغلال مصادر التفوق؛ لاقتناص الفرص في علاج مصادر الضعف مع تجنب التهديدات. ونقصد به هنا قدرة النظام السياسي للدولة على إدارة موارد الدولة وتنميتها لتحقيق أهدافها القومية العليا.

النموذج الياباني والألماني في إعادة بناء الدولة في ظل تحديات هائلة ومعوقات جمة بعد هزيمتهما في الحرب العالمية الثانية - جدير بالدراسة والتحليل والاحترام، فكلا الدولتين خرجا من الحرب مدمرتين تماماً لا تمتلكان من أمرهما شيئاً. تسلمت حكومات الدولتين بلادهما -بعد الحرب- وليس هناك شيء جدير بالانتباه أو ذا قيمة، فالاقتصاد مدمر والمرافق مدمرة، والبنية التحتية خربة، وعليهما دفع مليارات التعويضات إلى العديد من الدول الأخرى، وفوق كل هذا بدا كل شيء ركام، فقد تم تجريف موارديهما الاقتصادية والبشرية في حربهما الضروس مع الحلفاء، وبلادهم شبه محتلة واستقلاهم الحقيقي منقوص، كما أن علاقاتهما الدبلوماسية والاقتصادية مع دول الجوار مازالت متأثرة بجراح وآلام الملايين ممن تضرروا من أهوال الحرب، وما شهدته من مجازر ومذابح ودمار، ولكن كفاءة ووطنية الحكام وباقي الرموز السياسية بالدولة بما فيها المعارضة، ووضوح رؤياهم، وسلامة منطقتهم، ومواهبهم السياسية والإدارية عوضاً كثيراً من التحديات المادية، ومكنتهم من التغلب على صعاب كانت تبدو للأناس العاديين مستحيلة، أيضاً وبالتحليل العميق والمحيد للظروف التي عمل خلالها الآباء المؤسسون للدولة اليهودية منذ بدايات الدولة الأولى عام ١٩٤٨ تجعلنا نضعهم جنباً إلى جنب مع الآباء المؤسسين لهضة اليابان وألمانيا ما بعد الحرب العالمية الثانية، ولولا الدماء المملطخة بها أيدي أولئك المؤسسين لإسرائيل، وعنصريتهم البغيضة، وما اقترفوه في حق شعبنا الأعزل في فلسطين وباقي شعوب المنطقة؛ لقلنا إنهم جديرون بالاحترام.

العامل المشترك بين الحكومات الرشيدة الحديثة - هو الاعتماد على عدالة الحكم؛ «فالعدل أساس الملك»^(١)، وأيضًا تبني نموذج اقتصادي ومجتمع المعرفة والنظام السياسي الديمقراطي كحجري أساس لنهضتهم وتقدمهم. ففي الدول الحديثة وفي عصرنا الحديث يقود العلماء، والجامعات، ومراكز الأبحاث كافة محاور عمل النظام الاقتصادي، والنظام السياسي، والاجتماعي للدولة، وتقود الأحزاب القوية الأمة دون إقصاء لتيار، أو تهميش لآخر، وفق دستور مقدس تحترمه كافة سلطات الدولة دون فوقية أو تمييز أو استثناء، وتحقق فيه استقلالية القضاء كسلطة حقيقية نافذة، ويضمن مبدأ تداول السلطة، وكامل حرية المواطنين في الانتخاب والاختيار بل والمحاسبة، وتعمل الأجهزة الأمنية والمؤسسات السيادية بالدولة في تعاون وانتظام تحت إشراف البرلمان ورقابته، وليس لأي سلطة أيًا ما كانت وعلى الأخص السلطة التنفيذية استخدام تلك المؤسسات والأجهزة في التغول على باقي السلطات، أو خرق التوازن الصحي بين السلطات الأساسية بالدولة.

كفاءة الحكام هو أمر يمكن ضمانه ويمكن قياسه، وهو جزء أصيل في القدرة السياسية للدولة، وهو شيء نستطيع أن نوكله بكل تأكيد إلى كفاءة أنظمة الحكم السياسية، وهي الأنظمة التي تضمن الحقوق الأساسية للمواطنين^(٢). هناك مصطلح يتكرر كثيرًا في كتب الحضارات، وهو لعبة الأمم حيث تبرز القوى وتخفو وتختفي وهكذا دواليك، لا بسبب الموارد أو الإمكانيات ولكن بسبب

(١) ترتيب مصر في جميع المؤشرات التي تصدرها الأمم المتحدة أو المنتدى الاقتصادي العالمي فيما يخص استقلال القضاء الصمري تأتي في مراتب متدنية جدًا - حيث جاءت في الترتيب ٨٢ ضمن ١٤٨ دولة وترتيبها الأخير على جميع الدول العربية (المنتدى الاقتصادي العالمي ٢٠١٤).

(٢) الحرية، العدل، المساواة، الأمن، حق العمل، حق التعلم، حق السكن، حق العلاج والرعاية الصحية، حق التكافل والضمانات الاجتماعية ومحاربة الفقر، حق الانتخاب واختيار الحكام ومسئولي العمل العام، احترام الملكية الخاصة والعامة، كفاية القوانين وكفاءتها، حق تلقي خدمات حكومية جيدة، حق تعامل الجهات الأمنية بكل سلطاتها باحترام ووفق القانون ودون تجاوزات مع المواطنين والمقيمين دون تمييز أو فوقية أو عنصرية، حق التعويض المالي والمعنوي في حالات البطالة أو العجز البدني والعقلي والشيخوخة أو فقد أحد الوالدين أو كليهما لحين البلوغ، حق صيانة الذوق العام والأخلاق والقيم الرفيعة وثوابت الأديان وغيرها من الحقوق.

الإدارة السياسية، ومدى كفاءة النظام السياسي على توليد أكبر قدر من المواهب الضرورية لقيادة الدولة. عمومًا فإن الأنظمة الحديثة للحكم والتي تعتمد على إنفاذ إرادة الشعب في اختيار من يحكمه ويشرع له؛ قد ضمنت إلى حد كبير كفاءة إدارة موارد الدولة، وتحقيق مصالحها العليا، وسوف يلمس القارئ خلال بحثنا، وعمليًا ما نقصده وما سردناه سابقًا.



صورة للمستوطنين الصهيونيين الأوائل توضح كيف كان حالهم عام ١٩٤٨ وغالبهم كان يقطن في عششا من الصفيح من قلة الموارد وضعف الامكانيات.



<http://www.egyptianpressphoto.com/>

البنية التحتية المصرية - ١٩٥٠ في عام ١٩٥٥

صورة من قلب القاهرة عام ١٩٤٨ ويظهر فيها حجم المدينة والتقدم وتعطينا تصور حقيقي عن مدى ما كانت عليه البنية التحتية المصرية بذلك الوقت.

بناءً على ما سبق، فإننا نقدم نموذجنا التالي وقد أسميته (Farrag Model) الذي يمكن أن نعتمد عليه مطمئنين إلى أن عناصر القدرة الشاملة لأي قومية أو جماعة لن تخرج عن الثمانية عناصر الرئيسة التالية وفروعها، والتي تتقاطع وتتكامل فيما بينها؛ لكي تنتج ما اصطلاح علمياً على تسميته القدرة الشاملة للدولة، وهي تتكون مما يلي:-

١- السكان (القوة البشرية):

- عدد السكان.
- قوة العمل.
- نسبة الأمية والفقير والبطالة.
- عدد الباحثين والعلماء في مراكز الأبحاث وعدد المهندسين والأطباء.
- القيم السائدة^(١)، ويلعب الدين في تشكيلها دوراً مهماً ورئيساً.

٢- الموارد الاقتصادية (القوة الاقتصادية):

- الناتج القومي الإجمالي.
- الموارد الأولية.
- الطاقة، ومصادر المياه.
- الاحتياطات النقدية من الذهب والعملات الدولية.
- معدلات الادخار المحلية.
- التدفقات الاستثمارية الخارجية.
- الكفاءة الصناعية وحدثاتها.
- كفاءة البنية التحتية وحدثاتها^(٢).
- الاكتفاء الذاتي من السلع والخامات الاستراتيجية.
- إجمالي الدين العام (المحلي والأجنبي).

(١) وهي التي تحدد جودة القوة البشرية، ورد فعلها وتصرفاتها وأداءها في أوقات الحروب والأزمات، وهي انعكاس لعوامل سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية ودينية.

(٢) الطرق والموانئ، مياه الشرب والصرف، الاتصالات، القدرة الكهربائية، المستشفيات، المدارس والجامعات، الملاجئ... وما شابه.

٣- القوة الجيوستراتيجية (الجغرافيا):

- المساحة، والموقع.
- الاتساع، والعمق.
- المناخ.
- الموانع الطبيعية.

٤- القوة العسكرية:

- عدد القوات النظامية والاحتياطية.
- التسليح.
- الاستخبارات.
- الاكتفاء الذاتي من الأسلحة والذخائر.
- القدرات الاستراتيجية^(١).

٥- القوة السياسية:

- الهيكل التنظيمي للدولة.
- علاقة مؤسسات الدولة وسلطاتها وتوازناتها واستقلال السلطة القضائية.
- كفاءة وكفاية وحدثة القوانين السياسية والجنائية والمدنية^(٢).
- كفاءة الأحزاب وقوتها المادية والمعنوية، ومستوى تمثيلها للإرادة الوطنية، وراثتها بالسياسيين الموهوبين وأصحاب الكفاءة والعلم، وقبل كل هذا: وطنيتها واستعدادها لقيادة كافة قطاعات الدولة.
- الثقافة السياسية لجموع المواطنين، ونسبة مشاركتهم في الحياة السياسية، وإيمانهم كجماعات بقدسية الحقوق الأساسية التي كفلها الدستور واحترام سيادة القانون.

(١) النووية، البيولوجية والكيموية، الصواريخ الباليستية، المنظومات الفضائية، القدرات الإلكترونية.

(٢) الدستور، قانون ممارسة الحياة السياسية، الأحزاب، الانتخابات، قانون التظاهر، قانون الإجراءات الجنائية، قانون أصحاب الشخصية، القانون الجنائي، القانون المدني، قانون الاستثمار، قانون العمل، قانون العقود والمناقصات، قانون الجمارك، القانون التجاري، مكافحة الفساد والنقابات العمالية والمهنية . . . إلخ.

٦- القوة الاجتماعية:

- الأمن الداخلي.
- نظام توزيع الموارد، وتقاسم الأعباء بين قطاعات المجتمع.
- الرعاية الصحية.
- المؤسسات التعليمية.
- التأمينات الاجتماعية.
- الأمن البيئي.
- وضع الأقليات الدينية والعرقية.
- الأعراف والقيم السائدة.
- شيوع الانتماء، والشعور بالمواطنة، واحترام الحريات، ورعاية الإبداع والمبدعين والعلماء.

٧- القوة الثقافية:

- نمط وأسلوب الحياة.
- اللغات.
- الديانات.
- الإبداع الفني والثقافي.

٨- القوة المعنوية (القوة الناعمة):

- القدرة الدبلوماسية وكفاءة العلاقات الدولية والإقليمية.
- القدرة الإعلامية ومساحة تأثيرها.
- وضوح الأهداف القومية والاستراتيجية.
- توحيد الإرادة الوطنية نحو الأهداف القومية العليا.

يتضح مما سبق: أن نطاق عمل ورعاية صناع القرار بالإدارة العليا بأي بلد، هو جميع العناصر السابقة؛ حيث إن أي خلل في أي من العناصر السابقة، وأي خلل في مكوناتها يعني انتقاصاً من عناصر القوة الشاملة للدولة، مما ينعكس أثره على أمنها القومي ونفوذها بالإقليم، أو بمعنى أدق مجالها الحيوي، كما أن الإدراك الكامل واستيعاب العناصر السابقة يسهم بقوة في التخطيط الاستراتيجي

للدولة، ووضع خططها وسياساتها العامة، ومن خلال دراسة المجالات السابقة للدولة وللدول الأخرى يمكننا توقع مصادر التهديد ومناطق التوسع واستغلال الفرص مع علاج نقاط الضعف، وعليه فإن الحكم على تقدم البلاد ونجاحها يعتمد على قدرة النظام السياسي للدولة في التعامل مع الشمانية عناصر السابقة الرئيسية وفروعها وتوظيفها التوظيف الأمثل، وتبقى قوة النظام السياسي للدولة، ورسوخ تقاليده، وكفاءة عمله، وقدرته على اكتساب المواهب والعقول الفريدة، وتمكينها من الحكم، وتقلد المناصب القيادية - دائماً محوراً لجميع عناصر القدرة الشاملة للدولة، وهو يعمل كالنواة بالذرة تدور حولها باقي عناصر القدرة الشاملة في انتظام ودقة.

إننا وبمنظرة سريعة يمكن أن نحدد أهم الدول بمنطقة الشرق الأوسط، وهي من الشرق إلى الغرب: (إيران، تركيا، السعودية، الإمارات، قطر، العراق، سوريا، إسرائيل، مصر، الجزائر).

نظراً لعوامل جغرافية واقتصادية وسياسية وأمنية، سوف نتطرق إليها خلال نقاط بحثنا لاحقاً، سنستبعد كلاً من: (دولة الإمارات، وقطر، والعراق، وسوريا، والجزائر) من نطاق دراستنا، وستكون دراستنا محصورة في رصد عناصر القوة الشاملة، وتوازنات الأمن الإقليمي وأثر الاتفاق النووي بين إيران والدول الكبرى، لكل من:-

«مصر، السعودية، إسرائيل، إيران، تركيا»

في الجدول المرفق (جدول رقم ١) عدة مقارنات لما يقرب من ستة وثلاثين مؤشراً مهماً من عناصر القوة الشاملة للأمم المنافسة محل دراستنا وبحثنا، تُنشط عقل القارئ وتجعله متأهباً لتفاصيل دراستنا الدقيقة (والشاقة والمهمة والجديدة)، والتي قد تغير مما قد يكون عالقاً في ذهن القارئ عن مصادر قوة غير موجودة، أو نقاط ضعف تجاوزتها تلك الأمم في سبيل تصارعها من أجل القوة والنفوذ والتفوق.

جدول رقم ١ - المقارنات

ملاحظات	تركيا	اسرائيل	إيران	السعودية	مصر	الوصف	مسائل
مساحة إيران قدر مساحه الجزائر اوقرنا وفرنسا والمانيا واسبانيا مجتمين	٧٨٥٦٢ كيلو متر مربع	٢٢٠٠٠ كيلو متر مربع	مليون وسبعمائة وخمسون الف كيلو متر مربع تقريبا	٢٠١٥ مليون متر مربع	مليون وخمسون الف كيلو متر مربع	المساحة	١
حسب بيانات البنك الدولي ٢٠١٤	٧٩ مليون نسمة	٨٢ مليون نسمة	٧٨٤ مليون نسمة	٣٠ مليون نسمة	٨٩ مليون نسمة	تعداد السكان	٢
حسب تصنيف البنك الدولي	رئاسي ديموقراطي	برائلي ديموقراطي	جمهوري اسلامي حيث تتبع النجاة الدينية بعلاجات واسمة	ملكلي مطلق	جمهوري حيث تتبع النجاة العسكرية بعلاجات واسمة وتبص المستور على انه لا يجوز عزل وزير الدفاع	نظام الحكم	٣
طبقا لطريقة القيمة الحالية حسب بيانات البنك الدولي وعظمة الثمارون والتسمية الاقتصادية ٢٠١٤	٨٠٠	٣٠٥	٤٢٥	٧٥٤	٣٠٢	الناتج المحلي الاجمالي (الرسمي) بالمليار دولار	٤
حسب تصنيف البنك الدولي ٢٠١٤ تعتبر إيران في الدرجة العليا من البلدان متوسطه الدخل بينما تعد مصر من الدول الدنيا في شريحة الدول متوسطه الدخل	١٠٥٠٠٠ دولار	٣٧٠٠٠ دولار	٥٤٢٠ دولار	٢٤٥٠٠ دولار	٣٢٠٠ دولار	تصنيف الفرد من الناتج القومي الاجمالي	٥
حسب بيانات البنك الدولي ٢٠١٤ ما إيران فالاجمالي القومي طبقا للبيانات الرسمية الا انية	١٢٧ مليار دولار تقريبا	٨٩ مليار دولار تقريبا	١٢٢ مليار دولار تقريبا	٧٤٢ مليار دولار تقريبا	١٥ مليار دولار	الاجمالي القومي من المصلات الاجمالية والنامب	٦

جدول بعض المؤشرات السياسية والجغرافية والاقتصادية والبيئية والصحية والاجتماعية والعسكرية المهمة لدول الاقليم الرئيسية

حسب بيانات البنك الدولي للسعودية ومصر وإسرائيل ٢٠١٤ هذا إيران والأرجنتين طبقاً للبيانات الرسمية الأيرانية وركي وإجمالي الدين الناحل والطارح حسب تقرير يونيو ٢٠١٤	٣٨٨ مليار دولار	٩٧ مليار دولار	٥٠٥ مليار دولار	١٣٤	٤٦ مليار دولار	الدين الطارح حجم الاستثمار الأجنبية النايلة	٨
البنك الدولي ٢٠١٤	١٢٠٥ مليار دولار	٦٠٥ مليار دولار	٢٠١ مليار دولار	٨ مليار دولار	٤٠١ مليار دولار	نسبة الأذخار من إجمالي الناتج الصحى	٩
البنك الدولي ٢٠١٤	١٥	٢٤	لا توجد معلومات من مصدر موثوق	٤٤ (٢٠١٣)	١٢		١٠
S & P ٢٠١٥	BB+	A	لا توجد معلومات من مصدر موثوق	A	B	إدارة الائتمانية حسب وكالة P&S	١١
البنك الدولي	٣٠٠٠	٩٣	١٢٥٠	٨٠	٢٢	تصنيف الفرد السوي من المياه الناتجة داخل حدود الدولة (المبار داخلة - مياه جوفية - أمطار) بالاتجار الكمية	١٢
البيانات الرسمية بالبنك ٢٠١٤ وبلا حفظ أن موسم تصيب الفرد الأيراني من المياه الناتجة هو نفسه الإجمالي بسبب أن كامل مصادر المياه بها مصادر داخلية ولا تعتمد على مصادر أخرى خارج حدودها كما إسرائيل ومصر	٣٠٠٠	٥٠٠	١٢٥٠	٣٢٠	٢٢٠	إجمالي تصيب الفرد السوي من المياه المنية بالاتجار الكمية	١٣
٢٠١٤	١٠	٢٠٧	١٣٠٥	A	٢٧	معدل الأمية%	١٤
٢٠١٤	١٦	٢٠	١٨	١٢٧	٢٦	نسبة الفقر%	

البعث من جديد رؤية استراتيجية

٢٠١٤	٨,٩	١,٥	١٧	٣,٥	١٥	معدل التضخم %	١٥
٢٠١٤	٦,٣	٥,٦	١٢,٩	٦	١٣	نسبة البطالة %	١٦
٢٠١٤	٧٥	٨٢	٧٥	٧٦	٧١	متوسط العمر المتوقع عند الولادة	١٧
طبقا لتقرير الأمم المتحدة للتنمية ٢٠١٤ عدد الدول التي تشملها التقرير ١٨٩ دولة	٢٩	١٩	٧٥	٣٤	١١٠	الترتيب العالمي لمؤشر التنمية البشرية	١٨
عدد الدول التي تشملها التقرير ١٢٠ دولة	٤٤	٢٧	٨٢	٢٥	١١٩	مؤشر التنافسية العالمية ٢٠١٤	١٩
٢٠١٤ عدد الدول التي تشملها التقرير ١٤٨ دولة (المؤثر يعطي تصورا لقوة الطاقة البديلة ومستوى رضا المواطنين من عدالة توزيع الدخل) ٢٠١٤	٦٤	٣٧	١٣٦	٥٥	٩٤	مؤشر كورادو جيني بشأن عدالة توزيع الناتج القومي الإجمالي	٢١
٢٠١٤	٧٨	١١	٨٤	٢٧	١٢١	ترتيب مؤشر المساءة	٢٢
٢٠١٤	٢٩ ألف ميجارات	٥٧ ألف ميجارات	١٢ ألف ميجارات	٥٨ ألف ميجارات	٣١ ألف ميجارات	إجمالي القدرة الكهربية بالميغاواط	٢٣
٢٠١٤	١٤٦	٨	٤٠	٣٨	٦٩	عدد الجامعات ٢٠١٤	٢٤
٢٠١٤	٥٢	١٦	٦٠	٧٨	٢٩	عدد المطارات المدنية	٢٥
٢٠١٤	٢٢٠٠٠	١٨٠٠٠	١٨٠٠٠٠	٦٠٠٠٠	٥٠٠٠٠	شبكة الطرق بالكيلومتر العرقي	٢٦
٢٠١٤	١٠٠٠٠	١٢٠٠	٨٢٠٠	٥٠٠٠	٥٢٠٠	شبكة السكن الحديثة بالكيلومتر عرقي	٢٧
من أصل ١٤٠ دولة مؤشر التنسي الاقتصادي العالمي ٢٠١٤ كما يجدر الإشارة أن معدل النمو العالمي الإجمالي ١١ مرة من المتوسط العالمي	٤١	٣٧	١١٢	٥٤	١٣٩	الجودة المائية في النظم	٢٨

٢٩	الترتيب المالي حسب عدد الأوراق المالية المتداولة والنمو	٣٧	١٠ مليون	٨٢	٢٥٠ ألف	٥٧ مليار دولار	٤٠٠ ألف	٠	٠	١٣	ترتيب القوى العسكرية عالمياً	٣١
٣٠	عدد السياح	٢٥	١٥ مليون	٨٢	٢٥٠ ألف	٥٧ مليار دولار	٣٠٠ ألف	٠	٠	١٣	ترتيب القوى العسكرية عالمياً	٣١
٣١	ترتيب أوليسيد ٢٠١٢	٣١	لا يوجد	١٧	٥٥٠ ألف	٧٥ مليار دولار	٤٠٠ ألف	٠	٠	١٣	ترتيب القوى العسكرية عالمياً	٣١
٣٢	عدد القوات المسلحة النظامية	٣١	٣٢	١٧	٥٥٠ ألف	٧٥ مليار دولار	٤٠٠ ألف	٠	٠	١٣	ترتيب القوى العسكرية عالمياً	٣١
٣٣	عدد القوات المسلحة الاحتياطية	٣١	٣٢	١٧	٥٥٠ ألف	٧٥ مليار دولار	٤٠٠ ألف	٠	٠	١٣	ترتيب القوى العسكرية عالمياً	٣١
٣٤	الليزات العسكرية	٣١	١٨ مليار	١٥ مليار	٧٥ مليار دولار	٧٥ مليار دولار	٤٠٠ ألف	٠	٠	١٣	ترتيب القوى العسكرية عالمياً	٣١
٣٥	عدد القتلى التورية	٣١	٤٠ مليون	٨٠	٤٠٠ ألف	٤٠٠ ألف	٤٠٠ ألف	٠	٠	١٣	ترتيب القوى العسكرية عالمياً	٣١
٣٦	حسب مؤشر SJR ٢٠١٤	٣١	٤٠ مليون	٨٠	٤٠٠ ألف	٤٠٠ ألف	٤٠٠ ألف	٠	٠	١٣	ترتيب القوى العسكرية عالمياً	٣١
٣٧	منظمة السياحة العالمية ٢٠١٤	٣١	٤٠ مليون	٨٠	٤٠٠ ألف	٤٠٠ ألف	٤٠٠ ألف	٠	٠	١٣	ترتيب القوى العسكرية عالمياً	٣١
٣٨	حسب مؤشر SJR ٢٠١٤	٣١	٤٠ مليون	٨٠	٤٠٠ ألف	٤٠٠ ألف	٤٠٠ ألف	٠	٠	١٣	ترتيب القوى العسكرية عالمياً	٣١

تم استخدام مؤشرات ٢٠١٤ لكانها في جميع المؤشرات ولم تحدث تغييرات جوهرية في تلك المؤشرات عن تلك التي بدأت تظهر عن العام ٢٠١٧ اللهم معدل التضخم في مصر والذي تجاوز الـ ٢٢٪ و معدلات من خم تحت خط الفقر

والنتائج المحي الإجمالي الذي انخفض إلى ٢٣٠ مليار دولار بعد قرار تعويم الجنيه المصري مقابل الدولار

وأيضًا، ومن الجدول يمكن للقارئ ولأول مرة أن يرى الحقائق دون أوهام ودون عواطف قومية أو دينية أو سياسية، ودون منطلقات وبديهيات يغذيها الإعلام ليس لها أساس من الصحة أو العلم، وحين تتكلم الأرقام والإحصاءات فتلك هي كلمات الفصل وبرهان الحقيقة، وما دونها وعداها تكون أوهامًا وخداعًا وتضليلًا، وعلينا أيضًا أن ننبه القارئ أن هذا الجدول وقبل خمسة عشر عامًا أو نفسه قبل خمسة وعشرين عامًا كان وضع دوله وترتيبها من حيث عناصر القوة الشاملة مختلفًا كل الاختلاف عن وضعها اليوم، الأمر الذي يعطينا تصورًا كم نحن نعيش في عالم متغير متطور، السنة فيه بالنسبة إلى عمر الأمم تعد زمنيًا طويلًا جدًّا، تتغير فيه أمور كثيرة، والتكنولوجيات الحديثة وفرت من الوسائل والأدوات ما كان إنجازها يحتاج إلى سنوات من عمر الدول قبل أربعين أو ثلاثين عامًا إلى أن يحدث في بضع شهور، أو عدة أيام. فمثلًا إذا كان «هتلر» -رغم اختلافنا مع أفكاره العنصرية- في ثلاثينات القرن الماضي وفي أقل من أربع سنوات أنشأ في ألمانيا ما يعادل شبكة الطرق في كامل دول أوروبا بذلك الوقت، كما استطاع توظيف أكثر من ستة ملايين عاطل في أقل من سنتين، فإننا يمكننا أن نتصور كيف يمكن أن يكون حجم الإنجاز الممكن تحقيقه في القرن الواحد والعشرين وبعد ثمانين عامًا بشرط أن تتوافر نفس عناصر الإدارة السياسية والعسكرية والموهبة التي كانت لدى القيادة الألمانية بذلك الوقت. أيضًا «محمد علي باشا» احتاج لكي ينهض بمصر ويغير كل شيء فوق أرضها إلى أقل من خمسة وعشرين عامًا بإمكانيات وموارد وتكنولوجيا مائتي سنة سابقة، فكيف بـ «محمد علي» وبعقله وذكاءه السياسي والاقتصادي في القرن الواحد والعشرين، ولديه التكنولوجيا والعلم ووسائل الاتصالات والإحصاءات والبيانات وطرق التخطيط واتخاذ القرار والتواصل والتنظيم الأكثر تقدمًا والأموال متوافرة بالمصارف وبفائدة منخفضة أن يغير واقع بلده؟! وكَم من الوقت يحتاج؟

يقول الرئيس الراحل «دوايت ايزنهاور» ١٩٦٩/١٨٩٠ الرئيس الأمريكي الثامن والثلاثون ١٩٥٣/١٩٦١: كل بندقية تُصنع، وكل سفينة حربية تُدشن، وكل صاروخ يطلق هو في الحسابات الختامية عملية سرقة للقمّة العيش من فم الجياع، وأجساد الذين يرتجفون من شدة البرد ويحتاجون إلى الكساء. قصدت بذكر

المقولة السابقة في مقدمة دراستنا للتنبه والاستعداد، وكشف الحقائق عن وضعنا كأمة عانت كثيراً من عدم كفاءة حكامها وإهدارهم للموارد وتفويتهم لحظات تاريخية مهمة، كان يمكن أن نحسن فيها من أوضاعنا السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية. دراستنا هذه تعتبر دعوة للتوبة الوطنية الشاملة حكاماً ومحكومين، عن كل الممارسات والسياسات والاستراتيجيات التي تهدد أمننا، وتساعد على استمرار تخلفنا وازدياد الهوة بيننا وبين باقي دول المنطقة من حولنا وبين العالم. سيكون منهجنا خلال دراستنا إثبات المعلومات بعد التحقق منها وConfirmation & Verification، فنحن نعيش فوضى المعلومات والبيانات والتحليلات، بل هناك أبحاث علمية ونتيجة لعصر القمع الذي نعيشه لا يمكن إلا أن تتوافق مع السياسات العامة للدول، الأمر الذي يجعل غالب الباحثين والعلماء ومن أجل الحصول على الدرجات العلمية أو تحت ضغط تحصيل الرزق ولقمة العيش إلا أن يسردون البيانات التي تؤيد النتائج النهائية لأبحاثهم، ويحجبون البيانات والمعلومات التي قد تقود إلى معطيات ونتائج معاكسة للسياسات العامة السائدة ببلادهم، وما تبثه الأجهزة الأمنية والإعلامية من أوامير ومعطيات باتت لدى أجيال عديدة ثوابت مقدسة، وهي على العكس من ذلك ثوابت مدنسة بالفساد، وانعدام الأخلاق والضمير، وضعف الوطنية التي تصل لدرجة الخيانة، وليسامحني القارئ على السهو أو الخطأ فدراستي ليست هيئة والعمل شاق والإنسان فينا ضعيف، ودائماً فوق كل ذي علم عليم، كما أرجو أن يسمح لي القارئ باعتماد إحصاءات وبيانات عام ٢٠١٤ لما لاحظته فيها من انضباط واكتمال لدى غالب البيانات والإحصاءات العالمية والإقليمية.

ولنبداً إبحارنا في عناصر القوة الشاملة لدول الإقليم الكبرى، ونفتح طريقنا الشاق والمضني بأحد أهم وأكثر منافسينا قدرة، وهي تركيا، الدولة الكبرى، والأمة السنية، والتاريخ الرائع، والخلافة الغائبة.



عناصر القوة الشاملة للجمهورية التركية

القوة البشرية (السكان)



صورة كمال أتاتورك مؤسس الجمهورية التركية وبطلها القومي

عدد سكان تركيا ٧٦ مليون نسمة حسب آخر إحصائيات ٢٠١٤، تمثل قوة العمل منهم نسبة ٦٥% (من عمر ٢٤ إلى ٥٤ عامًا)، وتمثل نسبة الأمية ١٠% تقريبًا من عدد السكان و٢٥% في سن التعليم الإلزامي (٥-١٨ سنة)، وتحاول الحكومة التركية تشجيع المواطنين على زيادة النسل والزواج، ووضعت برامج تتضمن حوافز مادية ومعنوية للأسر؛ لتشجيعها على زيادة النسل ودعم قوتها البشرية، فمثلاً تعمل النساء الحوامل ولمدة سنتين بعد الولادة نصف وقت العمل الرسمي، وتحصل على كامل الأجر، وتدعم الدولة الطفل الأول بدعم نقدي مباشر شهري لأسرته يقدر بما يعادل ٦٥٠ دولارًا تقريبًا، وعند إنجاب الطفل الثاني تحصل الأسرة على ١١٠٠ دولار، وللثالث ١٧٠٠ دولار، كما يحصل كل عروسين جديدين على مبلغ يقدر بما يساوي ١٥ ألف دولار؛ للمساهمة في تكاليف الزواج، ويمكن لكل زوجين الحصول على قرض بدون فوائد بما يعادل ٤٠ ألف دولار؛ لشراء منزل، مساهمة من الدولة لهم على إتمام إجراءات الزواج، كما أن الدولة تدعم التعليم ما قبل الجامعي حيث يكون إلزاميًا ومجانيًا

من سن ٥ سنوات حتى ١٨ سنة، التعليم الجامعي مجاني للمتفوقين، عن طريق نظام المنح الدراسية، ومدعم من الدولة لباقي المنتسبين. يبلغ عدد المنتسبين للجامعات التركية ما يزيد عن ثلاثة ملايين طالب، وتقدم الدولة برامج منح دراسية للتعليم خارج تركيا.

تحتل تركيا المرتبة الـ ١٨ على مستوى العالم في مجال التقدم العلمي والبحث والنشر في الدوريات العلمية وبراءات الاختراعات، ولتركيا ست جامعات ضمن أهم ٥٠٠ جامعة على مستوى العالم، وتعد من أسرع دول العالم في مضاعفة مخصصات البحوث والدراسات العلمية حيث نشر الباحثون الأتراك أكثر من ٢٢ ألف ورقة علمية وبحث بالمراجع الدولية، بينما إنتاج العالم العربي كله بما فيه مصر لا يتعدى عشرة آلاف ورقة علمية وبحث نصفهم للملكة العربية السعودية (إحصاء ٢٠١١).

تخطط الحكومة التركية لتأهيل ٣٠٠ ألف عالم في مختلف المجالات العلمية بحلول عام ٢٠٢٣ ضمن برنامج قومي طموح، كان للعالم المصري الراحل الدكتور «أحمد زويل» فضل ودور بارز فيه، يتمتع المواطن التركي بقدر كبير من الحريات السياسية والدينية، فتركيا دولة ديموقراطية برلمانية علمانية حسب دستور ١٩٨٢^(١)، والعبادة مسألة شخصية، رغم أن ٩٥% من سكان تركيا من المسلمين السنة، إلا أن الأقليات الدينية كالمسلمين الشيعة (العلويين)، واللادينيين، والمسيحيين، واليهود وغيرهم؛ يتمتعون بقدر واسع من الحريات في ممارسة شعائر دينهم وعاداتهم وتقاليدهم، كما أن للأقليات العرقية كالأكراد، والأرمن، والشركس؛ حريات واسعة فيما يخص الاعتراف بلغتهم وعاداتهم وتقاليدهم، ورغم أن الدولة تحاول أن تبدو ليبرالية متقدمة في مجال حقوق الإنسان بصفة عامة إلا أن هناك جدلاً واسعاً بشأن انتهاكات حكومية منتظمة لحقوق الأكراد (٢٠% من عدد السكان) والصحفيين وبعض التمييز في حقوق المرأة.

عمومًا، تتمتع تركيا بقوة بشرية ضخمة ذات دخل مرتفع ومتعلمة تعليمًا مناسبًا، عدد كبير من الباحثين والعلماء يدعم باقي عناصر القوة الشاملة للدولة،

(١) في عام ٢٠١٧ تم تعديل الدستور، وتحولت البلاد إلى النظام الديموقراطي الرئاسي.

إلا أنه مازال على الدولة اتخاذ خطوات ضخمة نحو مجانية التعليم الجامعي، وتحسين كثافة الفصول بالتعليم ما قبل الجامعي وبخاصة في مناطق شرق تركيا، وزيادة عدد العلماء والباحثين الذي يبدو متواضعًا مقارنة بدول الأقاليم الأخرى كإسرائيل ودول في آسيا وأوروبا، كما أنه وعلى الدولة اتخاذ خطوات واسعة في ملف الحريات العامة للأكراد وحرية الصحافة.

القوة الاقتصادية

القوة الاقتصادية تلي القوة السياسية من حيث الأهمية في ترتيب عناصر القوة الشاملة للأمم، الاقتصاد هو من يمول باقي عناصر القوة للدولة، وهو من يضمن الإنفاق المناسب على كافة مؤسسات الدولة ويضمن تطورها وحيويتها، يقول السياسي، والزعيم الإنجليزي الشهير، «تشرشل»: عصب الحرب هو المال. كما أن التحليلات والدروس المستفادة من أحداث الحربين العالمية الأولى والثانية؛ تؤكد أن ألمانيا قد هُزمت اقتصاديًا خلال الحرب قبل أن تُهزم عسكريًا، فالاهتمام بالاقتصاد بكل مكوناته كان على رأس أولويات الحكم بتركيا خلال الخمسة عشر عامًا الماضية. يتركز معظم النشاط الصناعي التركي بالغرب، بينما يتركز النشاط الزراعي في الشرق، يقوم النشاط الزراعي بتوظيف ما نسبته حوالي ٤٠% من قوة العمل ويسهم بنسبة ١٢% من الناتج القومي الإجمالي، ويمثل القطاع الصناعي ما نسبته ٣٠% من الناتج القومي، ويوظف ٢٠% من قوة العمل، بينما يمثل قطاع الخدمات ٥٨% من الناتج القومي الإجمالي، ويقوم بتشغيل ٣٤% من قوة العمل، مع تنحية الحكم العسكري في نهاية تسعينات القرن الماضي وبداية القرن الحالي دخلت تركيا مرحلة سياسية واقتصادية جديدة، ورغم أنها لم تخلُ من الأزمات، إلا أنها تميزت بارتفاع معدلات النمو، ودعم للصادرات وحماية للمنتجين المحليين، وتشجيع الاستثمارات الخارجية، ومحاربة الفساد، وخفض معدلات البطالة، ومحاربة التضخم، هذا وتصنف تركيا ضمن الاقتصاديات الديناميكية المتنوعة، وتمتاز بارتفاع نسبة الشباب داخل منظومة القوة البشرية حسب بيانات البنك الدولي ٢٠١٤، بلغ الناتج المحلي الإجمالي

حسب نظرية القيمة الحالية الاسمية حوالي ٨٠٠ مليار دولار، ونصيب الفرد من الناتج المحلي حوالي ١٠ آلاف دولار، بينما تبلغ نسبة البطالة حوالي ٧%، والتضخم ٩% تقريباً، ونسبة الفقراء ١٦% (أصحاب البطاقات الخضراء حسب المسمى الرسمي التركي)، أيضاً يتدفق على تركيا ما قيمته ١٢ ونصف مليار دولار سنوياً من الاستثمارات الأجنبية المباشرة، وتملك احتياطي نقدي من العملات الأجنبية يقدر بـ ١٢٧ مليار دولار، الاقتصاد التركي عمومًا متنوع، ويكفي للدلالة على قوة الاقتصاد التركي أن عدد الماركات التجارية التي يتم تسجيلها سنويًا تبلغ ١٠٠ ألف علامة تجارية، بينما وفي حقبة التسعينات أثناء الحكم العسكري لم تتجاوز ١٠٠ علامة، كما ينتج الاقتصاد التركي ١.٢ مليون سيارة سنوياً، وتحتل تركيا المركز الثالث في حجم صادرات المنسوجات على العالم ولا يسبقها إلا ألمانيا وفرنسا، كما تتميز تركيا بقاعدة صناعية قوية ذات جودة عالية في صناعة الأجهزة الكهربائية، وحسب آخر الإحصائيات فيوجد من كل ثلاثة أجهزة كهربائية بأوروبا جهاز صنع بتركيا، كما تتميز تركيا في قاعدتها الصناعية بمجال الكيماويات والجلود، أيضاً تتميز في المجال الزراعي، والصناعات الغذائية، والمشروبات، حيث يشكل القطن، والشاي، والتبغ، والزيتون، والفواكه، والحمضيات؛ أهم المزروعات، بالإضافة إلى القمح والشعير، حيث تحتل تركيا المركز السابع عالمياً في إنتاج هذين المحصولين الاستراتيجيين، بينما هي الأولى عالمياً في إنتاج البندق، ويعتبر اليايش من أهم الصادرات التركية، كما تبني الحكومة برنامجاً طموحاً؛ لزيادة الرقعة الزراعية، الأمر الذي وضع تركيا في المركز الثالث عالمياً في مجال التشجير^(١)، ومن أهم الثروات المعدنية في تركيا الفحم الحجري والنباتي والحديد والرصاص والنحاس والكروم، حيث تعتبر تركيا الأولى عالمياً في إنتاجه بالإضافة إلى الذهب والفضة، كما أن تركيا تحتل المركز الخامس عالمياً في إنتاج وتصدير المرمر

(١) بحلول عام ٢٠٢٣ وضعت حكومة «الرئيس أردوغان» هدفاً أن يصل عدد الأشجار المزروعة ضمن برنامج التشجير الحكومي ٧ مليارات شجرة.

(الرخام والجرانيت)، أما في مجال صناعة الخدمات تحتل تركيا المرتبة السادسة عالمياً في عدد السياح الوافدين (٤٢ مليون سائح) يُدرُونَ دخلاً قدره ٣٦ مليار دولار سنوياً، كما تعد السياحة العلاجية من أهم مصادر الدخل التركي حيث تملك تركيا في الجنوب والجنوب الشرقي أكثر من ٢٢ مركزاً عالمياً لعلاج جميع الأمراض يستقبلون نصف مليون مريض أجنبي من جميع دول العالم سنوياً، يدعم الاقتصاد التركي شبكة كهربائية متطورة من خطوط الإنتاج والنقل والتوزيع حيث تنتج تركيا ٦٩,٥ ألف ميجاوات سنوياً كما تمتلك تركيا شبكة من الطرق الحديثة السريعة الدولية تقدر بـ ٦٦٠٠٠ كيلومتر، ولها شبكة سكك حديد تمتد لمسافة ١٢ ألف كيلومتراً تقريباً منها ٢٠٠٠ كم للقطارات فائقة السرعة، علاوة على ٥٢ مطاراً منها ١٣ مطاراً دولياً، وتعد الخطوط الجوية التركية خامس شركة طيران عالمياً تملك ٢٣٠ طائرة وتغطي أكثر من ٢٣٨ وجهة، وتتميز بانخفاض معدلات الحوادث وخدمة العملاء وانتظام العمل وحادثة الطائرات، وقد فازت الخطوط الجوية التركية بجائزة أفضل شركة طيران أوروبية عدة مرات، كما يوجد بتركيا ١٨ ميناء بحرياً تخدم الاقتصاد التركي والعالمي، وأهم شركاء تركيا التجاريين روسيا وألمانيا والصين، ويعتبر الغاز الطبيعي والوقود النووي والمنتجات البترولية، والرمل وأحجار البناء والتمر والجلود الخام، والألومنيوم الخام أهم الواردات، والسيارات وقطع غيارها والمنسوجات والأجهزة الكهربائية والمواد الكهربائية والإلكترونيات والسجاد، والحاصلات الزراعية كالفاكهة والخضراوات والياخش أهم الصادرات. لتركيا خطة قومية طموحة للتطوير في مختلف عناصر القوة الشاملة تنتهي في ٢٠٢٣ الذكرى المائة لتأسيس الجمهورية التركية، وتستهدف كأحد أهدافها أن يكون الاقتصاد التركي ضمن أهم ١٠ اقتصادات وهي في الطريق لتحقيق هذا الإنجاز القومي المهم، عجز الموازنة ٢٠١٤ حوالي ٢% بعد أن كان سابقاً وقبل أردوغان يبلغ أكثر من ١٢% (عجز الموازنة في مصر مثلاً في عام ٢٠١٤ ١٥% وهو من أعلى معدلات عجز الموازنة بالعالم)، وهو بهذا من أقل الميزانيات عجزاً في أوروبا والعالم، يبلغ حجم الصادرات

التركية ١٥٧ مليار دولار ٢٠١٤ بينما الصادرات المصرية غير البترولية لا تتجاوز الـ ٢٠ مليار دولار يضاف لها تقريباً ٧ مليارات دولار صادرات بترولية ومشتقاته، استطاع الرئيس التركي «أردوغان» من مضاعفة الناتج المحلي الإجمالي التركي من ٢٦٦ مليار دولار عام ٢٠٠٠ إلى ٧٢٠ مليار دولار عام ٢٠١٠، أي مضاعفة حجم الاقتصاد تقريباً ٢.٧ مرة، بينما وخلال نفس الفترة استطاع الرئيس المصري السابق «حسنى مبارك» القفز باقتصاد بلاده عام ٢٠٠٠ من ٩٩ مليار دولار إلى ٢١٨ ملياراً عام ٢٠١٠، أي مضاعفة الاقتصاد المصري ٢.٢ مرة فقط، بينما حققت القيادة السعودية والملك «عبد الله» -رحمة الله عليه- تقريباً نفس إنجازات أردوغان إلا أن تركيا تتميز عن مصر والسعودية في أن زيادة الناتج المحلي كان مقترناً بتوزيع عادل للثروة وزيادة أعداد الطبقة المتوسطة وتحقيق نمو متوازن بكافة قطاعات الاقتصاد، وزيادة الإنفاق على برامج تحسين مستوى المنظومات التعليمية والصحية، وبرامج الضمان الاجتماعي، ومحاربة الفقر والأمية، بينما في مصر تحديداً تركزة الثروة بيد عدد من العائلات لا تتعدى ٤٠-٥٠ عائلة استأثرت بمعظم فرص الاستثمار والحصول على التمويلات اللازمة لمشروعاتهم بشروط ميسرة، كما استفادت من ثغرات قانونية في التهرب من الضرائب، واستفادت من تفشي الفساد بدوائر الجمارك؛ فكانت تتهرب من الجمارك والرسوم على الواردات، وفي غياب تخطيط جيد وواضح من الدولة كانت تنفق غالب عوائد النمو القومي على الجهات السيادية والأمنية والعسكرية كما كانت معظم الاستثمارات الأجنبية موجهة إلى قطاع البترول والغاز، والاستثمارات المحلية موجهة للصناعات منخفضة المحتوى التكنولوجي؛ وهو الأمر الذي انعكس على صادرات مصر التي تركزت في مواد خام أو منتجات صناعية تقليدية قليلة العوائد والربحية. (انظر الجدول رقم ٢).

رغم النجاح الاقتصادي الواضح لتركيا ومراكزها العالمية المتقدمة - حيث يحتل الاقتصاد التركي المركز الـ ١٦ عالمياً من حيث الناتج المحلي الإجمالي، بالإضافة إلى البيانات التي ذكرناها سابقاً- إلا أن الاقتصاد التركي يبقى عُرضة للهزات الاقتصادية العنيفة؛ نتيجة ارتفاع حجم الدين التركي العام الذي يقدر بـ ٥٨٨ مليار دولار منها ٢٠٨ مليار ديون داخلية و ٣٨٠ مليار دولار خارجية، كما أن معدلات الادخار المحلي تبقى متواضعة وتقدر بـ ١٥%، الأمر الذي يضع الاقتصاد التركي بكامله عرضة للتدهور في حال انخفاض تدفقات الاستثمارات الأجنبية، أو انخفاض الاستثمارات المحلية، أو توقف مؤسسات الإقراض الدولية عن إقراض الحكومة لتمويل الواردات والحفاظ على معدلات مناسبة من النمو أو وذلك هو الأخطر ونتيجة أي اضطرابات سياسية أو أمنية أن يتم الضغط لسحب الاستثمارات الأجنبية التي دخلت تركيا في العشر سنوات الأخيرة، أو وقف تدفقها. ومازال على الحكومة التركية العمل على خفض معدلات الفقر ١٦%، وكبح التضخم ٨.٩%، وفي نفس الوقت الحفاظ على نسبة البطالة حول نسبتها الحالية ٦.٣% أو أقل. كما أن التوترات الأمنية وبخاصة الصراع الحالي بين الحكومة المركزية والأكراد تلقي بظلالها على استقرار الاقتصاد التركي على المدى البعيد، وهو واضح في التقييم السنوي للجدارة الائتمانية لتركيا حسب مؤسسة ستاندرد اند بوز المقدر بـ BB بلس، كما أن حرية الصحافة والقيم السائدة في مختلف الجهات الأمنية غير المؤيدة لحقوق الإنسان، وانتشار الفساد يعتبر من العوامل السلبية التي تؤثر على نمو الاقتصاد وجاذبيته، حيث تحتل تركيا المركز ٤٤ في التنافس العالمي، والمركز ٦٤ في مؤشر الفساد. كما لتركيا ترتيب متأخر في الدول التي تلتزم بحماية البيئة، ويتخذ الحكم الحالي توجهاً عملياً نحو ترجيح الاعتبارات السياسية والاقتصادية على الاعتبارات البيئية، ومازال على الحكومة التركية الالتفات إلى النتائج السلبية لسياساتها المائية، والتي تضمنت إقامة عشرات السدود دون اعتبار للأثار البيئية المدمرة

لتلك السدود، وسياساتها الزراعية التي تضمنت تحويل عشرات الآلاف من (هكتارات) الغابات إلى مزارع، وتحويل المحميات الطبيعية إلى مزارع سياحية تجذب ملايين السائحين، دون اعتبار للأثار السلبية على البيئة الطبيعية لمثل تلك الأعداد الضخمة من السائحين، وما يحدثونه من تدمير للسماط الطبيعية لتلك المحميات، كما يجب على الحكومة التركية تشجيع الطلب الداخلي لتلافي أية توترات خارجية قد تؤثر على صادراتها وتحد من معدلات النمو المخططة.

كيفية القوة الجيوستراتيجية (الجغرافيا)

تركيا دولة إقليمية كبرى بكل ما تحمله الكلمة من معنى، فتركيا عضو مهم ورئيس في منظمة حلف شمال الأطلنطي (الناتو)، وعضو بمنظمة الأمن والتعاون الأوروبي، وعضو بمجموعة العشرين. يحتل اقتصادها المركز السادس عشر على مستوى العالم، وعضو بمنظمة التعاون الاقتصادي الآسيوي، ومنظمة التعاون الإسلامي، وعضو بالسوق الأوروبية المشتركة، وعضو بمنظمة التعاون والتنمية الاقتصادية، التي تضم أهم الدول الغربية الكبرى التي تشترك في قيم الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان. تقع تركيا في مفترق الطريق بين آسيا وأوروبا، وتمثل أراضيها في آسيا ٩٧% من إجمالي مساحتها، وتتحكم في عدد من المضائق المهمة بالبحر الأسود وبحر إيجه، حيث يقع بأرضها مضائق البسفور والدردينيل وبحر مرمرة. بتلك المضائق تتحكم في التجارة البحرية لجميع الدول التي تطل على البحر الأسود وطرق مرورها من وإلى البحر المتوسط، على سبيل المثال يتعين على السفن التجارية والحربية الروسية أن تسيّر لمسافة ٣٢٠ كم داخل الممرات المائية التركية؛ لكي تستطيع المرور من البحر الأسود إلى البحر المتوسط، تحكم اتفاقية «مونترو» الموقعة سنة ١٩٣٦ حركة المرور بالمضائق التركية من البحر الأسود إلى البحر المتوسط والعكس، وللعلم تمر سفينة حربية روسية كل ست وثلاثين ساعة بالممرات المائية التركية، وأيضًا عشرون سفينة تجارية روسية يوميًا، كما تستطيع الدول الغربية وبالتعاون مع تركيا تهديد أهم

المناطق الصناعية والموانئ التجارية والقواعد العسكرية في روسيا؛ من هذا يمكننا تصور الأهمية الاستراتيجية لتركيا بالنسبة لروسيا، وأيضًا بالنسبة لحلف شمال الأطلسي والغرب وجميع الدول المطلة على البحر الأسود^(١). تبلغ مساحة تركيا ٧٨٣٥٦٢ كم مربعًا، وتأخذ الشكل المستطيلي بطول ١٦٠٠ كم وعرض ٨٠٠ كم تقريبًا، وهي بهذا تحتل ترتيب الـ ٣٧ عالميًا من حيث المساحة، يحدها من الشمال البحر الأسود وجورجيا، ومن الشرق أرمينيا وإيران، أما الجنوب فسوريا والعراق والبحر المتوسط، ومن الغرب بحر إيجه واليونان وبلغاريا، تتميز المناطق الساحلية التركية المطلة على البحر المتوسط بمناخ حار جاف صيفًا وبارد ممطر شتاءً، أما المناطق التركية القريبة من سواحل البحر الأسود فتتميز بمناخ محيطي دافئ غزير المطر، أما باقي المناطق فهي خليط بين مناخ البحر المتوسط والأسود، ولا توجد موانع طبيعية تقسم تركيا، إلا أن أرض تركيا تعتبر أرضًا نشطة زلزاليًا؛ حيث يقع في أراضيها فالق شرق وشمال الأناضول، كما أن تركيا عرضة للفيضانات المدمرة. تتكون تركيا من ٨١ محافظة تنقسم إلى ٩٢٣ مقاطعة وتقع عاصمتها الاقتصادية والثقافية اسطنبول (القسطنطينية سابقًا) بالجزء الأوروبي وعاصمتها السياسية أنقرة في جزئها الآسيوي.

(١) لاحظ أيضًا الأهمية الاستراتيجية لمصر للعالم أجمع، حيث تقع قناة السويس أهم ممر تجاري عالمي، ويمكن لموانئها ومطاراتها وكامل حدودها أن تكون منصة HUB ليس لها مثيل وغاية في الأهمية لخدمة التجارة العالمية ولوجستيكيات النقل البري والبحري والجوي وشبكات المعلومات. علينا أن نعلم أن فعلاً مصر أم الدنيا، وموقعها الاستثنائي في قلب اليابسة بالعالم يجعلها من أهم دول العالم من الناحية الجيوستراتيجية، وكما تمثل مصر قلب العالم فهي بوابته إلى إفريقيا، أتعجب كيف لم تستغل حكوماتنا هذا الكنز الإلهي! فتشق الطرق البرية وتنشئ السكك الحديدية إلى قلب إفريقيا التي يقارب عدد سكانها ١.٤ مليار نسمة وعدد دولها ٥٤ دولة ونتاجها المحلي الإجمالي تقريبًا ٢٠٠٠ مليار دولار (البنك الدولي ٢٠١١).



صورة مفصلة لتركيا بأهم مدنها

للأهمية الجيوستراتيجية لتركيا مكانة خاصة في عقل المخطط العسكري الاستراتيجي الغربي، إلا أنه ومن وقت لآخر يحاول المخطط الغربي البحث عن بديل لتركيا ولقاعدة انجريك المهمة لحلف شمال الأطلسي «الناتو»، وهو ما برز حديثا في إقليم كردستان بشمال العراق حيث تصلح أربيل عاصمة الإقليم بموقعها الاستراتيجي أن تكون بديلاً ممتازاً لقاعدة «انجريك» بتركيا، إلا أن هذا التوجه يخبو ويشدد حسب توجهات الحكم بتركيا وحسب قربه أو بعده عن قيم العلمانية للدولة وقربها أو بعدها عن الدوران حول فلك المصالح الأمريكية والغربية بالمنطقة والعالم، عموماً، تركيا بموقعها الجغرافي المهم ستظل دوماً في مخيلة صناع القرار السياسي والعسكري بالدول الكبرى، وتَحَكُّمها في ممرات المرور

بين البحر الأسود والبحر المتوسط يجعل إيجاد بديل لتركيا في منظومة حلف شمال الأطلسي أمراً صعباً، ويكاد يكون مستحيلًا على الأقل في ظل التكنولوجيا الحالية وقواعد الحرب واستراتيجياتها المعمول بها في المدى القصير والمتوسط.

كيفية القوة العسكرية

القوات المسلحة التركية رابع أكبر قدرة عسكرية بحلف شمال الأطلسي بعد الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وإنجلترا، وهي بذلك تتقدم على باقي دول الحلف الـ ٢٦ وأهمها: ألمانيا، وإيطاليا، وإسبانيا، وبلجيكا، وهولندا. يحتل الجيش التركي المركز الثامن على مستوى العالم ٢٠١٥، ويبلغ عدد منتسبيه النظاميين ٤١٠ آلاف ضابط وجندي، بينما يبلغ الاحتياط ٢٠٠ ألف فرد، ميزانية الدفاع تقارب الـ ١٨ مليار دولار سنوياً ٢٠١٥، تمتلك تركيا قرابة ٤٠٠٠ دبابة، و٧٧٥٠ ناقلة جند، و١٠٠٠ طائرة بين مقاتلة واعتراضية ومتعددة المهام، و١١٥ سفينة حربية، و٨١١ بطارية دفاع جوي، و١٠٠٠ مدفع عيارات مختلفة. يحتل قادة الجيش مكانة متميزة بالمجتمع ولدى النخبة السياسية، حيث يضم مجلس الأمن القومي التركي خمسة أعضاء من المؤسسة العسكرية. قررت الحكومة التركية تبني برنامج طموح لتطوير القدرات العسكرية التركية حيث اعتمدت اعتباراً من ٢٠١٢ برنامجاً لمدة ١١ سنة؛ لإنفاق مبلغ ١٦٠ مليار دولار (خلاف ميزانية القوات المسلحة السنوية) لتصميم وتصنيع المدرعات والطائرات وأنظمة الصواريخ وحاملات الطائرات والغواصات بالمصانع التركية منها ٤٥ مليار دولار للقوات الجوية، ولتوضيح مدى تقدم الصناعات العسكرية التركية يكفي أن نعلم أن تركيا شريك رئيس للولايات المتحدة الأمريكية في تصميم وإنتاج الطائرة إف ٣٥ المقاتلة من طراز الجيل الخامس من المقاتلات الشبح، وهي الطائرة المعروفة تسويقياً باسم «البرق» وهي تتساوى مع إسرائيل في حقوق التصنيع العسكري المشترك مع الولايات المتحدة لهذه الطائرة، (لاحظ عزيزي القارئ ان الولايات المتحدة رفضت طلباً لدولة الامارات العربية المتحدة لشراء تلك الطائرة

الغاية في التطور والتقدم^(١) كما أن تركيا من البلاد القلائل التي تمتلك تكنولوجيا التزود بالوقود لمختلف طائراتها، كما أن الطائرة الأمريكية الشهيرة «إف ١٦ فالكون» تصنع بالكامل داخل المصانع التركية، وتخطط تركيا لإنتاج أول طائرة مقاتلة تركية ١٠٠% وذلك عام ٢٠٢٣ متزامناً مع الاحتفالات القومية لمرور مائة عام على تأسيس الجمهورية. اليوم تصنع تركيا أكثر من ٦٠% من احتياجاتها العسكرية، وتصدر إلى جميع دول العالم معدات عسكرية تدرج تحت ما يمكن أن نسميه المعدات العسكرية ذات التكنولوجيا المتقدمة، ومن المتوقع أن تقترب تركيا من تحقيق الاكتفاء الذاتي من الأسلحة والمعدات العسكرية بحلول عام ٢٠٢٣، وهو العام الذي يوافق مرور مائة عام على قيام الجمهورية التركية، وفي نفس الوقت انتهاء معاهدة «لوزان» التي وقعتها تركيا مع قوات حلفاء الحرب العالمية الأولى، والتي بموجبها قدمت تركيا تنازلات اقتصادية جملة تخص رسوم المرور بمضيق البسفور الذي بموجب المعاهدة أصبح ممراً دولياً؛ رغم أنه يقع داخل الأراضي التركية ولا يحق لتركيا تحصيل أية رسوم لعبور السفن داخل أراضيها.

أيضاً تمتلك تركيا جهازاً للمخابرات معروف اختصاراً بـ "MTI"، الذي شهد عملية ضخمة لإعادة الهيكلة والتنظيم (٢٠١٠-٢٠١٤) على يد الزعيم التركي «أردوجان» بالاشتراك مع رئيس الجهاز الحالي السيد «هاكان فيدان» انتهت بتعديل القوانين التي تحكم عمله، حيث أصبح يتمتع بصلاحيات واسعة وحماية من الملاحقات القضائية، وإشراف كامل على إدارته من البرلمان التركي، كما تمت إعادة هيكلته ليكون مشابهاً تقريباً لنموذج وكالة الأمن القومي والاستخبارات الأمريكية الـ "CIA"، نطاق عمل جهاز الاستخبارات التركي يتضمن المناطق الرئيسية التالية بالإضافة إلى أوروبا، والأمريكتين، وآسيا، وأستراليا:-

- منطقة الشرق الأوسط: (العراق، سوريا، لبنان، إسرائيل، مصر، دول الخليج).

(١) تشارك شركة الصناعات الدفاعية التركية (أسليسان) في تصنيع نظام التهديد والمراقبة الإلكترونية وشركة الصناعات الجوية الفضائية (توساش) في تصنيع الجزء الأوسط من هيكل المقاتلة وهو أكثر الأجزاء تعقيداً كما تصنع أبواب الذخيرة وبعض أنظمة تسليح الطائرة تعاقدت تركيا على شراء ١٢٠ طائرة من طراز F35A القادرة على الإقلاع والهبوط عمودياً.

- منطقة الشرق الأدنى: (إيران، جمهوريات آسيا الوسطى، أرمينيا، أذربيجان).
 - منطقة جنوب أوروبا: (جورجيا، بلغاريا، اليونان، قبرص).
- تتقاطع مصالح تركيا مع مصالح دول إقليمية ودولية كبرى أخرى في المنطقة وتتحد في أحيان أخرى، وعلينا أن نعلم أن هناك تنسيقًا وتحالفًا أمنيًا استراتيجيًا رفيع المستوى بين كل من المخابرات التركية والموساد، «والسى أي أه»، والمخابرات الأردنية، بينما تتسم العلاقات الأمنية والعسكرية التركية بالتذبذب شدا وجذبًا مع كل من: روسيا، والصين، والهند، وحاليًا مصر.
- يضع جهاز المخابرات التركي تأمين مصادر الطاقة (النفط والغاز) على رأس أولوياته، كما أن علاقته مع دول حلف «الناتو» تتحكم وبقوة في رسم أولويات ونطاقات عمله، وللشركات التركية نصيبًا معتبرًا من احتياطات النفط والغاز ببحر «قزوين» وشمال العراق وقطر، كما أن الجهاز يؤمن نفوذًا قويًا للشركات التركية في التجارة مع تلك الدول، وتأتي مشكلة حماية الدولة التركية ضد دعوات الانفصال والاستقلال وبخاصة من قبل الأكراد على رأس قمة أولويات عمل الجهاز.

كيفية البرنامج الفضائي التركي

- تمتلك تركيا أربعة أقمار تجسس، وخمسة أقمار اتصالات مدنية وعسكرية كالتالي:-
- ١- القمر جوكتورك -1 Gokturk وهو إنتاج تركي - إيطالي مشترك للأغراض العسكرية، تصل درجة تميزه ٨٠ سم، وهو يعمل لحساب القوات الجوية التركية.
 - ٢- القمر الصناعي جوكتورك -2 Gokturk، وهو إنتاج الصناعات الحربية التركية بالكامل وتم إطلاقه من قاعدة جوية يابانية عام ٢٠١٢، ويغطي أوروبا والشرق الأوسط والقوقاز وهو على ارتفاع ٦٨٦ كم.
 - ٣- القمر الصناعي جوكتور -3 Gokture، وهو إنتاج تركي - إيراني تعمل به مؤسسة البحوث العلمية الإيرانية وشركة أسلسان التركية للصناعات العسكرية.

- ٤- سلسلة أقمار الاتصالات من طراز تورك سات ١-٢-٣ Turksat، وتخطط تركيا لإنتاج وإطلاق ١٢ قمراً من هذه العائلة؛ لتكون تركيا مركزاً مهماً للاتصالات وتبادل المعلومات من البلقان حتى إفريقيا.
- ٥- تتعاون تركيا حالياً مع اليابان لإنتاج قمرين صناعيين هما A-4، B-4.
- ٦- سيتم بنهاية العام ٢٠٢٠ إطلاق عدة إقمار من الجيل الجديد من القمر ترك سات (ترك سات ٥ و ٦ A & B)، وهي أقمار مخصصة للمراقبة والتجسس، من تصميم وإنتاج معهد أبحاث تكنولوجيا الفضاء التركي.
- من جميع ما سبق، علينا أن نعلم أن تركيا لديها قوة عسكرية واستخباراتية استثنائية، يدعمها تمويل مالي ضخم، وشبكة من الاتفاقات الأمنية والاستراتيجية مع دول غربية وإقليمية مهمة، وانتساب تركيا إلى حلف شمال الأطلسي وحسب بنود تقاسم القدرات النووية لأعضاء الحلف فإن تركيا دولة نووية، وهذا أمر لا شك فيه. وتحت تصرف سلاح الجو التركي أربعون قنبلة نووية من طراز B1.
- ورغم قوة الجيش التركي إلا أنه يفتقر وبشدة إلى الأنظمة الصاروخية بكافة أنواعها^(١)، كما أن الصناعة العسكرية التركية أمامها فترة من الوقت لتطوير قدراتها واستخدام التكنولوجيا المتطورة في منتجاتها؛ لتصل إلى نفس مستوى الصناعات العسكرية عالية التكنولوجيا بالدول الغربية. تتعاون تركيا مع دول العالم المتقدم لتحديث ترسانتها العسكرية وصناعتها الحربية، ولن تكون مفاجأة إذا علمنا أن تركيا تتعاون مع إيران في مجال تصنيع الأقمار الصناعية والرادارات المتقدمة^(٢)، كما علينا أن نعلم أن تركيا تصنع الآن غواصتين نوويتين داخل ترسانتها البحرية.

التفوق العسكري القائم على الإحصاء لا يعطي تصوراً كاملاً عن القدرات العسكرية للدول؛ حيث تتداخل عوامل أخرى، مثل: الاستراتيجيات، والتدريب،

(١) لهذا حصلت تركيا بنهاية العام ٢٠١٦ على منظومة الدفاع الجوي طويلة المدى إس ٤٠٠ من روسيا، وتفاوض لشراء المنظومة الأحدث بالعالم اس -٥٠٠.

(٢) في ٢٤ يوليو ٢٠١٦ صرح «أردوغان» لوكالة الأناضول أن بلاده أصبح لديها قاعدة صناعية حربية متقدمة، لا تحتاج فيها إلى مساعدة العالم الخارجي. وبلغ الاكتفاء الذاتي للسلاح نسبة ٦٠% عام ٢٠١٦ شاملاً المعدات الثقيلة والطائرات وأنظمة الاتصالات.

والروح المعنوية للقادة والجنود، والشعور بالانتماء الوطني، ووضوح الأهداف، والتأهيل النفسي. وجميعها قدرات غير محسوسة، إلا أنها مهمة وحاسمة في دعم القدرات الكلية العسكرية، ورغم امتلاك تركيا آلات عسكرية ضخمة ومتقدمة إلا أنها محكومة باتفاقات دولية، واتفاقات خاصة، تمنعها من استخدام تلك الآلات العسكرية خارج خطوط حمراء رسمتها الدول الكبرى المصدرة للسلاح والراسمة للسياسات العالمية، وحتى ولو كان لدى تركيا صناعات حربية متقدمة، فإن غالب قدراتها العسكرية ستكون في مدى تحكم الدول الغربية الكبرى، وخصوصاً دول حلف شمال الأطلسي «الناتو» طالما بقيت تركيا عضواً فيه، وهو أمر حتمي على المدى البعيد ولا يمكن الاستغناء عنه قريباً.

القوة السياسية

القوة السياسية أهم عناصر القوة الشاملة للدول، القوة السياسية تأتي على رأس عناصر القوة وتحتل قمة الهرم، ففساد النظام السياسي كفيل بتخريب باقي عناصر القوة والتأثير سلبيًا عليها، والنظام السياسي هو التربة التي تحتوي على جذور باقي أنظمة الدولة، والنظام السياسي للأمم هو من يضمن حياة صحية لباقي الأنظمة، ويضمن إمدادها بالقادة والموهوبين في جميع المجالات الاقتصادية والعسكرية والعلمية، ففساد التربة يعني استحالة وجود أية فرصة لنمو وحياة المزروعات، كذلك النظام السياسي ففساده وعدم كفاءته يستحيل معه أن ينمو ويتقدم في وجوده أي نظام آخر بالدولة. يخطئ العديد من الرؤساء والزعماء في اعتقادهم في كفاءة الأنظمة الديكتاتورية لضمان أسس قوية للحكم، أو تربة صحية لجذور باقي أنظمة الدولة، والحقيقة أن الديكتاتورية لها نفس أثر غياب التهوية المناسبة في التربة على النباتات حيث تتعفن الجذور، ومن هنا تتفوق وتميز الأنظمة الليبرالية الديمقراطية، أي التي تتنفس تربتها بحرية، فيستحيل أن تتعفن جذور أنظمتها، كما أن التهوية الجيدة تضمن علاج أي عفن أو فساد ومحاربهه وبكفاءة. تركيا دولة ديموقراطية برلمانية حتى منتصف عام ٢٠١٧، ثم تحولت حاليًا إلى النظام الرئاسي الشبيه بالنظام الفرنسي. تركيا عضو في منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية، ومجلس أوروبا، ومنظمة التجارة العالمية، ومجموعة العشرين، ومنظمة التعاون الاقتصادي للبحر الأسود، والأمم المتحدة،

والناتو، ومنظمة الأمن والتعاون في أوروبا، والبنك الدولي للإنشاء والتعمير، ومؤسسة التنمية الدولية، ومؤسسة التمويل الدولية، ووكالة ضمان الاستثمار متعدد الأهداف، والمركز الدولي لتسوية المنازعات الاستشارية، والبنك الإفريقي للتنمية، وبنك التنمية الآسيوي، ومنظمة التعاون الإسلامية.

تاريخياً تطورت الحياة السياسية التركية بحيث يمكن تقسيمها اختصاراً إلى مرحلة ما قبل ٢٠٠٢، ومرحلة ما بعد ٢٠٠٢، حيث تميزت الحياة السياسية قبل عام ٢٠٠٢ بسيطرة الدولة العميقة على مفاصل الدولة، وشكل مجلس الأمن القومي التركي وغالبية من العسكريين بالجيش^(١) قناة قانونية للتدخل بقوة في الحياة السياسية التركية، ولطالما نعتت الحكومات الغربية هذا المجلس بأنه يمثل حكومة ظل للتأثير على قرارات مجلس الوزراء والعمل كحكومة تحكم من خلف الستار، كما كانت الحكومات الغربية تعتبر هذا المجلس هو من يعرقل انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي؛ بسبب أن من شروط هذا الالتحاق تقليص صلاحيات وامتيازات قادة الجيش، وهو الأمر الذي كان يستحيل أن يقبله الجيش في حينه. وقد برز مصطلح الدولة العميقة في الحياة السياسية التركية منذ ستينات القرن الماضي، ليعكس شكل النظام السياسي للدولة، إذ وجدت نخب عسكرية، وسياسية، وقضائية، وإعلامية، وأمنية، واقتصادية، ودينية، وثقافية كونت شبكة من علاقات المصالح لتتحكم في القرار السياسي والحكومات، بغض النظر عن وجود تلك النخب بالسلطة أو واجهة العمل السياسي، وهو ما يصاحبه تغول بعض جهات الدولة المكونة لنظامها السياسي والأمني على السلطات الحاكمة والتي انتخبها الشعب، وكما هو معروف فإن نشوء الدولة العميقة يكون مترافقاً مع ضعف الدولة الاقتصادي والسياسي نتيجة الفساد الحكومي، وعدم قدرة الأحزاب السياسية على الوصول للحكم بهامش أغلبية كبير يؤهلها لتنفيذ خطط الإصلاح السياسية والاقتصادية والأمنية الواجبة، كما يرتبط حجم الدولة العميقة بحكم المركزية (الديكتاتورية) عند اتخاذ القرار، والفترة الزمنية التي سيطرت عليها تلك الديكتاتوريات، ففي عام ١٩٦٠ قام الجنرال «جمال جورسيل» بانقلابه، الذي تلاه

(١) يتكون مجلس الأمن القومي التركي من رئيس الأركان - قادة الأفرع الرئيسية الأربعة بالجيش - رئيس الوزراء ولا بد أن يرضى عنه قادة الجيش - وزير الداخلية - وزير الخارجية - رئيس الجمهورية.

إقالة أكثر من ٥٠٠٠ ضابط بينهم ٣٠٠ جنرال، وكان رئيس وزراء تركيا بذلك الوقت «عدنان مندريس» الذي أغضب الجيش ودفعه للانقلاب عليه، للأسباب الآتية :-

- ١- أنه أعاد الأذان باللغة العربية .
 - ٢- أعاد فتح المعاهد الدينية، وكتاتيب تعليم وحفظ القرآن الكريم .
 - ٣- أعاد السماح بقراءة القرآن الكريم بوسائل الإعلام المسموعة والمرئية بعد أن كانت ممنوعة .
 - ٤- حقق تقدمًا اقتصاديًا مذهلاً لتركيا في جميع المجالات؛ مما رفع من شعبيته لدى الشارع، فخاف أصحاب المصالح وعلى رأسهم الجيش من أن تمكنه إصلاحاته من اكتساب القدرات الكفيلة بتقويض امتيازاتهم وسلطاتهم .
 - ٥- أعاد نساء الاسرة العثمانية (اسرة الخلافة) من الدول التي تم نفيهم فيها الى تركيا وامر لهم بمرتبات ومعاشات شهرية .
- قام قادة الانقلاب بإعدام «عدنان»، ووزير ماليته، ووزير الخارجية، كما تم سجن رئيس الجمهورية بذلك الوقت مدى الحياة. (لاحظ أنهم في مجموعهم يمثلون الجانب المدني المنتخب داخل تشكيل مجلس الأمن القومي التركي)*
- في عام ١٩٧١ قام الجيش بانقلاب آخر معروف بانقلاب المذكورة، حيث أرسلت قيادة أركان الجيش (ذات الأغلبية في مجلس الأمن القومي التركي) بمذكرة إلى مجلس الوزراء ورئيس الوزراء «سليمان ديميريل» ورئيس الجمهورية تأمرهم بتقديم استقالتهم وقد كان، وفي عام ١٩٨٠ قام الجنرال «كنعان ايفرين» بأكثر الانقلابات العسكرية دموية في تاريخ تركيا؛ حيث اعتقل وسجن وأعدم مئات الآلاف (حكّم بالسجن مدى الحياة على هذا الجنرال عام ٢٠١٤) منهم ٦٥٠ ألف معتقل، و ٦٠٠ حكّمًا بالإعدام، و ٣٠ ألف فصل من أعمالهم، ١٤ ألف تجريد من الجنسية، و ٣٠ ألفًا نُفي وترحيل خارج تركيا بحجة خطورتهم على النظام العلماني للدولة .

في عام ١٩٩٧ وقع انقلاب آخر بمعرفة مجلس الأمن القومي التركي، حيث أرسل مذكرة أخرى إلى رئيس الوزراء ورئيس حزب الرفاة الإسلامي «نجم الدين أربكان» تأمره بالاستقالة من رئاسة مجلس الوزراء وأعضاء حزبه صاحب

الأغلبية من البرلمان، أجبر قادة أركان الجيش «أربكان» قبل الإقالة على قبول ١٨ طلباً، معظمها يتعلق بتقييد التعليم الديني والمؤسسات الدينية ومدارس تعليم القرآن، ورغم قبول «أربكان» لتلك المطالب إلا أن الجيش أقاله وحكومته ومن ضمنهم أردوغان بل وسجنهم في محاكمات صورية.

تميزت حقبة ما قبل ٢٠٠٢ بتدخل الجهات الأجنبية في الحياة السياسية التركية، بدعم الدولة العميقة وتقويتها، وتكوين شبكات ومراكز قوة خارج الأطر الرسمية للدولة، تمويلها تلك الجهات وتحظى بحماية سفاراتها، ويُعقد عليها بسخاء، وتتمتع بحماية نافذين بالجيش والقضاء والأجهزة الأمنية والإعلامية بالدولة.



صورة رجب طيب أردوغان

مع وصول حزب العدالة والتنمية إلى الحكم في نهاية ٢٠٠٢، كنتيجة طبيعية ومنطقية لفشل الجيش وباقي الأحزاب التي تدور في فلكه وتآمر بأمره في إدارة شؤون البلاد، وبعد أن فرغت خزائن الدولة وانهار الاقتصاد انهياراً كاملاً^(١) وقتها توافقت قيادات الجيش وسمحوا بتسرب أحد القيادات المدنية الكبرى وهو «رجب طيب أردوغان» تلميذ رئيس وزراء تركيا السابق «أربكان» النجيب بالوصول إلى رئاسة الوزراء، في انتخابات كانت تمثل الأمل الأخير لإنقاذ تركيا من الانهيار السياسي والاقتصادي بل والاجتماعي، عمل أردوغان وحزبه ورفيقاه «عبد الله غول» «وداود أوغلو» ليل نهار؛ لإصلاح ما أفسده قيادات الجيش

(١) وصل معدل التضخم في ذلك الوقت ٦٨٪ مما أدى إلى انهيار العملة التركية.

وأعضاء الدولة العميقة التركية، بدأ تنحية الفاسدين وناهبي موارد الدولة وحل محلهم الأكفاء والنزيهون أصحاب الأخلاق والوطنيون وأصحاب العقول النابغة والمواهب، تحققت معجزة حقيقية حيث استعاد الحزب توازن البلد ويدا الاقتصاد في التعافي، بدأت الاستثمارات الأجنبية تندفق بعد إصلاحات بسيطة في النظام القضائي، وبعد أن تأكد الداخل والخارج بأن النظام الحاكم بتركيا يتحرك باحترافية عالية وكفاءة نحو اقتصاد سوق حقيقي وآليات تمنع ديكتاتورية اتخاذ القرارات الاستراتيجية، كما نشطت الاستثمارات الداخلية، وشرعت الدولة في الاقتراض وتوجيه القروض إلى دعم وتشجيع الاستثمارات وتحسين البنية التحتية، حقق الحزب نجاحًا تلو نجاح، زادت ثقة المستثمرين المحليين والخارجيين بالمستقبل وقدرة النخبة الحاكمة على الاستمرار، بدأ «أردوغان» وحزبه في إعادة هيكلة جميع أنظمة الدولة، وبعد تمتع حزب العدالة بتأييد شعبي واسع وقيادته للحكومة التركية بنجاح غير مسبوق في تاريخ الجمهورية واجه الحزب الدولة العميقة بكافة شبكاتها ومموليها وداعميها الخارجيين والداخليين، حيث حاولت تلك الدولة الموازية وضع العراقيل في وجه الحكومة واستخدام كافة الوسائل الإعلامية والقضائية والأمنية في الضغط على أعضاء الحزب ومؤيديهم، وتشتيت مجهوداتهم والتقليل من حجم إنجازاتهم، وبذلت تلك الشبكات ومنتسبيها مجهودًا خارقًا من الفترة ٢٠٠٢ حتى ٢٠٠٨ لإسقاط الحزب وحكومته، إلا أن الحزب وقادته نجحوا في توجيه ضربة موجعة لتلك الدولة والقبض على بعض أعضائها فيما يعرف بقضية تنظيم «ارجنيكون» أو المطرقة، حيث تم القبض على أكثر من مائة شخصية بينهم جنرالات، ورؤساء جامعات، وصحفيين، ومسؤولين بجهات قضائية وأمنية، ورجال أعمال كانوا يسعون وبكل قوة لإلهاء الحكومة، وعرقلة مشروعها للإصلاح السياسي والاقتصادي، وإعادة هيكلة الأجهزة الأمنية بما فيها الجيش والشرطة والمخابرات وتوجت محاولاتها بانقلاب عسكري كان مخططًا له من ٢٠٠٩، إلا أن الإنجازات الكبيرة التي حققها قادة حزب العدالة والتنمية وبقظتهم واستيعابهم لمراكز القوة داخل الدولة العميقة؛ مكنهم في نهاية الأمر من توجيه ضربة قوية لتلك الدولة التي حكمت تركيا منذ البدايات الأولى للجمهورية، وعطلت قدراتها وبددت مواردها وأضاعت

على الدولة مئات المليارات من الدولارات؛ نتيجة فسادها وعمالتها لأصحاب المصالح بالداخل والخارج، بعد الضربة القوية للدولة العميقة التركية جريت عدة تعديلات على دستور ١٩٨٢ كان من بينها إلغاء نيابات ومحاكم أمن الدولة، ورفع ولاية القضاء على قرارات حل وتكوين الأحزاب السياسية، وجعل انتخاب رئيس الدولة بالانتخاب الحر المباشر من الناخبين، وإلغاء عقوبة الإعدام، إلا أنه ظل لهيئة أركان الجيش نفوذ ضخم بالحياة السياسية التركية، بالإضافة إلى معازل العلمانية التاريخية، مثل: المحكمة العليا، وعدد غير قليل من المحاكم والدوائر القضائية، وطبقة الإعلام وبين المثقفين، ورجال الأعمال، والبيروقراطيين التقليديين بالجامعات وجهاز الشرطة، بصفة عامة تركيا دولة مركزية موحدة علمانية، حيث يحظر الدستور إنشاء الأحزاب على أسس دينية أو عرقية أو فاشية، كما لا يوجد دين رسمي للدولة، يضمن الدستور التركي الحالي المقرر في عام ١٩٨٢ والتعديلات التي تمت عليه وآخرها ٢٠١٠ و ٢٠١٥ توازنًا وفضلاً صحياناً بين السلطات ويحكمها حسب نص الدستور النظام الديمقراطي البرلماني (يسمى البرلمان بمجلس الأمة التركي الكبير)، حيث تتركز السلطات التنفيذية بيد رئيس الوزراء الذي تعينه الأغلبية البرلمانية لمدة أربع سنوات، أما منصب رئيس الدولة فهو منصب شرفي يتم انتخابه كل خمس سنوات بالاقتراع المباشر بواسطة الناخبين، وهم كل من بلغ ١٨ عاماً من أفراد الشعب، تتم الانتخابات البرلمانية عن طريق القوائم الحزبية حيث يبلغ عدد الأحزاب قرابة خمسين حزباً، ولتفادي التفكك والانقسام السياسي ولضمان حياة سياسية وحزبية صحية يفرض الدستور على الأحزاب المشاركة في الانتخابات البرلمانية أن تحصل على ١٠% فأكثر من أصوات الناخبين الصحيحة لكي يكون لها تمثيل بالبرلمان^(١)، وعليه فإن البرلمان التركي غالباً ما يتقاسمه من اثنين إلى أربعة أحزاب على الأكثر، بالإضافة إلى المستقلين حيث يسمح القانون بترشح المستقلين الذين يكونون عادة من الأكراد، الدستور التركي يضمن نظرياً وعملياً الفصل الكامل بين سلطات الدولة الثلاثة حيث تنص المادة ١٣٩ من الدستور على عدم جواز عزل القاضي

(١) لاحظ عدد الأحزاب الممثلة بالبرلمان المصري ٢٠١٦ ستجدها ١٥ حزبا.!!!!

إلا بناء على طلبه، وبسبب رغبة تركيا الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي ورغبة القيادة التركية وحزب العدالة والتنمية في الدخول بالدولة التركية ضمن نادي الـ Top 10 بحلول عام ٢٠٢٣، الذي يوافق ذكرى مرور مائة عام على تأسيس الجمهورية. بدأت تركيا منذ عام ٢٠١١ برنامجًا طموحًا ضخمًا؛ للإصلاح السياسي والاقتصادي أسماه رئيس الوزراء التركي في ذلك الوقت «رجب طيب أردوغان» هدف ٢٠٢٣، محددًا فيه عددًا من الأهداف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، يشمل من ضمن ما يشمل تعديل القوانين والبنية التشريعية، ضمن برنامج طموح سينتهي في ٢٠٢٣، بما يضمن تقليص تدخل الجيش بالحياة السياسية، ويكفل الحقوق الأساسية للمواطنين، ويتوافق مع معايير الاتحاد الأوروبي فيما يخص حقوق الإنسان، ويضمن تفوقًا عسكريًا واقتصاديًا وتكنولوجياً للدولة التركية؛ لجعلها ضمن أهم عشر دول بالعالم. عمومًا؛ تمتلك تركيا اليوم نظامًا سياسيًا جيدًا، تحكمه تقاليد ديمقراطية راسخة، وتتمتع بحزمة من القوانين الحديثة في مجالات ممارسة الحياة السياسية، وحق التظاهر، والتعددية الحزبية مكفولة بنص الدستور، كما أن الأحزاب تتمتع بتمثيل قوي بالشارع، ولها قواعد وإمكانياتها المادية، كما يتمتع عموم الشعب التركي بمشاركة قوية في الحياة السياسية، ووعي وطني كبير حيث تبلغ نسبة مشاركتهم بالانتخابات أرقامًا مرتفعة ٩٠% من عدد الناخبين ٢٠١٥ و ٧٥% ٢٠٠٧، كما أن تدخل الجيش والجهات الأمنية في الحياة السياسية أصبح متواضعًا، وأضحى الدولة العميقة في أضعف حالاتها، بعد إجراءات حازمة اتخذتها حكومة حزب العدالة والتنمية لمحاربة الفساد الحكومي، وإعادة هيكلة الجهات الأمنية، وتقوية النقابات العمالية.

حسب تقارير المنظمات الدولية، مازال على تركيا أن تقطع شوطًا كبيرًا في مجال استقلال القضاء حيث تحتل المرتبة ٨٠ ضمن ١٠٢ دولة على مستوى العالم في تقرير منظمة WJP. (Rule of Law Index 2015)

كما عليها أن تقطع شوطًا آخر نحو منح مزيد من الحقوق للأفراد والصحافيين وأوضاع المحكومين بالسجون، وأيضًا على تركيا حل مشكلاتها السياسية العميقة مع قبرص التي تحتل شمالها واليونان، وأيضًا الاعتذار عن

مذابح الأرمن التي ارتكبتها الدولة في بدايات القرن التاسع عشر، كما أنه مازال هناك بعض من بقايا الدولة العميقة، مازال يؤثر بشدة سلبيًا على القوة السياسية التركية، مثل: المافيا التركية، والاضرابات والمواجهات مع حزب العمال الكردستاني PKK، والوضع الكارثي على الحدود مع سوريا، وتهديدات تنظيم الدولة الإرهابي تمثل أبرز العوائق أمام الخطط الطموحة للقيادة السياسية التركية على المستوى القصير والمتوسط والاستراتيجي، كما أن هناك حاجة ماسة إلى تقليص صلاحيات رئاسة أركان الجيش وتقليص نفوذها القانوني والدستوري داخل الجيش.

📌 القوة الاجتماعية

النسيج الاجتماعي التركي متنوع عرقياً ودينياً، يمثل العرق التركي نسبة ٧٦% من عدد السكان، والأكراد ٢٠%، بينما يتقاسم الأرمن، واليونانيون، والألبان، والعرب، والآشوريون، والشركس، والبلغار، والبوسنيون، والجورجيون، والبلغار، والعجم، وفرنسيو المشرق؛ النسبة الباقية، كما يمثل المسلمون السنة ٩٤% من عدد السكان، والشيعية العلويون نسبة ٢%، والمسيحيون الأرثوذكس ١%، وال ٣% الباقية يتقاسمها اللادينيون، واللايزيديون، والصابئة، واليهود. بصفة عامة يمكن اعتبار البنية الاجتماعية الدينية والطائفية والعرقية بنية قوية ومتماسكة، أسهم في ذلك تأكيد الدساتير التركية، فمنذ قيام الجمهورية عام ١٩٢٣ على علمانية الدولة، والنص صراحة على أن الدين مسألة شخصية فردية (المادة ٢٤ من دستور ١٩٨٢)، وبناءً عليه لا تتمتع الجماعات والمنظمات الدينية بأية امتيازات دستورية، كما لا يوجد أي تمييز عنصري أو ديني أو عرقي أو طائفي عند التقدم للالتحاق بالمؤسسات الرسمية للدولة، وبخاصة الجيش وباقي الجهات السيادية المهمة، إلا أنه تبقى دائماً المشكلة الكردية، ودعوات الانفصال كابوساً مرعباً، تحاول حكومة أنقرة التغلب عليه؛ بمنح الكثير من المزايا للقومية الكردية، فقد تم رفع حظر استخدام اللغة الكردية في الجنوب الشرقي للبلاد حيث تتركز غالبية الأكراد، وتم الإفراج عن مئات المسجونين من أعضاء حزب العمال الكردستاني المحظور، ووقف المدهامات العشوائية ضد باقي الأكراد، وتحاول حكومة أنقرة إيجاد حل نهائي

للمشكلة الكردية، يشمل نزع سلاح حزب العمال الكردستاني، حيث كلف النزاع المسلح تركيا ما يقرب من ٤٠٠ مليار دولار، وأكثر من خمسين ألف قتيل، ولكن يشترط زعيم الأكراد الترك «اوجلان» تغيير الدستور التركي، والنص لأول مرة في تاريخ الجمهورية على حقوق الأكراد، وتحويل تركيا إلى دولة فيدرالية، يتمتع فيها الأكراد بما يشبه الحكم الذاتي.

وفيما يخص الأمن الداخلي وقّع الرئيس أردوغان مرسومًا في بدايات عام ٢٠١٥ يقضي بإعادة هيكلة جهاز الشرطة، حيث أصبح يستقطب أفضل الموارد العقلية والبدنية، وأصبح يهتم برفع مستوى المهارات المهنية، مستلهما التجربة الإنجليزية المعروف عنها الكفاءة، دون استخدام العنف أو أي من الأساليب غير الإنسانية لضمان الفعالية الأمنية، كما تم إعطائه صلاحيات قانونية واسعة ضد الهجمات الإرهابية، بما يؤمن رد الفعل السريع الحازم في مواجهة الجريمة المنظمة، ورغم معارضة بعض السياسيين الأتراك وبعض الدول الغربية للصلاحيات الواسعة لجهاز الشرطة التي كفلها القانون الجديد، إلا أننا وبعد دراسته نجد أن تلك الصلاحيات ضرورية للقضاء على الجريمة المنظمة (المافيا التركية)، وهي من البقية الباقية من إرث الدولة العميقة، التي واجهها «أردوغان» وحزبه من عام ٢٠٠٢، كما أن التطورات الأخيرة بسوريا وظهور جماعات راديكالية متعصبة مسلحة وتهديدات تنظيم الدولة «داعش» تبرر تلك التعديلات بل تجعلها واجبة.

كما أولت الحكومة التركية منذ ٢٠٠٢ اهتمامًا خاصًا بمبدأ التدرج الضريبي على دخل الأفراد، وتحقيق العدالة الضريبية، وتتراوح الضرائب على دخل الأفراد من ١٥ إلى ٣٥%، ويحتوي النظام الضريبي التركي على إعفاءات كثيرة للطبقات الدنيا من المجتمع وأيضًا المؤسسات، بما يجعل النظام الضريبي التركي من أكثر الأنظمة منافسة في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية OECD، أيضًا تُولي الدولة التركية اهتمامًا بالغًا بنظام الرعاية الاجتماعية لتأمين مستوى كريم من المعيشة للمواطنين الأتراك، من غير إحساس بشفقة أو استضعاف، وتشجع شيوع قيم العدل والرحمة والألفة بين أفراد الشعب، وحسب المواد (١٠ و ٦٠) من الدستور التركي يتحتّم على الحكومة تقديم أقصى درجات الدعم والرعاية

للأطفال (كل ما هو دون ١٨ عامًا)، وأسره، ودون تمييز، وللمسنين، والمعاقين، وأسر الشهداء، ومصابي أفراد الجيش والشرطة، وقدامى المحاربين، ومن بلغ سن المعاش (٦٥ عامًا)، وعليه فإن الحكومة وضمن نظام الضمان الاجتماعي أصبحت تغطي ٩٩% من مجموع السكان، كما هناك لجنة لتحديد الحد الأدنى للأجور، وغالبًا ما تقوم بتعديل الحد الأدنى للأجور كل ستة أشهر، ويقدر حاليًا ومنذ بداية ٢٠١٧ بما يعادل ٨٥٠٠ جنيه شهريًا (٤٤٢ يورو)، أما الرعاية الصحية فأصبح التأمين الصحي يغطي نسبة ٩٨% من عدد السكان، وأصبح ٨٠% من عدد السكان راضين عن مستوى الخدمات الصحية التي تقدم لهم، وأصبحت مؤسسة الضمان الاجتماعي التركي أهم مشرّ لخدمات الرعاية الصحية في تركيا، كما تتبنى الحكومة برنامجًا يسمى HTB أكثر طموحًا لتطبيق مفهوم الرعاية الصحية للأسرة وليس للفرد. مما سبق يمكن القول إن مجهودات الحكومات التركية المتعاقبة ومنذ ٢٠٠٢ بدأت تؤتي ثمارها، وبدا اهتمامها بالتعليم والصحة والضمان الاجتماعي والوحدة الوطنية تؤتي ثمارها اليوم، ونحن نحلل القوة الاجتماعية نجدنا أمام أمة فتيّة تتمتع بخدمات صحية وتعليمية واجتماعية متقدمة وكافية لكي نضمن نسيجًا اجتماعيًا قويًا ذا جودة عالية يخدم باقي عناصر القوة الشاملة للأمة.

إننا نخشى ردة في المفاوضات الحالية لإقرار السلام بين حكومة أنقرة والأكراد؛ بسبب التدخلات الخارجية، كما أننا نتوقع وبشدة ونتيجة محاولات الدولة العميقة وما لديها من وسائل إعلامية وأبواق دعائية داخلية وخارجية - أن يحدث انشقاق في الحزب الحاكم أو حدوث انقلاب عسكري، وهو ما يعني تعطيل للخطة هدف ٢٠٢٣، وتغيير في الكثير من السياسات الداخلية والخارجية التركية قد تهدد الأمن الاجتماعي وتدخل الدولة في دوامة الصراعات السياسية، مثل ما كان الوضع قبل ٢٠٠٢، كما أن الطموح التركي الجارف بالتأكيد يؤرق دولاً إقليمية ودولية تحاول كبح جماحه وعرقلة تقدمه، (حدث هذا الذي تخوفنا منه أثناء إعداد هذا الكتاب ووقع انقلاب عسكري فاشل في منتصف يوليو ٢٠١٦).

القوة الثقافية

تركيا بوتقة انصهرت فيها ثقافات وحضارات مختلفة كونت الثقافة التركية بشكلها الحالي، حيث تجمعت الحضارة الهندوأوروبية مع حضارة الأناضول والحضارة اليونانية والرومانية والإسلامية؛ فأخرجت لنا خليطاً جميلاً من الإنتاج الثقافي والفني التركي نلمسه جميعاً اليوم واضحاً في الإقبال الكبير على الإنتاج الفني التركي في منطقة الشرق الأوسط وباقي دول العالم، كما أصبحت اللغة التركية تلقى إقبالاً كبيراً على إتقانها بدول عديدة، مثل: العراق، وسوريا، ولبنان، والأردن، ومصر. كما أن المدرسة التركية في مجال الهندسة المعمارية من المدارس المتميزة، والإنتاج الروائي والمسرحي والموسيقي والتلفزيوني والسينمائي يلقي رواجاً بين دول العالم، ولقد تُوّجت الحياة الثقافية التركية ونالت اعتراف العالم بتميزها؛ بحصول الكاتب التركي الكبير «أورهان باموق» على جائزة نوبل في الأدب عام ٢٠٠٦.

على الرغم من الحريات الواسعة التي يتمتع بها المثقفون والمبدعون الأتراك والتي كفلها لهم القانون، إلا أنه مازال هناك الكثير من القيود يلزم إزالتها؛ حتى نستطيع أن نقول إن تركيا دولة عصرية ومتقدمة في مجال حرية الإبداع، وبخاصة في مجال الإعلام، والرقابة الحكومية على وسائل التواصل الاجتماعي والفضائيات.

القوة المعنوية (القوة الناعمة)

وضوح الأهداف القومية والاستراتيجية، وتوحد جموع المواطنين حولها، وحشد جميع عناصر القوة الشاملة للدولة نحو تحقيقها، تمثل الروح بالنسبة للجسد وأحد أهم عناصر القوة الناعمة (المعنوية) للدولة؛ ولهذا وضع «أردوغان» الخطة HEDEF 2023، والتي تتضمن أهدافاً قومية عليا في جميع المجالات، تمثل تحدياً له ولحزبه الحاكم وللأتراك عموماً، يتوجب الوصول لها في عام ٢٠٢٣، وأهم بنود الخطة ما يلي:-

١- أن يكون الاقتصاد التركي ضمن أهم عشر اقتصاد في العالم بحلول العام ٢٠٢٣ حيث تحل الذكرى المائة لتأسيس الجمهورية التركية عام ١٩٢٣.

- ٢- الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي ونيل العضوية الكاملة.
 - ٣- أن يصل الناتج المحلي الإجمالي إلى ١٠٠٠ مليار دولار بحلول عام ٢٠١٤، و٢٠٠٠ مليار دولار في عام ٢٠٢٣.
 - ٤- أن يصل نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي إلى ٢٥٠٠٠ دولار.
 - ٥- خفض معدل البطالة إلى ما دون ٥٪، والتضخم إلى ما دون ١٪.
 - ٦- رفع ميزانية البحث العلمي والتطوير إلى ٩٠ مليار دولار.
 - ٧- رفع ميزانية التعليم لتكون ٨٠ مليار دولار.
 - ٨- الوصول بمستوى الصادرات إلى ٥٠٠ مليار دولار سنوياً.
 - ٩- الوصول بالإنتاج الزراعي التركي ليكون الخامس في الترتيب العالمي.
 - ١٠- الوصول بحجم تجارة خارجية قدره ١٠٠٠ مليار دولار.
 - ١١- إنشاء محطتين نوويتين جديدتين بقدرة ٤٨٠٠ ميجاوات.
 - ١٢- الاعتماد على الطاقة النظيفة، وتوليد ٢٠ ألف ميجاوات من مصادر الطاقة المتجددة.
 - ١٣- وصول عدد الأطباء إلى ٢١٠ أطباء لكل عشرة آلاف مواطن، وعدد الأسرة بالمستشفيات إلى ٣٢ سريرًا لكل ١٠ آلاف مواطن، ورفع الإنفاق الحكومي على الرعاية الصحية لـ ٢٠٠٠ دولار لكل مواطن.
 - ١٤- بناء ١١ ألف كم من السكك الحديدية والاعتماد على القطارات فائقة السرعة.
 - ١٥- شق ١٥ ألف كم من الطرق السريعة المزدوجة.
 - ١٦- زيادة طاقة الموانئ التركية وتحديثها ليكون واحدًا منها على الأقل ضمن أهم عشر موانئ عالمية.
 - ١٧- تصنيع الطائرات المدنية والعسكرية والطائرات بدون طيار والأقمار الصناعية ووسائل إطلاقها محلياً.
 - ١٨- الوصول بعدد السائحين إلى خمسين مليون سائح سنوياً يدرون دخلاً مستهدفاً خمسون مليار دولار.
- الوصول لكل هدف من الأهداف السابقة ليس بالأمر الهين، بل يحتاج إلى خطط تفصيلية وموارد مالية وبشرية، وقبل كل هذا إرادة وتصميم وحزم من

الإدارة العليا بالبلاد، والتفافاً من الشعب حول قيادته والثقة في حكمة وكفاءة من بيده دقة الأمور.

يتكامل مع الأهداف العليا السابقة سياسات خارجية واضحة، عبر عنها رئيس الوزراء السابق «داود أوغلو»، ويومها كان وزيراً للخارجية بما يعرف بالـ Zero Problems Theory نظرية الصفر مشكلات، والتي تقوم على حل جميع المشكلات العالقة مع جميع دول العالم، وتوثيق العلاقات السياسية والاقتصادية مع جميع دول العالم، طبعاً هو يعلم أن الأهداف القومية العليا لبلاده يستحيل أن تتحقق في ظل صراعات داخلية أو خارجية؛ في الوقت الذي تحتاج تركيا فيه إلى التركيز والبعد عن تبديد الموارد والجهود في خلافات تافهة خارجياً وداخلياً، وبالفعل شهدت تركيا وحتى عام ٢٠١٣ جهوداً جبارة لإصلاح العلاقات مع سوريا، والعراق، وإيران، وروسيا، وقبرص، واليونان، بالإضافة إلى توثيق العلاقات السياسية والاقتصادية مع الدول الحليفة لها، مثل الدول الغربية، والولايات المتحدة الأمريكية، وإسرائيل، مع الدخول في مفاوضات شاقة؛ وصعبة لحل المسائل الخلافية مع أهم الدول الإقليمية والعالمية، وهو الأمر الذي سهل تدفق الاستثمارات الخارجية وسهولة نقل التكنولوجيا المدنية والعسكرية، وتخفيف القيود على التبادل التجاري، وتسهيل انتقال السلع والخامات والأفراد بما يكفل دعماً متعاضداً وكافياً لإنجاح الخطط العامة للدولة وصولاً إلى أهدافها العليا.

أما من ناحية الإعلام؛ فوجود تركيا ضمن منظومة حلف «الناتو» وضع الإعلام الرأسمالي الغربي كله في جانبها، وسهل من ذلك تحالفها الوثيق مع إسرائيل، ونجحت الحكومة في استخدام النفوذ الإسرائيلي بأهم العواصم الغربية والعالمية، وصلاتها الوثيقة مع الماسونية العالمية في ضمان الموارد الاقتصادية والبشرية والتكنولوجية الضرورية؛ لتحقيق أهدافها العليا في البدايات الأولى لخطط الإصلاح عام ٢٠٠٢، ومن هنا نستطيع تفسير العلاقات الفوق اعتيادية بين الدولة التركية وإسرائيل، ورغم توتر العلاقات التركية الإسرائيلية بعد حادثة قافلة المساعدات التركية إلى غزة مرمرة، إلا أن كلاً من تركيا وإسرائيل تدركان جيداً الترابط الاستراتيجي لمصالح كل منهما، الأمر الذي يفسر الاتفاق الكامل بين

الدولتين، رغم وجود حكومة ذات صبغة إسلامية على رأس الحكم بتركيا منذ العام ٢٠٠٢ وحتى اليوم.

اليوم تمتلك تركيا آلة إعلامية ضخمة تصدر أكثر من ٤٠٠٠ صحيفة ومجلة، و٤٠٠ قناة تلفزيونية، و١٥٠٠ محطة إذاعية، تندرج معظمها تحت سبع مؤسسات إعلامية ضخمة يحكمها ويوجهها ما يلي :-

- ١- القوانين والتشريعات التركية.
- ٢- عمق ونفوذ وتحكم المؤسسات الحكومية والجهات الأمنية ورجال الأعمال واليهود والماسونية العالمية في تلك المؤسسات.
- ٣- جهات التمويل.

منذ عام ٢٠٠٢ وحتى اليوم يحاول حزب العدالة والتنمية تصويب وإعادة صياغة توجهات تلك المؤسسات الإعلامية الضخمة نحو الليبرالية المحافظة، والتي تستند إلى العلمانية بمفهومها الواسع، التي تعطي الحق للإنسان في ممارسة نمط الحياة الذي يريده سواء إسلامياً أو غير ذلك، وأنه يجب التخلي عن نمط العلمانية الكمالية المتطرفة، والتي تحارب كل ما هو إسلامي أو متدين، وتعتبره خطراً وتهديداً لمصالح الدولة، طبعاً من المعلوم أن جزءاً غير قليل من الإعلام التركي يقف في صف الدولة العميقة، التي مازالت بقاياها تشغل مفاصل الدولة التركية، وتحاول من آن لآخر إسقاط الحزب الحاكم وقياداته، وتشويه إنجازاته، والتشويش على جهوده للتطوير، وهو ما كادت تنجح فيه في انتخابات برلمان ٢٠١٥، حيث نجح حزب العدالة والتنمية في الانتخابات بهامش ضئيل لا يسمح له بأغلبية برلمانية تسمح له بتنفيذ برامج الإصلاحية، ولولا انتخابات إعادة والمجهود غير الطبيعي الذي بذله زعيم الحزب «أردوغان» في إعادة اصطفاف الناخبين حوله مرة أخرى وحول حزبه؛ ما نجح في انتخابات إعادة، وما استطاع تحقيق الأغلبية المطلوبة لاستمرار نهجه وخطته للإصلاح.

١٦ انقلاب تركيا الفاشل يوليو ٢٠١٦:

أثناء طباعة هذا الكتاب وقع انقلاب تركيا الفاشل مساء يوم الجمعة ١٥ يوليو ٢٠١٦، لم يكن ذلك مفاجأة لي فقد ذكرنا سابقاً أن الدولة العميقة

وأصدقاءها بالداخل والخارج يسعون على الأقل لإحداث انشقاقات داخل حزب العدالة والتنمية، تضمن على الأقل تباطؤًا في الإنجازات الاقتصادية والاجتماعية التي تزيد من رصيد الحزب بالشارع وتضمن رضا الناخبين، الانتخابات البرلمانية الأخيرة أثبتت تأثر الناخبين بحملات الإعلام وجهود الدولة العميقة وتحول مزاج قطاعات غير بسيطة من الناخبين من المؤيدين إلى المعارضين، في أركان الدولة العميقة عملاء للدول التي يهملها تعطيل تقدم تركيا وعرقلة، لم تُحلّ تصريحات المسؤولين الغربيين علنا من ابداء رغبتهم في تبني خطوات تنفيذية؛ لوقف التقدم التركي بكل المجالات، هؤلاء العملاء ما زالوا بمراكز الدولة وأركانها، فأصحاب الذمم الخربة والأفكار الفاسدة والأحلام الأنانية -جاهزون لكل من يشع غرائزهم، أو يدفع أكثر، أو يمول الترويج لمعتقداتهم وأيديولوجياتهم، في تلك الليلة كتبت على صفحتي بـ «الفيسبوك» أن مصير الانقلاب الفشل وإن طال أو نجح ظاهريًا؛ لأن «أردوغان» أعد لهذا اليوم من الإنجازات والتغيرات في موازين القوى ما يؤهله لمواجهة الانقلاب والتغلب عليه وإن طال الزمن أو قُصر، لقد ذكرنا سابقًا كيف عدّل في نظام عمل جهاز الشرطة والمخابرات العامة، وكيف عدل الدستور، وأعاد تشكيل صلاحيات النيابة والقضاة، ومجلس الأمن القومي التركي صانع الانقلابات ومصدر حكومة الظل^(١).

كما ذكرنا غضب وشجب الدول الكبرى للصلاحيات الواسعة التي أعطاها للشرطة، حسب تعديلات الدستور الأخيرة، والتي أحدثت توازنًا مطلوبًا أمام باقي الأجهزة الأمنية ومنها الجيش والقضاء، لقد تجهز «أردوغان» وحزبه لحماية الجمهورية، والتجربة الأردوغانية الجديرة بالاحترام. لا أفهم ما الجريمة الكبرى التي تجعل قادة الجيش لا ينتظرون نتائج صناديق الاقتراع حتى يتم تغيير أردوغان وإقصاء حزبه؟ آلية إجراء الانتخابات في تركيا لا تسمح بتزوير إرادة الشعب، ما خطايا الحزب الحاكم والضرورات الماسة التي تجعل قادة الانقلاب يفعلون فعلتهم، ولا يحتكمون إلى صناديق الاقتراع؟ ما التهديد الذي لا يحتمل انتظاره

(١) تم عمل تعديلات في صلاحيات مجلس الأمن القومي التركي اعتبارًا من ٢٠٠٤ قلصت من نفوذه بأهم قطاعات الدولة كالإعلام، والتعليم، وحولته من مؤسسة سيادية إلى مؤسسة استشارية تعطي رأيها للحكومة ورئيس الدولة دون إلزام أو صلاحيات قانونية.

على الدولة التركية؟. لقد ذكرنا سابقًا أن نجاحات أردوغان وحزبه الاقتصادية وفرت تمويلًا إضافيًا لبرامج التطوير العسكرية التركية بما يزيد على ١٦٠ مليار دولار خلالًا لميزانية الجيش السنوية منذ العام ٢٠١٢، كما أن حكومات حزب العدالة والتنمية رفعت ميزانيات الجيش السنوية أربعة أضعاف ميزانيته عام ٢٠٠٢، إنها فساد الأيديولوجيات والأفكار والعقائد، فساد الأخلاق والذمم والشهوات والعداء لكل ما يمثل تهديدًا لحرية أركان الدولة العميقة في العمل بلا قانون أو رقيب أو حساب، أي انقلاب على نظام ديموقراطي هو تصريح واضح من الانقلابيين بوضاعة شعبهم وعدم اكتراثهم بإرادته واختياراته، كل جريمة أردوغان وحزبه أنهم سدّدوا ديون تركيا بعد أن كانت مدينة، وجعلها مقرضة بعد أن كانت تفترض، وملاً خزانتها بعد أن كانت فارغة، حدّث جيشها بعد التخلف، ونظف شوارعها بعد أن كانت تشغلها القمامة، ووظف شبابها بعد أن كانوا عاطلين، وعالج مواطنيه بعد أن كانت تنهشهم الأمراض، وعلم أولادها بعد جهل، وزاد الإنتاج بعد نقص، وأسس للأخلاق بعد عُهر وانفلات، لـ «أردوغان» أخطاؤه التي قد تتفق أو تختلف عليها ولكنها لا ترقى أبدًا إلى أن يقوم ضده انقلاب، ما حدث في تركيا حدث مثله ولأسبابه التي لا تخفى على أحد في الجزائر عام ١٩٩١، حيث تدخل الجيش ويعاونه القضاء لوأد إرادة الناخبين الذين صوتوا للمعارضة، انتفض الجيش وخلّفه أصحاب المصالح الداخلية والخارجية، وكأنه يجب أن يعاني الجزائر رغم ثرائه من الجوع والمرض والجهل والفقر للأبد (نسبة الفقر في الجزائر رغم أنها دولة بترولية ٢٠%)، الحجج جاهزة، الحفاظ على الأمن القومي، منع الحرب الأهلية، تحقيق التقدم والرخاء، مازال الشعب الجزائري ينتظر تحقيق أي من تلك الوعود ولكن هيهات! فالأهداف الحقيقية غير هذا، والحقيقة مرة، والهدف النهائي هو إضعاف الشعب وتبديد موارده وخدمة مصالح قلة بالداخل وبعض الأعداء الإقليميين والعالميين بالخارج. من يجب أن يقرأ مصير قادة انقلاب الجزائر ١٩٩١ سيجد غالبهم مات ذليلاً حزناً وكمداً، بعد فضائح أخلاقية ومالية، أو قابلاً بالسجون بعد أن ثبت تورطهم في جرائم قتل وتعذيب أو خيانة للأمانة واستغلال النفوذ، كما أنه وخلال إعداد وطباعة هذا الكتاب وفي إبريل من عام ٢٠١٧ وافق غالب

الشعب التركي على تغيير النظام السياسي كله، من النظام البرلماني إلى النظام الرئاسي بأغلبية بسيطة، اتفق مع الرئيس «أردوغان» وغالب النخب السياسية التركية في أسبابهم لتغيير النظام السياسي، واعتماد النظام الجمهوري نظاماً للحكم، ولكن ما لا أتفق عليه أن الأغلبية الضئيلة التي مرر بها الدستور الجديد لا تعطي المشروعية القوية لمثل هذا التغيير الاستراتيجي المهم، وكنت أتمنى أن يؤجل هذا التغيير مدة من الوقت؛ حتى يتعافى المجتمع التركي من الآثار الجانبية لانقلاب منتصف ٢٠١٦.

الجدول التالي يوضح بعض أهم إنجازات حكومة حزب العدالة والتنمية وحكومة أردوغان:

جدول يوضح تطور مؤشرات التنمية التركية وإنجازات حكومات حزب العدالة والتنمية الحاكم				
مسلسل	المؤشر	٢٠٠١	٢٠١١	مستهدف ٢٠٢٣
١	التضخم	%٦٨	%٣.٩٠	%١
٢	البطالة	%١٥	%٩	%١
٣	ميزانية البحث العلمي والتطوير	٢.٩ مليار دولار	١٠ مليارات دولار	٣% متوسط GDP
٤	ترتيب الاقتصاد الكلي عالمياً	٢٦	١٦	١٠
٥	الاحتياطي النقدي الأجنبي	٢٢ مليار دولار	٨٢ مليار دولار	٤٠٠ مليار دولار
٦	قروض صندوق النقد	٢٢.٦ مليار دولار	٥ مليارات دولار	٠

٧	ميزانية التعليم ما قبل الجامعي	٦.٥ مليار دولار	٣٤ مليار دولار	٨٠ مليار دولار
٨	متوسط نصيب الفرد من الدخل سنوياً	\$ ٣٠٠٠	\$ ١٠٠٠٠	\$ ٢٥٠٠٠
٩	ميزانية الإنفاق على الرعاية الصحية	٢.٩ مليار دولار	١٤ مليار دولار	٣٥ مليار دولار
١٠	حجم الصادرات	٢٥ مليار دولار	١١٤ مليار دولار	٥٠٠ مليار دولار
١١	ترتيب الاقتصاد الزراعي عالمياً	١١	٨	٥



صورة لأحد الدبابات مساء الانقلاب الذي حاول تنفيذه الجيش التركي يوليو ٢٠١٦ أهم إنجازات أردوغان خلافاً لما ذكرناه سابقاً أنه أبرز الوجه الحقيقي الليبرالي للإسلام، بغض النظر عن المعتقدات السياسية التي قد تكون منطلقاً لتقييم التجربة التركية، فالحقيقة إنها تجربة جديرة بالاحترام، أيا كان تأييدك عزيزي القارئ للديكتاتورية الملكية، أو للديكتاتورية العسكرية، أو الليبرالية العلمانية، أو الاسلام السياسي، أو غيره من الاتجاهات السياسية، فعلياً أن نتبه أن هناك بتركيا قصة نجاح، أعتقد أنها تحتاج إلى دراسات وتحليل لما تحتويه

من دروس وعبر، ففي تركيا أنت حر فيما تفعله بشرط أن لا يؤدي الآخريين، في تركيا يمكن أن ترى بالجامعات الشباب الإسلامية بجوار الشباب الغربية المتحررة. قبل «أردوغان» كانت الحكومات التي تسمى نفسها ليبرالية علمانية تمنع الحجاب! أنت حر في تركيا: في اعتقادك، وملبسك، ومأكلك، ومشربك، وطريقة حياتك. تركيا «أردوغان» أكثر ليبرالية من تركيا التي قبله، في تركيا ممارسة حقوقك السياسية ليس جريمة، كما يحدث في بلاد عربية كثيرة حيث يمثل الانضمام إلى أحد الأحزاب الرسمية عملاً مهدداً للأمن القومي، يقتضي فتح ملف لك بالأجهزة الأمنية، ومراقبتك والتجسس على هواتفك، وفي بعض الأحيان اعتقالك إذا ما اتضح رجاحة عقلك وقوة بيانك وثقافتك، الفرق بين تركيا «أردوغان» وتركيا التي قبله: أن تركيا «أردوغان» دولة مسلمة ليبرالية أخلاقية، وبينما الغرب يستمد أخلاقه من كتابات مثقفيه وأدبائه، بينما تركيا الدولة تستمد أخلاقها وقيمها من تعاليم الدين الإسلامي العظيم.

إن اليوم في تركيا حكومة وطنية، تدعو لمكارم الأخلاق والقيم العليا، وتروج لها وتمنع الترويج لكل ما يدمر أخلاق شعبها وقيمته ويضر أمنها القومي، وأهم أسس الدول القوية «الأخلاق».

في تركيا قبل «أردوغان» كان تحديد النسل سياسة تدعمها الدولة، أما اليوم وفي ظل حكومة حزب العدالة والتنمية فزيادة النسل سياسة تدعمها الدولة؛ لأنها تدرك عظمة زيادة النسل، وأثره في توليد المواهب العقلية، ودعم الطلب المحلي، وزيادة النمو الاقتصادي واتساع الأسواق^(١).

في تركيا دعارة، نعم، ولكنها لا تلقى دعم وتأييد الحكم أو وسائل الإعلام الرسمية، بل يحاربها بما يبثه من أخلاق وقيم وتعاليم دينية بمناهج التعليم منذ مرحلة رياض الأطفال.

نعم في تركيا خمور، ولكن لا تشجعها الحكومة بل تمويل برامج للإقلاع عن إدمانها، والتوعية ضد مشكلاتها الصحية والنفسية والاقتصادية.

(١) إيران أيضاً تشجع على زيادة النسل ورصدت ميزانيات ضخمة من أجل تشجيع الأسر الإيرانية على إنجاب الأطفال مستهدفة الوصول بعدد السكان إلى ١٥٠ مليون نسمة في عام ٢٠٣٠ أو قبله.

نعم في تركيا ملحدين، ولكن هناك أيضًا متدينين. في تركيا شواذ، ولكن الحكم لا يحتفي بهم، ولا يبارك شذوذهم، ولا يوليهم المناصب العليا بالدولة، ولا يحتفي بهم إعلامياً. الحكم في تركيا يؤسس دولة عظمى، أساسها مكارم الأخلاق، وأعمدها الحرية، وتلك رسالة الإسلام وتلك تعاليم السماء.

في أوروبا وأمريكا والديموقراطيات الغربية يتحدث المفكرون وعلماء السياسة والاجتماع والأدباء عن بواذر ومؤشرات انهيار الحضارة الغربية بقيمها التي تطرفت في اتجاه الحريات غير المحسوبة (انظر كتاب الفيلسوف الألماني «اوزوالد شبنجلر» تدهور الحضارة الغربية)، في الدول الغربية حين نقرأ التقارير عن حجم الجرائم التي تحدث أيام الآحاد؛ نتيجة شرب الخمر، فتحمد الله وتشكره كثيراً أن تلك الأمراض الاجتماعية ليست في بلادنا، حين نتكلم عن الخسائر الاقتصادية والصحية والاجتماعية التي يدفعها المجتمع الغربي؛ نتيجة شيوع سلوكيات، الاجهاض إدمان الخمر، والعلاقات خارج منظومة الأسرة، وقيم الشذوذ، وحالات الانتحار، والاعتصاب، وزنا المحارم نتيجة غياب الإيمان والدين، سوف تكتشف حقائق صادمة، وحينها ستقول: الحمد لله على نعمة الإسلام!، سوف تتفاجأ عزيزي القارئ بأن تلك التقارير لا تُنشر في أي وسيلة من وسائل الإعلام؛ بسبب أن هناك مئات المليارات من الدولارات تتحرك في صناعة الدعارة، والخمر والمخدرات، وأدوية العلاج من الأمراض الجنسية، والاكثاب، والتي تنتشر بين مئات الملايين من البشر.

في مجتمعاتنا الشرقية الإسلامية يجب أن تشكر الله على أن غالب أبنائنا أولاد حلال من علاقات شرعية بينما في المجتمعات غير المسلمة ٥٠% أو أكثر من الأولاد نتيجة زنا أي علاقات غير شرعية، ناهيك عن حالات الاجهاض التي تتم سنويا، في أمريكا فقط وخلال الفترة من عام ١٩٧٣ وحتى عام ٢٠١٢ أجريت ٥٥ مليون عملية إجهاض، في أمريكا فقط هناك مليون حالة حمل بدون زواج لمراهقات تحدث سنويا.

هناك قوى وجماعات بالعالم يهملها شيوع القيم والعادات الفاسدة والأخلاق المتدنية وشيوع الرذيلة؛ استعداداً للحظة يمكن فيها السيطرة على

مليارات من قطعان الدهماء، والإمعات، والعامّة الجاهلين، والمرضى النفسيين، والبدنيين، والشواذ، والذين انهكهم اتباع الشهوات بلا انضباط أو اخلاق. في تلك اللحظة سيكون العالم قسمين: قسم: قوي اقتصادياً وعسكرياً واجتماعياً، والآخر: تنخر فيه كل الأمراض الصحية والاجتماعية والأخلاقية، من أجل هذا كتب الكثيرون من أدباء ومفكري الحضارة الغربية متوقعين انهيارها وسقوطها، وبعث الحضارة الإسلامية من جديد^(١)، قوة الحضارة الإسلامية أنها قائمة على ثلاثة أسس، الأساس الأول: ثراء القيم والأخلاق والمبادئ والأفكار الخلاقة، وتلك موجودة. الأساس الثاني: وفرة الموارد الاقتصادية والبشرية وتلك موجودة أيضاً. الأساس الثالث: الإدارة العليا التي تحسن توظيف تلك الموارد لخدمة القيم والأخلاق الواردة بالأساس الأول. وهذا ما تفتقده الأمم الإسلامية اليوم وبالأمس القريب، وعلى موعد معه بالمستقبل لمن هو أهل للإدارة والقيادة.

الخطة التركية هدف ٢٠٢٣-٢٠٥٣-٢٠٧١

في أغسطس عام ٢٠١٤ فاجأ «أردوغان» الأتراك والعالم بخطته التي سماها هدف ٢٠٥٣-٢٠٧١، كانت تلك الخطة جزءاً من برنامجه لرئاسة تركيا، لماذا اختار أردوغان عام ٢٠٥٣ ليكون محور خطته؟

في هذا العام يمر ٦٠٠ عام على فتح إسطنبول (القسطنطينية سابقاً)، يوم فتحت إسطنبول حلم أجداد «أردوغان» بأن تكون تلك المدينة قلب العالم ومحوره ومركز قيادته، استلهم «أردوغان» حلم أجداده وأعلن أن بهذا التاريخ ستقوم الولايات المتحدة التركية والتي تضم دول البلقان عشر دول^(٢)، تلك الدول إجمالي مساحتها ٦٠٠ ألف كم مربعاً، وعدد سكانها حسب إحصاء ٢٠١٤ حوالي ٦٠ مليون نسمة، بالإضافة إلى أذربيجان، وجورجيا، وكردستان، العراق، وسوريا، وفلسطين، وقبرص الشمالية، وتونس، وليبيا. لم يتطرق أردوغان إلى دول كالسعودية، ومصر، والإمارات، ولكن وبذكاء يدركه كل عاقل أن تلك

(١) انظر كتاب كولن ولسون سقوط الحضارة ورواية جورج أورويل المسماة ١٩٨٤.

(٢) (ألبانيا - البوسنة والهرسك - بلغاريا - كرواتيا - الجبل الأسود - كوسوفو - مقدونيا - رومانيا - صربيا - سلوفينيا).

الدول في آخر المطاف إن استمرت بهذا الضعف والخلل الاستراتيجي فلن تملك إلا أن تنضم إلى تلك الدولة أو أن تدور في فلكها. ببساطة «أردوغان» يحلم بإعادة مجد الإمبراطورية العثمانية، ولكن في شكل عصري جديد، يحلم بإضافة عشرات الملايين من الكيلومترات إلى دولته يحلم بمئات المليارات من الثروة، وملايين الكيلو مترات المربعة من الأراضي تضاف إلى الموارد التركية، يحلم بضم أسواق تضم مئات الملايين من البشر تضمن تصريف المنتجات التركية وضمان معدلات نمو لا نهائية، يحلم بنموذج يشابه الاتحاد الأوروبي، تكون تركيا محوره ومركزه، كما هي ألمانيا محور ومركز الاتحاد الأوروبي.

لا ألومه على حلمه، ولكن أحسد تركيا عليه، كم كنا في بلادنا أحوج ما نكون إلى أردوغان المصري، الذي يحلم بإعادة حدود دولتنا التي كانت دوماً عليها، كم كنا أحوج ما نكون لرأس الدولة الذي يحلم ونحلم معه بمصر العظمى، التي كانت عام ١٨٣٩ وهددت تركيا في عقر دارها.

أخيراً، وبعد استعراض أهم عناصر القوة الشاملة للدولة التركية نستطيع أن نخلص إلى ما يلي:-

١- الدولة التركية اليوم ليست دولة رخوة أو ضعيفة، بل دولة لديها نظام سياسي رئاسي ديموقراطي مستقر، يضمن تداول السلطة، وفصلاً كاملاً للسلطات تحظى فيه المؤسسة العسكرية والجهات الأمنية بالاحترام دون تدخل في الأمور السياسية، مع التركيز في الفترة الأخيرة على تقوية الجيش وتحديثه، وتفرغ قيادته لبرامج التطوير المعقدة، وأيضاً إعادة هيكلة الجهات الأمنية بما فيها الداخلية والمخابرات وهيئات محاربة الفساد، وتحديث القوانين التي تحكمها، وإمدادها بأحدث الأجهزة والمعدات والإمكانيات الفنية. كما أنها دولة ذات بنية اجتماعية جيدة وقوة ثقافية وعلمية ممتازة، ولديها برامج رائدة لمحاربة الفقر والضعف الاجتماعي والصحي، ودعم الشباب، والبنية التعليمية، والأبحاث العلمية، حركة التطهير الواسعة التي يديرها أردوغان وحزبه ستزيد من قدرة الدولة على مواجهة أعدائها الخارجيين وجماعات المصالح الداخلية الفاسدين.

- ٢- الدولة التركية لديها اقتصاد قوي، وحكومة ذات قدرات سياسية وعلمية متميزة، أثبتت كفاءتها ورؤيتها السديدة، فكلما حاول الغرب محاصرة تركيا وإيران وكبح جماح تقدمهم كان هذا في مصلحة البلدين؛ حيث تخطط البلدين لزيادة حجم التبادل التجاري بينهما إلى ٣٠ مليار دولار سنوياً، وهو الأمر الجيد وفي صالح البلدين المسلمين الكبارين، أيضاً العراق تمثل سوقاً آخر مهماً لتسويق منتجات المصانع التركية والحفاظ على معدلات النمو المطلوبة لتحقيق خطط «أردوغان» ٢٠٢٣ و ٢٠٥٣.
- ٣- الدولة التركية لديها أهداف قومية واضحة، تركز على موارد اقتصادية وبشرية وعلاقات سياسية جيدة تجعل من السهل بلوغ تلك الأهداف.
- ٤- الدولة التركية تتمتع اليوم بأفضلية اقتصادية وسياسة وعسكرية وعلمية عن باقي دول منطقة الشرق الأوسط، بما فيها إسرائيل إذا ما أخذنا حجم الاقتصاد الكلي وتنوعه ومتانة أنظمة الدولة ومؤسساتها، وأيضاً القدرات النووية الاستراتيجية تحت إمرة جيشها لتأكد لنا هذا بوضوح شديد ليس فيه لبس.
- إن مصادر التهديد التي تهدد الأمة التركية وتحد من طموحها ما يلي :-
- ١- بقايا الدولة العميقة، وما تمثله من إرث تاريخي لأصحاب المصالح، والتي تحاول إقصاء الحزب الحاكم واستعادة مناطق نفوذها وسيطرتها.
 - ٢- الحرب السورية، وما تمثله من تهديد بمواجهات مسلحة مع حكومة دمشق أو تنظيم الدولة وميليشيات حماية الشعب الكردي بسوريا.
 - ٣- تدهور العلاقات مع كل من روسيا وإيران، والتي قد تتطور إلى مواجهات مسلحة في مناطق التماس بسوريا والعراق.
 - ٤- التباطؤ الاقتصادي العالمي، وحدوث أزمة ديون أوروبية أخرى.
 - ٥- انزلاق العالم نحو حرب عالمية ثالثة، بالتأكيد ستكون تركيا جزءاً رئيساً فيها؛ بحكم عضويتها في حلف شمال الأطلسي، وتحكمها في طرق التجارة والممرات البحرية الروسية.
 - ٦- تسخين الأوضاع في المناطق الكردية، وإشعال الحرب من جديد بين حكومة أنقرة وحزب العمال الكردستاني.

٧- تجدد الصراع مع اليونان بشأن القضية القبرصية وانزلاق تركيا في حرب إقليمية حقيقية.

٨- استمرار حالة الفتور مع إسرائيل ليس في صالح الدولة التركية؛ لما يمثله هذا من فقد للتعاون الاستخباراتي المهم مع إسرائيل فيما يخص المنظمات الإسلامية المتطرفة في جميع أنحاء العالم، وأيضًا يضع الحكومة الحالية تحت ضغط إعلامي من قبل المؤسسات الإعلامية التابعة للدولة اليهودية أو الماسونية العالمية، كما أن حالة الفتور الحالية ليست في صالح عملية نقل التكنولوجيا المتطورة التي تتبناها الحكومة التركية، والتي تعد إسرائيل أحد مصادرها، خاصة في مجال تكنولوجيا الفضاء والطاقة النووية، وصناعة الأدوية وأبحاث الهندسة الوراثية، والكيمياء، وصناعة البرمجيات، والإلكترونيات، والأسلحة، والعلوم الإنسانية، بالإضافة إلى تأثر التدفقات الاستثمارية الأجنبية المهمة لضمان نمو مناسب للاقتصاد التركي، كما أن لإسرائيل علاقات متميزة مع القيادات الكردية في سوريا والعراق، فتور العلاقات يضع تلك العلاقات خارج التفاهات الضرورية والمهمة لضمان عدم تجاوز علاقات إسرائيل بالكرد آفاق أوسع قد تهدد الأمن القومي من منظور تركي.



عناصر القوة الشاملة لدولة إسرائيل

القوة البشرية (السكان)



صورة حديثة لأحد المستوطنات اليهودية

إسرائيل تبدو دولة صغيرة من حيث المساحة وعدد السكان ولكن سوف تُصدم عزيزي القارئ عندما تعلم أنها دولة إقليمية كبرى، ذات ترتيب متقدم عالمياً في معظم المؤشرات المهمة وبخاصة في مجال العلوم، والتكنولوجيا، والاستخبارات، والقدرات الحربية، والإعلام، والتنمية البشرية، وخدمات الرعاية الصحية، والاجتماعية التي تقدم لمواطنيها، ولن نكون مبالغين إذا قلنا إنها دولة عظمى بدخولها نادي الدول الكبرى، التي تمتلك السلاح النووي، وتكنولوجيا دورة الوقود النووي، وتطبيقات العلوم الذرية، وعلوم الفضاء منذ ستينات القرن الماضي.

مساحة إسرائيل ٢٢ ألف كم مربعاً أي ثلث مساحة سيناء تقريباً و٢% من مساحة مصر، يبلغ عدد سكان إسرائيل ٨.٢ مليون نسمة (٢٠١٤) أي تقريباً ٨% من عدد سكان مصر، يمثل اليهود منهم ٧٦%، والعرب ٢٠% والباقي جنسيات

أخرى، كما يشكل من يدين بالديانة اليهودية ٧٦%، والمسلمون ١٧%، والمسيحيون ٢% والدروز ١.٨%، والباقي علمانيون، وديانات أخرى كالبهائية، تمثل قوة العمل ٤٩% من عدد السكان.

يمثل اليهود القاطنون بإسرائيل نسبة ٤٥% من يهود العالم، نسبة الأمية في إسرائيل ٢.٩%، ويعتبر التعليم إلزامياً من سن ثلاث سنوات حتى ١٨ عاماً، كما يعمل بقطاع البحث العلمي والتعليم الإسرائيلي ما نسبته ٣٣% من إجمالي القوة العاملة في إسرائيل، تنفق إسرائيل على التعليم بكل أشكاله ودرجاته بما فيه التعليم الجامعي ٢٤ مليار دولار سنوياً ترصد له الحكومة في ميزانيتها ١٢ ملياراً (٤% من إجمالي الناتج القومي) والباقي يأتي من المؤسسات الخاصة والأهلية (٢٠١٤).

أما التعليم العالي فيعد من أرقى أنواع التعليم الجامعي بالعالم، (حاييم) ويزمان أحد الآباء المؤسسين لدولة إسرائيل هو من أسس نموذج التعليم الجامعي بإسرائيل مشابهاً للنموذج الألماني، رابطاً مخرجاته بحاجات السوق وتطور الدولة اقتصادياً وعسكرياً.

تعتبر إسرائيل رابع دولة في العالم بعد كندا وأمريكا وروسيا في عدد حاملي الشهادات العليا كنسبة من عدد السكان، وتحتل الجامعات الإسرائيلية ترتيباً متقدماً بين جامعات العالم حيث اندرجت ست جامعات إسرائيلية ضمن أفضل مائة جامعة بآسيا، ويوجد أربع جامعات ضمن أفضل ١٥٠ جامعة بالعالم طبقاً لتصنيف «جياو تونغ شانغهاي» الأكاديمي وثلاث جامعات ضمن تصنيف مجلة «التايمز» لأفضل ٢٠٠ جامعة بالعالم ٢٠١٤، تعتبر الجامعة العبرية ومعهد «التخنيون»، وجامعة «تل أبيب» قبلة راغبي الحصول على أرقى تعليم عالٍ عالمي بمجالات العلوم النووية والكيمياء والاقتصاد وتكنولوجيا الحاسبات والمعلومات، وتستقبل تلك الجامعات طلاباً من دول العالم المتقدم للدراسة بهم ضمن برنامج للتبادل العلمي بين إسرائيل وتلك الدول وبخاصة أمريكا، أنتجت إسرائيل ٢١ ألف بحث علمي في عام ٢٠١١، بينما كان إنتاج العالم العربي كله بما فيها مصر ١٠ آلاف بحث، وهذا يعطي تصوراً لحجم المؤسسات العلمية لدى إسرائيل وإمكانياتها البشرية والمادية؛ لهذا تحتل إسرائيل المرتبة ١٥ عالمياً في مجال

البحث العلمي، كما أنه في عام ٢٠١٢ تقدمت إسرائيل لتسجيل ١٤٠٠ براءة اختراع لمنظمة «ويبو» العالمية لتسجيل براءات الاختراعات، بينما كان نصيب العالم العربي كله ٥٠٠ طلب نصفه من المملكة العربية السعودية^(١)، إسرائيل تسهم بنسبة ١% من إنتاج المعرفة بالعالم بينما الوطن العربي كاملاً - بما فيه مصر- ينتج ٠.٠٠٠٠٢% أي أن إنتاج إسرائيل أكبر بـ ٥٠٠٠ مرة، أيضًا تهتم إسرائيل باجتذاب أهم الكفاءات العلمية من الخارج حيث بلغ عدد الأساتذة الأجانب العاملين بجامعةاتها ٦٥% من إجمالي عدد الأساتذة العاملين بجامعةاتها الثماني. بينما هاجر من مصر أكثر من ٥٠٠ عالم، وخبير متميز في علوم الهندسة النووية، والفيزياء، والليزر، والإلكترونيات، والكيمياء، وعلوم الفلك، والزلازل، والهندسة الوراثية، والجيولوجيا، والطب وتكنولوجيا المواد. إسرائيل عندها تسعة علماء حاصلين على نوبل، منهم ستة في الكيمياء والاقتصاد، وواحد في الأدب، واثنان في السلام، بينما يوجد ثلاثة فقط للعالم العربي، منهم واحد في الكيمياء دكتور احمد زويل وهو مصري بحكم الجنسية، ولا علاقة للأبحاث التي حصل بسببها على الجائزة بأي بنية تحتية علمية مصرية، واثنان في السلام مصريان أيضًا، هما: الأديب الكبير النابه نجيب محفوظ، والقانوني والتنفيذي البارز بالأمم المتحدة دكتور محمد البرادعي.

متوسط إنفاق إسرائيل على التعليم والبحث العلمي للفرد حوالي ١٣٠٠ دولار سنويًا، بينما في العالم العربي ١٢ دولارًا لكل نسمة، كما أن الأبحاث العلمية الإسرائيلية لها تقدمها ومصادقتها ودقتها عن تلك الأبحاث التي يقدمها العالم العربي كله بما فيها مصر.

على موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية كتب «د. ايلي أوبر» كبير علماء وزارة الصناعة والتجارة الإسرائيلي مقالًا بعنوان الابتكارية خلاصة التفوق الإسرائيلي، حيث قال: إذا كانت ثمة صفة واحدة تميز إسرائيل من حيث قدرتها

(١) بلغ عدد براءات الاختراعات التي أصدرها مكتب براءات الاختراع والعلامات التجارية الأمريكي منذ تأسيسه وحتى عام ٢٠١٥ حوالي ٦ ملايين براءة اختراع منهم ٢٦ ألف براءة لإسرائيل و١٥١٣ براءة اختراع للمملكة العربية السعودية و٢٧٥ براءة اختراع لمصر و١٢٠٠ براءة لباقي الدول العربية.

على البقاء، والدفاع عن نفسها، وتحقيق نمو اقتصادي مرتفع، فهي ثقافة الابتكار والتجديد التي يتحلى بها المجتمع، ويساعد على ذلك مناخ الحرية والديموقراطية التي تمثل قيمة أساسية ومهمة في حياة المواطنين وأعمال الحكومة.

حيث وبالارتقاء بجودة المواطنين Citizens Quality تمكناً من قيادة البلاد بالتفكير الخلاق والمبدع؛ لكي تكون ضمن مقدمة دول العالم حيث أصبح الإسرائيليون الأعلى عالمياً في إنتاج المقالات العلمية ١٠٩ مقالات لكل عشرة آلاف مواطن، وقد مكنتنا الموارد البشرية الراقية من تحقيق الإنجازات التالية:-

١- أن نحقق صادرات قدرها ٤٠ مليار دولار سنوياً، عن طريق ابتكار خامات وسبائك متقدمة، تستخدم في صناعة الطائرات والسيارات من مواردنا التعدينية النادرة في البحر الميت.

٢- أول ذاكرة حاسوب محمول Disk - on - key بالعالم كانت من صنع إسرائيل.

٣- أول برنامج دردشة على شبكات الإنترنت كان البرنامج الإسرائيلي ICQ.

٤- أول محطة كبرى لتوليد الطاقة الشمسية بالشرق الأوسط كانت في إسرائيل شمال البحر الميت، وقامت بإنشائها شركة «أورمات»، كما تعد شركة CHROMAGEN الإسرائيلية ضمن أهم شركات العالم المتخصصة في هذا المجال، بالإضافة إلى شركة LUZ التي أسسها الإسرائيلي «أرنولد غولدمان» في كليفورنيا عام ١٩٨٤، والتي أقامت أكبر مجمع لإنتاج الطاقة الشمسية بالولايات المتحدة.

٥- مركز التطوير الرئيس للهواتف الخلوية «لموتورولا» كان في إسرائيل.

٦- مركز الإنتاج والتطوير الرئيس لشركة «إنتل» المنتجة لرقائق الحواسيب البتتوم MMX في إسرائيل.

٧- طورت شركة ميكروسوفت معظم عناصر نظاميها NT & XP في إسرائيل.

عموما تتميز إسرائيل في المجالات العلمية الآتية:-

١- الكمبيوتر وصناعة المعلومات والبرمجيات:

حيث بلغت صادرات إسرائيل من هذا المجال ١٨ مليار دولار (٢٠١٤)،

وتتملك إسرائيل ٢٠٠ شركة كبرى تعمل بهذا المجال أهمها شركة Accesent التي يبلغ رأسمالها ١٦ مليار دولار، ويكفي أن يعلم القارئ أن هناك شركة إسرائيلية صغيرة تسمى Cellebrite .

تتعاون مع الدول والحكومات العالمية في مجال فك شفرات أجهزة الحاسب الآلي والموبايلات الذكية، وفي نهاية عام ٢٠١٥ تعاقدت وكالة المخبرات المركزية الأمريكية معها لفك شيفرة الآي فون بالغة التعقيد؛ لتمكينها من مراقبة أنشطة العديد من أهدافها التي تستخدم هذا النوع من الهواتف بالغة التطور، أيضًا مما هو معروف أن شركة البيت الإسرائيلية هي من تصنع خوذة الطيار بالمقاتلة الأمريكية الأكثر تطورًا بالعالم إف ٣٥، والخوذة ليست خوذة عادية بل هي وحدة حاسوب كاملة تتيح للطيار التحكم الكامل بالطائرة وأداء مهامه بنظرات العين وبصمة الصوت.

٢- علوم الذرة وتقنياتها:

حيث تعتبر إسرائيل دولة متقدمة جدًا في المجال النووي، ويكفي الإشارة إلى احتكار إسرائيل ما نسبته ٩٥% من تجارة الماء الثقيل (أكسيد الديوتيريوم) المستخدم لإنتاج الطاقة النووية على مستوى العالم، كما تمتلك تكنولوجيا تخصيب اليورانيوم باستخدام الليزر، وهي تكنولوجيا متقدمة جدًا لا تملكها إلا دول متقدمة معدودة بالعالم، تتميز أنها رخيصة وسريعة حيث يمكن تخصيب ٧ جرامات من اليورانيوم ٢٣٥ في أقل من يوم واحد بنسبة تخصيب ٦٠%، يعني لو لدينا ١٠٠٠ جهاز من هذا النوع فيمكننا امتلاك ما يكفي لصنع سلاح نووي من اليورانيوم عالي التخصيب ٩٠% في يوم أو يومين، ولو لدينا مائة جهاز فقط لأمكننا إنتاج ما يكفي لصنع سلاح نووي في أقل من شهر^(١).

٣- علوم الفضاء وتطبيقاته:

ترتبط مؤسسات تكنولوجيا الفضاء الإسرائيلية بروابط وثيقة بوكالة الفضاء الأمريكية ناسا NASA، ووكالات الفضاء الفرنسية CNES، والألمانية DARA،

(١) تحتاج القنبلة النووية الصغيرة ٦ كيلوجرامات من اليورانيوم ٢٣٥ عالي التخصيب ٩٠%.

والأوروبية ESA، وقد اشترت إسرائيل جانبًا كبيرًا من مجمع الفضاء السوفيتي السابق في كازاخستان؛ لكي يكون قاعدة لإطلاق أقمارها الصناعية المتنوعة، ويكفي أن تعلم أن إسرائيل تصدر للعالم كله أرقى كاميرات التجسس وأكثرها دقة، والتي تستخدم في الأقمار الصناعية بأنواعها التجارية والعسكرية، وبصفة عامة لدى إسرائيل القدرة على تصنيع الأقمار الصناعية بكافة أنواعها ووسائل إطلاقها ومراكز التحكم والسيطرة وتحليل المعلومات في مصنع MBT.

٤- العلوم الطبية والبيولوجية:

تمتلك إسرائيل أكثر من ١٥٠ شركة تعمل في مجال صناعة الدواء والتكنولوجيا الطبية برأس مال يتجاوز ٤٠ مليار دولار، وتعد إسرائيل المنتج الرئيسي في العالم لأدوية السرطان والقلب والإيدز، وتحتل شركات الأدوية الإسرائيلية مرتبة متقدمة بين أهم شركات الأدوية العالمية، مثل شركة طيفح التي تحتل المرتبة ١٨ بين أكبر شركات الأدوية بالعالم بقيمة سوقية ٥٠ مليار دولار.

من المعلوم والواضح والثابت أن إسرائيل تستفيد جيدًا من مواردها البشرية وبرامجها العلمية المتقدمة والتميزة؛ في اكتساب نفوذ سياسي عالمي واسع ويسهل من إمكانيات التعاون السياسي والعسكري والاقتصادي مع دول العالم، كما أن التقدم العلمي البشري الإسرائيلي يتيح لها قدرات متميزة في توقع مصادر التهديد، وتوفير إنذار مبكر ضد أي تهديد لأمنها القومي، ويسهل من أدوات الاتصال والتواصل أوقات الأزمات، أيضًا تستفيد إسرائيل من الإمكانيات العلمية والبشرية المتميزة لمواطنيها في الولوج إلى أسواق التكنولوجيات العالية ذات العوائد السياسية والاقتصادية المجزية، كما يتيح إمكانيات التبادل العلمي بينها وبين دول العالم المتقدم والحصول على ما يلزمها من التكنولوجيا ونفوذ سياسي واقتصادي.

وهنا يحضرني ما قام به الرئيس الإسرائيلي السابق «شمعون بيريز» في ستينات القرن الماضي، حيث قدم للولايات المتحدة حلولاً علمية لتلافي عيوب طائراتها المقاتلة الرئيسية في ذلك الوقت الفانتوم F-4، مكنته من الحصول على تلك المقاتلة المهمة لأمن بلاده بعد أن رفضت الولايات المتحدة طلبه عدة مرات، وللعلم شاركت تلك المقاتلة في حرب الاستنزاف بداية من عام ١٩٦٨ وأيضًا في حرب أكتوبر وأبليت بلاءً حسنًا.

ويحضرني أيضًا -للدلالة على عبقرية القادات السياسية الإسرائيلية في توظيف إمكانياتها العلمية لخدمة باقي عناصر قوتها الشاملة- واقعة شهيرة حدثت في عام ١٩٧٨ حيث فضح «موشي ديان» وهو مخمور وزير خارجية إسرائيل بذلك الوقت علاقات إسرائيل السرية مع نظام «منجستو» الذي تولى حكم أديس أبابا منذ عام ١٩٧٤، فما كان من مجستو إلا أن طرد جميع الإسرائيليين من إثيوبيا، ولم تعد العلاقات مرة أخرى إلا في عام ١٩٨١؛ حيث أقنع وزير العمل الإثيوبي «كاسا» رئيس الوزراء الإثيوبي «منجستو» بالاستعانة بخبير إسرائيلي يعد الأفضل عالمياً في مجال استصلاح الأراضي المالحة، وكانت إثيوبيا بحاجة إليه لإنشاء مدرسة ثانوية؛ لتعليم مواطنيها تلك الأساليب في أحد مناطقها الزراعية المعروفة بارتفاع ملوحة أراضيها، وبالفعل سافر «كاسا» إلى «نيروبي» وقابل رئيس عمليات الموساد هناك، وتم عمل اللازم وعادت العلاقات الإسرائيلية الإثيوبية أفضل مما كانت.

أيضاً هناك برنامجان مهمان ضمن برامج ومبادرات عديدة لدعم المجتمع البحثي والابتكاري بالدولة، البرنامج الأول: هو صندوق تحمل مخاطر الاستثمار في مجال الأبحاث التي يستحيل اجتذاب ممولين لها قبل نضوجها، وتبلغ ميزانيته ٥٠٠ مليون دولار سنوياً، ومن أهم إنجازاته دعم شركة Given Imagining في تطوير أول كاميرا فيديو متناهية الصغر، تُبتلع كقرص دواء لتشخيص أمراض الجهاز الهضمي، وهو مشروع يدر دخلاً لإسرائيل قدره ١٠٠ مليون دولار سنوياً، أيضاً دعم شركة الفاريون التي تعتبر أهم شركات العالم في تقديم شبكات الاتصالات اللاسلكية عبر النطاقات العريضة وتصدر إنتاجها لخمسة وثلاثين دولة بإجمالي حجم صادرات ٣٠٠ مليون دولار.

أما البرنامج الثاني: فهو برنامج الحضانات التكنولوجية، حيث قام البرنامج منذ عام ١٩٩١ برعاية أكثر من ألف مشروع بحثي تمكنت من استقطاب استثمارات قدرها ٢ مليار دولار، وتوظيف أكثر من خمسين ألف باحث وعالم ومتخصص في مختلف المجالات.

يقول الدكتور «مائير تسادوك» مدير الأكاديمية الإسرائيلية للعلوم والآداب: إن النجاح العلمي المحقق لإسرائيل يرجع إلى المعايير الصارمة التي يتم اتباعها

في تقييم عمل العلماء الإسرائيليين، والتنافس على المناصب يتزايد باستمرار بينما شروط الترقى صارمة جداً، فيجعل ذلك العلماء يجتهدون كثيراً، كما أن تقاليد المجتمع العلمي الإسرائيلي قوية للغاية وتقوم على الابتكار والنبوغ والتفوق.

عموماً تتمتع إسرائيل بقوة بشرية متميزة ذات تعليم ودخل مرتفع ومؤسسات أبحاث متقدمة وعالمية، إلا أن عدد السكان القليل والمساحة المحدودة يهدد وجودها في أية حروب إقليمية واسعة طويلة المدى، حيث يعتمد الجيش الإسرائيلي على قوات الاحتياط في المواجهات مع أعدائه، الأمر الذي يمثل عبئاً على مرافق الإنتاج بالدولة، ويصيبها بالشلل طيلة فترة المواجهات؛ لهذا يبقى العنصر البشري رغم تميزه علمياً ومادياً وثقافياً عن باقي دول المنطقة وقت السلم يضيف للدولة تميزاً تقنياً وتكنولوجياً، إلا أنه يتحول وقت الحرب إلى نقطة ضعف حقيقية في منظومة القوة الشاملة للدولة، وعلى الدولة اتخاذ خطوات جادة نحو زيادة النمو السكاني وجذب ملايين اليهود من خارج إسرائيل، بالإضافة إلى أن لحكومة تل أبيب سجالاً غير مشرف فيما يخص حقوق العرب وما يتعرضون إليه من مدهامات عشوائية ومصادرة أراضي وأملاك، وهذا يهدد تماسك الكتلة السكانية وقت الحروب والأزمات، كما أن التمييز الواضح بين السكان بناء على معتقداتهم الدينية أو أصولهم وجذورهم العائلية واضح وبخاصة في الوظائف العليا بالدولة، حيث يتميز اليهود من أصول غربية عن اليهود من الأصول الشرقية.

القوة الاقتصادية

إسرائيل دولة متقدمة على كافة الأصعدة ومنها الاقتصاد، منذ تسعينات القرن الماضي تُصنف إسرائيل ضمن اقتصاديات العالم المتقدم، وتتضمن تقارير المنظمات الدولية إسرائيل كدولة متقدمة غير واردة بالتقارير التي تصدرها تلك المنظمات عن باقي دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، حيث ستعتبر المقارنة ظالمة وتبدو كمن يقارن مؤشرات دولة كبرى كاليابان مع دولة أخرى صغيرة مثل جيبوتي، اعتباراً من عام ٢٠١٢ تحتل إسرائيل المراكز بين ١٦-١٩ في ترتيب التنمية البشرية للأمم المتحدة الأمر الذي يضع اقتصادها في ترتيب فئة اقتصاد السوق المتطور للغاية، وهو تصنيف له معايير وشروط تتعلق بالبنية التشريعية

الاقتصادية، وآليات اتخاذ القرارات وقوة ومتانة وحدثة أنظمة الدولة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولعلم القارئ أن دولة مثل الصين تتفاوض حالياً لنيل هذا الوصف لاقتصادها، ومنتوق أن تحققه بحلول عام ٢٠٢٠. يبلغ الناتج المحلي الاسمي الإجمالي لإسرائيل في عام ٢٠١٤ ٣٠٥ مليار دولار، وللدلالة على قدرة الاقتصاد الإسرائيلي أنه أحد الاقتصاديات المتقدمة القليلة التي لم تتأثر بالأزمة العالمية ٢٠٠٨.

تشمل القطاعات الرئيسية للاقتصاد الإسرائيلي :-

- الصناعات العسكرية والخدمات الأمنية^(١)، حيث تصدر أكثر من ٥٠٠ نوع سلاح إلى أكثر من ستين دولة، وتشمل قائمة المنتجات العسكرية المسموح بتصديرها قطع غيار الطائرات الأمريكية، والألغام بأنواعها، وأجهزة الاتصالات والإعاقة والتصنت، وأجهزة الرؤية الليلية والتصوير الجوي، والرشاشات وبنادق القتال والدبابات، ونظم الرادارات طراز ألفا والصواريخ أرض جو، وجو جو الطائرات بدون طيار «سكوت» وطائرات النقل «ارافو» وطائرات التدريب (ATG) والاستطلاع «هارون»، والزوارق الحربية السريعة طراز «سوبر دنورا»، والأقمار الصناعية طراز «افق» و«عاموس». كما تنتشر البندقية المتطورة «تافور-٢١» بين أهم أطقم الحراسات والقوات البرية بالعالم، بالإضافة إلى الرشاش الشهير «عوزي»، نعتقد أن رقم الصادرات الحقيقية العسكرية الإسرائيلية أكبر من هذا ويتراوح بين ١٥-٢٠ مليار دولار سنوياً.
- التكنولوجيا الفائقة، مثل: البرمجيات، الحواسيب، أشباه الموصلات، النانوتكنولوجي، الاتصالات وأجهزة التصنت والتشويش وحماية الشخصيات المهمة^(٢)، الأدوية الحيوية خصوصاً أدوية الإيدز والقلب والسرطان، كاميرات المراقبة والأجهزة البصرية ومكونات الاقمار الصناعية.
- الأجهزة الطبية والتراكيبات والأسنان الصناعية.

(١) تصدر إسرائيل بما يقارب الـ ١٠ مليارات دولار أسلحة ومعدات عسكرية سنوياً، وتحتل المركز الثامن في أهم الدول المصدرة للأسلحة والمعدات العسكرية بالعالم.

(٢) معظم أطقم الحماية لرؤساء العالم وعلى رأسهم الزعماء العرب تستخدم أجهزة اتصالات وإعاقة وشوشرة ومركبات مصفحة صناعة إسرائيلية وأشهرهم رئيس وزراء لبنان الأسبق رفيق الحريري.

- السياحة (ثلاثة ونصف مليون سائح سنوياً).
 - المواد الكيماوية والطبيعية، وأهمها: الرمال، والحجر الصخري، والجبس، والبوتاس، والمغنسيوم، والزيت الصخري، والغاز الطبيعي.
 - الألماس، تصدر إسرائيل ما يقدر بـ ١٦ مليار دولار سنوياً، ويتحكم اليهود عموماً في تجارة الماس عالمياً حيث تتحكم الشركات اليهودية في كامل منظومة التجارة، بداية من المناجم في وسط وجنوب إفريقيا إلى الصقل والتصنيع إلى البيع والتوزيع حجم الانتاج السنوي قدره حوالي ٢٦ طنًا من الحجاره الكريمة ما يعادل ١٣٠ مليون قيراط.
 - المواد الغذائية والتبغ والمشروبات.
 - سيارات النقل والمقطورات والصناعات الهندسية الثقيلة.
- ومما يجدر الإشارة إليه، أن إسرائيل وشركاتها المتخصصة في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والحاسب ثاني أكبر مُنتج لتلك التكنولوجيات على مستوى العالم بعد وادي السيلكون في كاليفورنيا بالولايات المتحدة، وكانت إسرائيل أول مركز للأبحاث والتطوير خارج الولايات المتحدة لشركات مهمة، مثل: إنتل وميكروسوفت، وأبل، وقبلها موتورولا. كما تحتل الشركات الإسرائيلية المركز الثالث على مؤشر «ناسداك» كعدد شركات مدرجة بأهم بورصة لشركات تكنولوجيا المعلومات بالعالم.
- في عام ٢٠١٠ انضمت إسرائيل إلى منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، ووقعت اتفاقيات للتجارة الحرة مع الاتحاد الأوروبي، والولايات المتحدة، وتركيا، والمكسيك، وكندا، ومصر. كما أن إسرائيل عضو في الرابطة الأوروبية للتجارة الحرة. وتعد دولة إسرائيل أول دولة خارج أمريكا اللاتينية تشترك في اتفاقية التجارة الحرة مع كتلة الميركوسور.
- يتميز الاقتصاد الإسرائيلي بأنه اقتصاد معرفي، ترتبط فيه مراكز الأبحاث والجامعات وكافة الطاقات العلمية الإسرائيلية بمكونات الاقتصاد الصناعي والزراعي والخدمي وكلاهما يدعم الآخر، ويكفي أن نعلم أن دولة الإمارات انتبعت لهذا مؤخرًا فبادر الشيخ «محمد بن راشد» رئيس وزرائها اعتباراً من عام ٢٠١٥ بتدشين خطة تكلفتها ٣٠٠ مليار دولار لتحويل اقتصادها ليكون مشابهاً

للاقتصاد الإسرائيلي، وكذلك يتحدث ولي العهد السعودي «الأمير محمد بن سلمان» عن الأمر نفسه ويتحدث عن خطة شبيهة تتكلف ٦٠٠ مليار دولار، بينما في إيران فقد بدأ الأمر مبكراً منذ ٢٠٠٣ وهو ما مكنها من مواجهة الحصار الاقتصادي الغربي المفروض عليها، والاعتماد ذاتياً على إمكانياتها الذاتية وطاقتها العلمية والبحثية في دعم اقتصادها بمختلف مكوناته، وحل مشكلاته بالجهود المحلية وخاصة في التصنيع العسكري، أما تركيا فقد بدأت في ٢٠٠٢ الأمر نفسه مما رفع من مستوى جودة الصادرات التركية، وأسهم في نموها حتى بلغت ما يقارب ٨ أضعاف الصادرات المصرية، بينما في مصر لا يوجد أي خطط أو حتى اتجاه حكومي حتى الآن لتحويل الاقتصاد إلى اقتصاد المعرفة، حيث مازالت التوجهات الحكومية تتأرجح بين نماذج اقتصاديات خمسينات وستينات وسبعينات القرن الماضي، أو خليط مشوه مما سبق، وحيث تزامن الحكومة والجيش القطاع الخاص، ومازالت الحكومة المصرية تسوق السكر والزيت والصابون واللحوم والدواجن والأسماك والخضراوات والخبز والأجبان وكعك العيد والزبدة الفلاحي!!! ومازالت الحكومات المتعاقبة تتخط منذ ثورة ١٩٥٢ في توجهاتها الاقتصادية، دون أمل في قرارات استراتيجية جادة علمية رزينة تؤسس لاقتصاد قوي ذي ملامح واضحة وسياسات ثابتة تعتمد على مبدأ الشفافية.

رغم أن إسرائيل دولة صغيرة المساحة قليلة عدد السكان إلا أنها تحقق اكتفاءً ذاتياً من الحاصلات الزراعية عدا الحبوب، وتمثل الصادرات الزراعية نسبة ٤% من إجمالي الصادرات، كم يمثل الاقتصاد الزراعي ٣% من الناتج المحلي الإجمالي.

تاريخياً وعلى مدار عمر الدولة تعاقبت حكومات قوية، وذات خبرات سياسية وعملية عالية، أسهمت في استمرار تقدم الاقتصاد وتنوعه ومرونته، وكانت دائماً الإمكانيات البشرية والعلمية تمد الاقتصاد وتشحنه بموارد لا تنضب من الكفاءات البشرية ساعدتها التعويضات الألمانية (خطة الـ ٢٠٠٠ مصنع عالي التكنولوجيا)، والمساعدات الأمريكية ودعم يهود الخارج، والهجرات التي أتت

إلى الدولة في الخمسينات والستينات والتسعينات في تخطي أزمات إقليمية عديدة، وتجنب الاقتصاد ضغوط تضخمية أو انكماشية لفترات طويلة نتيجة الحروب والأزمات العالمية، ومنذ عام ٢٠٠٠ وحتى الآن تُحقق إسرائيل معدلات نمو اقتصادي متوسط ١٠%، الأمر الذي مكنها من مضاعفة ناتجها المحلي الاسمي الإجمالي أكثر من الضعف في أقل من عشر سنوات، تمثل الصادرات عالية التكنولوجيا ٤٤% من جملة الصادرات، تذهب غالبها إلى الهند والصين (إسرائيل تحتل المركز الثالث على العالم من حيث عدد الشركات المدرجة بمؤشر «ناسداك»)، والصادرات متوسطة التكنولوجيا ٣٧% من إجمالي الصادرات البالغة ٦٠ مليار دولار ٢٠١٤^(١). في أثناء زيارة رئيس وزراء إسرائيل نتنياهو إلى الصين في بداية عام ٢٠١٧ وتحديدًا في شهر مارس بمناسبة مرور خمس وعشرين عامًا على العلاقات الصينية الإسرائيلية، وقف متباهيًا أمام الرئيس الصيني يخاطبه في موقف الند للند قائلاً إن بلدنا عظيمتان، أنتم تحتاجوننا في مجالات عديدة، وتحتاجون التكنولوجيا والعلم المتقدم الذي تتمتع به دولتنا، نستطيع أن نمدمكم بهما في صورة صادرات عالية القيمة التكنولوجية من خلال شركاتنا القوية، ونحن نحتاجكم في مجالات عديدة أخرى؛ لهذا فإنني اليوم أتطلع إلى تأسيس علاقات أكثر تطورًا ووثوقًا لمصلحة البلدين، فيرد عليه الرئيس الصيني، بنعم الصين واسرائيل تتمتعان بمزايا تكميلية وان التقنيات الاسرائيلية تستخدم بكفاءة وكثافة بالاقتصاد الصيني بمجالات عديدة مثل الزراعة والمياه والتكنولوجيا والصحة وحماية البيئة، في بلادنا تستخدم المنتجات الإسرائيلية في مجالات كثيرة وعلى نطاق واسع^(٢)، بينما إذا ما طالعنا نتائج زيارات قادة الدول العربية فلا يملكون ما يقدمونه إلى الصين إلا فواتير شراء بمليارات الدولارات، من المنتجات الصينية، تسهم في زيادة الفجوة التجارية لصالح الصين.

(١) صادرات مصر ٢٦ مليار دولار أغلبها منتجات زراعية وبتروكيماويات ومواد بناء منخفضة المحتوى التكنولوجي.

(٢) تتفاوض إسرائيل والصين حاليًا على اتفاقية تجارة حرة، ترفع فيها القيود على الصادرات والواردات بين البلدين بشكل كامل، كما ومنذ العام ٢٠٠٩ قام البلدين بإنشاء واحة التكنولوجيا الصينية الاسرائيلية في منطقة فاوشين بمقاطعة تشينغداو.

رغم الإنجازات الواضحة للاقتصاد الإسرائيلي إلا أن معدل الفقر يبقى المشكلة الأهم للحكومة الإسرائيلية (٢٠%)، حيث تحتل إسرائيل المركز الأول في أعلى معدلات الفقر بين الدول المتقدمة، بينما تحتل المركز الرابع بين أسوأ الدول المتقدمة في توزيع الدخل بين فئات المجتمع، وسابع أدنى إنفاق حكومي على الخدمات الاجتماعية حسب تقرير مركز TAOP لدراسات السياسات الاجتماعية لإسرائيل (٢٠١٤)، كما يؤثر سلبًا التنافس بين إسرائيل وتركيا وإيران على مكانتها في مجال الصادرات عالية التكنولوجيا إلى مختلف دول العلم، بل إن التهديد الاقتصادي والتنافس بين الدول الثلاث يظهر بوضوح في أسواق دول أمريكا اللاتينية وإفريقيا، وتحاول تركيا وإيران تعويض الفجوة بينها وبين إسرائيل في مجالات التكنولوجيا المتقدمة، مثل: الصناعات العسكرية، وتكنولوجيا الوقود النووي، وتكنولوجيا الفضاء، ببرامج تصنيع وأبحاث مكثفة إلا أن إيران تفوقت على إسرائيل وتركيا ولأول مرة في مجال صناعة الأقمار الصناعية فائقة الصغر نانوساتاليت، وتكنولوجيا الفضاء بصفة عامة، وتكنولوجيا دورة الوقود النووي، وتكنولوجيا الصواريخ الباليستية، بينما تبقى كل من مصر والسعودية خارج المنافسة بدون إمكانيات نووية أو فضائية أو حتى عسكرية استراتيجية متطورة، كما تفتقد كلا الدولتين أية بنية تحتية علمية واسعة وذات كفاءة؛ تجعلها منافسًا مستقبلاً لتلك الدول في تلك المجالات العلمية والاقتصادية المهمة.

القوة الجيوستراتيجية (الجغرافية)

تعتبر الحدود السياسية لإسرائيل واحدة من أكثر الأمور المثيرة للجدل، فإسرائيل لم تعلن حدودها الرسمية بالكامل منذ إعلان قيامها في ١٤ مايو ١٩٤٨ قبل ثماني ساعات من إعلان بريطانيا إنهاء انتدابها على أراضي فلسطين، وقد توسعت دولة إسرائيل خارج أراضي الانتداب لتسيطر على ٧٥% من مساحة تلك الأراضي بنهاية حرب ٤٨. عمومًا تقع إسرائيل داخل قارة آسيا، وهي تعد دولة صغيرة المساحة ليست ذات أهمية جيواستراتيجية (٢٢ ألف كم مربعًا)، وهي أشبه بمستطيل صغير طوله ٤٧٠ كم، وأقصى عرضه ١٣٥ كم، يحدها من الغرب ساحل البحر المتوسط، ومن الشرق هضبة الجولان السورية والأردن والبحر الميت، ومن الشمال لبنان، ومن الجنوب مصر وشريط ضيق على البحر الأحمر،

تمثل المناطق القاحلة منها ٤٥% من إجمالي مساحتها والجبال ١٦%، أي أكثر من ٦٠% من مساحتها لا تصلح لأي أنشطة اقتصادية أو سكانية، كما تعد إسرائيل من الدول الفقيرة مائياً؛ حيث يبلغ نصيب الفرد من المياه حوالي ٣٠٠ متر مكعب سنوياً، غالبها من أنشطة تحلية مياه البحر، كما يمكن وصف مناخها بأنه بحر متوسطي، حيث تقع جبال الجليل في الشمال، وفي الوسط سهول ساحلية، وفي الجنوب صحراء النقب، مناخ إسرائيل بحر متوسطي؛ حيث في الشمال جبال الجليل، وفي الوسط سهول ساحلية، وبالجنوب صحراء النقب، درجات الحرارة تختلف طوال العام إلا أنه بالشتاء يسقط الجليد على المناطق الشمالية والشرقية.



خريطة لإسرائيل موضح بها أهم المدن

عمومًا يعتبر ضآلة العمق الاستراتيجي لإسرائيل بصفة خاصة (١٣٥ كم) وصغر مساحتها بصفة عامة نقطة ضعف بالغة في منظومة القوة الشاملة للدولة، حيث يمكن وبسهولة لأية دولة تمتلك قدرات بحرية أو جوية أو صاروخية هجومية متميزة ان تشمل قدرات الدولة بالكامل وتلحق ضررا كبيرا بمرافقها، كما يمكن لوحداث إنزال بحرية ومظلات وضمفادع بشرية أو وحدات صاعقة بالاضافة الى القدرات السابقة فرض حصار بحري وبري وجوى لغزو إسرائيل وتقسيمها بسهولة إلى عدة قطاعات، وفصل شمال إسرائيل عن جنوبها، وغربها عن شرقها مع السيطرة على أهم الطرق لقطع طرق إمداد الجيش بالقوات الاحتياطية ونقل أرض المعركة ولأول مرة منذ حرب ٤٨ إلى داخل العمق الإسرائيلي، حيث سيتم قطع الموارد البشرية والاقتصادية عن القوات العسكرية، وتكوين رءوس جسور تهدد احتياطيات الجيش، وتضع الدولة بكاملها في حالة حرب خطيرة تهدد وجودها، كما أن تركز غالب النشاط الصناعي والتجاري الإسرائيلي بمنطقة وسط إسرائيل محصورة بين الضفة الغربية والبحر المتوسط يجعل أهم معاقل إسرائيل الاقتصادية في خطر بالغ في أي مواجهة عسكرية مع خصم قوي مدرب عنيد.

كيفية القوة العسكرية

تمتلك إسرائيل قدرات عسكرية، وتكنولوجية متطورة، ورغم صغر مساحتها وضآلة عدد سكانها إلا أنها دولة كبرى وسط دول العالم، حيث تحتل الترتيب الحادي عشر (جلوبال فاير ٢٠١٤) عالمياً^(١).

وهذا يفسر أهمية الجبهة السورية لمصر، وأهمية الجبهة المصرية لسوريا؛ فوجود جبهتين للقتال يمتص قدرًا مناسبًا من قوة نيران آلة الحرب الإسرائيلية، ويقسم التفوق الإسرائيلي الضخم والهائل إلى درجات تمكن الدول الأخرى من استيعابه والتعامل معه، لنا أن نتخيل نتائج حرب ٧٣ لو كانت إسرائيل تحارب على جبهة واحدة، كما أن تحليل الخسائر في الأفراد والمعدات في نفس الحرب على الجبهتين السورية والمصرية يعطينا تصورًا لمدى مستوى الاستعداد والتدريب

(١) عدد محدود من الدول العظمى يمتلك قوات عسكرية قادرة على القتال على أكثر من جبهة وبكفاءة في وقت واحد، بالإضافة إلى امتلاك أسلحة استراتيجية، إسرائيل تستطيع وتملك ذلك.

المتقدم الذي يلقاه الجندي والضابط الإسرائيلي، وحادثة عتاده الحربي وتسليحه وتقدمه رغم عنصر المفاجأة الذي يمثل نصف الطريق إلى النصر، اليوم تبلغ ميزانية آلة الحرب الإسرائيلية ١٥ مليار دولار (٢٠١٤)، فإسرائيل الدولة الوحيدة بالعالم التي تفرض الخدمة العسكرية الإلزامية على الإناث، وهي تطبق على كل من بلغ ١٨ عامًا، فالرجال يخدمون من سنتين إلى ثلاث سنوات، وخدمة الإناث واحد وعشرون شهرًا، وبعد انتهاء فترة الخدمة الإلزامية يصبح الجميع ضمن قوات الاحتياط حتى سن الواحد والخمسين للرجال والتاسع والثلاثين للإناث، كما أنه يتم استدعاء جميع قوات الاحتياط لمدة واحد وثلاثين يومًا سنويًا، فغالبًا ما يخدم فرد الاحتياط الإسرائيلي في وحدته التي خدم بها خلال فترة تجنيده الإلزامية، ويُستثنى من ذلك طلبة العلوم الدينية، وطلبة الدراسات العليا، والعرب عدا الدروز، والنساء المتزوجات ولديهن أطفال فيمكن أن يستبدلن الخدمة العسكرية بنوع آخر من الخدمة يسمى خدمة المجتمع، وعدد مناطق تعبئة الاحتياط بإسرائيل تسع مناطق (نقطة ضعف واضحة إذا ما تم اختراق الدفاعات الجوية وقت الحرب كما يمكن وبسهولة استهداف تلك المناطق بالصواريخ أو الوحدات الخاصة).

إسرائيل لها وضع خاص بحلف شمال الأطلسي الناتو ومنذ عام ١٩٨٩ ومنذ عهد الرئيس الأمريكي «جورج بوش الأب» تحوذ رسميًا على لقب حليف رئيس خارج الحلف، وهذا الوضع يتيح لها الولوج إلى خطط الحلف أوقات الأزمات وقاعدة بياناته الاستخبارية، كما يسهل من الأمور اللوجستية عند التعاقد على صفقات التسليح واتفاقات التوريد والتصنيع المشترك لبرامج التسليح فائقة التكنولوجيا.

ونحن نتحدث عن جيش الدفاع الإسرائيلي لا يمكن أن ننسى «شمعون بيريز»، أحد أهم الآباء المؤسسين لجيش الدفاع الإسرائيلي وصاحب تغيير استراتيجيته من الدفاع إلى الهجوم في أوائل الستينات من القرن الماضي، ومؤسس برنامجها النووي وصناعاتها العسكرية بالاشتراك مع رئيس وزراء إسرائيل وبطلها القومي «دافيد بن جوريون»، وله إياد بيضاء في خدمة بلاده في أغلب

المناصب الحساسة التي خدم بها^(١)، يوجد في إسرائيل ٢٠٠ شركة تعمل في مجال التصنيع العسكري، وتبلغ حصتها من تجارة السلاح العالمية ١٠%، وأهم شركات السلاح الإسرائيلية شركة «رافائيل» للصناعات العسكرية وشركة IAI التي يركز عليها برنامج الفضاء الإسرائيلي (أسسها شمعون بيريز أيضًا)، وشركة البيت (التي تصنع خوذات الطيارين للطائرة الأمريكية الأكثر حداثة بالعالم إف ٣٥)، وشركة «تاغاس» (مؤسسة الصناعات العسكرية الإسرائيلية المسؤولة عن تصدير السلاح من إسرائيل)، وهنا تجدر الإشارة أن إسرائيل كانت شريكًا للولايات المتحدة في برنامجها حرب النجوم، الذي تبنته في بداية الثمانينات من القرن الماضي، وكان يتضمن أهدافًا ضخمة تضمن التفوق الجوي والفضائي للولايات المتحدة دون منازع، وبمجرد مشاركتها قدمت ما يزيد على مائة وخمسين بحثًا رئيسًا مهمًا، أسهم في تقدم البرنامج وأوضح مدى تقدمها وقدراتها البحثية.

بيانات عددية إحصائية عن قدرات الجيش الإسرائيلي

يملك جيش الدفاع الإسرائيلي ما يلي :-

- ٢٠٠ ألف جندي نظامي .
- ٤٠٠ ألف جندي احتياطي يمكن زيادتهم إلى ٦٠٠ ألف .
- ٤٠٠٠ دبابة، أهمها «الميركافا» فخر الصناعات الحربية الإسرائيلية، والدبابات الأمريكية أم ٦٠ و ٥٨ و ٤٨ تطوير إسرائيلي .
- ٦٥٠٠ ناقلة جند أنواع مختلفة .
- ٩٠٠ مدفع ذاتي الحركة عيارات مختلفة .
- ٤٠٠ مدفع بمقطورة عيارات مختلفة .

(١) لاحظ كفاءة النظام السياسي الإسرائيلي في الاستفادة من أبنائه الوطنيين، ودعمه لهم، وإتاحة الفرصة لهم؛ لخدمة بلادهم في الأماكن المختلفة، ثم قارن بين سلوك النظام المصري السابق وكيف يتخلص من أبنائه النابهين المخلصين . وأترك للقارئ أن يبحث عن أسباب التنكيل بالفريق سعد الدين الشاذلي، وإقالة المشير الجمسي من منصبه كوزير للدفاع، وإقالة المشير أبي غزالة، واللواء أحمد رشدي، والدكتور أحمد الجويلي وغيرهم . هم جميعًا معلوم عنهم عبقريتهم ووطنيتهم وكفاءتهم، وكان يمكن الاستفادة من مواهبهم الإدارية والتنظيمية في وزارات وهيئات أخرى .

- ٦٥٠٠ مدفع هاون عيارات مختلفة.
- ٢٥٠ راجمات صواريخ.
- ١٥٠٠ قاذف مضاد للدروع.
- ٢٧٠ طائرة مقاتلة طراز إف ١٦.
- ١٠٠ طائرة مقاتلة طراز إف ١٥^(١).
- ١٥٠ طائرة مقاتلة طراز إف ٤.
- ١٨٠ طائرة مقاتلة طراز سكاي هوك آيه ٤.
- ١٨٠ طائرة متعددة المهام طراز كفير إسرائيلية الصنع (تطوير إسرائيلي للطائرة الميراج).
- ٧٥ طائرة نقل طراز ارافو الإسرائيلية، وسى ١٣٠ الأمريكية.
- ١٤٠ طائرة هليكوبتر هجومية طراز أباتشي وكوبرا.
- ٢٤ طائرة استطلاع جوي من أنواع مختلفة، أهمها آيه، وإكس الأمريكية، وهارون الإسرائيلية الصنع.
- عدد غير محدود من الطائرات بدون طيار إسرائيلية من طراز اسكوت وأمريكية الصنع.
- عدد غير محدد من طائرات التدريب طراز إيه تي جى جفالين الإسرائيلية الصنع.
- ١٢ قاعدة جوية.
- ثلاث غواصات دولفين^(٢).
- ١٥ طراد صواريخ.
- خمس سفن إنزال.
- سفينتان دعم لوجستي.
- أربعون زورقاً دورية.

(١) لا توجد تلك الطائرة خارج الولايات المتحدة إلا في إسرائيل، وتوجد نسخة لدى المملكة العربية السعودية أقل في التجهيزات والقدرات.

(٢) سوف تنضم ثلاث غواصات أخرى من نفس النوع بحلول العام ٢٠٢٢.

- ٨٠-٢٠٠ قنبلة نووية.
- عدد غير محدد من القنابل النيترونية.
- عدد غير محدد من القنابل النووية التكتيكية والألغام.
- عدد غير محدد من القنابل النووية المحمولة (حقيبة سفر).
- عدد غير محدد من الرؤوس الكيماوية^(١).
- عدد غير محدد من الرؤوس البيولوجية، أهمها الجمره الخبيثة.
- عدد غير محدد من الصواريخ قصيرة ومتوسطة وبعيدة المدى من طراز باتريوت وباباي تيربو (نسخة مطورة من كروز الأمريكى)، ولانس وجريكو وارو واريحا ١ (٥٠٠ كم)، واريحا ٢ (١٥٠٠ كم)، والصواريخ شافيت (٣٥٠٠ كم)، ونيكست (نسخة مطورة من الصاروخ شافيت ٤ مراحل إطلاق تعمل الأخيرة بالوقود السائل) القادر على إطلاق الأقمار الصناعية الرؤوس النووية والكيماوية والبيولوجية.

ووفق أغلب التقارير التي تناول البرنامج النووي الإسرائيلي فغالبا يجمع أن إسرائيل أنهت برنامجها لتصنيع الأسلحة النووية والهيدروجينية بحلول عام ١٩٩٥، وهي تمتلك المخزون المذكور سابقاً، ولكنها مستمرة في الأبحاث؛ لامتلاك أسلحة أكثر فتكاً، وأقل كلفة من الموجودة بترسانتها، ومن المؤكد والثابت أن إسرائيل دولة عظمى في المجال النووي لا تقل إمكانياتها التسليحية والعلمية عن أي من الدول الكبرى دائمة العضوية بمجلس الأمن، أيضاً ما يجب ذكره أن إسرائيل تعاقبت مع شركة لوكهيد الأمريكية على توريد ٣٥ طائرة من طراز إف ٣٥، أحدث طائرات سلاح الجو الأمريكي وبمواصفات إسرائيلية تنتجها صناعاتها الحربية وبخاصة مكونات التحكم، وخوذة الطيار وقمرة القيادة، وقد تسلمت إسرائيل عدداً منها في نهاية عام ٢٠١٦ (١٢ طائرة)، وهي طائرات شبيهة من الجيل الخامس، لديها القدرة على إصابة أهدافها بدقة من على بعد أكثر من ٣٠٠ ميل بحري، وهي بهذا تستطيع إصابة أهدافها الأرضية أو الجوية أو البحرية دون أن تشعر بها تلك الأهداف أو تراها أصلاً بفضل تفوق رادارها، ودقة بصمتها الرادارية، والمدى البعيد المؤثر لصواريخها.

(١) الأحادية والثنائية، وأهمها غازات ال CI, GA, CG, HD, GD, VX.

المخابرات الإسرائيلية:

- يدعم آله الحرب الإسرائيلية أجهزة استخبارات عالية الكفاءة والخبرة، مشهود لها عالمياً، تتكون من:-
- الموساد (الاستخبارات الخارجية).
 - أمان (الاستخبارات العسكرية).
 - شاباك، الشين بيت سابقاً (الاستخبارات الداخلية).

○ الموساد:

تأسس الموساد عام ١٩٣٧؛ بغرض تسهيل الهجرة إلى إسرائيل، وهو المسئول عن المخابرات الخارجية، ويقوم بالدراسات الاستراتيجية، وتنفيذ عمليات خارجية لحماية أمن إسرائيل، بالإضافة إلى عمليات التجسس السياسي والاقتصادي والعلمي، وجمع المعلومات الاجتماعية والإحصائية عن الأعداء المحتملين للدولة وأيضاً الأصدقاء، يتكون الموساد من أربعة أقسام رئيسة هي:-

- ١- قسم المعلومات.
- ٢- قسم العمليات.
- ٣- قسم الإعلام والحرب النفسية.
- ٤- قسم التدريب.

من أبرز عمليات الاغتيال التي نفذها الموساد:-

- ١- اغتيال «مصطفى بدر الدين» قائد الميلشيات العسكرية لحزب الله اللبناني بدمشق في ١٦ إبريل ٢٠١٦.
- ٢- اغتيال الشيخ «أحمد ياسين» مؤسس حركة المقاومة الإسلامية (حماس) في غزة ٢٢ مارس ٢٠٠٤.
- ٣- اغتيال الزعيم الفلسطيني ومؤسس حركة فتح في ١١ نوفمبر ٢٠٠٤.
- ٤- اغتيال «عباس الموسوي» أمين عام حزب الله اللبناني في ١٦ يناير ١٩٩٢.
- ٥- اغتيال فتحي الشقاقي مؤسس حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين ٢٦ أكتوبر ١٩٩٥.

- ٦- اغتيال «أبي جهاد» الرجل الثاني في منظمة التحرير الفلسطينية بمقر إقامته في تونس ١٦ إبريل ١٩٨٨.
 - ٧- اغتيال عماد عقل مؤسس كتائب القسام الجناح العسكري للمقاومة الإسلامية حماس في ٢٤ نوفمبر ١٩٩٣.
 - ٨- اغتيال العالم المصري «يحيى المشد عام» ١٩٨٠ العالم النووي البارز.
 - ٩- اغتيال العالم المصري «سعيد سيد بدير» عام ١٩٨٩ العالم العبقري في مجال التحكم في الأقمار الصناعية وإسقاطها.
- عمومًا، ومنذ تأسيس الموساد يحتل الجهاز أحد المراكز العشر الأولى ضمن أهم وأقوى أجهزة المخابرات بالعالم، وجميعها دول عظمى ودول كبرى وتحظى تقديراته وتقاريره ومعلوماته بمصداقية عالية لدى الأجهزة المماثلة بالدول الكبرى.

○ أمان (الاستخبارات الحربية):

هي المسئولة عن إمداد الحكومة الإسرائيلية بالمعلومات والتقارير الاستراتيجية التي يتم بناء عليها صياغة السياسات العامة للدولة، ويعد «أمان» أكبر جهاز استخباراتي بالدولة وأكثرها أهمية ونفوذًا وكلفة مالية، يمكن لـ «أمان» القيام بعمليات استخبارية خارجية بالدول المجاورة لإسرائيل، وما عدا هذا فإنه يدخل في نطاق جهاز المخابرات الخارجية الموساد.

○ الشبابك (الاستخبارات الداخلية):

وهو مسئول عن مقاومة حركات المقاومة الفلسطينية داخل وخارج إسرائيل، وله الصدارة على مستوى العالم في اختراق المنظمات الإرهابية والتعامل معها والتأثير على قادتها، وتحتل تقاريره فيما يخص القضية الفلسطينية ومفاوضات السلام مع العرب - الأولوية عن تقارير أجهزة الاستخبارات الأخرى لدى الحكومة الإسرائيلية، وهو من يقف خلف غالب عمليات الاغتيال التي تمت ضد قادة حركات المقاومة في: فلسطين، ولبنان، وسوريا، والإمارات، وتونس، والسودان، وغيرهم. كما أنه من أكفأ أجهزة المخابرات بالعالم في اختراق المنظمات الإرهابية وإمداد دول الغرب بكم هائل من المعلومات والإنذارات عن أنشطة تلك المنظمات.

البرنامج الفضائي الإسرائيلي

بدأ البرنامج الفضائي الإسرائيلي في عام ١٩٨٣ بإنشاء وكالة الفضاء الإسرائيلية ISA، وجاء في ديباجة إنشائها أن الاستشعار عن بعد (تكنولوجيا التصوير الفضائي وتحليل الصور) أداة رئيسية من أدوات الدفاع عن أمن الدولة بالإضافة إلى كونه رافعة للتقدم العلمي والتقني وقاعدة أساسية لاقتصاد المعرفة.

لدى إسرائيل قاعدة لإطلاق الأقمار الصناعية، ومحطات أرضية للتحكم والمتابعة في «بايكونور» بجمهورية «كازاخستان»، كما أن لديها قاعدتها الجوية الخاصة التي تطلق منها أقمارها وهي قاعدة «بلماشيم»، وكانت تتعاون سابقًا في إطلاق أقمارها من الهند ومركز الفضاء الأوروبي بـ «غينيا الاستوائية».

مر برنامج الفضاء الإسرائيلي بثلاث مراحل بدأت من عام ١٩٩٠ وحتى اليوم، حيث تم في إبريل من العام الأول للبرنامج إطلاق القمر أفق ١ وهو تجريبي يحمل معدات بسيطة واستمر في مداره حوالي ثلاثة شهور وهو من أقمار التجسس.

المرحلة الثانية: وانتهت في عام ١٩٩٥ بإطلاق القمر الصناعي أفق ٣ الذي يعد نسخة أكثر تقدمًا من أفق ١ ويمكنه البقاء في الفضاء لمدة لا تقل عن ثلاث سنوات.

المرحلة الثالثة: وتضمنت إنتاج وإطلاق سلسلة أقمار أفق ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و عاموس الأكثر تقدمًا وعمرًا من أفق ٣.

أطلقت إسرائيل منذ بدء برنامجها الفضائي ٩ أقمارًا للتجسس من عائلة أفق، اليوم إسرائيل لديها ثلاثة أقمار تجسس عسكرية (أفق ٧ و ٨ و ٩) قدرة تميزها ٨٠ سم ما يعني أنها قادرة على تمييز ما يحمله الناس على الأرض، وتمر فوق جميع الدول العربية ست مرات يوميًا مساحة كل شبر فوق الأرض وتحت الأرض^(١)، بالإضافة إلى خمسة أقمار اتصالات عسكرية ومدنية من عائلة عاموس AMOS، وتخطط لإطلاق عاموس - ٦ خلال العام ٢٠١٦ (انفجر القمر أثناء إطلاقه في أغسطس من عام ٢٠١٦ أثناء طباعة الكتاب) بالإضافة إلى قمرين

(١) لاحظ أن أقمار التجسس الروسية والأمريكية تمر مرة واحدة فوق بلدان الشرق الأوسط.

لاكتشاف الثروات الطبيعية من طراز اروس EROS، وهي صاحبة الكشف الإسرائيلي عن مكامن الغاز الطبيعي بشرق البحر المتوسط، وتخطط إسرائيل بالتعاون مع ألمانيا لإطلاق قمر صناعي يبلغ دقة تمييزه ١٠ سم اسمه ديفيد ويستخدم أيضًا في اكتشاف الثروات الطبيعية، أيضًا تتبادل إسرائيل المعلومات العسكرية والتجارية، التي تحصل عليها من شبكة أقمارها مع الولايات المتحدة التي تمتلك شبكة أقمار تتجاوز الـ ٤٥٠ قمرًا صناعيًا ودقة تمييزها ٣٠ سم. كما أن القمر الأمريكي FEW القادر على رصد عمليات إطلاق الصواريخ سكود والصواريخ الباليستية وإرسالها مباشرة إلى بطاريات الصواريخ الباتريوت الموجودة لدى إسرائيل.

يدعم البرنامج الفضائي الإسرائيلي ست مؤسسات بحثية وإنتاجية ضخمة

هي:

- ١- اللجنة القومية لأبحاث الفضاء (أنشأت في ١٩٦٠).
 - ٢- معهد أبحاث الفضاء (تأسس في ١٩٨٦).
 - ٣- معهد أشر لبحوث الفضاء التابع لمعهد تخنيون التقني.
 - ٤- مجموعة شركات IAI والتابع لها مصنع MBT، وهو المصنع الرئيس للبرنامج الفضائي الإسرائيلي حيث يتم إنتاج أقمار التجسس والاتصالات ووسائل إطلاقها، وفيه قسم معالجة الصور الجوية وتحليلها، ويحتوي على عدد من المختبرات وغرف الاختبار المتقدمة.
 - ٥- مصنع MLM، وهو ينتج الإلكترونيات التي يحتاجها برنامج الفضاء الإسرائيلي والقوات الجوية ويقوم بتصنيع أجهزة القيادة والسيطرة والاتصالات ومعالجة الصور والبيانات وأيضًا الصاروخ NEXT، كما يصنع الخلايا الشمسية وأجهزة توليد الطاقة للأقمار الصناعية.
 - ٦- مصنع TAMAM، وهو المسئول عن إنتاج أجهزة الاتزان والمستشعرات الدقيقة الضرورية لصواريخ الإطلاق والأقمار الصناعية.
- كما توجد اتفاقات تعاون وأبحاث مشتركة مع عدد من وكالات الفضاء العالمية الكبرى مثل:-
- وكالة الفضاء الأمريكية NASA.

- المركز الوطني للدراسات الفضائية الفرنسية CNES .
- وكالة الفضاء الكندية CSA .
- منظمة بحوث الفضاء الهندية ISRO .
- المركز الفضائي الألماني DLR .
- وكالة الفضاء الروسية RSA .
- وكالة الفضاء النمساوية NIVR .
- وكالة الفضاء البرازيلية AEB .

القدرات النووية والاستراتيجية الإسرائيلية



صورة مفاعل ديمونة الإسرائيلي بصحراء النقب

حسب بيانات مكتب تقييم التكنولوجيا التابع للكونجرس الأمريكي، فإن إسرائيل دولة نووية تمتلك قدرات هجومية كيميائية وبيولوجية متقدمة، ولديها وسائل إطلاقها برًا وبحرًا وجوًا. ويعتقد أنها وقبل حرب الأيام الستة في عام ١٩٦٧ كانت تمتلك عددًا من القنابل النووية تتراوح بين ٥-٢٠ قنبلة، وأنها منذ هذا التاريخ دولة نووية. اليوم تتحدث التقارير الدولية عن امتلاك إسرائيل ما يتراوح بين ٨٠-٢٠٠ رأس نووي بالإضافة إلى رءوس كيميائية وبيولوجية غير

محددة، كما تمتلك وسائل إطلاقها مثل الصواريخ: اريحا، وارو، وشافيت، ونيكست، وأيضًا الطائرات إف ١٥ وإف ١٦، وحديثًا إف ٣٥ بالغة التطور، بالإضافة إلى ثلاث غواصات دولفين الألمانية الصنع، القادرة على إطلاق الأسلحة النووية. ومما هو جدير بالذكر أن هناك روايات عديدة تربط اغتيال رئيس الولايات المتحدة «روبرت كيندي» في ستينات القرن الماضي، ومواقفه ضد البرنامج النووي الإسرائيلي، وطموحها لامتلاك أسلحة هجومية متقدمة، حسب العقيدة التي وضع أسسها رئيس أركان الجيش الإسرائيلي بذلك الوقت ورئيس وزرائها السابق «شيمون بيريز» بالاشتراك مع «بن جوريون الأب» المؤسس لإسرائيل.

○ القدرات الإلكترونية الاستراتيجية (الوحدة ٨٢٠٠):

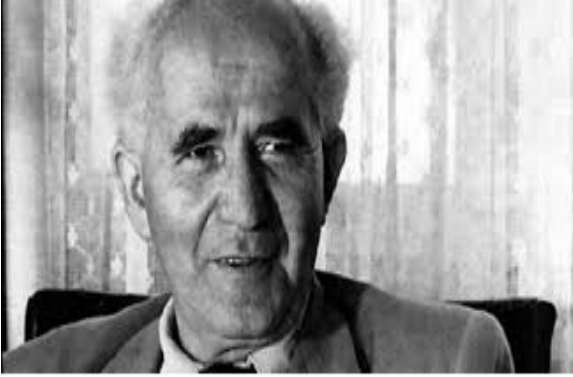
هي الوحدة المسؤولة على عمليات التجسس الإلكتروني، وفك الشفرات، وهي تتبع المخابرات العسكرية الإسرائيلية «أمان»، وتدعى أيضًا في بعض الكتابات المتخصصة SIGINT، يقع مركز عملياتها الرئيس بصحراء النقب بالقرب من مستوطنة «كيبوتس»، حسب وصف الصحفي النيوزلندي «نيك هاغر» المتخصص بمجال الحرب الإلكترونية في تقريره المنشور بصحيفة «ليموند دبلوماتيك» في ١٥ أيلول ٢٠١٠ أن تلك الوحدة من أهم وحدات التصنت والحرب الإلكترونية بالعالم، وتغطي مجال عملها الشرق الأوسط كله وآسيا وإفريقيا وأوروبا، وهي لا تقل عن الوحدة الفرنسية المماثلة GCHQ أو الأمريكية NSA والمعروف بـ «اشلون» وهو نظام يسمى أحيانًا الأذن الكبيرة، قادر على تعقب ثلاث مليارات مكالمة يوميًا بجميع أنحاء العالم، سواء كانت المكالمات من هواتف محمولة أو ثابتة، أو باستخدام الإنترنت أو الأقمار الصناعية، يعمل بالمشروع نصف مليون موظف وميزانيته حوالي ٨ مليارات دولار، تتقاسم معلوماته كل من: أمريكا، كندا، إنجلترا، استراليا، نيوزيلاندا. وقد كان لها دورها البارز في التصنت على محادثات الرئيس المصري السابق «جمال عبد الناصر» خلال فترة الستينات، وغالب الرؤساء والملوك العرب.

تتلخص مهام عمل هذه الوحدة ٨٢٠٠ في: الرصد، التصنت، التصوير، التشويش، الهجوم الإلكتروني. يشمل نطاق عمل تلك الوحدة العالم كله، وتعتبر هذه الوحدة من أفضل وحدات التجسس الإلكتروني بالعالم، وأكثرها تقدمًا وخبرة وتجهيزًا، ويتميز أفرادها بإمكانيات علمية عالية ونادرة، وتتهافت شركات تكنولوجيا المعلومات على جذب الأفراد الذين يتم تسريحهم من تلك الوحدة. أبرز عمليات تلك الوحدة الحديثة زرع فيروس Stuxnet بالبرنامج النووي الإيراني عام ٢٠١٠، لتدمير أجهزة الطرد المركزية المسؤولة عن تخصيب اليورانيوم ٢٣٥ حتى تركيز ٩٠%، وهي أيضًا مسؤولة عن إطلاق فيروس دوكو DUQU المسئول عن التجسس على الدول المشاركة في المفاوضات ٥ + ١ حول برنامج إيران النووي في الفترة من ٢٠١٤ حتى ٢٠١٥.

يقول الزعيم الإسرائيلي «شمعون بيريز»: لكل مشكلة حل، والمشكلات التي ليس لها حل تكون حقائقًا والحقائق ليس لها حلول، لهذا ستبقى إسرائيل وعلى الرغم من تقدمها الهائل وتفوقها العسكري والفضائي والتكنولوجي تواجه الحقائق التالية:-

- ١- انعدام العمق الجغرافي يعتبر خطرًا مميّتا وضعفًا معجزًا في ميزان قوتها العسكرية وقوتها الشاملة.
- ٢- لا يمكن لإسرائيل أن تتحمل حربًا طويلة المدى حيث يمثل الجيش وقوات الاحتياط ١-١٢ من عدد السكان تقريبًا.
- ٣- يتركز النشاط الاقتصادي، وأهم الشركات، ومراكز الأبحاث، والمصانع المدنية والعسكرية، ونصف عدد السكان، ونصف القواعد الغربية - في الشريط المحصور بين الضفة الغربية لنهر الأردن والبحر المتوسط، الأمر الذي يجعل من السهل محاصرة تلك المنطقة الحساسة، ويسهل تدميرها في أية حرب مستقبلية إذا ما توفرت القوات المناسبة عددًا وتدريبًا وتسليحًا.

القوة السياسية والقوة الناعمة



صورة ديفيد بن جوريون مؤسس إسرائيل وأول رئيس حكومة لها

إسرائيل نموذج رائع للدولة التي تدير باحترافية عالية عناصر قوتها الشاملة لخدمة بعضها بعضاً، وإسرائيل دولة بالقول الدارج تعلم جيداً كيف تحول التراب ذهباً، ليس في المجال الاقتصادي بل في كافة المجالات، ولا يجوز ونحن نتحدث عن القوة السياسية لدولة إسرائيل أن ن فصلها عن قوتها الناعمة، وبالذات الإعلامية والعلمية والثقافية بأهم مناطق القوة والثروة بالعالم، فإسرائيل عضو بـ: منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية، ومنظمة التجارة العالمية، والأمم المتحدة، والبنك الدولي للإنشاء والتعمير، ومؤسسة التنمية الدولية، ومؤسسة التمويل الدولية، ووكالة ضمان الاستثمار متعدد الأهداف، والمركز الدولي لتسوية المنازعات الاستشارية، والاتحاد من أجل المتوسط.

فيما سبق ذكرنا أن الشاباك (الشين بيت) وهو جهاز المخابرات الداخلية الإسرائيلية أنشئ بغرض مناهضة ومحاربة حركات المقاومة الفلسطينية، وتحول إلى مفهوم كوني أشمل، وأصبح من أهم أجهزة المخابرات العالمية قدرة على اختراق المنظمات الإرهابية أينما كانت، ويشمل نطاق عمله العالم أجمع، الأمر الذي أحدث اشتباكاً وتداخلاً مع الموساد والمخابرات العسكرية «أمان»، إلا أن تقارير وتوصيات «الشين بيت» هي الفصل لدى الحكومات الإسرائيلية دون باقي أجهزة المخابرات الأخرى فيما يخص المنظمات الإرهابية وبخاصة حماس

والجهاد والقضية الفلسطينية بصفة عامة، والسؤال إذا كان مفهومًا أن نطاق عمل «الشاباك» المنظمات الفلسطينية فلم يتجاوز نطاق عمله إلى جميع المنظمات الإرهابية العالمية؟ الإجابة تأتي في ما يلي :-

- ١- تعتبر دولة إسرائيل أن جمع المعلومات والبيانات عن المنظمات الإرهابية بالعالم؛ تعطي للدولة ككل بمختلف أجهزتها كنزًا من المعلومات، وبالتأكيد يوجد من يحتاجه ويدفع في سبيله الثمن ماليًا أو سياسيًا أو علميًا.
- ٢- التغلغل إلى أركان المنظمات الإرهابية العالمية يتيح للدولة تصريف جزء من إنتاج صناعاتها العسكرية الضخم، الأمر الذي يضمن لتلك الصناعات موردًا مناسبًا من الموارد المالية مرتفعة الأرباح.
- ٣- النفوذ الإسرائيلي بتلك المنظمات يحقق مبدأ الإنذار المبكر الذي تحتاجه إسرائيل وحلفاؤها ضد أي عمليات إرهابية قد تستهدفها أو تستهدف أصدقاءها، وهو الأمر الذي يعود عليها بمكاسب سياسية واقتصادية وعلمية لا تقدر بثمن، ويكفي أن يعلم القارئ أن حصول إسرائيل على الكمبيوتر السوبر الفائق السرعة Cray 2 من الولايات المتحدة -رغم حظر تصديره حتى لدول أوروبا في عام ٢٠٠٢ وبعد أحداث نيويورك ١١ سبتمبر ٢٠٠١ - كان نتيجة لمثل تلك العمليات الاستخبارية، والمعلومات التي لا تقدر بثمن، والتي وفرتها إسرائيل عن تنظيم القاعدة بذلك الوقت، وحتى يعلم القارئ ما معنى أن تمتلك دولة ما هذه النوعية من الحاسبات؛ عليه أن يعلم أن هذا الحاسوب يستطيع أن يقوم بـ ١٠٠٠ تريليون عملية حسابية بالثانية، أي أن ما يقوم بعمله في ثانية يحتاج الكمبيوتر العادي لعمله ١٠ ملايين عام، وهو يستخدم لتحليل الصور المعقدة الفضائية والجوية، وتطوير الأسلحة النووية والاستراتيجية، والأبحاث العلمية المتقدمة، والتنبؤ بالطقس والكوارث الطبيعية.

أيضًا مما هو جدير بالذكر كإضافة إلى ما سبق أن يعلم القارئ أن الموساد مرر إلى الـ CIA في إبريل من العام ١٩٥٦ نسخة من خطاب سري للزعيم السوفييتي «خروشوف»، ألقاه قبل ذلك بشهرين أمام مؤتمر الحزب الشيوعي العشرين، ومنذ ذلك اليوم أدركت الأجهزة الأمنية الأمريكية مدى احترافية وقدرة

أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية، وإمكانية الاستفادة منها لخدمة مصالح الولايات المتحدة بصفة خاصة والغرب بصفة عامة، الأمر الذي أسهم في زيادة النفوذ الكلي لإسرائيل داخل أهم وأقوى دول العالم.

كانت تلك مقدمة ضرورية لاستيعاب القوة السياسية الإسرائيلية، وكيف تفرض إسرائيل نفوذها السياسي عالمياً، وكيف تتعاون كافة أجهزة الدولة لدعم بعضها بعضاً، وتستخدم الدولة قدراتها العلمية والاستخباراتية والاقتصادية والعسكرية في تعظيم نفوذها السياسي وثقلها العالمي، وفيما يلي أهم النقاط التي يجب أن نستعرضها ونحن نتحدث عن القوة السياسية والقوة الناعمة الإسرائيلية، وكيف يتغلغل النفوذ السياسي الإسرائيلي إلى مختلف مناطق العالم خادماً لعناصر قوتها الشاملة ومخدوماً أيضاً من باقي العناصر، فكما قلت إسرائيل نموذج رائع لإدارة الدول بالعصر الحديث بغض النظر عن معارضتنا الشديدة لسياساتها العنصرية أو مواقفها من مختلف القضايا الدولية والإقليمية وعداؤها التاريخي للدولة المصرية ومقاومتها لاي تقدم حقيقى فيها.

إسرائيل دولة ديموقراطية برلمانية، لا يوجد لديها دستور مدون^(١)، بل هناك ما يعرف بالقوانين الأساسية التي تشكل حدود سلطات الدولة، والحقوق المدنية للمواطن الإسرائيلي، تعتبر المحكمة العليا أعلى مراتب القضاء الإسرائيلي وأحكامها تسري على جميع سلطات الدولة ومؤسساتها.

تقيم إسرائيل علاقات دبلوماسية مع مائة وسبع وخمسين دولة من أصل مائة واثنين وتسعين دولة بالعالم، لديها اثنتان وسبعون سفارة وثلاث عشرة قنصلية وأربع بعثات خاصة، تعتبر العلاقات الخاصة الإسرائيلية - الأمريكية أمراً ثابتاً وعقيدة ثابتة في مخيلة صانعي القرار ورأسمي سياسات الدولة، أيضاً العلاقات غير العادية مع كندا، وأستراليا، والغرب في أوروبا بصفة عامة وبخاصة إنجلترا، وألمانيا، وفرنسا، وهولندا، تعتبر من أهم نطاقات عمل صانع القرار بإسرائيل، على الرغم من أن الناتج القومي الإجمالي لإسرائيل متواضع مقارنة بباقي دول العالم المتقدم، إلا أن قدراتها العسكرية والاستخباراتية المتفوقة، وامتلاكها

(١) إنجلترا أيضاً ليس لديها دستور.

ترسانة نووية هائلة، وتقدمها العلمي في الصناعات العسكرية وتكنولوجيات البرمجيات، وصناعة الأدوية وتكنولوجيا الفضاء، وعلوم الاقتصاد والكيمياء والفيزياء والرياضيات، وسيطرتها على أهم وسائل الإعلام المؤثرة العالمية؛ أهلتها لتكون دولة عظمى بلا جدال، ومن هذا المنطلق تحاول إسرائيل بسط نفوذها السياسي والاقتصادي وسيطرتها بالمناطق السبع الآتية:-

- ١- الدول العربية، وعلى رأسها مصر، والأردن، وقطر، والمغرب؛ حيث تحتفظ بعلاقات دبلوماسية معلنة، كما لديها اتصالات رسمية غير معلنة مع مسئولين من مختلف باقي الدول العربية وأهمها السعودية والإمارات وباقي دول الخليج.
 - ٢- تركيا؛ بوصفها أحد دول «الناتو»، وبها أهم قواعد استخباراتها بأوروبا الشرقية، كما أن مصالحها مع تركيا تتطابق في محاصرة النفوذ الإيراني بسوريا ولبنان وفلسطين.
 - ٣- دول إفريقيا؛ حيث الموارد الخام والأسواق وبخاصة شرق إفريقيا: كينيا، إثيوبيا، أوغندا، جنوب السودان.
 - ٤- حوض البحر المتوسط: قبرص، اليونان، إيطاليا، إسبانيا.
 - ٥- روسيا والصين (حيث تتصادم كثير من مصالحهما مع مصالح إسرائيل في مناطق النفوذ العالمية).
 - ٦- الهند ولها مكانة خاصة لدى صانع القرار الإسرائيلي في محاصرة الأسلحة النووية الباكستانية ومنع وصولها إلى أي من الدول التي تتقاطع مصالحها معها، وأيضاً سوق مهم لتصريف صادراتها وبخاصة الأسلحة وتكنولوجيا الحاسبات.
 - ٧- دول أمريكا اللاتينية (حيث تخوض اليوم معركة ضارية مع تركيا وإيران لاكتساب النفوذ والسيطرة السياسية والاقتصادية هناك).
- لن أتوسع في الحديث عن سلطات دولة إسرائيل وقوانينها السياسية والاقتصادية وأحزابها ونقاباتها العمالية؛ فتلك أمور يمكن تلخيصها في كلمة واحدة أن إسرائيل دولة ديموقراطية حقيقية، يحكمها النظام البرلماني متعدد الأحزاب بشكل مماثل للديموقراطيات الغربية، لا تقل في كفاءة نظامها السياسي

والقوانين التي تحكم أنشطة ومؤسسات الدولة عن أي دولة غربية متقدمة، فالنظام القضائي الإسرائيلي نظام مستقل يتسم بالشفافية والمهنية، يعين القضاة والمنتسبين للمنظومة القضائية بإسرائيل لجنة مكونة من تسعة مسئولين (رئيس المحكمة العليا + عضوين آخرين من نفس المحكمة + عضوين عن نقابة المحامين + وزير العدل + وزير آخر تعيينه الحكومة + عضوين من الكنيسيت جرى العرف أن يكون أحدهما من المعارضة)، وسوف يلاحظ القارئ أن اللجنة تتسم بتغلب الأغلبية المهنية (القضاة والمحامون) على باقي الأعضاء بما فيهم وزير العدل، تنشر اللجنة مسودات ترشيحاتها قبل إقرارها بفترة كافية؛ لكي يتاح للمجتمع وأي جهات رسمية إبداء رأيها للجنة في كفاءة وأهلية المعينين، ينتخب المواطنون أعضاء الكنيسيت (البرلمان) الذي بدوره يشكل الحكومة ورئيسها والوزراء. منصب رئيس الدولة منصب شرفي لا يخرج عن قبول استقالة الحكومة، وحلف اليمين، واستقبال الوفود الرسمية والمراسم، وتمثيل الدولة بالخارج دون صلاحيات تنفيذية أو تشريعية ويختاره أيضاً الكنيسيت. كما أن نسبة الأمية المنخفضة جداً بين سكانها، وجودة مواطنيها وتعليمهم الجيد وقوة مشاركتهم في الحياة السياسية، واستقلال القضاء وعراقه الأحزاب وقوتها وحضورها بالشارع الإسرائيلي، وجميع ما سبق يجعلنا لا نتوقف كثيراً ونحن ناقش القوة السياسية للدولة ومدى مساهمتها الإيجابية في دعم تقدم الدولة، ولكن سوف أركز باستفاضة على كيف طورت إسرائيل قوة نظامها السياسي ومواردها وعلاقتها الدولية لخدمة باقي عناصر القوة الشاملة والعكس، وكيف تمارس دولة إسرائيل عملاً جماعياً مشتركاً بين مختلف أجهزتها لخدمة المصالح العليا للدولة، وكيف استفادت جيداً من اليهود النابهين في مراكز الأبحاث والنظام المالي العالمي، وفي الهيكل السياسي للدول الرئيسية بالعالم في ضمان تفوقها وتدقيق الموارد الطبيعية والمالية بالقدر الذي تحتاجه خطط البلاد بمختلف القطاعات، وكيف خدمت السياسة الاقتصاد والأمن، وكيف خدم الاقتصاد والأمن السياسية والعلاقات الإسرائيلية بمختلف دول العالم منذ قيامها وحتى اليوم، كما أرجو أن لا يندهش القارئ إذا لم أبدأ بعلاقات إسرائيل والغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة كما هو متوقع، بل ستكون أولى محطاتنا لدراسة القوة السياسية

الإسرائيلية هي علاقات دولة إسرائيل بدول إفريقيا، لما لها من أهمية استراتيجية فائقة لأمن مصر القومي، كما أن فهمنا الدقيق للتحركات الإسرائيلية للتغلغل في إفريقيا واكتساب الحظوة والنفوذ والسيطرة يقودنا إلى فهم أخطاء الحكومات المصرية المتعاقبة، وكيف باتت مصر اليوم وأمام النفوذ الإسرائيلي دولة بلا نفوذ تقريباً أو قدرة على الفعل داخل أهم مجالات أمنها القومي، للدرجة التي أصبح أمنها المائي محل تهديد، وصارت مصالحتها محاصرة، وبدت الدولة المصرية أمام أزمة سد النهضة الإثيوبي وكأنها دولة صغيرة ليس لها من عناصر القدرة شيء ذو قيمة، وكان يحزني استخدام دبلوماسينا عبارات إنشائية أمام المفاوضين الأثيوبيين دون أي كروت قوة حقيقية تجبر الآخرين على التفاوض الجدي، يمكن للقارئ مقارنة أداء المفاوضين المصريين أمام الأثيوبيين والمفاوضين الإيرانيين أمام الدول الست الكبرى.

○ العلاقات الإسرائيلية ودول القارة السمراء

علاقة إفريقيا بصانع القرار اليهودي لم تبدأ مع إعلان قيام إسرائيل ١٩٤٨ بل بدأت مبكراً بمؤتمر «بازل» ١٩٠٣، حيث تداول اسم أوغندا كوطن قومي مقترح لليهود ورفض الاقتراح بذلك الوقت، وبعد قيام دولة إسرائيل ١٩٤٨ كانت الدولة تتحسس خطاها وترسم استراتيجيات عملها، وقد بدأت أولى الخطوات التنفيذية للاختراق الإسرائيلي لإفريقيا بعد مؤتمر «باندونج» عام ١٩٥٥، وتسارع بعد مؤتمر الدار البيضاء ١٩٦١، حيث عازمت القيادة الإسرائيلية على كسر عزلة إسرائيل والخروج من طوق المقاطعات، الذي فرضته الدول العربية بقيادة مصر والسعودية.

يقول أبا أيبان^(١): لم يكن يكفي اعتماد إسرائيل على أمريكا وفرنسا وبريطانيا في استخدام «حق الفيتو» بمجلس الأمن لضمان مصالح وأمن إسرائيل، بل كنا محتاجين إلى عشرات الدول الأخرى لكي تحول دون تدهور مركزنا

(١) أحد نيهاء إسرائيل وهو من وقف خلف اصدار قرار الأمم المتحدة رقم ١٨١ لسنة ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين وسفير إسرائيل بالولايات المتحدة من ١٩٤٨ حتى ١٩٥٨ ونائب رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة ١٩٥٢ ووزير خارجية إسرائيل من ١٩٦٦ وحتى ١٩٧٤.

العالمي وعزلتنا بالجمعية العامة للأمم المتحدة، وكانت إفريقيا معيّنًا لا ينضب فريدًا من التأييد الدولي واكتساب النفوذ، لهذا كانت أسس العلاقات الإسرائيلية والقارة السوداء تنبع من الحقائق التالية:-

- ١- إفريقيا تمتلك ممرات حيوية مهمة للتجارة العالمية بالمحيط الهندي والأطلسي.
- ٢- تشكل إفريقيا ممرًا مهمًا للتجارة الإسرائيلية، حيث يمر أمام السواحل الإفريقية ما يقدر بـ ٢٥% من تجارة إسرائيل، كما أن رحلات شركة «العال» الإسرائيلية إلى الشرق الأوسط تمر من سماء إريتريا ومن هناك تتجه شرقًا.
- ٣- إفريقيا مخرجًا مهمًا لخروج إسرائيل من عزلتها الدولية، وهو أمر مهم وضروري لضمان أمنها الاقتصادي والعسكري.
- ٤- إفريقيا سوق مهم لتصريف المنتجات الإسرائيلية، وفي نفس الوقت مصدر مهم للمواد الخام والعمالة التي تحتاجهما إسرائيل،
- ٥- إفريقيا مصدر مهم للعديد من الاحتكارات الإسرائيلية العالمية لعدد من المنتجات، يأتي على رأسها الماس حيث تتركز أهم مناجمه في كل من الكونغو الديمقراطية، وسيراليون، وغانا، وإفريقيا الوسطى (صادرات إسرائيل من الماس ١٨ مليار دولار سنويًا)، كما تتركز مناجم اليورانيوم في النيجر^(١).
- ٦- تحتكر شركات إسرائيلية كبرى تجارة عصير الفاكهة في إثيوبيا، ومحصول البن في أوغندا، والسّمسم والبقول السوداني بالسودان، كما تحتكر الشركات الإسرائيلية الزراعية الاقتصاد الإفريقي مثل شركة «أغريد أب» للتطوير الزراعي، وشركة الرا وموتورولا وكون وسوليل وفنادق إفريقيا.

(١) تحتكر إسرائيل ٨٠% من تجارة الماء الثقيل العالمية والاسم العلمي له «أكسيد الديوتريوم» وهو أحد نظائر الهيدروجين، الماء الثقيل جزء أساسي في أي دورة وقود نووي، حيث يستخدم في تبريد المفاعلات النووية وإبطاء سرعة النيوترونات، وتنتج إيران أيضًا هذا المنتج الهام ولديها القدرة على تصديره.

- ٧- يمثل النفاذ إلى دول حوض النيل حلماً استراتيجياً لضمان أمن إسرائيل المائي منذ إنشائها، وتسعى لتحقيقه بشتى الطرق وحتى اليوم عن طريق الحصول على حصة من الإيراد المائي لنهر النيل،
- ٨- محاصرة انتشار الإسلام، ومنع تقدمه بدول القارة السمراء؛ جزء من استراتيجية أشمل لمحاربة انتشار الإسلام بالعالم، لهذا يقول تسيفى مزال نائب المدير العام لشئون إفريقيا بالخارجية الإسرائيلية وسفير إسرائيل بمصر ١٩٩٦-٢٠٠١: (إن العالم صغير ومغلق، وما يحدث في مكان يؤثر في مكان آخر وخصوصاً إفريقيا التي تعتبر جارة لإسرائيل من الناحية الجغرافية، وإذا ما تفشى الإسلام هناك فإن إسرائيل ستتضرر كثيراً أمنياً واقتصادياً وسياسياً). ومما هو جدير بالذكر أن الحكومة الإسرائيلية ترعى جماعات تبشيرية يهودية أهمها «شهود يهوه» وتعتبر إفريقيا مجال عملها الرئيس.

منذ خمسينات القرن الماضي وحتى اليوم استطاعت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة أن تؤسس علاقات قوية مع معظم دول القارة السمراء، وباتت إسرائيل تحظى اليوم بمصادقية كبيرة لدى تلك الدول في مجالات الاستخبارات والتدريب والتسليح، وتعمل عشرات من المؤسسات الأمنية الإسرائيلية الخاصة والمملوكة للدولة كمستشارين للقادة السياسيين والعسكريين والأمنيين الأفارقة وأيضاً موردي خدمات وأسلحة ومعدات إلى تلك الدول، قال رئيس الوزراء الإسرائيلي «بن جوريون» في أحد بياناته أمام الكنيست الإسرائيلي في عام ١٩٦٠: (الصدقة الإفريقية الإسرائيلية تهدف في حدها الأول تحييد دول القارة عن الصراع العربي الإسرائيلي، وتطلع في أحسن حالاتها وعند حدها الثاني إلى ضمان مساندة إفريقيا للمواقف الإسرائيلية ودعمها اقتصادياً وأمنياً).

○ أهم المنظمات الإسرائيلية العاملة بإفريقيا

- وزارة الخارجية.
- اتحاد العمال الإسرائيلي «الهستدروت» وهو من أسس ونظم اتحادات عمال كينيا وغانا وإثيوبيا.

- وكالة التعاون الدولي الإسرائيلية «مشات» وقامت -مثلا- خلال الفترة من ٢٠٠٢ وحتى ٢٠٠٩ بتدريب ما يقارب ٣٣٠٠ مسئول إفريقي داخل إسرائيل، و٥٠٠٠ مسئول خارجها، كما قامت بإرسال أكثر من ٢٠٠ خبير إلى أكثر من ٣٧ دولة في مجالات عديدة من أهمها الري والزراعة والتعاونيات وتخطيط المدن والتخطيط الاقتصادي والأمن.
- الموساد.
- مؤسسة الصناعات العسكرية الإسرائيلية «تاغاس» المسئولة عن صادرات السلاح الإسرائيلي.
- مئات الشركات التي توظف مرتزقة لتقديم الخدمات الأمنية^(١)، وتدريب أطقم الحراسات الرئاسية وأبرزها شركة «ليف دان» وشركة «الشبح الفضي».
- شركة «يولي باريلي» وشركة «أباك» وهما في الظاهر شركتان فرنسيتان ولكنهما يتبعان جهاز المخابرات العامة الإسرائيلي الموساد، ومهمتهما اكتساب النفوذ السياسي والاقتصادي والأمني لخدمة مصالح دولة إسرائيل.
- عشرات الشركات الاقتصادية الإسرائيلية وأهمها شركة «أنكودا».
- تتكامل جهود مؤسسات دولة إسرائيل في اختراق دول القارة السمراء، فبينما تنفق مئات الملايين من الدولارات على أعمال المخابرات لجمع المعلومات؛ واكتساب النفوذ والسيطرة والقوة، وشراء المؤيدين وسحق المعارضين، تحقق مئات الملايين من المكاسب المادية والسياسية والاقتصادية نتيجة إشعال الصراعات، حيث تدعم أنظمة الحكم الموالية لها، وفي نفس الوقت تدعم أنظمة المعارضة والميليشيات بالدول المناوئة لها، وفي مرات عديدة تدعم كليهما في آن واحد، وفي جميع الحالات يكون السلاح والتدريب والمعلومات الاستخباراتية لها ثمناً غالياً وتنعكس إيجابياً على الصناعات العسكرية الإسرائيلية والاقتصاد الإسرائيلي ككل، كما ترعى إسرائيل الشخصيات الإفريقية ذات النفوذ ببلادها، وتمهد لهم مستقبلهم السياسي بهدف أن يكون لهم دور فاعل في القرار السياسي ببلادهم، وبالتالي الحفاظ دائماً على مصالحها

(١) حراسة زعماء القبائل وسياسيين بارزين ورجال أعمال.

وعلاقتها ومن الثابت والمعروف أن دعم إسرائيل لقبيلة: «الदनكا» (٣ ملايين نسمة) بجنوب السودان مهدت الطريق نحو تقسيم السودان وإشعال حرب الجنوب، التي قادت إلى انفصال جنوب السودان عن شماله وقيام دولة جنوب السودان، أيضًا دعمت إسرائيل قومية «الأمهرا» الإثيوبية والتي تحكم إثيوبيا منذ الاستقلال وحتى اليوم، وسيأتي لاحقًا تفاصيل دعمها لحزب الأمة السوداني المؤيد لانفصال السودان عن مصر في خمسينات القرن الماضي.

بدأ التغلغل الإسرائيلي السياسي والاقتصادي بإفريقيا خلال فترة ما قبل استقلال معظم دول القارة السمراء، عن طريق زعماء اليهود الأعضاء في الأحزاب الاشتراكية بأوروبا وبخاصة فرنسا، فمثلًا في عام ١٩٦٠ اعترفت جميع الدول الإفريقية الناطقة باللغة الفرنسية وعددها ١٣ بإسرائيل بضغط من فرنسا، كما كانت إسرائيل دائمًا أول المعترفين بأي دولة إفريقية تعلن استقلالها، فترسل الوفود للتهنئة عارضة المساعدات الأمنية والعسكرية والاستخباراتية والاقتصادية، ثم ما تلبث أن ترسل عشرات الخبراء في جميع المجالات^(١).

ولعل من أبرز نجاحات إسرائيل باستخدام هذا الأسلوب هو التجربة الغانية والكينية «جوموكينيتا» والليبيرية «وليام توييمان»، وإمبراطور وسط إفريقيا «هياسلاسي» الذي كان يرى نفسه وشعبه من السلالة اليهودية، كما كان لإسرائيل علاقات فوق الممتازة بنظام الفصل العنصري بجنوب إفريقيا، كما يجدر الإشارة أن هذا الأسلوب قاد إلى أن تكون إسرائيل هي من قام بإنشاء سلاح الجو ب «سيراليون» ودربت سلاح المظلات بالكونغو وأنشأت مدرسة لهذا الغرض في عام ١٩٦٥، وقامت بتدريب قوات الشرطة التنزانية، وقامت بتدريب قوات الجيش ب «سيراليون» وأنشأت المدرسة العسكرية بالعاصمة «فري تاون»، كما دعمت ودربت قوات المعارضة في أنجولا «حركة يونيتا» التي كانت تسيطر على أهم مناجم الماس بالبلاد، كما أعادت هيكلية الجيش «الرواندي» وتسليحه وتدريبه، وقامت بالأمر نفسه مع الجيش «البورندي» وهذا كان سببًا في إشعال حرب شرسة في منطقة البحيرات العظمى عند منابع النيل، حيث أُغتيل أول رئيس «بوروندي»

(١) معظمهم يرتبط بشكل أو بآخر بالموساد.

منتخب ينحدر من قبيلة «الهوتو» ذات الأغلبية بعد أقل من مائة يوم من انتخابه وتنصيبه رئيسًا للبلاد في عام ١٩٩٣^(١)، كما قامت بحماية العاصمة «الرواندية» «كيغالي» وعاصمة «بوروندي» «بوجمبورا» ضد هجمات قبيلة «الهوتو»، وبأمر من الموساد قامت الصناعات العسكرية الإسرائيلية بتسليح جميع أطراف الصراع بأسعار زهيدة بهدف ضمان حاجة زعماء منطقة البحيرات العظمى للمساعدات الإسرائيلية، ولولا تدخل الرئيس التنزاني «جاكايا كيكويتي» وإنهاء الصراع لاستمر أكثر من ذلك، حيث بدأ عام ١٩٩٣ وانتهى ٢٠٠٥.

مما سبق أعتقد أننا قمنا ببعض التنشيط لتهيئة القارئ على إدراك طريقة عمل دولة إسرائيل في القارة السمراء، وهو نموذج يتكرر أيضًا بجميع دول العالم مع تعديلات طفيفة في التكتيك، أما الأهداف فكانت دومًا واحدة ضمان المصالح الاقتصادية والسياسية والأمنية لإسرائيل، والاستراتيجيات دائمًا ثابتة حيث تتكامل قوة إسرائيل العلمية والتصنيعية والإعلامية والاستخباراتية والمالية في تمهيد الطريق للوصول إلى تلك الأهداف، وفي عجلة سوف نستعرض للقارئ وسريعًا بعض الوقائع والمعلومات الإضافية، والتي تعمق لديه طريقة تفكير المسئولين الإسرائيليين وصناع القرار وتخطيطهم لاكتساب النفوذ وتحقيق مصالح دولتهم في إفريقيا، وستتكرر بنفس الاستراتيجيات والتكتيكات في باقي مناطق العالم ذات الأهمية.

- ١- اليوم لدى إسرائيل علاقات دبلوماسية مع ٤٨ دولة من أصل ٥٤ تمثل جميع دول القارة السمراء، وهو ما يمثل تنويجًا للسياسات الواضحة والصبورة والعملية التي انتهجتها حكومات إسرائيل المتعاقبة.
- ٢- للموساد أكبر قاعدة استخباراتية بإفريقيا في «أديس أبابا» بإثيوبيا، يشرف من خلالها على جميع مكاتب عملياته بالقارة السمراء، كما يشرف على أنشطة دولته بجزيرة «دهلك» الأريتيرية، والتي تتجسس وتتصنت من خلال محطاتها فوق جبل «الأميبا» على كل من السعودية واليمن وباقي دول الخليج والسودان، كما تهيئ له موطئ قدم بالقرب من مضيق باب المندب

(١) حسب ما ورد بتقرير المخابرات الفرنسية عام ١٩٩٦، وتحملت إسرائيل مسؤولية تلك الحرب.

الاستراتيجي تراقب من خلاله أنشطة إيران العسكرية وتمنع تهريب الأسلحة إلى حماس .

٣- السفارة والبعثة الدبلوماسية الإسرائيلية بأديس أبابا أكبر سفارة وبعثة لإسرائيل بالعالم بعد سفارتها بالولايات المتحدة .

٤- تمتلك إسرائيل عددًا من المراسي والأرصفة في مدينة «مصوع» الأريتيرية والقريبة من باب المنذب .

٥- راعي السلام بين إثيوبيا وأريتريا ، -ليست مصر ولا السعودية- بل كانت إسرائيل؛ حيث ترأس البروفسيور الإسرائيلي «أفريم إسحاق» وفد إسرائيل للمصالحة بين البلدين .

٦- إسرائيل تتعاون وبقوة مع الحكومة الإثيوبية في مجالات شتى: الأمن، التعليم، الاتصالات، الزراعة، الري، التخطيط الاقتصادي، التسليح، النقل الجوي، الصحة، التدريب. ومن أشهر صور التعاون الإسرائيلي الإثيوبي صفقة تطوير إسرائيل للطائرات ميج ٢١ بأسعار زهيدة مقابل موافقة إثيوبيا على هجرة يهود «الفلأشا إليها». كما تستغل إسرائيل علاقاتها مع زعماء القبائل بإثيوبيا في ضمان استقرار حكومة أديس أبابا وإنهاء أية خصومات قد تحدث بين حكومة المركز وبين زعماء تلك القبائل، يمثل تدريب أطقم الحراسات لأولئك الزعماء وتجهيزهم بوسائل الاتصالات والإعاقة والتشويش والأسلحة الشخصية أحد أهم مصادر اكتساب النفوذ والتأثير. كما لدى إثيوبيا شركات إسرائيلية متعددة تعمل في مجالات استصلاح مئات الآلاف من الهكتارات وتربية الماشية، وتساعد الحكومة الأثيوبية في مشروعات استصلاح الأراضي حول نهر شبيلي .

٧- العلاقات الإسرائيلية السودانية بدأت منذ ١٩٥٤ وقبل استقلال السودان عن مصر، حيث أوعزت المخابرات الإنجليزية MI6 إلى زعماء حزب الأمة السوداني «عبد الرحمن المهدي» المعروف بكرهه الشديد لبقاء السودان تحت الحكم المصري^(١)، وابنه الأكبر «سيد المهدي» و«محمد أحمد عمر»

(١) نظم المهدي وأبناؤه وأعضاء حزبه محاولة الاعتداء على الرئيس المصري ذي الأصول السودانية =

نائب الأمين العام للحزب في ذلك الوقت و«عبد الله خليل» سكرتير الحزب بالاتصال بإسرائيل، وكان أساس الاتصال هو الأرضية المشتركة لهما وهو العداة لمصر^(١).

٨- في عام ١٩٥٦ وقبل الانتخابات البرلمانية دعمت إسرائيل حزب الأمة السوداني بشراء محصول القطن المزروع بأراضي زعيم الحزب لمدة ثلاث سنوات مقدماً، كما منحت الحزب قرضاً قدره ١٥٠ ألف جنيه إسترليني لمواجهة نفقات الانتخابات، وعمل الدعايات اللازمة لحصار باقي الأحزاب السودانية وخصوصاً التي لا ترى في مصر عدواً وتؤمن بالتكامل الاقتصادي والسياسي لكلا البلدين، وبفضل الدعم الإسرائيلي فاز الحزب بالانتخابات وأصبح «عبد الله خليل» رئيساً لوزراء السودان، ويومها عبر عن رغبته في دوام علاقات اقتصادية قوية مع دولة إسرائيل.

٩- بعد نجاح حزب الأمة في تسلم السلطة في السودان عام ١٩٥٦ كون رئيس وزراء إسرائيل بذلك الوقت «ديفيد بن جوريون» خلية عمل، ضمت بالإضافة له وزيرة الخارجية في ذلك الوقت «جولدماير» و«تيدى كوليك» مدير مكتبه، ونخبة من خبراء الشؤون العربية؛ بغرض دعم حزب الأمة السوداني، والاستفادة من تلك التجربة الناجحة في رسم استراتيجية أكبر وأعمق؛ لاختراق جميع الدول العربية؛ واستغلال الشقوق الموجودة فيه (مثل حزب الأمة السوداني). كما بحثت الخلية إشراك عواصم غربية وعلى رأسها فرنسا وإنجلترا وأمريكا، تخشى السياسات العشوائية التي ينتهجها «عبد الناصر»، وخصوصاً أن ضمان تنفيذ ونجاح تلك الاستراتيجية يحتاج إلى موارد مالية ضخمة ليست ضمن قدرات الحكومة الإسرائيلية بذلك الوقت، في نهاية الاجتماعات تبلور تقرير الاستراتيجية وخطط عملها

= محمد نجيب أثناء زيارته للسودان في أوائل مارس عام ١٩٥٤ بغرض العمل لأجل استمرار الوحدة بين قطبي وادي النيل مصر والسودان.

(١) انظر كتاب مراحل تطور العلاقات الإسرائيلية السودانية للدكتور محمود محارب أستاذ الدراسات الإسرائيلية بجامعة القدس. وانظر -أيضاً- الورقة البحثية لنفس الكاتب بعنوان التدخل الإسرائيلي بالسودان والتي نشرها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ومقره القدس في يونيو ٢٠١١.

ومصادر تمويلها أولي كل تنفيذها إلى أجهزة المخابرات وعلى رأسها الموساد، وبالفعل قررت «جولدا مائير» إنشاء بنك زراعي بالسودان لتمويل أنشطتها الاقتصادية، وأرسلت مدير عام وزارة الزراعة الإسرائيلية لمناقشة احتياجات الخرطوم المطلوبه فوراً، كما بدأت إجراءات قرض بقيمة ٣٠٠ ألف دولار بضمن «المهدي» شخصياً، وفي نفس الوقت قامت باستغلال النفوذ الإسرائيلي بباريس في إقناع الحكومة الفرنسية على منح قروض لحزب الأمة تتجاوز المليون جنيه استرليني، ومساعدات مباشرة إلى الحزب تشمل معدات طباعة أوفست وأدوات مكتبية لاستخدامات الحزب، كما قررت بارييس شراء القطن السوداني مقدماً، ووافقت على تأسيس سلاح الجو السوداني.

١٠- في أواخر السبعينات من القرن الماضي اجتمع الرئيس السوداني «جعفر نميري» في مزرعة رجل الأعمال السعودي «عدنان خاشقجي» بكينيا مع «أريل شارون» وزير الدفاع الإسرائيلي في ذلك الوقت بحضور رئيس المخابرات السودانية «عمر محمد الطيب» وقد أسفر الاجتماع على ما يلي:-

- غض الطرف عن تهجير اليهود «الفلاشا» من إثيوبيا إلى إسرائيل، مقابل مبلغ مالي للرئيس السوداني ورئيس مخابراته^(١).
- السماح بتخزين السلاح الإسرائيلي في السودان لصالح جماعات معارضة لحكومة طهران.
- السماح لإسرائيل بتدريب تلك الجماعات داخل أراضي السودان.

وبالفعل بداية من عام ١٩٨٠ بدأت عملية تهجير يهود «الفلاشا» إلى إسرائيل مروراً بالسودان إلى كينيا، ثم توقفت الهجرة وبدأت مرة أخرى ولكن بالتنسيق مع ال CIA، التي أقنعت حكومة الخرطوم بتأجير قطعة أرض على ساحل البحر الأحمر استخدمها الموساد ووحدات «الكومندوز» الإسرائيلي لاحقاً لتهجير

(١) لم يثبت ذلك الادعاء، إلا أنه تكرر كثيراً في الإعلام الإسرائيلي، والتقارير الدولية التي تتناول تلك الفترة.

باقي يهود «الفلأشا» من إثيوبيا حتى السودان ومنها مباشرة عن طريق البحر الأحمر إلى إسرائيل.

يقول رئيس وزراء إسرائيل «نتنياهو»: عندما يتقاتل أعداؤك عليك إضعافهما معاً.

وأهم من يظن أن تحالفه مع إسرائيل يضمن صداقتها وتحقيق المكاسب السياسية والاقتصادية، كما يجب أن نؤمن بالحقيقة التالية: أن ضخامة وحجم النفوذ الإسرائيلي الإقليمي والعالمي لم يكن ليتحقق لولا ضخامة وعظم أخطاء قادتنا وحكوماتنا المتراكمة، بل وخيانتهم وعمالتهم في أحيان كثيرة.

يمكننا أن نكتب أكثر مما سبق عن النفوذ الإسرائيلي بإفريقيا، وكيف تحقق النفوذ، والتأثير الحقيقي في واحدة من أهم قارات العالم، والفناء الخلفي للدولة المصرية. ولا يمكن أن ننسى أن الرئيس التونسي «الحبيب بورقيبة» أيد وبقوة غريبة قبول عضوية دولة إسرائيل في جامعة الدول العربية.

○ العلاقات الإسرائيلية والولايات المتحدة

لا جدال في حقيقة السيطرة والنفوذ الإسرائيلي اليهودي بالدول الغربية الكبرى، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، وكما بيننا سابقاً. هذا النفوذ لم يأت من فراغ أو دون اجتهاد بل هو نتاج جهد وعمل، وتخطيط وصبر دؤوب، ضمن خطط واستراتيجيات وأهداف تضمن مصالح اليهود وحلم دولتهم إسرائيل، إن النفوذ الضخم لليهود في عالمنا اليوم لا يعود إلى طبيعة ذاتية متفوقة، أو جينية عنصرية ذكية، أو صفات خارقة كما يروج بعض المتعصبين منهم أو الجهلاء مثلاً؛ ولكن طول ٢٥٠٠ عام سابقة فرض عليهم فشلهم وضعفهم بعضاً من المهارات أهلتهم لكي يكونوا قوة مالية واقتصادية وعسكرية وعلمية لا يستهان بها، وفيما يلي بعض ما ميزهم طيلة تاريخهم وأكسبهم اليوم تفوقاً:-

١- الخبرة التنظيمية الجيدة، والعمل السري الطويل الذي قد يمتد لبلوغ أهدافهم عشرات السنين.

٢- درجة التنسيق الكبيرة بينهم في جميع المجالات المختلفة كالإعلام والاقتصاد والسياسة.

- ٣- نجاحهم في ربط قضاياهم ومصالحهم بقضايا ومصالح الآخرين، وقد أثمرت تلك الجهود في طرح مفهوم المسيحية الصهيونية^(١).
- ٤- يدير اليهود الأمريكيون أهم شبكات التلفزيون بأمريكا (CNN - NBC - ABC - CBC).
- ٥- يسيطر اليهود على أهم الصحف والمجلات الأمريكية وأكثرها أثرًا في توجيه الرأي العام، مثل: وول استريت جورنال، الديلي نيوز، نيويورك تايمز، الواشنطن بوست، التايم، النيوزويك.
- ٦- يسيطر اليهود على صناعة السينما في هوليوود، من خلال شركات مثل: فوكس، وبارامونت، و مترو جولدن، ونيفرسال.
- ٧- نتيجة التعليم الراقي والمتميز الذي يوفره اليهود لأبنائهم؛ إليكم الحقائق التالية، والتي تساعد على فهم أسس النفوذ الإسرائيلي واليهودي بالولايات المتحدة الأمريكية:-
- ٧- ١- يوجد ٥٧ يهوديًا ضمن أهم ٥٠٠ شخصية قيادية بالدولة.
- ٧- ٢- يمثل اليهود ٢٥% من القيادات الإعلامية.
- ٧- ٣- يمثل اليهود ٤٥% ضمن أهم ٢٠٠ شخصية ثقافية وفكرية أمريكية.
- ٧- ٤- يمثل علماء الاجتماع اليهود ٤٥% من قائمة أشهر علماء الاجتماع بأمريكا وترتفع هذه النسبة إلى ٦٥% في علوم الإنسانيات.
- ٧- ٥- من ضمن أهم عشرين عالمًا ومفكرًا أمريكيًا يوجد ١٥ يهوديًا (دراسة البروفسير روبنشتاين).
- ٨- خلال الحرب العالمية الأولى كان عدد سكان الولايات المتحدة الأمريكية اليهود ٢.٥ مليون منهم ٢٠ ألفًا فقط صهيونيون، ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية تدفقت موجات هجرة يهودية كثيفة إلى الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها ملاذًا آمنًا يوفر الحماية من موجات معاداة السامية، التي كانت سائدة في أوروبا بذلك الوقت (اليوم يبلغون حوالي ستة ملايين، أكثر

(١) يمثل المسيحيون البروتستانت ٧٠% تقريبًا من الشعب الأمريكي، ويؤمنون بعودة المسيح وبداية الألفية السعيدة، التي لكي تتحقق يجب إقامة هيكل سليمان فوق جبل صهيون وعودة ملك بني إسرائيل.

من نصفهم صهيونيون إحصاء ٢٠١٤)، ومنذ خمسينات القرن الماضي تبلور ما يعرف باللوبي اليهودي الصهيوني بأمريكا، الذي أثمر تكوين لجنة الشئون العامة الأمريكية الإسرائيلية عام ١٩٥٣ «إيباك» وهدفها الأساسي ليس فقط التأثير على السياسات الأمريكية، بل السيطرة على عملية صنع القرار وتوجيهه لخدمة المصالح الإسرائيلية والصهيونية واليهودية بأمريكا والعالم.

٩- عدد اليهود بأمريكا يمثلون تقريبا ٢% من عدد السكان، يصوتون بانتظام بجميع الانتخابات الأمريكية بنسبة لا تقل عن ٩٥%، بينما باقي الأمريكيين يصوتون في أحسن (أصحاب) بنسبة ٥٢% أي أن اليهود يتضاعف وزنهم النسبي إلى عدد السكان من ٢% إلى ٤% تقريباً عند الانتخابات الأمريكية، لاحظ أن عدد المسلمين الأمريكيين تقريبا ٣% أي أكثر من عدد اليهود ولكن ليس لهم تأثير، ويعانون من انخفاض مستويات الدخل ومستويات التعليم والمهارات العملية والثقافة.

١٠- ٦٠% من ميزانيات مرشحي الرئاسة الأمريكية تأتي من ممولين يهود.

١١- في عام ١٩٨٠ أشار الكتاب السنوي لليهود الأمريكيين أن هناك ٣٤٢ منظمة مرتبطة بالصهيونية العالمية؛ تعمل مباشرة لصالح إسرائيل وتتنوع أنشطتها بين الأنشطة الثقافية، والفنية، والاجتماعية، والعلاقات العامة، والأنشطة الدينية.

١٢- يسيطر اليهود الأمريكيون على مجلس الأمن القومي الأمريكي NSC، وهو المسئول عن تقديم التقارير إلى الرئيس الأمريكي، والتي يتم بناءً عليها تقرير السياسات والاستراتيجيات الأمريكية الأمنية والسياسية والاقتصادية والعسكرية بالعالم، وهو يتكون من:

- ١- الرئيس الأمريكي.
- ٢- نائب الرئيس.
- ٣- مستشار الرئيس للأمن القومي.
- ٤- وزير الدفاع.
- ٥- وزير الخارجية.
- ٦- وزير الخزانة.
- ٧- وزير الزراعة.
- ٨- وزير التجارة.
- ٩- مدير ال CIA.
- ١٠- وزير الأمن الداخلي.
- ١١- سفير الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة.

أهم من شغل رئاسة مجلس الأمن القومي الأمريكي: (برنت سكوكروفت، برجنسكى، ماك جورج، هنرى كيسنجر، جورج بوش الأب، كونداليزا رايس).

وجميعهم بلا استثناء يرتبطون بصلات قوية باللوبي الإسرائيلي، وكانوا دائماً مخلصين وملتزمين بحماية مصالح دولة إسرائيل، ويجدر الإشارة إلى تقرير مجلس الأمن القومي الأمريكي المرقم ٣-٦٥ بتاريخ ١٩ مايو ١٩٥٠، الذي وضع أساس ومبدأ حماية إسرائيل وضمان تفوقها العسكري والاقتصادي على جميع دول المنطقة ويعمل به حتى الآن، كما أننا سنتأكد من حجم سيطرة اليهود على مجلس الأمن القومي الأمريكي أنه في عهد «كلينتون» ١٩٩٣-٢٠٠١ حيث كانت «مادلين أول بريت» وزيرة الخارجية يهودية، ووزير الدفاع «وليام كوهين» يهودياً، ووزير الخزانة «روبرت روبن» يهودياً، ومدير المخابرات الأمريكية «جورج تانت» يهودياً، و«دان جليكمان» وزير الزراعة يهودياً، كان ٥ من أصل ١١ يمثلون أعضاء مجلس الأمن القومي الأمريكي يهوداً مخلصين.

١٣- المحكمة العليا الأمريكية أعلى سلطة قضائية بالبلاد، ٧٥% من رؤسائها يهود، و٧٠% من أعضائها يهود يميلون إلى المسيحية الصهيونية، وتتكون من تسعة أعضاء يبقون في مناصبهم مدى الحياة، وهم من يفسرون القوانين الأمريكية ويراجعون إجراءات وقوانين الحكومة الاتحادية وحكومات الولايات، ولهم سلطة إبطال القوانين التي لا تتفق مع الدستور الأمريكي، وهي طبقاً لتكوينها وسلطاتها سلطة سيادية مستقلة كاملة، تسري أحكامها على جميع مؤسسات الدولة.

١٤- الكونجرس: وهو أعلى سلطة تشريعية بالبلاد، ولليهود نفوذ واسع به عن طريق أعضاء الكونجرس وبخاصة اليمين المسيحي الموالين للصهيونية العالمية وإسرائيل، كما أن اليهود الأمريكيين يسيطرون على عشرات المراكز البحثية التي تقدم خدمات استشارية إلى أعضاء الكونجرس، وتقدم لهم التقارير والتحليلات في مختلف القضايا السياسية والاقتصادية والأمنية، التي بالتأكيد تصب في ضمان مصالح اليهود ودولة إسرائيل وتفوقها، وهنا يجب أن نتوقف طويلاً أمام تصريح الزعيم الجمهوري والسياسي الأمريكي الكبير «بيوكانان»، حيث قال: إن الكونجرس أصبح كالضفة الغربية يحتله

الإسرائيليون. وللعلم الكونجرس الأمريكي ضمن صلاحياته وسلطاته الواسعة أن يعين كبار التنفيذيين بالدولة، وهو الأمر الذي يجعل الطموحين والنبهاء بالجهاز الإداري بالدولة الأمريكية لا يمكن أن يكونوا مناصبين للدولة اليهودية أو اليهود بصفة عامة العداء، فيستحيل تقلد أي منصب مرموق إلا بعد موافقة الكونجرس، أي بعد مباركة اليهود وتجنب معارضتهم.

١٥- مؤسسة الرئاسة الأمريكية التي تعلم جيداً أهمية الآلة الإعلامية الصهيونية الهائلة وأثرها في توجيه الرأب العام الأمريكي، ولهذا لا يمكن أن نحدد مرشحاً للرئاسة الأمريكية ومنذ قيام إسرائيل يجروء على تحدي المصالح الإسرائيلية بالعالم أو تهديدها، كما أن جميع الرؤساء الأمريكيين وبلا استثناء يلتزمون بمبدأ حماية دولة إسرائيل وضمان تفوقها على جيرانها، الأمر الذي صار قاعدة ثابتة للسياسات الأمريكية منذ خمسينات القرن الماضي، ولا يجب أن ننسى ما نقل عن الرئيس الأمريكي «جورج بوش الابن» (٢٠٠١-٢٠٠٩) وهو يخشى من تكرار ما حدث مع والده الأب وخسارته للانتخابات الأمريكية عام ١٩٩٣، وفي بداية حملته لفترة رئاسية ثانية أنه يشعر بالضعف والخزي والانعزال وهو يخاصم قوة عملاقة مثل اللوبي الصهيوني الذي أسقط والده بالانتخابات.

مما سبق نستطيع فهم وإدراك سيطرة اليهود وبالتالي دولة إسرائيل على مفاصل الدولة (التنفيذية والتشريعية والقضائية)، يساعدها في تحقيق ذلك سيطرت اليهود على الآلة الإعلامية بأمريكا والعالم، وأيضاً قوة رأس المال اليهودي وتحكمهم في أهم شركات البترول وصناعة السلاح بأمريكا، وكالعادة لا ينفق اليهود أموالهم هباءً أو بلا عائد فكل دولار أنفقوه في سبيل السيطرة على مراكز صنع القرار الأمريكي واكتساب النفوذ والحلفاء والمؤيدين بأركان الدولة عاد إليهم أضعافاً، ويكفي أن يعلم القارئ أن إجمالي المساعدات الأمريكية إلى دولة إسرائيل منذ العام ١٩٥٠ وحتى ٢٠١٥ بلغ ١٤١ مليار دولار منهم ٧٥ ملياراً مساعدات عسكرية. كما يمكن للقارئ أن يعلم ماذا يعني النفوذ الهائل بدولة مثل

أمريكا يعادل الناتج المحلي الإجمالي لها في ٢٠١٥ ١٦٠٠٠ مليار دولار^(١)، بالتأكيد يعني هذا الكثير من النفوذ والسيطرة والثراء الفاحش.

وختامًا أحب أن أسرد للقارئ أحد الطرائف حدثت أثناء مفاوضات السلام الفلسطينية الإسرائيلية في عام ١٩٩٧ والتي نتج عنها اتفاقية الخليل، كان أفراد الوفد الأمريكي الراعي للاتفاق يهودًا صهيونيين مخلصين (دنيس روس، هارون ميلر، مارتن انديك)، وعندما حان موعد الصلاة اليهودية قام الوفد الإسرائيلي ومعهم أعضاء الوفد الأمريكي لأداء الصلاة ولم يبقَ بالغرفة إلا «صائب عريقات» و«جميل الطريفي» أعضاء الوفد الفلسطيني.

النموذج السابق يتكرر متطابقًا في جميع دول العالم الغربي المتقدم، حيث يوظف اليهود إمكانياتهم العلمية والمالية والاستخباراتية والإعلامية نحو اختراق سلطات الدول، وتطويع وتوجيه سياساتها نحو ضمان تقدم إسرائيل وازدهارها وضمن حمايتها وتفوقها على جميع أعدائها ومنافسيها.

○ النفوذ اليهودي بروسيا

يشكل اليهود نسبة ٧ من الألف من عدد سكان (روسيا تقريبًا) مليون نسمة من أصل ١٤٥ مليون، ومع ذلك فنفوذهم ضخم وقوي في جميع مفاصل الدولة^(٢).

يرجع النفوذ اليهودي في روسيا إلى بدايات الثورة الشيوعية، وهناك أدلة قوية على أن تمويل هذه الثورة عام ١٩١٧ جرى على أيدي أثرياء اليهود، وعندما تشكل المكتب السياسي الأول للثورة «البلشفية» كان من بين أعضائه السبعة أربعة من اليهود^(٣)، أمّا «لينين» زعيم الثورة «البلشفية» وزعيم الاتحاد السوفيتي ٨ نوفمبر ١٩١٧، فكان يتفاخر بأن أصوله يهودية، حسب ما ورد ببحث للكاتب الأمريكي اليهودي «لويزفشر» الذي عاصر «لينين» والمنشور في عام ١٩٦٥، حيث

(١) الناتج المحلي للولايات المتحدة يساوي مجموع الناتج المحلي الإجمالي لكل من: اليابان، ألمانيا، إنجلترا، فرنسا، كندا، إيطاليا، روسيا.

(٢) لاحظ المفارقة عدد السكان المسلمين في روسيا تقريبًا ٢٠% من عدد السكان، أي حوالي ٢٩ مليون نسمة، أي أكثر من ٢٩ ضعف اليهود.

(٣) (ترونسكى، وكامينيف، سوكولنكوف، زينونيف).

ذكر أن اسم لينين اليهودي هو «زيدر بلوم». أيضًا ذكرت مجلة فرنسا القديمة في عام ١٩١٨ نفس التأكيدات، وما يؤكد ذلك أن في أول حكومة شيوعية كان هناك ١٧ وزيراً يهودياً من أصل ٢٢ وزيراً، وبعد إنشاء الحزب الشيوعي كان ٨٠% من القيادات العليا بالحزب من اليهود، وفي جميع الحالات، الثابت أن الثورة «البلشفية» كانت ردًا من اليهود الروس على اضهاد روسيا القيصرية لهم، كما أسس اليهود صحيفة «برافدا» أول صحيفة تتبع الحزب الشيوعي واسعة الانتشار بالاتحاد السوفييتي السابق، كما أنه من الثابت أنه بمؤتمر «يالطا» (١١ فبراير ١٩٤٥) قدم «روزفلت» الرئيس الأمريكي نفسه لـ «ستالين» على أنه صهيوني وحين سأله مستفسراً هل هو صهيوني، رد: نعم.

وقد قام عملاء اليهود بالولايات المتحدة بتزويد السوفييت بأسرار القنبلة الذرية والمواد اللازمة لتصنيعها، مقابل دعم «ستالين» للمشروع الصهيوني لإنشاء دولة إسرائيل على أرض فلسطين، حيث وقف الروس بقوة إلى جانب الأمريكان في الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ ودعموا قرارات تقسيم فلسطين، ولأهمية روسيا لدى إسرائيل كانت «جولدا مائير» رئيسة وزراء إسرائيل فيما بعد (١٩٦٩-١٩٧٤) أول سفيرة لإسرائيل بالاتحاد السوفييتي وتم استقبالها بحفاوة من قبل المسؤولين والتنفيذيين الروس.

كما هو الحال بالولايات المتحدة كان اليهود الروس في مقدمة المثقفين والعلماء، ومنتخذي القرار حيث شكل اليهود الروس ٥% من حملة دكتوراه العلوم، و١٤% من عدد الكتاب والأدباء الروس و٢٣% من عدد الموسيقيين و١٥% من عدد القيادات السياسية بالحزب الشيوعي.

وكالعادة كل دولار أنفقته أثرياء اليهود يجب أن يعود إليهم أضعافاً مضاعفة، وهو ما حدث مع أنه يرى النظام الشيوعي حيث سيطر اليهود على مراكز صنع القرار الروسي في عهد «بوريس يلتسن» وبرزت مجموعة موسست بانك التي امتلكها الملياردير الروسي «فلاديمير غوسينسكي» رئيس مؤتمر المنظمات اليهودية الروسية، وصاحب أضخم إمبراطورية إعلامية غير رسمية بروسيا (NTV)، وصارت مجموعة «موسست» هي المسيطرة على الرئيس الروسي وعائلته للدرجة التي أوصلت «بوريس بيروزفسكي» اليهودي الديانة، الإسرائيلي الجنسية

نائب سكرتير مجلس الأمن القومي الروسي أن يكون رجل روسيا الأول بلا منافس.

في تقرير للبرلمان الروسي عام ١٩٩٩ ذكر أن خسائر برنامج الخصخصة الذي أداره اليهود في فترة «ياتسن» بلغت ٣٠٠٠ مليار دولار، ذهبت معظمها إلى أثرياء اليهود وهو رقم ضخم يساوي تقريباً مجموع ميزانيات جميع دول أوروبا في ذلك الوقت، في عام ٢٠٠٢ وبعد عامين من تولي الرئيس «فلاديمير بوتين» الحكم نشرت صحيفة كوميرسانت أشهر الصحف الروسية بديسمبر ٢٠٠٢ دراسة أوضحت فيها كيف يقاوم اليهود الروس وأثريائهم الخطط السياسية والاقتصادية للرئيس «بوتين» وأوردت الإحصاءات التالية التي توضح مدى نفوذهم الاقتصادي، الذي ينعكس وبشدة في نفوذهم السياسي :-

٧٠% من قطاع النفط تسيطر عليه شركات يهودية.

١٠٠% من قطاع الأسمدة الزراعية أملاك يهودية.

٨٠% من قطاع السيارات تسيطر عليه شركات يهودية.

٨٥% من قطاع الأخشاب يسيطر على اليهود.

٦٠% من قطاع الطيران المدني يسيطر عليه شركات يهودية.

٧٠% من قطاع البنوك والمصارف يسيطر عليه اليهود.

٨٠% من قطاع التأمين يسيطر عليه اليهود.

٨٥% من شركات الإعلام يسيطر عليه اليهود

لم يجد «بوتين» سبيلاً لإصلاح الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في بلاده إلا تصحيح فترة الحكم اليهودي لروسيا خلال فترة حكم «يلتسين»، وبالفعل بدأ في ترسيخ الروح القومية الروسية وإعادة إحيائها ثم مطاردة أثرياء اليهود الذين كونوا ثروات هائلة نتيجة الفساد السياسي خلال عهد سلفه، وهو الأمر الذي قلص قليلاً وروض النفوذ اليهودي بروسيا، كما أن الهجرات الواسعة التي تمت لليهود بعد سقوط الاتحاد السوفيتي إلى إسرائيل قلص من نسبتهم إلى عدد السكان، إلا أنه لا يزال للنفوذ اليهودي بروسيا أثر كبير لا يستهان به، وقد نجح مرات عديدة في عرقلة صفقات تسليح ضخمة كان يفترض أن تذهب إلى

دول عربية من بينها مصر والسعودية، وأيضًا التأثير على روسيا لتأجيل أو إلغاء صفقة الصواريخ إس ٣٠٠ التي تم الاتفاق على تصديرها إلى إيران وتركيا^(١).

○ النفوذ الإسرائيلي واليهودي العالمي

في ختام حديثنا عن القوة السياسية الإسرائيلية، والتي تستمد قوتها وزخمها ونفوذها من تكامل كافة إمكانيات الدولة مع كافة إمكانيات اليهود أينما كانوا بالعالم - أحب أن أسرد للقارئ بعضًا من الحقائق التي تعطيه عمقًا يضاف إلى ما ورد سابقًا، وتجعله مدرّكًا كم بذل اليهود من جهد وعمل لنسج شبكات معقدة من المصالح الاقتصادية والأمنية والسياسية مع أهم حكومات العالم؛ بغرض ضمان التفوق والحماية للدولة اليهودية بصفة خاصة واليهود في جميع أنحاء العالم بصفة عامة.

١- هناك تحالف قوي بين العائلات اليهودية الاقتصادية الكبرى (روتشيلد، روكفلر، مورجان)^(٢)، لن تجد شركة كبرى عالمية أو بنكا أو مصرفًا إلا وفي نهاية الأمر ستجد أحد هذه العائلات يتحكم فيها ويملكها كلها أو حصة حاکمة فيها. أهم شركات الطاقة^(٣) العالمية، والبنوك والمصارف، وشركات التأمين، وشركات تصنيع السلاح، وشركات النقل واللوجستك، والشركات التي تعمل في القطاعات الحيوية للدول مثل شركات الأدوية والأغذية والاتصالات وتكنولوجيا المعلومات والصناعات الثقيلة، وأهم مناجم المواد الأولية والذهب واليورانيوم بالعالم، وأهم شركات التكنولوجيا المتقدمة والتشكيلات الإعلامية الكبرى، و٣٠% من مصادر

(١) خلال العام الحالي ٢٠١٧ وبصعوبة استطاعت تركيا إنفاذ صفقتها للحصول على أنظمة الدفاع الجوي إس ٤٠٠ بعد تفاهات استراتيجية مفاجأة مع روسيا.

(٢) عائلة «روتشيلد» اسم العائلة يعني الدرر الأحمر، تلك الأسرة ذات الأصول الألمانية، تبلغ ثروتها حسب ما هو متاح من معلومات ما يعادل الناتج المحلي الإجمالي الأمريكي لعام ٢٠١٥ ٣١ ضعفًا أي تقريبًا ٥٠٠ ألف مليار دولار، هم من كانوا وراء ربط أسعار البترول بالدولار الأمريكي، وهم من قرروا إلغاء ربط الدولار الأمريكي بغطاء الذهب، وتحويل العملة العالمية الأولى إلى عملة ورقية يتحكمون في مطبعتها.

(٣) النفط والغاز جزء منها.

المياه العذبة بالعالم، جميعها ستجدها تؤول في نهاية الأمر إلى أي من تلك العائلات وتحت سيطرتها.

٢- وكالة رويتر للأخبار، أهم وكالات الأنباء العالمية يملكها اليهودي «بول رويتر».

٣- «بن شالوم برنانكي» يهودي الديانة، أمريكي الجنسية، تلميذ البروفيسر اليهودي «ستانلي فيشر» محافظ البنك المركزي الإسرائيلي، ورئيس مجلس إدارة بنك الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي (٢٠٠٦-٢٠١٣)، صاحب نظرية دعم البنوك (اليهودية طبعًا) خلال الأزمة العالمية ٢٠٠٨ والمعروفة بنظرية التيسير الكمي والتي مولت البنوك الأمريكية (اليهودية) بـ ٢٧٥٠ مليار دولار خلال الفترة ٢٠٠٨-٢٠١٢ على ثلاث دفعات QE-1 QE-2 QE-3، وبعد ما كان من الخيال أن يتبنى بنكًا مركزيًا كبيرًا سياسات تقوم على طبع النقود دون إنتاج أو قيمة حقيقية قبل ٢٠٠٨ تحولت تلك الخيالات إلى واقع وسنة بدأها بنك الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي، وتبعته باقي البنوك المركزية العالمية الكبرى الأخرى، وبعد أن كانت تلك السياسات تتبعها الدول المتخلفة والصغيرة، والتي يطلق عليها جمهوريات الموز، أصبحت تلك السياسات ولأجل إنقاذ المصارف والبنوك اليهودية سياسة عالمية يتزعمها أهم وأكبر بنك مركزي بالعالم وحتى اليوم.

٤- مجموعة «جولدمان سيكس» من أهم المجموعة المالية بأمريكا والعالم تقدم خدماتها إلى أهم حكومات وأثرياء العالم يبلغ دخلها السنوي ١٠٠ مليار دولار، وحجم أرباحها ٢٠ مليارًا (٥ أضعاف دخل قناة السويس) يرأس مجلس إدارتها اليهودي «لويد بلانكفين».

٥- «برنارد مادوف» اليهودي ابن إسرائيل البار، وفتى «وول استريت» المدلل ورئيس مؤشر ناسداك أهم سوق مالي لشركات التكنولوجيا، وأكبر المتبرعين لدولة إسرائيل واللوبي اليهودي الأمريكي هو المتسبب فيما يعرف بفضيحة «مادوف»، حيث خسرت الشركات العالمية المتعاملة مع مؤسسته ما يقدر بـ ٥٠ مليار دولار يقال إنها ذهبت مباشرة لدعم دولة إسرائيل.

- ٦- «لونيل روتشيلد» أستاذ حاييم ويزمان أول رئيس لإسرائيل ورئيس الطائفة اليهودية بإنجلترا مول إنشاء مبنى الكنيسة الإسرائيلي بالقدس.
- ٧- «أدموند روتشيلد» الجد والحفيد كلاهما له نفس الاسم، ورئيسا فرع العائلة في فرنسا وهما من مؤلا لهجرة اليهود إلى فلسطين قبل إعلان الدولة، وبعدها قدما مساعدات مالية ضخمة في سبيل بناء الدولة بعد قرار التقسيم.
- ٨- جون بارون دى روتشيلد (صاحب عبارة نحن نحكم العالم).
- ٩- السير ايفيلين دى روتشيلد (السياسي الوحيد بأمریکا صاحب العضوية في كلا الحزبين الديموقراطي والجمهوري وصاحب مقولة من يقول لي ممنوع).
- ١٠- ديفيد روكفلر (صاحب عبارة ليس من الحكمة أن ترفض عرضًا من عروض العائلة).
- ١١- «ناثان واربورغ» مؤسس أحد العائلات اليهودية الرأسمالية الكبيرة، وأسهم مع عائلة «لروكفلر» في إنشاء بنك الاحتياط الفيدرالي الأمريكي، وشريك للعائلة في استثمارات عديدة.
- ١٢- «هنري كيسنجر» وزير خارجية أمريكا (١٩٧٣-١٩٧٧) يهودي الديانة صهيوني متعصب عمل مستشارًا للأمن القومي للرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون ومازال مستشارًا لجميع القادة الأمريكيين حتى اليوم.
- ١٣- «بول فولكر» رئيس بنك الاحتياط الفيدرالي الأمريكي (١٩٧٩-١٩٨٧) يهودي أمريكي هو من اختار أوباما لرئاسة أمريكا، وأقنع الحزب الديموقراطي بترشيحه، عمل مستشارًا للرئيس الأمريكي للشؤون الاقتصادية ورئيس مجلس الخبراء الاقتصاديين بالبيت الأبيض ٢٠٠٩-٢٠١٣.
- ١٤- لارى سامرز، يهودي أمريكي صديق وشريك بول فولكر وخلفه في رئاسة مجلس الخبراء الاقتصاديين بالبيت الأبيض، والمسئول عن تقرير السياسات الاقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية وبالتالي العالم.
- ١٥- جانيت يلين، رئيسة بنك الاحتياط الفيدرالي الحالية (٢٠١٤ - حتى الآن) يهودية أمريكية.

١٦- تشرشل، ولويد جورج، رئيسا وزراء إنجلترا السابقين، من أكثر زعماء الصهيونية العالمية إخلاصًا وولاء، يضاف إليهم وزير الخارجية الإنجليزي «بلفور» الذي أعطى وعدًا لعائلة «روتشيلد» بإنشاء وطن قومي لليهود؛ مقابل إنقاذ العائلة للاقتصاد الإنجليزي الذي كان على وشك الانهيار بالحرب العالمية الأولى.

١٧- عائلة ماردوخ اليهودية تمتلك في بريطانيا أهم الصحف والمجلات كالتايمز، والصن داي، ونيوزاوف ذا، ورلد وسيتي مجازين، والديلي تلغراف.

١٨- يمتلك اليهود ٢٨٠ دارًا للسينما في بريطانيا وشركة ATV أهم شركات الإنتاج التلفزيوني هناك، ويمتلكون المسرح الملكي أعرق مسارح لندن ودورى لين وفكتوريا بالاس.

ختامًا، علينا أن نعود وكلما تملكنا اليأس أو التشتت أو فقدنا البوصلة والاتجاه إلى كتابنا، كتاب الله ﷻ فيه من كل شيء حكمة وتفصيلًا، فما فرطنا في الكتاب من شيء. قوة إسرائيل واليهود ترجع إلى ضعفنا وتخلفنا وضعفنا وتخلفنا يعود إلى تخلف وضعف قادتنا، نحن أمة لا تنقصنا الأهداف ولا الرؤية ولا القيم الأخلاقية الرفيعة ولا الموارد البشرية أو المادية ولا ينقصنا العقول، بل ينقصنا الإدارة وينقصنا المفكرون والاستراتيجيون والسياسيون أن يكونوا في مراكز صنع القرار، لأننا افتقدناهم على مدار عقود تمتد لأكثر من ستين سنة منذ الاستقلال، أرجو من القارئ وكأنه يمارس نوعًا من الرياضة الذهنية أن يجاوب على السؤال البسيط التالي: هل حكمنا يومًا وقادنا أفاضلنا وأكثرنا نباهة وحكمة وعلم، وقبل كل هذا أكثرنا صدقًا وأمانة؟

تأملوا قول الله ﷻ عن اليهود.

١- ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لِنُفْسِدَنَ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلِنَعْلَمَنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿١﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٢﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٣﴾ إِنَّ أَحْسَنَهُمْ أَحْسَنُكُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ

- فَلَهَا فِإذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةَ لِيَسْتَوُوا وُجُوهَكُمْ وَيَلِدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّوْا مَا عَلَوُا تَنَبُّرًا ﴿[الإسراء: ٤-٧].
- ٢- ﴿بِأَسْمِهِمْ يَبْنَهُمْ شَدِيدًا تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿[الحشر: ١٤].
- ٣- ﴿وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ وَبَاءُوا بِغَضَبِ رَبِّكَ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَّ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿[البقرة: ٦١].
- ٤- ﴿سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَاءَكَ فَاحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَصْرِوْكَ شَيْئًا وَإِن حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿[المائدة: ٤٢].
- ٥- ﴿كُلَّمَا أَوْفَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَسَعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿[المائدة: ٦٤].
- ٦- ﴿وَإِذ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الْيَوْمَ الَّذِي كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ لَكَاِبُونَ ﴿[الأعراف: ١٦٧].
- ٧- ﴿فِيمَا نَقَضَهُمْ مِّيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا وَتَسُوهُنَّ لَمَّا دُكِرُوا بِهِ وَلَا نَزَالَ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿[المائدة: ١٣].
- هم ليسوا شعب الله المختار كما يحلو لبعضهم أن يقول، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ فَلَمَّ يَءَذِّبْكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿[المائدة: ١٨].

هم يخطئون ويصيبون، الهوة العلمية والاقتصادية والسياسية واسعة بين إسرائيل وجميع الدول العربية ومصر منهم، القدرات العسكرية التقليدية والاستراتيجية لصالحها ولكن هل نستسلم؟ الإجابة الحاسمة القاطعة لا. ولكن المدخل الصحيح لتضييق الفجوة بل والتفوق هو استيعاب الواقع وفهمه الدقيق، والتخطيط السليم مع دراسة أخطاء الماضي وانتقاء أفضل وأنزاه العناصر الوطنية القادرة على إدارة أعلامنا في التغيير في أقل وقت وتعظيم الموارد المتاحة؛

ولأجل هذا قمت بتلك الدراسة لأنني مؤمن أن مصر أعظم حضارات العالم قديماً وحديثاً قادرة وشعبها الفريد على تحقيق التفوق والريادة والانتصار على مخططات الإضعاف وتبديد الموارد وتشتيت التركيز والحيود عن الأهداف المهمة والكبرى، نحن دولة كبرى وليس كما يدعي عكس ذلك البعض، مواردنا البشرية والطبيعية وموقعنا يؤهلنا لذلك، لسنا دولة فقيرة الموارد بل نحن دولة فقيرة المواهب بسدة الحكم، لسنا شعباً متخلفاً جاهلاً مريضاً، بل نحن شعب متفرد نبه، غاية في الانضباط والجلد والصبر، تغيير واقعنا لا يحتاج لأكثر من ٣٦ شهراً كفيلة بتغيير الحياة فوق أرض مصر.

١٣٢ القوة الاجتماعية لدولة إسرائيل

○ الأمن الداخلي

بينما ترتع المنظمات الإرهابية بالمنطقة والعالم وتعيث في الأرض فساداً شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً؛ تقف إسرائيل وسط الدول القليلة على مستوى العالم التي لم تتضرر كثيراً من جراء حرب الإرهاب العالمية الدائرة الآن^(١)، بالتأكيد يقف خلف هذا الإنجاز الكبير جهداً وعملاً جماعياً رائعاً ومحترفاً يجمع كل الهيئات المعنية بالأمن الداخلي الإسرائيلي، وتأتي وزارة الأمن الداخلي وجهاز «الشاباك» (الاستخبارات الداخلية) على رأس تلك الهيئات وتتبع مباشرة رئيس الحكومة،

حسب ما ورد بموقع وزارة الأمن الداخلي، فإن الوزارة تعمل من خلال رؤية واضحة تقوم على إدخال تحسن كبير في الشعور بالأمن والأمان الشخصي والمجتمعي لجميع مواطني الدولة، وخلق مجتمع يحترم القانون، ويمقت العنف والبلطجة، وبهذا تتاح الفرصة أمام مواطني الدولة في العيش بسلام ورخاء وازدهار، من خلال هذه الرؤية تعتبر وزارة الأمن الداخلي مسؤولة أمام الشعب والحكومة عن تطبيق القانون والتعامل مع ظاهرة الجريمة بشكل عام والجريمة المنظمة بشكل خاص، كما تعتبر مسؤولة عن حماية المجتمع من الهجمات

(١) إيران وتركيا أيضاً كذلك.

الإرهابية بشكل صارم، وإدارة السجون وتأهيل السجناء ومراقبة أحوالهم الصحية والاجتماعية وحماية الشهود ضمن برنامج مقرر لمكافحة الفساد والجريمة المنظمة ومنع العنف والبلطجة ومكافحة التهريب والمخدرات والكحول، تجربة الدولة اليهودية في محاربة الإرهاب وإقرار القانون وحماية الدولة من استغلال الإرهابيين للثغرات الأمنية جديرة بالاهتمام والدراسة والتعلم، الإجراءات الاحترازية التي تنفذها الكمائن الإسرائيلية وتجهيزات أفرادها وتدريبهم الفعال تجعلنا ندرك أن النجاح لا يأتي من فراغ، كما أن هناك جهدًا جبارًا لأحكام السيطرة على المنافذ الحدودية والمطارات والموانئ كما أن عناصر الاستخبارات تنتشر بالداخل والخارج لإحباط أي مصادر تهديد محتملة ووَأد أي عمليات إرهابية يخطط لها، بينما هناك تصريح دائم لتصفية أي عنصر أينما وجد قد يهدد أمن الدولة ومواطنيها، جميعنا يتذكر العمليات التي تقوم بها الطائرات الإسرائيلية بدون طيار لتصفية عنصر فلسطيني يكاد يكون غير معروف حتى في قريته، ولكن المعلومات الاستخبارية تذكر أنه فرد نشط في تنظيم يخطط لاستهداف أمن الدولة أو عقل مهم في منظومة القيادة لتنظيم يناصبها العدا، حدث مثل هذا أيضًا يوم اغتيال الرجل الثاني بمنظمة التحرير الفلسطينية بتونس أبو جهاد «خليل الوزير» وكيف تخلصت إسرائيل من الزعيم الفلسطيني ورمز المقاومة «ياسر عرفات» ومن قبله الرنتيس والشيخ العظيم «أحمد ياسين» مؤسس حركة المقاومة حماس، و«أبو نضال» مؤسس مجلس فتح الثوري الذي أُغتيل في بغداد، كما أننا نتذكر كيف اغتالت إسرائيل «محمود المبحوح» مسئول مشتريات السلاح لكتائب عز الدين القسام الفلسطينية في الإمارات، وكيف قامت إسرائيل بتسميم «خالد مشعل» رئيس المكتب السياسي لمنظمة حماس، ولولا تدخل الملك «حسين» ملك الأردن الراحل واستخدام نفوذه لدى إسرائيل لكان مات شهيدًا، وعماد مغنية قائد عمليات حزب الله اللبناني خلال حرب لبنان ٢٠٠٦، أيضًا لعلنا نتذكر أيضًا كيف هاجمت إسرائيل قوافل إمداد حماس بالسلاح التي كانت تعبر بمحازات ساحل البحر الأحمر داخل بالسودان، وهاجم سلاح الجو الإسرائيلي مصنع اليرموك جنوب العاصمة السودانية الخرطوم، وكيف قصفت إسرائيل المفاعل النووي شمال شرق سوريا وقبله المفاعل العراقي ببغداد، وكيف نشطت أجهزة

المخابرات الإسرائيلية بالعراق شمالاً وجنوباً بعد سقوط «صدام» متحولة ومتوقعة لفرغ أمني كبير يمثل بيئة منطقية مناسبة لقواعد إرهابية، قد تمثل تهديداً مستقبلياً لأنها ولتكون بالقرب من عدوها الأكبر إيران، كيف نشطت المخابرات الإسرائيلية بباكستان وأفغانستان لمراقبة المنظمات الجهادية هناك، وكيف تتعاون الهند وإسرائيل في جمع المعلومات هناك وتحليلها، وغيرها من العمليات التي تؤكد أن القادة الأمنيين الإسرائيليين يقظين ويعملون بجد وإخلاص لحماية بلادهم من مخاطر أعدائها دون أن تتأثر الحقوق الأساسية للمواطنين، أو أن تكون بلادهم طاردة للاستثمارات الخارجية أو غير مشجعة للاستثمارات الداخلية، نحن هنا لا نناقش شرعية الجهاد ولا نؤيد أيّاً من تلك العمليات أو شرعية الأعمال الإسرائيلية، أو عنصريتها ولا ما يعانيه إخوتنا الفلسطينيين من احتلال واعتقالات ومداهمات ومصادرات للأراضي واستيطان غير قانوني أو مشروع وحصار اقتصادي وغيره بل نسرد ونجمع الوقائع لكي نستوعب طريقة عمل منظومة الأمن الإسرائيلية وأسس عملها، ومصادر قوتها وأساليبها وخطط عملها التي تؤكد التزاماً كاملاً بتحسين الأمن القومي وحماية الأمن الشخصي للمواطنين، والعمل الفعال لترسيخ سلطة القانون ومحاربة الإرهاب بلا هوادة، نظرة تحليلية على تصميم نقاط تفتيش الأفراد والسيارات الثابتة والمتحركة الإسرائيلية، وطرق تأمين أفراد الأمن ومستوى تجهيزاتهم وتسليحهم وتدريبهم، تجعلنا ندرك حجم الجهد والعمل الذي يتم داخل منظومة الأمن الإسرائيلية^(١).

(١) من ناحية أخرى الجهات الأمنية المصرية وتحت لافتة الحرب على الإرهاب تسلك مسلكاً يضر وبشدة أنشطة الدولة الاقتصادية ويضرب السياحة في الصميم، كما يخلق حالة من عدم الرضا بين نسبة كبيرة من أهل المناطق محل الصراع. قانون الطوارئ والممارسات الموثقة والتي تتداولها التقارير الدولية لا تشجع أبداً على تدفق الاستثمارات الأجنبية والسياحة الضرورية لمعدلات النمو المطلوبة لتمويل باقي عناصر قدرتنا الشاملة كما نسي إلى صورة مصر وسمعتها وسمعة حكومتها، وكأنه لا يوجد أساليب واستراتيجيات أمنية أخرى فعالة غير أساليب وسياسات الستينيات والسبعينيات البالية التي ثبتت كارثتها.



صورة لأحد نقاط التفتيش الإسرائيلية أمام بيت المقدس

○ الرعاية الصحية

في عام ٢٠١٠ وأثناء مناقشات الكونجرس الأمريكي لمشروع الرئيس باراك أوباما بشأن النظام القومي للتأمين الصحي على عموم الأمريكيين زار إسرائيل وفداً مكوناً من الأطباء الأمريكيين ومحللي السياسات الصحية العامة وخبراء التأمين الصحي، وصدر عن الوفد وبعد انتهاء الزيارة وثيقة معنونة (إسرائيل تفعّلها بشكل سليم) أثنت فيه اللجنة على الخدمات الصحية التي توفرها الدولة للمواطنين الإسرائيليين، وحدّثت نظام التأمين الصحي الشامل ودقة وانتظام عمله ومرونته وانضباطه، وأوصت بدراسته كأحد النماذج الناجحة، والتي يمكن الاستعانة بها عند تطبيق نظام الرعاية الصحية في أمريكا، وكان من الملاحظات المهمة للوثيقة نجاح نظام التأمين الصحي الإسرائيلي في تقديم رعاية صحية متميزة بتكلفة أقل من نظيرتها في أمريكا رغم ارتفاع متوسط العمر المتوقع للإسرائيليين ٧٩.٧ أكثر منه في الولايات المتحدة، كما تبلغ نسبة الوفيات الناتجة عن أمراض الأوعية الدموية والأطفال الرضع أدنى بشكل ملحوظ عن نظيرتها بأمريكا.

تلك كانت مقدمة لكي (يتيحاً) القارئ لمستوى تقدم الرعاية الطبية التي تقدم للمواطنين الإسرائيليين،

يوجد في إسرائيل مركز طبي عالمي هو من أهم عشرة أماكن طبية علاجية بالعالم، اسمه مركز «سوراسكي» وهو يقدم أفضل مستويات الخدمة الطبية بالعالم في مجالات علاج الأورام، وجراحات العظام، وجراحات وأمراض الجهاز الهضمي، وعلاج العقم لدى الرجال وإجراء عمليات الإخصاب خارج الرحم (التلقيح الصناعي).

وتجذب السياحة العلاجية المتميزة بإسرائيل مئات الآلاف من السياح الأثرياء بالعالم، كما تجذب المؤسسات الطبية آلاف الطلبة الراغبين في تلقي مستويات متقدمة من العلم الطبي ونظم إدارة المستشفيات من جميع أنحاء العالم.

○ الهستدروت



صورة للمقر الرئيسي للاتحاد العام لنقابات عمال إسرائيل (الهستدروت) إسرائيل دولة عصرية أسسها الأباء الأوائل على غرار أنظمة الدول الغربية المتقدمة، كان لاستيعابهم العميق والتفصيلي لأساليب حكم الدول وإدارتها الرشيدة أثره الإيجابي في نهضة الدولة واستمرار تقدمها، منذ اللحظات الأولى لقيام الدولة كان حكام إسرائيل وزعمائها مدركين ومؤمنين أن وجود معارضة

سياسية قوية وأحزاب محترفة ضمانة لتصويب سياسات الحكومة، كما أن وجود نقابات مهنية مستقلة ونقابات عمالية محترفة وقوية تمثل ضرورة لتصويب القرارات الحكومية وتعديلها، فيما يصب في مصلحة الدولة والمواطنين كما يضمن أداء المهن والأعمال بدرجات محترفة وعلى أسس علمية الأمر الذي يخدم السياسة العامة للدولة وأهدافها العليا، لهذا كان من أهم أركان الدولة بإسرائيل الاتحادات العمالية والنقابية أقدم وأقوى الاتحادات العمالية بالعالم (الاتحاد العام لنقابات العمال الإسرائيلية، الهستدروت)، لم تعتمد الحكومات الإسرائيلية السيطرة على «الهستدروت» وتطويعه وتعيين قياداته وتسيير أمره من داخل مقرات أمن الدولة، كما فعلت الجارة مصر في عهد «جمال عبد الناصر» تحت شعار أمن الدولة أو الأمن القومي، بل كانت معينًا وداعمًا لوجود اتحاد عمالي قوي ومحترف منتخب، كضمانة لأداء متوازن بين العمال وأصحاب الأعمال سواء العامة أو الخاصة وأن يكون مشاركًا محترفًا وفعالًا في كل القرارات والقوانين التي تصدرها الحكومات الإسرائيلية وتمس حقوق العمال على مستوى الدولة، تأسس «الهستدروت» عام ١٩٢٠ وكان مقره في «حيفا» أما اليوم فيحتل مبنى ضخماً بوسط تل أبيب. يحلو لبعض المنتقدين للدور الحقيقي والقوي والفعال للهستدروت في رسم السياسات الحكومية أن يصفه بأنه دولة داخل الدولة وتلك حقيقة، حيث يسيطر الاتحاد العام لنقابات العمال الإسرائيلية على ٦٠% من الإنتاج الزراعي بالدولة، و٥٠% من الصناعات الثقيلة، و٤٥% من قطاع البناء، و٣٩% من قطاع النقل، حسب تقديرات الخبرات يتحكم الاتحاد في ٢٥% من إجمالي الناتج القومي الإجمالي للدولة ٢٠١٤، يشارك الاتحاد في أحيان كثيرة في رأس المال وفي إدارة المشروعات بالداخل والخارج، سواء مشروعات عامة أو خاصة، وله علاقات متميزة وخاصة مع اتحادات العمال بإفريقيا وأمريكا اللاتينية وبعض دول آسيا وبالطبع أوروبا وأمريكا الشمالية، للهستدروت بنك خاص ومؤسسات تابعة تقدم لأعضاء الاتحاد خدمات علمية واجتماعية واسعة ويتبع للاتحاد المعهد الأفروآسيوي للدراسات العمالية والتعاون، وهو من المؤسسات العلمية الرزينة في مجال القضايا العمالية والأبحاث الاجتماعية، ويصدر الاتحاد أيضًا جريدة اسمها «دافار» وله دار نشر خاصة به.

يؤخذ بقرارات الاتحاد وتوصياته عند رسم السياسات الحكومية، وللاتحاد رؤية تقوم على إدارة شؤون العمال ومصالحهم دون الإضرار بالمصالح العليا للدولة التي يعتبر الاتحاد نفسه مسئولاً عنها، ويضع حماية مصالح الدولة العليا وأمنها القومي هدفاً رئيساً لوجوده، بهذا يمكننا الجزم أنه لإسرائيل أنظمة عمالية صحية سليمة تديرها وتسهر على مصالحها منظمات محترفة ومستقلة تضمن سلامة جزء مهم من القوة الشاملة للدولة ألا وهي قوة العمل.

القوة الثقافية

هناك جهود تقوم بها إسرائيل عبر سفاراتها بالعالم لتسويق نفسها كدولة كبرى، تحتضن المثقفين والمبدعين وتشجع على الابتكار والتفوق والمبادرات الفردية، ولعل المثال الأكبر لذلك هو الروائي الكولومبي الشهير «غابرييل غارسيا ماركيز» الذي اعترف أن الفضل الأول كان للملحق الثقافي الإسرائيلي «دون صامويل ليزمان» الذي احتضن عمله الأول عاصفة الأوراق وقام بطباعة ٤٠٠٠ نسخة منه، وكان سبباً في انتشار أعماله بعد أن عانى من الإهمال، بهذا فإن لإسرائيل عيوناً تستقطب ولاء المبدعين داخل إسرائيل وخارجها دعماً لأهدافها ووضعها المستهدف كدولة عالمية كبرى تحظى بدعم وتعاطف أهم الرموز والعقول العالمية^(١).

وليعلم القارئ أن بإسرائيل أكثر من ٢٠٠ متحف^(٢)، وتعد بهذا أكبر دولة بالعالم لديها متاحف نسبة إلى عدد السكان، أهم متاحف إسرائيل هو متحف

(١) أيضاً أسست إسرائيل جائزة القدس في عام ١٩٦٣ وتمنح للتميزين في حقل معرفتهم بمجالات الأدب والثقافة، واليوم تعتبر تلك الجائزة من أهم الجوائز الأدبية العالمية، ونحن نناقش القوة الثقافية لإسرائيل وأحد أهم جوائزها كان علينا أن نذكر للقارئ أن الهوة العسكرية والاقتصادية والسياسية بين مصر وإسرائيل قد بدأت في الاتساع لصالح إسرائيل مع بداية ستينات القرن الماضي يومها كان قادة إسرائيل: بن جوريون، وموشيه شاريت، وحاييم، ويزمان، ووعزرا، ويزمان، وشيمون بيريز، وجولدا مائير، وإسحاق رابين، وموشى ديان، وشامير، وغيرهم منهمكين في التأسيس لأنظمة حكم متطورة وقوية على أسس علمية وتنظيمية رائعة، كان جمال عبد الناصر يؤسس في مصر أنظمة تكرس لحكم الفرد وبدأ بالتوجيه لإنشاء التنظيم السري الطبيعي!!!!

(٢) عدد المتاحف بمصر يزيد قليلاً عن مائة متحف.

إسرائيل الواقع قرب الكنيسيت الإسرائيلي بالقدس ويضم ٥٠٠ ألف قطعة أثرية ومساحته ٥٠ ألف متر مربع ويزوره سنويًا مليون زائر (لاحظ أن المتحف المصري الكبير والمقرر افتتاحه في عام ٢٠١٨ تبلغ طاقته ١٠٠ ألف قطعة أثرية فقط).

٥ الخطة ٢٠٢٠ لدولة إسرائيل والمعدلة ٢٠٢٨

في عام ١٩٩٤ شكلت الحكومة الإسرائيلية التي كان يرأسها «إسحاق رابين» لجنة لوضع أهداف دولة إسرائيل حتى العام ٢٠٢٠، اشترك في هذه اللجنة ٢٥٠ خبيرًا إسرائيليًا ودوليًا من دول مثل: أيرلندا، والدانمارك، وبريطانيا، والسويد، واليابان، وهولندا، وألمانيا، والولايات المتحدة؛ للاستفادة من تجارب بلادهم في النمو والتقدم، انتهت اللجنة من عملها في عام ١٩٩٧ أي بعد ثلاث سنوات وكانت تلك اللجنة تابعة لمعهد «صمويل نيمان» أحد المراكز البحثية لمعهد التخنيون بحيفا، ورأس اللجنة البروفيسور «آدم مازور» الذي قدم تقريره أو خطته في ١٨ مجلدًا تناول فيه كافة مجالات عمل الدولة مدعّمًا بالخرائط والخطط التفصيلية والسيناريوهات المتوقعة؛ ومصادر القوة والضعف والفرص والتهديدات ومصادر التمويل والموارد البشرية المطلوبة، وكان على الدراسة وحسب تعليمات حكومة «إسحاق رابين» أن تجاوب على الأسئلة التالية:-

١- ما شكل الدولة في عام ٢٠٢٠؟ شبكة الطرق - المساحات المزروعة - المناطق السكنية - مناطق التوسع الصناعي والخدمات - وضع الكتل الفلسطينية ووضع الضفة وغزة في ظل عملية السلام المستمرة منذ قيام الدولة.

٢- كيف تصبح إسرائيل دولة صناعية عظمى ضمن أهم ٨ اقتصاديات عالمية؟ اختيار النموذج المطلوب ضمن النماذج المتقدمة: أوروبا، اليابان، أمريكا الشمالية حيث كندا والولايات المتحدة الأمريكية.

٣- ما العلاقة المثلى بين يهود إسرائيل وباقي اليهود بدول العالم، وكيف يمكن توظيف يهود العالم بما يخدم مصالح الدولة ومصالحهم في نفس الوقت؟

وقد جاوب التقرير على تلك الأسئلة كما يلي:-

- رأى المخطط أن الأفضل لتحسين البنية التحتية وتحديثها أن تكون ضمن مناطق محدودة وليست واسعة، كما أنه من منظور بيئي فإن الحفاظ على الأماكن

المفتوحة والغابات ومصادر المياه والرصيد الاستراتيجي من الأراضي لأغراض عسكرية أو لغرض الاستيطان؛ لاستيعاب جهود جدد في العقود القادمة يعد هدفاً قيماً يجعل المخطط حذراً في توظيف الموارد الطبيعية والبشرية وحرصاً على البيئة قدر المستطاع، لهذا أوصى التقرير بضرورة تنفيذ مبدأ منع عودة الفلسطينيين إلى أرضهم، ومنذ ذلك التاريخ أصبح مبدأ حق العودة للفلسطينيين نقطة خلاف جوهرية ضمن مفاوضات السلام، وذلك لرغبة إسرائيل في ضمان أكبر قدر من مساحات الأراضي غير المستغلة كرسيد استراتيجي للأجيال القادمة، ولهذا قرر المخطط حصة قدرها ٥% من مساحة الدولة للاستخدام العمراني و ٢٠% للاستخدام الزراعي و ٥% للاستخدامات الصناعية والخدمية، و ٣٣% للاستخدامات العسكرية وباقي المساحة فتترك فارغة للأجيال القادمة.

- وضع المخطط هدفاً اقتصادياً قدره ٢٢٠ مليار دولار حجماً اقتصادياً للنتائج القومي الإسرائيلي؛ حتى تكون ضمن أهم اقتصاديات العالم (تحقق هذا الهدف في عام ٢٠١٠ حيث بلغ الناتج المحلي الإجمالي ٢١٧ مليار دولار)
- رأى المخطط الاستراتيجي الإسرائيلي أن استقطاب اليهود من كافة أنحاء العالم واجب قومي وديني، عدا يهود الولايات المتحدة وروسيا وفرنسا حيث تقضي مصالح الدولة العليا وجود الجالية اليهودية بتلك الدول واستخدام نفوذها الاقتصادي والسياسي والعلمي؛ في ضمان أمن إسرائيل وتدقيق الموارد اللازمة لنهضتها.
- ألمح التقرير إلى أن أهم مصادر التهديد المستقبلي للدولة هما تركيا وإيران، والمنظمات الإرهابية، مثل القاعدة، بينما أشار التقرير إلى مصر على أنها ليست تهديداً كبيراً، وربما يكون هذا نتيجة تمسك القيادات السياسية والأمنية والعسكرية المصرية بمعاهدة السلام والتزامهم الكامل بنودها، أو لما لدى دولة إسرائيل من المعلومات عن الدولة العميقة، التي تحكم مصر، والتي تقوم بإحباط أي تقدم مصري، أو تفوق في عناصر القوة الشاملة، وتقوم بكل عبقرية بتبديد مواردها الطبيعية والبشرية، كما خلا التقرير من الإشارة إلى كل من السعودية والإمارات كمصادر تهديد مستقبلي محتمل للدولة.

○ الخطة ٢٠٢٨ وتعديلات الخطة ٢٠٢٠

في عام ٢٠١٠ تحقق الهدف الأهم للخطة ٢٠٢٠ وبلغ الاقتصاد الإسرائيلي تقريباً ٢١٧ مليار دولار، وعليه وقبل هذا بستين وتحتديداً في مارس ٢٠٠٨ تقدم رجل الأعمال الإسرائيلي «إيلي هوروفيتش» بتعديل للخطة أطلق عليه خطة ٢٠٢٨ ووافقت الحكومة الإسرائيلية ورئيسها «يهودا الميرت» على الخطة في إبريل ٢٠٠٨، وكان هذا التعديل بإيعاز من مفوضية العلوم والتكنولوجيا الأمريكية الإسرائيلية، يتضمن التعديل ما يلي:-

- أن تكون إسرائيل ضمن أهم ٢٠ اقتصاداً عالمياً بحلول العام ٢٠٢٨^(١)، وقد خفض سقف الطموح الإسرائيلي بزوغ نجم دول أخرى، كماليزيا، وتركيا، وأندونيسيا، والبرازيل، والمكسيك. واسعة الموارد البشرية والطبيعية الأمر الذي ارتفع بمستوى المنافسة، بينما تبقى موارد الدولة اليهودية محدودة الموارد البشرية والطبيعية.

- عدلت الخطة الجديدة نسبة مساهمة قوة العمل من عدد السكان من ٤٠% إلى أكثر من ٦٠% لتتوافق مع النسب بالدول المتقدمة.

- أوصت الدراسة بتقوية وتحديث النظام التعليمي الإسرائيلي كله، مع الاهتمام بالصناعات متوسطة ومنخفضة التكنولوجيا التي تأثرت كثيراً من اندماج الاقتصاد الإسرائيلي في منظومة العولمة، واقتصاديات السوق التي سمحت بدخول منتجات من دول أخرى ذات أسعار منخفضة مقارنة بمشكلاتها الإسرائيلية.

ختاماً، وبعد أن فرغنا من سرد عناصر القوة الشاملة لدولة إسرائيل ورغم العبقرية والكفاءة والموهبة والاحترافية التي يعمل بها قادة إسرائيل منذ إعلان الدولة وحتى اليوم، ورغم النجاحات العظيمة للدولة في كافة المجالات الاقتصادية والعلمية والعسكرية والسياسية؛ إلا أن الدولة ككل قائمة على الظلم والجشع في استغلال موارد الغير بإفريقيا وغيرها وتأجيج الحروب والنزاعات

(١) لاحظ أن الخطة المصرية ٢٠٣٠ أقصى طموحها أن تكون مصر أم الدنيا ضمن أهم ٣٠ اقتصاداً بالعالم رغم أن موارد مصر أكبر بكثير من إسرائيل.

بغرض أضعاف الغير واستغلال مواردهم، ويضاف إلى ذلك المشكلة الفلسطينية، تلك المشكلة المزروعة في قلب دولة إسرائيل وأساسها ومهيأة أن تنفجر في أي لحظة.

إسرائيل ومنذ إنشائها تميل إلى الاشتراكية الليبرالية، إلا أنه ومنذ عام ١٩٧٧ ومع فوز الليكود بالانتخابات البرلمانية الإسرائيلية تصاعد الصيحات المتشددة التي تميل إلى النزعة القومية وتنادي بيهودية الدولة وإلى التشدد الديني «الحارديم» وتطبيق الشريعة اليهودية وأيضًا تزايد الابتعاد عن الاشتراكية الصهيونية التي أسسها «بن جوريون» إلى الصهيونية الرأسمالية التي تتبنى مفهوم العولمة واقتصاد السوق القائم على المعرفة والمبادرات الفردية، ومنذ هذا التاريخ أصبحت الحكومة تدعم الأعمال الفنية والأدبية التي تتفق مع هذا التوجه وتلك العقيدة، ويرى كثير من المراقبين أن تلك تمثل سياسة بالغة الخطورة على مستقبل إسرائيل تزيد من حالة الاحتقان الاجتماعي الموجودة أصلًا؛ نتيجة التفرقة الاجتماعية بين اليهود «الاشكيناز» (يهود ألمانيا بصفة خاصة واليهود الغربيين بصفة عامة) وبين اليهود «السفارديم» (اليهود الإسبان بصفة خاصة واليهود الشرقيين بصفة عامة).

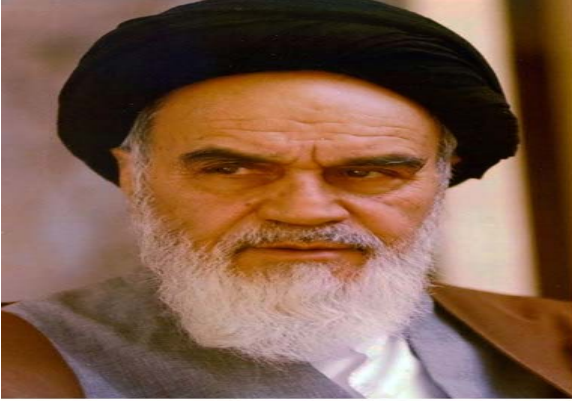
في مقابلة لرئيس جهاز الموساد السابق «ماتير داغان» في إبريل ٢٠١٢ مع صحيفة «جيزولم بوست» قال: «نحن على شفا هاوية، ولا أريد أن أبالغ وأقول كارثة وتكهنات سيئة تتعلق بمستقبل الدولة بل ووجودها». هذا كلام أحد أهم رجال الدولة بإسرائيل الذي اختير في عام ٢٠٠٩ رجل العام بإسرائيل تقديرًا لخدماته للأمة، ماذا يعني هذا؟ يعني عظمة الإسلام على الرغم من ضعف دوله وقلة حيلة منتسبيه، إلا أن له أهدافًا واضحة وسامية وعظيمة، تجعل من الدول الإسلامية وحين يأتي موعد نهضتها قوة مادية وروحية هائلة، لا يمكن التغلب عليها أو مواجهتها. والقيم السامية وينايع الخير الموجودة بالقيم الإسلامية والمكنونة في عقيدة المسلمين تجعل من أسس الدولة أسس متينة وقوية وعادلة، مصر هي قلب العالم الإسلامي وهي حصن المنيع وعظمتها وعظمة شعبها لا جدال فيه.

الحضارات إذا قامت على القوة العسكرية وقيم ومبادئ تقديس وتعلي من الظلم والسلب والنهب، فإن أعمارها بسيطة وإن طالت، ومصيرها إلى الزوال، والحضارات كلما قامت على مبادئ عادلة وقيم سامية وأهداف راقية وأخلاق مثالية طال عمرها حتى ولو خفى نورها وخبا وقلت قوتها ووهنت، ولكن يبقى وقودها الذي لا ينضب هو القيم والأخلاق والمبادئ، عموماً كلما أدركت القيادة الإسرائيلية أهمية العدل والعدالة في حل القضية الفلسطينية بعد الخطر عن الدولة، وكلما أمعن قادة إسرائيل في تنفيذ سياساتهم العنصرية والدموية تجاه الشعب الفلسطيني تحققت نبوءة «مائير داغان» بشأن وصول الدولة إلى حافة الهاوية، لقد حذر الله ﷻ بني إسرائيل ونبههم وأذهرهم وقال: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾. وتلك رسالة إلهية وتحذير سماوي يحتم على قادة إسرائيل الالتفات إليه، الله مهيمن ومسيطر على ملكه ويتدخل حسب مشيئته وإرادته، وعلى قادة إسرائيل أن يعلموا أن الظلم ظلماً، وأن لكل فعل رد فعل، والأسس السليمة للدول والحضارات يجب أن تكون على قيم نبيلة وأخلاق سامية، القوة الغاشمة أو الظالمة وسياسات تهجير المواطنين واضطهادهم وتجويعهم وحصارهم ونهب ثرواتهم المادية والطبيعية لم تكن أبداً أساساً لحضارات قوية مستمرة مستقرة حتى وإن طال الزمن، إنما الأخلاق والقيم الإنسانية الرفيعة هي من يضمن للحضارات والدول بقاءها وتقدمها.



عناصر القوة الشاملة للمهورية الإسلامية الإيرانية

السكان (القوة البشرية)



(صورة الإمام الخميني قائد الثورة الإسلامية بإيران)

إيران هي أحد أسباب دراستنا، واتفاقها مع الغرب بنهاية عام ٢٠١٥ هو ما شجعنا على بحثنا هذا؛ بغرض بيان أثر هذا الاتفاق على باقى الدول الكبرى بالإقليم، لهذا فسوف نتوسع في دراستنا لعناصر القوة الشاملة لدى إيران خصوصاً، وأن الكتابات التي تتناول أنشطة إيران السياسية والعسكرية والاقتصادية والعلمية والاجتماعية تتحيز بحكم تبعيتها ومصادر تمويلها الغربية أو الإقليمية إلى طمس أي إنجازات إيرانية، والتقليل من إيجابياتها ونقاط قوتها وتعظيم الإخفاقات والمبالغة في بيان نقاط الضعف وعورات السياسات الداخلية والخارجية، وبهذا تتكون لدى جمهور القراء صورة سلبية عن التجربة الإيرانية تتسق وأهداف الحرب التي تشنها الدول الغربية الكبرى ضد نظام الجمهورية، ويغيب عنه أن التجربة كانت ومازالت لها جوانبها الإيجابية العديدة بالإضافة إلى سلبياتها مثلها مثل أي دولة أو نظام حكم.

إيران بلد متميز من الناحية الجيوسياسية، حيث يتوسط غرب ووسط وجنوب قارة آسيا، يحدها شمالاً إرمينيا وأذربيجان وتركماستان، وتشارك في بحر قزوين مع كل من روسيا وكازخستان، ويحدها من الشرق أفغانستان وباكستان، ومن الجنوب الخليج العربي وخليج عمان، ومن الغرب العراق، ومن الشمال الغربي تركيا.

تحتوي الأراضي الإيرانية البالغ مساحتها ١.٦٥ مليون كيلومتر مربعاً (قدر مساحة إنجلترا وفرنسا وإسبانيا وألمانيا مجتمعين) وعلى ثاني أكبر احتياطي غاز بالعالم، وعلى رابع أكبر احتياطي نفط، يبلغ عدد السكان ٧٨.٤ مليون نسمة (٢٠١٤)، يمثل الفرس منهم ٥١% من عدد السكان والأذريين (الأترك)، ٢٤% يتركزون في شمال شرق البلاد والعرب ١٠% يتركزون بمقاطعة خوزستان جنوب غرب البلاد، حيث أهم آبار النفط والغاز وأوسع وأهم الموانئ، والأكراد ٧% ويتركزون في الشمال الغربي، والبلوش ٣%، والباقي أعراق أخرى، ويوجد بإيران ١١٠ لغة أهمها اللغة الفارسية والكردية والعربية والأذرية (التركية).

إيران وحتى العام ٩٠٢ هجرية ١٥٠٢ ميلادية كانت دولة سنية تتبع المذهب الشافعي والحنبلي.

في هذا العام تشكلت الدولة الصفوية واتبع مؤسسها إسماعيل الصفوي سياسة التشيع القسري، وقتل لفرض المذهب الشيعي ما يقارب المليون نفس، وأمر بسب الخلفاء الراشدين عدا علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه-، واحتفل بيوم استشهاد سيدنا عمر بن الخطاب، وفي عصره تم سب السيدة عائشة أم المؤمنين والعديد من الصحابة رضوان الله عليهم، واستمر هذا حتى اليوم على المستوى الشعبي، وإن كان يلقي معارضة الحكومة والسلطات الرسمية وبعض رجال الدين المعتدلين، يمثل الشيعة ٨٥% من عدد السكان، والسنة ١٢%، والنسبة الباقية تتوزع بين المسيحية (معظمهم أرمن) واليهود، والزرذشية وهو دين معترف به رسمياً في إيران ويحتفى باتباعه على أساس أنه رمز للقومية الإيرانية والإمبراطورية الساسانية، وأيضاً يوجد بإيران أهم تجمعات البهائيين بالعالم واتباع الطائفة الإسماعيلية ويقدر عددهم بـ ٤٠٠ ألف نسمة، من أهم المميزات التي تتسم بها القوة البشرية الإيرانية أن ٤٥% من عدد السكان تحت سن العشرين (سن الشباب).

في عام ١٩٧٩ وتحديداً في الأول من إبريل قامت الثورة الإسلامية بإيران، وتأسست معها الجمهورية الإسلامية بقيادة الإمام روح الله الموسوي الخميني، ومنذ اليوم الأول للجمهورية أطلق الإمام شعار لا شرقية ولا غربية كناية على التخلص من التبعية للدول الكبرى، سواء بالشرق أو الغرب، وهو ما كان يعني بالضرورة اعتماد إيران على إمكانياتها الذاتية في جميع المجالات، ومنذ البدايات الأولى للثورة أولت الدولة رعاية فائقة بالتعليم بجميع مراحلها لدرجة أنه في عام ١٩٨٠ أوقفت الحكومة التعليم الجامعي بغرض التمكن من إصلاحه وإعادة هيكلته، كما أصبح من مكونات النظام ما قبل الجامعي برامج رصد المواهب والقدرات العقلية المتميزة، وأصبح رعاية أولئك المتميزين من أهم أولويات نظام التعليم الإيراني، وكان نتيجة هذا أن أصبحت إيران اليوم من أهم دول العالم في أبحاث وتطبيقات تكنولوجيا النانو^(١) وهي الدولة الأولى عالمياً في إنتاج «النانو ساتاليت» كما تعتبر إيران من الدول المتقدمة في تكنولوجيا تطبيقات الليزر والهندسة الطبية، حيث تعتبر إيران من الدول الرائدة في تصنيع القلب والرئة الصناعية كما تعتبر من الدول الكبرى في إنتاج أدوية وأجهزة علاج القلب والأورام الخبيثة وأمراض الإبصار والاستنساخ، أيضاً تعد سادس دولة على مستوى العالم في إرسال الحيوانات إلى الفضاء واستعادتها والثامنة عالمياً في إنتاج وإطلاق الأقمار الصناعية محلياً، وأخيراً اعترف العالم بإيران النووية بامتلاكها أسرار وتقنية دورة الوقود النووي (معاهدة لوزان إبريل ٢٠١٥)، وهو علم المستقبل، ويكاد يكون علماً محظوراً على كثير من دول العالم امتلاك الكثير من تطبيقاته؛ لما لها من أثر عسكري وأيضاً تطويري إيجابي لقطاعات عديدة بالدولة، مثل الاقتصاد، والبحث العلمي، وللعلم لا يملك تقنية تخصيب اليورانيوم ودورة الوقود النووي إلا ١٧ دولة فقط على مستوى العالم. في مارس عام ٢٠١٣ اعتبرت مؤسسة العلوم الوطنية الأمريكية كمية الإنتاج العلمي المنشور بمعرفة العلماء والباحثين الإيرانيين الأولى عالمياً من حيث النمو ٢٥%، حيث بلغ الإنتاج ٤٢ ألف بحث وورقة محتملة بذلك المركز الـ ١٦ على مستوى العالم

(١) تحتل إيران المركز السابع عالمياً والأول إقليمياً في هذا المجال التطبيقي المهم.

متقدمة على تركيا وسويسرا، كما أنها وفي عام ٢٠١٠ احتلت المركز السابع على مستوى العالم في إنتاج الكتب، والمرتبة الـ ١٦ في إنتاج كتب العلوم التطبيقية، والمركز الـ ٧ في إنتاج كتب العلوم البحتة، وأصبح عدد العلماء والباحثين الإيرانيين ٥٠٠ لكل مليون نسمة، وتخرج الجامعات الإيرانية كل عام ما يزيد عن ٢٥٠ ألف مهندس، وهى بذلك تحتل المركز الخامس عالمياً في تأهيل المهندسين وتخريجهم^(١)، وخلال الفترة من ١٩٩٦ وحتى ٢٠٠٨ زاد الإنتاج البحثي والعلمي للعلماء الإيرانيين ١٨ مرة، وبحلول عام ٢٠١١ كانت ميزانية البحث العلمي الإيراني ٦ مليار دولار، بينما في تركيا ٧ مليارات وإسرائيل ٩ مليارات، ومصر حوالي مليار دولار (يذهب معظمها إلى دفع رواتب ومكافآت الهيئات البحثية)، يبلغ عدد الجامعات بإيران تقريباً ٧٠ جامعة أهمها جامعة شريف الصناعية، وجامعة العلوم الطبية بطهران، وجامعة أصفهان الصناعية، وقد اختيروا ضمن قائمة التايمز للعام ٢٠١٤ ضمن أهم ١٠٠ جامعة بآسيا، ويضاف إليها جامعة طهران وجامعة فردوس في مشهد.

ومما هو جدير بالذكر أن يعلم القارئ ترتيب إيران العالمي في مجال الإنتاج العلمي من الأبحاث في عام ٢٠١٤ كما يلي:-

- علم الرياضيات المركز ١٩ على العالم.
- علم الحاسبات المركز ١٧ على العالم.
- علم التكنولوجيا النووية المركز ١٥ على العالم.
- علم الفيزياء المركز ٢٨ على العالم.
- علم تكنولوجيا الفضاء المركز ١٦ على العالم.
- العلوم الطبية المركز ١٧ على العالم.
- علم الكيمياء المركز ١٣ على العالم.
- علم النانوتكنولوجيا المركز ١٥ على العالم.

(١) المصدر الأمم المتحدة.

عمومًا تحتل إيران المركز ٢٧ على العالم في حجم الإنفاق على البحث العلمي حسب تقرير الأمم المتحدة ٢٠١٤^(١).

في عام ٢٠٠٣ تأسست المؤسسة الإيرانية الوطنية للعلوم^(٢)؛ بغرض منع تسرب الكفاءات العلمية الإيرانية إلى الخارج، وجذب المتواجد بالخارج وتعزيز القدرات العلمية الإيرانية في البحث العلمي والتطوير، وتوظيف الكم الهائل الذي تفرخه الجامعات في مسارات تخدم القوة الكلية للدولة في مختلف القطاعات البحثية، وتلي ذلك تأسيس مؤسسة إيران الوطنية للعباقرة وتعنى برعاية وحماية النوابع الإيرانية في مختلف المجالات وأسرههم.

حقق العلماء والباحثون الإيرانيون إنجازات رائعة في مختلف المجالات، وعلى رأسها المجال الطبي حيث يمثل نسبة ٣٢% من إجمالي الإنتاج العلمي للدولة، وتتسابق كل من إسرائيل وإيران في امتلاك تقنيات العلاج باستخدام الخلايا الجزعية لعلاج أكثر من ستين نوعًا من الأمراض المهمة والمستعصية، كما تتفوق إيران في عمليات زرع الأعضاء^(٣) وهي اليوم تحتل المركز الخامس عالميًا في عدد عمليات زرع الكلى والرئة، كما تتفوق إيران في عمليات الاستنساخ وجراحات العيون ويعد البروفسور الإيراني «مسلم بهادري»، والبروفسور «شهریار إفشار» من أهم علماء العالم بهذا المجال، أيضًا تعتبر إيران من الدول المتقدمة عالميًا في عمليات زرع وتصنيع القلوب الصناعية، ويعتبر البروفسيور «توفيق موسيوند» من أبرز العلماء ورائدًا من رواد ذلك التخصص، والبروفسيور «أحمد رضا دهبور» العالم الإيراني البارز في مجال البيوميديكال (الهندسة الطبية الحيوية) وهو العلم الذي تقوم عليه تكنولوجيا الأعضاء الصناعية والتعويضية للإنسان. اليوم تمتلك إيران مؤسسات طبية وبحثية متقدمة، ويفتخر قادتها وسياسيها بعدم حاجتهم للذهاب إلى الخارج لتلقي العلاج لأي فرع من فروع الطب. إيران هي الأولى على جميع دول المنطقة في صناعة الأدوية

(١) لاحظ ترتيب مصر على نفس التقرير المركز ٤٥.

(٢) تنبته القيادات الإيرانية لأهمية علماءها في دعم أمنها القومي مبكرًا واليوم ونتيجة تلك السياسة تتمتع الحكومة الإيرانية بقدر لا بأس به من المواهب العلمية والإدارية والسياسية بجمع مفاصل الدولة.

(٣) أول عملية زرع كلى كانت بإيران في العام ١٩٦٧.

والتجهيزات الطبية وتبلغ نسبة اكتفاؤها الذاتي من ذلك القطاع الحيوى والاستراتيجى نسبة ٩٧% (راجع تصريحات وزير الصحة المصري دكتور احمد عماد الدين في مارس ٢٠١٧ انه لا توجد صناعة دواء بمصر، وان المصانع الموجودة تصنع فقط المراحل الاخيرة من الدواء وليس الدواء كاملا، وغالبها يمكن وصف عمله بانه نشاط تعبئة وتغليف).

أيضاً تتميز إيران في علوم الرياضيات والكيمياء والفيزياء، وهو أمر لا يحتاج إلى إثباتات فمن يملك تكنولوجيا دورة الوقود النووي، وبرامج متقدمة لتصنيع الغواصات والصواريخ الاستراتيجية والطائرات بدون طيار ولنشات الصواريخ والأقمار الصناعية بالغة التمييز والدقة؛ يعني بالضرورة امتلاكه قاعدة علمية وبحثية متفوقة في مجالات الرياضيات والكيمياء والفيزياء البحتة والتطبيقية، ومن أهم العلماء الإيرانيين في تلك المجالات البروفسيور «لطفى زاده» صاحب الأبحاث المتقدمة في نظرية المجموعات الضبابية، ودكتور «مهران كاردار» صاحب معادلة مهرا - باريزى في الفيزياء، ودكتور «فريدون عباس» أحد أركان البرنامج النووي الإيراني أستاذ الفيزياء النووية بجامعة «شهيد بهشتي»، وزميله دكتور «محسن فخري» زاده مهابادى أستاذ الفيزياء بجامعة الإمام الحسين بطهران، ودكتور «شهرام اميري» عالم النظائر المشعة، ودكتور «على أكبر صالحى» عالم الهندسة النووية والسياسي الكبير، ودكتور «محمد جواد لاريجاني» عالم الفيزياء وأخو المفكر السياسي البارز ورئيس مجلس الشورى حالياً دكتور «على لاريجاني».

تبلغ القوة العاملة الإيرانية ٣٥% من عدد السكان، ويبلغ الأطفال دون الـ ١٥ عاماً ٣٠%.

وبهذا؛ تعد إيران من الدول التي تتميز بقوة عمل ضخمة وأيدى عاملة وفيرة، بينما تبلغ نسبة الأمية ١٣.٥% ومتوسط العمر المتوقع عند الولادة ٧٥ عاماً.

وتمثل الطبقة المتوسطة حوالي ٦٠% من عدد السكان، وهو الأمر الذي يعطي توازناً استراتيجياً للاقتصاد الكلي. يعمل ٣% بقطاع الزراعة، و٣٥% بقطاع الصناعة، و٦٥% بالخدمات، تدعم الدولة بناء على توجيهات المرشد

الأعلى «علي خامنئي» سياسات لزيادة النسل، وقدر «خامنئي» طموحه بزيادة عدد سكان الدولة إلى ١٥٠ مليون نسمة في أقل فترة ممكنة؛ لهذا تشجع الدولة على زيادة النسل، وتتكفل بنفقات ولادات الإيرانيات بلا استثناء، وتتكفل بعلاج حالات العقم لدى الرجال والنساء، كما يجرم القانون عمليات الإجهاض أو وسائل منع الحمل بلا عذر والتي تصل إلى السجن خمس سنوات.

إيران دولة فتيحة غنية تتمتع بنظام سياسي رغم اختلاف البعض معه، إلا أنه نظام ديمقراطي بالمفهوم الغربي يتم فيه تداول السلطة، ومحاسبة المسؤولين من خلال انتخابات ديمقراطية حرة ونزيهة، لقد كفل تفوق النظام السياسي الإيراني وديناميكيته وجذبه للنوايع والأكفاء استغلال الموارد البشرية الإيرانية أفضل استغلال، اليوم -وكما سنرى لاحقاً- وبفضل الموارد البشرية الهائلة ذات التعليم العالي والقيم الإسلامية الرفيعة تكاد تتساوى إيران مع دول الأقليم الكبرى كإسرائيل وتركيا، رغم الحصار والمقاطعات الغربية والحرب الباردة بينها وبين الولايات المتحدة منذ قيام الثورة الإيرانية وتأسيس الجمهورية الإسلامية، اليوم وكما صرح العديد من المؤسسين للجمهورية وتلاميذهم تحاول إيران أن تكون قائدة للعالم الإسلامي وملهمته في كافة المجالات، والحقيقة أنها على الطريق إلى ذلك ولا ينقصها شيء فهي تملك الرؤية والخطط والموارد والقيادة الحكيمة والمعرفة، وقبل كل شيء الروح القومية العالية والتي تتوق إلى استعادة مجد الإمبراطورية الفارسية مصبوغاً بصبغة إسلامية. النجاحات العلمية الإيرانية والبنية التحتية الرائعة والموارد الاقتصادية المتنوعة وكفاءة الأنظمة السياسية والاجتماعية جميعها تجعلنا ونحن نرصد عناصر القوة الإيرانية. نعلم مبكراً أننا أمام عملاق إقليمي ضخم يتوق إلى أن يكون أحد القوى العالمية المؤثرة، اليوم تجرى إيران مراجعات شاملة في كافة أنظمتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية لتلافي نقاط الضعف الحالية، والاستفادة من نقاط قوتها؛ استعداداً لجولة أخرى من التنافس الإقليمي والعالمي.

الموارد الاقتصادية (القوة الاقتصادية)

في بحث بقلم «باتريك كلاوسون» مدير الأبحاث بمعهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى منشور في ١٠ يوليو ٢٠١٥؛ يذكر فيه أن القادة الإيرانيين يرفضون

مقارنة أنفسهم مع أقرانهم من دول المنطقة أو الدول المصدرة للنفط مثل السعودية وباقي دول الخليج، بل يصرون على مقارنة أنفسهم بالدول الغربية المتقدمة، عند إجراء المقارنات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، أو عندما تقدم الحكومات الإيرانية كشف بإنجازاتها أمام الشعب.

الاقتصاد الإيراني يعتبر التاسع والعشرون على مستوى العالم، وهو اقتصاد متنوع يدعمه نسبة تعليم مرتفعة، وأيدٍ عاملة وفيرة، وبنية تحتية قوية، كما تحتل إيران موقعاً متميزاً على مؤشر التنمية البشرية للأمم المتحدة وتصنف ضمن الفئة مرتفع^(١).

الاقتصاد الإيراني أحد الاقتصادات القليلة التي لم تتضرر كثيراً خلال الأزمة العالمية في عام ٢٠٠٨. ويحقق نمواً إيجابياً مستمراً رغم حصار الدول الكبرى وعقوباتها القاسية.

إيران تمتلك ١٥% من الاحتياطي العالمي للغاز الطبيعي، و١٠% من احتياطيات النفط المؤكدة، يمتلك الاقتصاد الإيراني أكبر بنية تحتية صناعية بالشرق الأوسط، تقوم على برامج ضخمة للغاية في مجالات التصنيع العسكري، وتكنولوجيا الفضاء والبتروكيماويات، والصلب وصناعة السيارات، والمعدات الثقيلة، والغزل والنسيج، والتصنيع الزراعي.

تعتبر إيران الدولة الخامسة على العالم في السياحة الداخلية وبخاصة الدينية، ومن أهم المقاصد السياحية في العالم بصفة عامة (عدد السياح خمسة ملايين سائح حسب بيانات البنك الدولي ٢٠١٤، بدخل أكثر من ٦ مليارات دولار نصفهم للسياحة الدينية)، وتخطط الحكومة لكي يبلغ عدد السائحين ٢٠ مليوناً بحلول عام ٢٠٢٥ بدخل سنوي ٣٠ مليار دولار).

أيضاً تتميز إيران بصناعة السيارات حيث تحتل المركز الثاني عشر عالمياً بين أهم منتجي السيارات بأنواعها (تنتج إيران ١.٦ مليون سيارة سنوياً ٢٠١٤). إيران أكبر منتج للسيارات اليدوي بالعالم^(٢)، ويبلغ حجم صادراتها منه

(١) هدف القيادة السياسية الحالية بمصر حسب برنامج رؤية مصر أنه بحلول العام ٢٠٣٠ أن تكون ضمن أهم ٣٠ اقتصاداً بالعالم، يعني أن تكون مثل إيران اليوم.

(٢) يعمل بصناعة السجاد ما يقرب من نصف مليون إيراني.

حوالي ٥٠٠ مليون دولار سنوياً، وأكبر منتج للكافيار، حيث تصدر حوالي طنًا ونصف بإجمالي قدره ٥ ملايين دولار، وأكبر منتج للمكسرات^(١)، وأكبر منتج للزعفران^(٢)، وأكبر منتج للفيروز^(٣)، وأيضًا بصفة عامة تحتل إيران المرتبة الرابعة على العالم في مجال تنوع المنتجات الزراعية، كما أن ٢٠% من مساحة إيران قابلة للزراعة حسب البيانات الحكومية، و٩% حسب بيانات صندوق النقد الدولي، أي أن المساحة القابلة للزراعة في إيران تقدر بأربعين مليون فدان على الأقل، يُستغل منها حاليًا أكثر من الربع بقليل.

أيضًا تحتل إيران المركز الرابع عالميًا في إنتاج الزنك والكوبلت، كما تعتبر من أهم دول العالم في إنتاج الألومنيوم والنحاس والمنجنيز واليورانيوم، وتمتلك أكبر مناجم الزنك غير المستغلة بالعالم.

إيران ثالث أكبر اقتصاد بمنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بعد تركيا والمملكة العربية السعودية بإجمالي ناتج محلي اسمي ٤٢٥ مليار دولار، يبلغ معدل التضخم السنوي ١٧%، والبطالة ١٣% (١٠ مليون نسمة تقريبًا)، والفقر ١٨%^(٤)، وهي أرقام قد تبدو مفرجة للوهلة الأولى، ولكن مع دولة تتعرض للحصار ومقاطعة الدول الغربية الكبرى، وتنفق عشرات المليارات على برامج توطين التكنولوجيا والعلم، وتحاول حماية أمنها القومي وتحقيق ردة مناسبة أمام القوى الإقليمية والدولية، فإن هذا يبدو متواضعًا^(٥) في تقرير لمعهد واشنطن للدراسات الشرق الأدنى منشور في يوليو ٢٠١٥، يقول «باتريك كلاوسون» مدير الأبحاث: إيران كانت تعمل على تدبير احتياجات التنمية بشكل جيد، وتدبير

(١) إيران تصدر بمليار دولار سنويًا فستقًا، وتستحوذ على ما نسبته ٤٠% من إنتاج العالم.

(٢) ٢٨٠ طنًا بإجمالي صادرات قدره ٨٣ مليون دولار.

(٣) إيران تمتلك ٢٠% من مصادر الذهب والأحجار الكريمة بالعالم، وتخطط الحكومة للاستحواذ على حصة من سوق الذهب العالمي تقدر بـ ٢٠.٥% بحلول العام ٢٠٢٥.

(٤) ١٥ مليون نسمة يتقاضون أقل من ١.٩ دولار يوميًا منهم حوالي ١٠ ملايين مشرد يتشرون في شوارع إيران.

(٥) إيران تعتبر في حرب اقتصادية وسياسية وإعلامية شرسة وقاسية مع أمريكا والغرب، منذ قيام الجمهورية الإسلامية وحتى اليوم، أي ٣٧ سنة.

مواردها بكفاءة رغم الظروف والعقوبات التي فرضت عليها، وللمحوق كانت قاسية وعنيفة^(١).

يتميز الاقتصاد الإيراني بالتنوع ويتفوق على جميع دول منظمة أوبك المنتجة للنفط أنه الاقتصاد الوحيد بينهم الذي لا يعتمد على عائدات النفط والغاز، حيث يحتل قطاع الخدمات نسبة ٥١% من الناتج المحلي الإجمالي، وقطاع الزراعة ٩%، والصناعة والتعدين ٢٣%، والنفط والغاز ١٧%، إلا أنه يعاني من انخفاض مساهمة القطاع الخاص في الناتج المحلي الإجمالي حيث يبلغ ١٧% فقط، بينما يمثل تقريباً ٦٥% لدى باقي دول المنطقة الأخرى (تقرير صندوق النقد الدولي ٢٠١٤).

يبلغ إنتاج الطاقة في إيران ٦٢ ألف ميجاوات موزعين على ٤٥٠ محطة توليد، وبهذا فهي الأولى على منطقة الشرق الأوسط والخامسة عشرة عالمياً، كما يبلغ نصيب الفرد من المياه ١٦٥٠ متراً مكعباً غالباً من مصادر داخلية (أمطار، مياه جوفية، أنهار داخلية).

يبلغ الاحتياطي النقدي الإيراني ما بين ١٠٠ إلى ١٢٢ مليار دولار، كما يبلغ إجمالي حجم الدين الإيراني الخارجي ٧ مليارات دولار غالبها ديون طويلة الأجل، ويمثل حجم الدين العام (الخارجي والداخلي) ٢٥% من إجمالي الناتج المحلي الاسمي، وهي نسبة ضئيلة للغاية، إذا ما علمنا أن نسبة الدين العام الأمريكي إلى إجمالي الناتج المحلي الإجمالي ١٠٧%، وفي إنجلترا ٤٠١%، وألمانيا ١٤٥%، وفرنسا ٢٢٢%، مصر ١٠٠%، السعودية ٥%، تركيا ٥٠%، إسرائيل ٤٠%.

وتشير أغلب التقارير والدراسات الاقتصادية إلى أن الحد الآمن للدين العام لا يجب أن يزيد على ٦٠% من إجمالي الناتج المحلي الإجمالي (الاسمي).

(١) تقدر خسائر إيران نتيجة العقوبات الغربية الأخيرة فقط ٢٠١٢-٢٠١٥ بأكثر من ٢٠٠ مليار دولار، كما كانت العقوبات سبباً في ارتفاع نسب التضخم والفقر والبطالة وانكماش الناتج المحلي الإجمالي وتعطيل خطتها الكبرى المسماة رؤية ٢٠٠٥-٢٠٢٣ والتي كانت تطمح للدخول في نادي الـ TOP-20. ولكن في المقابل حققت تقدماً مذهلاً في قدراتها النووية والصاروخية الاستراتيجية ساهما في تحقيق أمنها القومي وأمن مواطنيها لعقود قادمة.

تستقبل إيران سنوياً ما يقرب من ٤ مليارات دولار استثمارات أجنبية مباشرة، رغم الحصار الغربي والعقوبات، فإن الاستثمارات الخارجية لم تنقطع يوماً عن إيران، وتتهافت الشركات الأجنبية الكبرى على امتلاك حصة بالسوق الإيرانية وتتحايل على العقوبات، وتعتبر الصين، وروسيا، وألمانيا، واليابان، وكوريا، والإمارات، والكويت، وقطر؛ أهم المستثمرين بإيران، وكذلك أهم شركائها التجاريين. في نهاية عام ٢٠١٥ ومع قرب التوصل لاتفاق شامل مع الدول الكبرى بشأن الملف النووي الإيراني، طلب البنك المركزي الإيراني من صندوق النقد مراجعة القوانين واللوائح المنظمة لعمل البنوك في إيران، وإصدار شهادة بغرض طمأنة المستثمرين بشأن سلامة ومثانة النظام المصرفي الإيراني^(١).

الأمر الذي يصب في اتجاه زيادة التدفقات الأجنبية المباشرة، ويسهم في تحقيق مستهدف النمو السنوي للاقتصاد والمقدر بـ ٨%، حسب تقديرات صندوق النقد الدولي لن تستطيع إيران تحقيق هذا الهدف وتوقع ٥% معدل نمو سنوي بداية من العام ٢٠١٦.

ومما هو جدير بالذكر أن استثمارات الإمارات العربية المتحدة بإيران بلغت ٣٠ مليار دولار أمريكي، يتركز معظمها في قطاعات النفط والغاز والسيارات والصناعات الثقيلة والبتروكيماويات، بينما يحوز المستثمرون الإيرانيون على ٢٠-٣٠% من حجم الأصول المادية بالإمارات (٢٠١٢) حوالي ٢٠٠-٣٠٠ مليار دولار، ويقطن أكثر من نصف مليون إيراني بالإمارات منهم ٤٠٠ ألف بإمارة دبي، وقد مثلت الإمارات العربية ورغم الخلافات السياسية بسبب الجزر الإماراتية المتنازع عليها دور الرئة والمنتفخ للاقتصاد الإيراني، أثناء فترة الحصار والعقوبات الغربية، حيث بلغ حجم التجارة بين البلدين في عام ٢٠١٤ أكثر من ١٧ مليار دولار، وللدلالة على حجم النشاط التجاري بين البلدين يوجد أكثر من ٢٠٠ رحلة طيران أسبوعية بين الإمارات ومختلف المدن الإيرانية.

(١) رد الصندوق بأن تلك الشهادة لن تتاح إلا في عام ٢٠١٨ كوسيلة من وسائل الضغط لاختبار التزام إيران باتفاقها مع الغرب، وأيضاً لعرقلة تدفق رؤوس الأموال الأجنبية المهمة لإعادة خطة إيران ٢٠٠٥-٢٠٢٥ إلى مسارها المخطط.

أهم محركات الاقتصاد الإيراني

○ النفط والغاز:

يسيطر المجلس الأعلى للطاقة برئاسة الرئيس الإيراني نفسه على قطاع النفط والغاز بالبلاد من خلال ثلاث شركات رئيسة مملوكة للدولة، وهم: الشركة الوطنية للنفط NIOC، والشركة الوطنية للغاز NIGC، والشركة الوطنية لصناعات البتروكيماويات NPC. وتتحكم إيران في جميع مراحل إنتاج النفط والغاز بداية من التنقيب والاستكشاف والحفر حتى الإنتاج والتصدير وتستعين بالشركات الأجنبية في الاستكشاف والحفر والتنقيب من خلال عقود إعادة الشراء Bay back. يبلغ إنتاج إيران من النفط ٢ مليون برميل يوميًا ولديها خطط لرفع إنتاجها إلى ٦ ملايين برميل يوميًا بحلول عام ٢٠٢٠ وتستطيع ذلك وبسهولة.

○ السيارات

في عام ٢٠٠٩ احتفلت إيران ببلوغ قدرتها الإنتاجية من السيارات إلى مليون سيارة سنوية، وهو ما يساوي ٤٧% من إجمالي إنتاج السيارات بمنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

في عام ٢٠١٤ بلغ إنتاج إيران من السيارات بمختلف أنواعها والشاحنات ١.٦ مليون سيارة وتخطط لبلوغ ٢ مليون سيارة في عام ٢٠٢٠. تعتبر شركة «إيران خوردو الصناعية» «أيكو» من أهم شركات صناعة السيارات بإيران.

أهم شركاء إيران بتلك الصناعة «مرسيدس بنز» حيث تصنع السيارة طراز E-Class، وبيجو، وسيتروين، ورينو، وهونداي، وكيا، ونيسان.



(صورة لمجموعة مصانع شركة إيران خوردو الصناعية)

○ قطاع البتروكيماويات

تمتلك إيران أكبر قطاع بتروكيماويات بمنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بعد المملكة العربية السعودية، تنتج إيران ما يعادل ٥% من الإنتاج العالمي من الايثيلين، وتعتبر لاعبًا رئيسًا متحكمًا في أسعار خامات البلاستيك والبوليستر والبوليمارات والميثانول العالمية.

○ قطاع الخدمات المالية

يتكون القطاع المصرفي الإيراني من ٢٦ مؤسسة تنخرط تحت أربع فئات رئيسية: بنوك حكومية كبرى، وبنوك حكومية متخصصة (تصدير - زراعة - صناعة - إسكان) وبنوك خاصة كبرى، وبنوك خاصة صغيرة.

طبقًا لمجلة «ذا بانكر» الإنجليزية المتخصصة فإن بنك الصادرات الإيرانية المملوك للدولة يعتبر أكبر البنوك بأصول قدرها ٥١ مليار دولار ويليه بنك التجارة بأصول ٤٢ مليار دولار.

كما يحتوي الاقتصاد الإيراني على أكثر من ٥٠٠٠ مؤسسة تمويل غير بنكية، يبلغ أصولها أكثر من ٦٠ مليار دولار، أيضًا تسهم البورصة الإيرانية - رغم الحصار الغربي- بنصيب وافر في دعم الاقتصاد الإيراني ويبلغ رأسمالها السوقي ١٢٠ مليار دولار.

○ قطاع الصلب

تعتبر إيران أكبر منتج للصلب في منطقة الشرق الأوسط وإفريقيا، بإنتاج بلغ ١٧ مليون طن سنويًا (٢٠١٤)، وبذلك تحتل المرتبة ١٤ عالميًا^(١)، وتخطط لإنتاج ٣٥ مليون طن بحلول عام ٢٠٢٥.

○ القطاع التعاوني

يسهم القطاع التعاوني بـ ٣% من الناتج المحلي الإجمالي الإيراني (٢٠١٤).

(١) مصر تحتل المركز ٢٤ والسعودية ٢٥.

من أهم الجمعيات التعاونية الإيرانية جمعية رفسنجاني لمزارعي الفستق وتضم ٧٠ ألف مزارع، كما توجد وزارة تسمى وزارة التعاونيات، تدعم هذا القطاع المهم وتبحث في مشكلاته وأساليب وخطط تطويره^(١).

○ البونيات

هي تَجْمُوعٌ لعدد من المؤسسات والكيانات، تخضع مباشرة لمرشد الثورة والقائد الأعلى للبلاد، ولا تخضع بدورها لأي نوع من أنواع الرقابة، كرقابة البرلمان أو قانون المحاسبة العمومية، وبالتالي ليس هناك ما يدفعها للكشف عن أصولها وأشتطتها التي غالبًا ما تبدو في الظاهر أنشطة خيرية ووقفية اجتماعية.

تعتبر مؤسسة MJF أكبر مؤسسات «البونيات» إذ توظف أكثر من ٢٠٠ ألف موظف، وتحوز أصولاً تتجاوز ١٠ مليارات دولار والأهداف الأساسية لأنشطتها هو تقديم المساعدات المالية والصحية والاجتماعية إلى فقراء إيران، أيضًا تعتبر مؤسسة الإمام رضا ومقرها مشهد في شمال إيران من أهم مؤسسات البونيات وتسيطر على ٨٠% من مساحة الأراضي الزراعية بشمال إيران وتدير ٨٥ شركة وتستثمر في مجال صناعة السيارات، ويتبعها جامعتان، كما تمتلك توكيل «كوكا كولا» بإيران. وتعتبر التبرعات التي تأتي من ملايين الحجاج إلى ضريح الإمام أهم مصدر لتمويل أنشطة المؤسسة، أيضًا من أهم المؤسسات التابعة للبونيات مؤسسة الشهداء والمحاربين القدماء وتهتم بتقديم المساعدات المادية والمعنوية لأسر الشهداء وقدامى المحاربين.

بصفة عامة يعتقد كثير من المتابعين للاقتصاد الإيراني أن «البونيات» وشركاتها التابعة تسيطر على نسبة لا تقل على ٢٠% من إجمالي الاقتصاد الإيراني.

○ الحرس الثوري الإيراني

يسيطر على أكثر من ١٠٠ شركة عملاقة، منها شركة TCI العملاقة في مجال الاتصالات، والتي تبلغ قيمتها السوقية ١٠ مليارات دولار، وشركة خاتم

(١) لاحظ أيضًا أن هذا القطاع من القطاعات البارزة بالاقتصاد الإسرائيلي.

الأنبياء العملاقة للمقاولات التي يبلغ حجم أعمالها ١٥ مليار دولار سنويًا، وتشغل أكثر من ٤٥ ألف موظف. والمؤسسة التعاونية للحرس الثوري، وتمتلك أكثر من ٤% من أسهم شركة «سابيا» إحدى أهم شركات السيارات بإيران و٢٥% من أسهم شركة «كرمانشاه» للبتروكيماويات ويبلغ حجم أعمالها ١٠ مليارات دولار سنويًا، أيضًا من الشركات الكبرى التابعة للحرس الثوري الإيراني شركة كوتران، وهي مسئولة عن جميع واردات الحكومة من التكنولوجيا الحساسة والمتطورة، وتتعامل مع جميع قطاعات الدولة ويتركز أنشطتها في مجال الإلكترونيات والكهرباء والاتصالات، من خلال شركاته المتعددة والموارد الضخمة التي يديرها. يلعب الحرس الثوري الإيراني دورًا اجتماعيًا واقتصاديًا ضخمًا بالدولة، وتنوع مساهماته بين التنمية الريفية والاجتماعية، ودعم البنية التحتية لإنشاء الطرق والمدارس والمستشفيات والجامعات والتدريب والتنمية البشرية. تحاول القيادة السياسية الحالية زيادة نسبة مساهمة القطاع الخاص في الاقتصاد لصالح خفض مساهمات الجهات الحكومية والدينية من خلال خطة متدرجة لبيع الأصول العامة لصالح الاستثمارات الداخلية والأجنبية.

○ مؤسسة الإمام الخميني

تمتلك مؤسسة الإمام الخميني ما يتجاوز ٤٥ مليار دولار أصولًا عقارية، و٣٦ شركة مدرجة ببورصة إيران وتشارك الحرس الثوري في ملكية شركة إيران للاتصالات، ولها استثمارات خارجية وكان منها مؤخرًا محاولة المؤسسة شراء مصفاة النفط الفرنسية «بتي كوون»، أيضًا يتبع مؤسسة الخميني مجموعة «ري» الوكيل الرسمي لمجموعة BMW بإيران ولها استثمارات ضخمة بقطاع النفط والغاز والصناعات الغذائية.

بصفة عامة تسيطر المؤسسات الدينية والمؤسسات العسكرية على نسبة لا يستهان بها من الاقتصاد الإيراني وبصفة عامة أقل رقم قرأته يوضح حجم تغلغل تلك المؤسساتين بالاقتصاد كان تقريبًا ٤٠% من إجمالي الناتج المحلي الاسمي الإجمالي^(١).

(١) اعترفت قيادات سياسية كبيرة في إيران بخطأ توسع النفوذ العسكري بالاقتصاد وتحكمه في قطاعات =

أهم الصادرات الإيرانية:

النفط والغاز - البتروكيماويات - السجاد - الفواكه - المكسرات - السيارات.

أهم الواردات الإيرانية:

المنتجات البترولية المكررة - السلع الرأسمالية - الصلب - المحاصيل الغذائية الرئيسية كالقمح والشعير.

أهم الدول المتلقية للصادرات الإيرانية:

الصين (٣٠%) - الهند (١٧%) - تركيا (١٠%) - اليابان (٩%) - كوريا الجنوبية (٧%) - باكستان (٣%) - الإمارات العربية المتحدة (٢%) - سوريا (٣%) - السعودية (٢) - عمان (١%) - روسيا (٣%) ٢٠١٤.

أهم الدول المصدرة لإيران:

الصين (٣٣%) - الهند (٦%) - تركيا (٥%) - اليابان (٢%) - كوريا الجنوبية (٢%) - الإمارات العربية المتحدة (١٠%) - إيطاليا (٢%) - البرازيل (٢%) - ألمانيا (٤%) - روسيا (٣%) ٢٠١٤.

لعلنا نلاحظ أن السعودية تتلقى ٢% من الصادرات الإيرانية، وتصدر الإمارات ١٠% من احتياجات إيران من السلع والمنتجات المستوردة، وتتلقى ٢% من صادراتها، كما تعتبر كل من الكويت والإمارات وقطر من أهم المستثمرين في الاقتصاد الإيراني، بينما تقف مصر ولسان حالها: نحن ملكيون أكثر من الملك، ولن نتعامل مع إيران حتى لا نغضب أصدقاءنا بالخليج، الذين يتاجرون ويستثمرون مع إيران بعشرات المليارات سنويًا، ولم تقف يومًا الصراعات السياسية أو الدينية عائقًا أمام المصالح الاقتصادية، بينما لا يتجاوز حجم التبادل التجاري بين مصر وإيران أكثر من ٦٠٠ مليون دولار^(١) لاحظ أيضًا أن حجم التبادل التجاري مع الإمارات رغم أزمة احتلال إيران للجزر الإماراتية يبلغ أكثر من ٣١ ضعف التبادل التجاري الإيراني المصري.

= رئيسة فيه، والرئيس الإيراني الحالي وعد في برنامجه الانتخابي على تخفيض تلك النسبة وهذا النفوذ ويؤيده في هذا المرشد الأعلى وقطاع واسع من السياسيين على مختلف مواقفهم أو تصنيفهم.

(١) صادرات إيران ٤٠٠ مليون وصادرات مصر ٢٠٠ مليون تقريبًا ٢٠١٤.

تبدأ إيران في عام ٢٠١٦ ومع توقيع اتفاقها مع الغرب خطة خمسية ضمن خطتها العامة ٢٠٢٥، تهدف إلى مضاعفة الناتج المحلي الإجمالي الـ (GDP) وجذب استثمارات أجنبية قدرها ٨٠ مليار دولار، بالإضافة إلى استثمار احتياطي النقد المجمد لدى الغرب والمقدر بـ ٨٠-١٠٠ مليار دولار واستغلال عوائد النفط والغاز المتوقع تصديرها وعودتها إلى طبيعتها ما قبل الحصار والعقوبات الاقتصادية، وتستهدف إيران خلال الخطة ٢٠١٦-٢٠٢٠ خفض معدلات البطالة من ١٣% إلى ٧% والفقر إلى ما دون الـ ١٥%.

اليوم تقود الحكومة أكبر عملية إعادة هيكلة اقتصادية في تاريخها تستهدف خفض مساهمة القطاعات الحكومية في الناتج المحلي الإجمالي من ٨٧% إلى ٦٠%، يصاحبها تغييرات ضخمة في التشريعات وبرامج مكافحة الفساد، وحماية الملكية الفكرية، ودعم استقلال القضاء وتهذئة الصراعات الطائفية الداخلية (الأكراد - السنة) والإقليمية، كما تركز الخطة على سرعة تحديث البنية التحتية، مثل: خطوط الطيران الوطنية، وشبكة الطرق، والسكك الحديدية، والأنفاق، ومحطات الصرف، ومياه الشرب، والمدارس، والمستشفيات، والوحدات السكنية للفقراء ومحدودي الدخل (الإسكان الاجتماعي). أيضًا تهتم الحكومة في خطتها على دعم صناديق المعاشات والضمان الاجتماعي والتأمين الصحي.

في تقرير لمعهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى معلقًا على تلك الخطة والأهداف الواردة بها؛ أن إمكانية تحقيق الحكومة الإيرانية لأهدافها عالية، ويستند المعهد في رأيه على انخفاض حجم الدين العام الإيراني حيث يقدر بـ ٢٥% من إجمالي الناتج المحلي الإجمالي الاسمي وامتلاكها احتياطات نقدية تتجاوز ١٠٠ مليار دولار، وعوائد صادرات سنوية تتجاوز ٥٠ مليار دولار (دون صادرات النفط والغاز)، وعوائد نفطية تبلغ تقريبًا ٣٠ مليار دولار سنويًا (على أساس إنتاج يومي ٢ مليون برميل، وسعر متوسط ٤٥ دولار للبرميل)، بالإضافة إلى العوائد الحكومية الأخرى من الجمارك والضرائب والتي لا تتجاوز ١٥% من الناتج المحلي الإجمالي، وهي نسبة منخفضة مقارنة بدول الإقليم الرئيسة الأخرى ما يمكنها من رفع معدلات الضرائب على الدخل، إذا أرادت لتمويل خطط التنمية والوصول إلى مستهدفها من النمو السنوي، أو الاقتراض بمعدلات

فائدة منخفضة للغاية نتيجة مستوى الديون المنخفض وقدرتها على السداد^(١).

يقول الزعيم البريطاني «نستون تشرشل» ثمن العظمة المسئولية. إيران اليوم لاعباً إقليمياً بارزاً ولم يأت هذا من فراغ رغم الحصار الغربي والحروب الباردة في جميع المجالات، إلا أن إيران انتصرت في النهاية. اليوم تحقق الجمهورية الإسلامية الاكتفاء الذاتي في ٨٠% من السلع الغذائية والصناعية، لقد اعتبر قادة الجمهورية أن قضية تحقيق الاكتفاء الذاتي من السلع والبضائع والعلم والسلاح والدواء جهاداً مقدساً، أعلنه مؤسس الجمهورية الإمام «الخميني» وأسس عليه من تبعوه سياساتهم واستراتيجياتهم. من أجل تحقيق هذا اتخذت الحكومات الإيرانية المتعاقبة سياسات حمائية قاسية، وتفرض رسوماً جمركية عالية على مختلف السلع الاستهلاكية غير الضرورية، التي لا تمثل قيمة مضافة للاقتصاد الإيراني الكلي، الأمر الذي أوجد مشكلة تعاني منها الدولة، وهي ازدهار تجارة التهريب، ورغم مكافحة الدولة لهذه الظاهرة إلا أنها واضحة وتمثل أحد مظاهر الاقتصاد الإيراني السلبية، وأحد روافد الفساد المالي والإداري بالجهاز البيروقراطي للدولة.

تحتفظ إيران بعلاقات قوية للغاية مع كل من الصين وروسيا منذ تسعينات القرن الماضي، تتجاوز الاستثمارات الصينية بإيران الـ ٢٠ مليار يورو، والاستثمارات الروسية ١٥ مليار يورو، أيضاً لإيران نفوذ ضخم بأمريكا اللاتينية مع كلٍّ من فنزويلا، وبوليفيا، والبرازيل، التي وصل حجم التبادل التجاري معها إلى ١٠ مليارات دولار سنوياً، أيضاً لإيران نفوذ ضخم في إفريقيا خاصة نظام البشير بالخرطوم الذي تمدد طهران بغالب احتياجاته من الأسلحة حسب تقرير معهد الدراسات التنموية والدولية العالي بسويسرا، و«روبرت موجابي بزمبابوي» الذي أسهمت في تخفيف حصار الغرب عليه ٢٠٠٨-٢٠٠٩ وأيضاً جنوب إفريقيا التي تمدها إيران بأكثر من نصف احتياجاتها النفطية. إيران أيضاً عضو مراقب في الاتحاد الإفريقي (٥٢ دولة). إسرائيل تسعى جاهدة لنيل هذه العضوية بكل

(١) يمكن للحكومة الإيرانية وبسهولة تمويل خططها للتنمية عن طريق الافتراض الدولي بفائدة منخفضة أو المحلي ويمكن رفع الضرائب المحلية التي هي أصلاً منخفضة.

الطرق كما تمتلك أكثر سفارات في حوالي ثلاثين بلدًا إفريقيًا مهمًا، وتحفظ بعلاقات ممتازة مع كل من الصومال وأريتريا وجنوب السودان، الهدف الرئيس للحكومة الإيرانية بعد التصدير واستغلال السوق الإفريقي كمصدر من مصادر تصريف منتجاتها، وتأمين المواد الخام اللازمة لصناعاتها وأيضًا ضمان سهولة الوصول إلى احتياطات اليورانيوم الخام المتوفرة في كل من أوغندا، والنيجر، وزيمبابوي. تحتفظ إيران بعلاقات متميزة مع الهند التي تستخدم ميناء «شهبندر» لنقل بضائعها إلى دول جنوب آسيا، أيضًا تستثمر إيران عشرات المليارات من الدولارات في أفغانستان بمشروعات البنية التحتية، وتأتي تركيا على رأس أهم الشركاء التجاريين مع إيران بحجم تجارة سنوي يتجاوز ثلاثين مليار دولار. مما سبق يمكن أن نلاحظ كيف أوجدت إيران شركاء تجاريين عوضًا عن الشركاء التقليديين الغربيين، نسجت شبكة جيدة لتصريف منتجاتها وتأمين وارداتها، اليوم ورغم المقاطعات والحصار الدولي تقف إيران رقمًا مهمًا في معادلات القوة العالمية والإقليمية الأمر الذي دفع الرئيس «أوباما» في خضم الحملة الشعواء، التي نظمها اللوبي اليهودي لدفع الإدارة الأمريكية لمهاجمة إيران عسكريًا، إلى أن يصرح بأنه يستحيل وقف البرنامج النووي الإيراني عسكريًا.

في ١٩ أيار ٢٠١٦ أكد النائب الأول لصندوق النقد الدولي «ديفيد لبيتون» أن إيران أحرزت تقدمًا كبيرًا باتجاه استعادة الاستقرار للاقتصاد الكلي في ظل ظروف صعبة، وأشار إلى انخفاض التضخم من ٤٥% عام ٢٠١٣ إلى ٨% بدايات عام ٢٠١٦، وتوقع أن ينمو الاقتصاد الإيراني في السنوات القادمة ما بين ٤ إلى ٤.٥% سنويًا.

رغم الاحترافية بأداء الحكومات الإيرانية المتعاقبة والكفاءات والعقول المتميزة التي تولت مسؤولية العمل العام منذ تأسيس الجمهورية الإسلامية؛ إلا أنه يبقى هناك الكثير من التحديات والأعمال التي يجب على الحكومة الحالية والحكومات التالية التعامل معها، أهم تلك المشكلات مشكلة الفساد وهي واضحة في تأخر ترتيب الجمهورية الإسلامية في مؤشر الفساد الصادر عن الأمم المتحدة (١٣٦ من أصل ١٤٨ دولة) وتأخرها بين دول إقليم الشرق الأوسط الكبرى، راجع الجدول رقم ١، أيضًا من المشكلات الواجب علاجها وبسرعة

تذبذب أسعار صرف الريال الإيراني أمام باقي العملات الأجنبية، أيضًا على الحكومة -وبسرعة- علاج مشكلة البطالة المرتفعة والإسراع في تطبيق برامج تحفيز الاستثمارات الخارجية، وبرامج الخصخصة بغرض ضخ عشرات المليارات في شرايين الاقتصاد تمتص جزءًا من ملايين الإيرانيين العاطلين عن العمل، وتحرير التجارة الخارجية والتوسع في إنشاء المناطق الحرة وتنشيط بورصة طهران وإعادة تنظيم القطاع المصرفي ليتوافق مع النظام العالمي. أيضًا مشكلة الفقراء والمشردين من المشكلات التي باتت واضحة وتحتاج إلى تركيز من الحكومة، لقد كان نتيجة طبيعة الإنفاق الحكومي الضخم على برامج التصنيع العسكري الضرورية وبرنامجها الفضائي الطموح والبرنامج النووي باهظ التكاليف إن تأثرت قطاعات عديدة من المجتمع الإيراني بتلك الأولويات. واليوم على الحكومة وبعد أن قطعت شوطًا كبيرًا في اتجاه بلوغ أهدافها القومية العليا من تلك البرامج؛ أن تتجه بعين الرعاية إلى تمويل برامج مكافحة الفقر والتشرد الذي يبدو واضحًا اليوم بالشارع الإيراني، وما يصاحبه من ازدهار لتجارة المخدرات التي باتت اليوم -أيضًا- أحد أهم المشكلات التي يجب على الحكومة التعامل معها^(١)، وإن كانت برامج مكافحة الفقر والبطالة كفيلة بتقليص حجم تلك الظاهرة، أيضًا يجب على الحكومة إعادة هيكلة المؤسسات التابعة للحرس الجمهوري والمرشد الأعلى للثورة وتقليص حجمها وأصولها، مع وضع أسس علمية للرقابة على كامل أنشطتها وأصولها البالغة عشرات المليارات من الدولار، إذا أرادت الجمهورية الإسلامية التأسيس لحقبة جيدة من الازدهار والنمو والتقدم فعلى الحكم أن يعيد النظر في محركات الاقتصاد، وأن يقوم بدور المهندس الماهر الذي يعيد هندسة أركانه بما يحقق النمو ويحارب الفساد، ويمنع الاحتكارات، وتكون مراكز القوى الاقتصادية والسياسية والدينية، والأخطر مراكز القوى الأمنية.

(١) عدد المدمنين بإيران يتجاوز ٢ مليون مدمن.

القوة الجيوستراتيجية (الجغرافية)



(صورة لأهم المدن الإيرانية)

إيران مثلها مثل تركيا، تتميز بموقع جغرافي وقوة جيوسياسية رائعة في وسط آسيا، هي نقطة التقاء غرب ووسط وجنوب آسيا، مساحة إيران الضخمة التي تساوي تقريباً مساحة بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإسبانيا. وعدد سكانها وتنوع مواردها الطبيعية يجعل منها دولة إقليمية مهمة، تقع إيران بين خطي عرض ٢٤ و ٤٠ شمال خط الاستواء وخطي طول ٤٤ و ٦٤ شرق خط جرينتش، يحدها من الشمال أذربيجان وأرمينيا وبحر قزوين، ومن الجنوب الخليج العربي وخليج عمان، ومن الغرب تركيا والعراق، أمّا من الشرق فتتشارك مع أفغانستان في حدود طويلة تبلغ ٩٣٦ كم تقريباً، إيران هضبة باستثناء سواحلها على بحر قزوين والخليج العربي، الجزء الشمالي من إيران تغطيه الغابات الكثيفة ويطلق عليها أدغال إيران، أما الجزء الشرقي والأوسط من إيران فيغلب عليه التصحر (صحراء دشت)، يبلغ أقصى طول لإيران ١٤٥٨ كم ناحية الغرب والجنوب، وأقصى عرض ٩٩٢ ناحية الشمال الشرقي، إيران دولة متعددة المناخات وتتميز بتنوع بيئي رائع، مناخ إيران شبه مداري على طول سواحل بحر قزوين، وبالغابات الشمالية

متوسط الحرارة لا تزيد بالصيف على ٢٩ درجة مئوية، معدل هطول الأمطار ٦٨٠ مم في الجزء الشرقي، و١٧٠٠ مم في الجزء الغربي، في حوض «زاجروس» تنخفض الحرارة إلى ما دون الصفر المئوي وتتساقط الثلوج طوال العام، السهول الساحلية المطلة على الخليج العربي وخليج عمان بجنوب إيران تكون حارة جداً رطبة صيفاً معتدلة شتاءً ومعدل سقوط الأمطار ٢٥٠ مم، تتميز إيران بمناطق سياحية طبيعية رائعة وتشتهر بالحيوانات التي أوشكت على الانقراض، مثل: الفهد الإيراني، والأسد الآسيوي، والنمر الإيراني، وجميعها باتت محل رعاية الحكومة من أجل الحفاظ على التنوع البيئي المتميز للجمهورية الإسلامية، لا توجد موانع طبيعية بإيران ومساحتها الشاسعة جعلت منها دولة منيعة ضد الغزاة والمستعمرين، كما أن مواردها الطبيعية الوفيرة مكنتها من تمويل حضارات عديدة قامت على أرضها وأسهمت في تقدم البشرية.

القوة العسكرية

○ مقدمة

في عام ٢٠١٤ ومع عشر حصول الجمهورية الإسلامية على منظومة الدفاع الصاروخي S-300 من روسيا كما هو مخطط نتيجة ضغوط إسرائيلية وأمريكية قوية أعلنت إيران استئناف مشروعها لإنتاج نظامها الصاروخي المشابه باور ٣٧٣ أو بافار باللغة الفارسية. لعلني بهذا قد فاجأت القارئ بحجم تقدم الصناعات العسكرية الإيرانية للدرجة التي جعلها تملك مشروعاً لإنتاج منظومة صواريخ متقدمة تعتبر فخر دولة كبرى مثل روسيا الاتحادية.

تقدير حجم وقدرة المنظومة العسكرية الإيرانية مهمة صعبة، فغالب مشروعات إيران العسكرية وصناعاتها المرتبطة يحاط بسرية بالغة، خصوصاً وأن إيران -كما ذكرنا سابقاً- قررت ومنذ قيام الجمهورية الإسلامية أن تعتمد على ذاتها بجمع المجالات ومنها المجالات العسكرية والأمنية.

كما أن غالب الكتابات والأبحاث المنشورة عن القوة العسكرية الإيرانية تخلط بين النماذج البحثية والتجريبية وبين الأسلحة والأنظمة التي دخلت طور الإنتاج والخدمة الفعلية، حتى وسائل الإعلام الإيرانية تقع في مثل هذا الخلط.

إلا أننا لاحظنا أن جميع التقارير والمعلومات المنشورة عن القوة العسكرية الإيرانية سواء الشرقية أو الغربية، جميعها تتفق في أن إيران قطعت شوطاً كبيراً نحو إقامة صناعات عسكرية متطورة تركز على إمكانيات بحثية وعلمية وبنية تحتية متقدمة، كما أنها طورت تكنولوجيات محلية خاصة بها عالية التقنية في مجالات كثيرة جعلت منها قوة عسكرية لا يستهان بها، وأن المجالات التي مازالت تحاول فيها تطوير إمكانياتها تستعيز عنها ببرامج تسليح من الدول الصديقة، مثل: الصين، وروسيا، وكوريا الشمالية، وتركيا؛ تكفل لها تأمين أمنها القومي على المدى القصير والمتوسط، ولكنها لا تتوقف أبداً عن البحث العلمي والتطوير، وتتفق مبالغ طائلة على برامج التسليح وبرامج الفضاء عالية التكنولوجيا بهدف تحقيق الاكتفاء الذاتي في المجالات العسكرية التي تكفل لها الردع العسكري على المدى الطويل. لو كانت إيران دولة ضعيفة لتمت مهاجمتها واختراق دفاعاتها وتدمير البنية التحتية لبرامجها في التصنيع العسكري، ومن ضمنها برنامجها النووي وبرنامجها الفضائي. هذا ما حدث في سوريا، والعراق، والسودان، ولبنان، وغزة، حيث لم تتردد إسرائيل في مهاجمتهم دون أي اعتبارات قانونية دولية أو أخلاق، بل لتعدى الأمر مجرد مهاجمة البنية التحتية النووية، ولقامت الدول الغربية ومعها إسرائيل بمهاجمة المعامل ومراكز الأبحاث كلها، وهو أمر كفيلاً بإرجاع إيران عشرات السنوات للوراء، عقاباً على تحديثها للدول الكبرى ومحاولاتها تحقيق استقلالها الحقيقي، إذلال إيران وتركيعها هدف أمريكا والغرب الثمين، وقبلهم جميعاً إسرائيل، وفي سبيله لن يلقوا بالألأاعرف الدولية، ولن ينتظروا قراراً من مجلس الأمن، لقد فعلت إسرائيل وخلفها الدول الغربية الأمر مراراً، بالعراق يوم دمرت المفاعل النووي العراقي بالعملية «أوبرا» في ٧ يونيو ١٩٨١، وبسوريا عام ٢٠٠٧ حيث قصفت مفاعلها بدير الزور، وبالسودان حيث قصفت إسرائيل مصانع تشته في إنتاجها أسلحة كيميائية بمنطقة اليرموك بالخرطوم في العام ٢٠١٢، وبغزة في يوليو ٢٠١٤، ولبنان في تموز ٢٠٠٦، وتونس في ١٦ إبريل ١٩٨٨، حيث أغتيل «خليل» الوزير الرجل الثاني بمنظمة التحرير الفلسطينية، وقبلهم جميعاً مصر في ٥٦ و٦٧ وأثناء وقف إطلاق النار في أكتوبر ٧٣، حيث هاجمت إسرائيل مفاصل الجيشين الثاني

والثالث غير مكترثة بقرارات وقف إطلاق النار وأتمت حصار الجيش الثالث بالكامل، ولكن ما الذي كبل يد إسرائيل وذراعها الطويل، وجيشها المتطور عن مهاجمة إيران؟ ما الذي يجعل إسرائيل - لأول مرة في تاريخها - تبدو عاجزة قليلة الحيلة أمام تقدم إيران العسكري والتكنولوجي؟ ما الذي يجعل الدول الغربية الكبرى، وعلى رأسها الولايات المتحدة تبدو عاجزة متحيرة لا تملك الكثير من أوراق الضغط العسكري أمام المفاوضات الإيرانية؟

من أهم عوامل الردع الإيرانية أنها فرضت على إسرائيل والغرب قواعد حرب بلا حدود وغير محدودة، لقد أبلغت المخطط الإسرائيلي وقبله الغربي أن أي حرب على الجمهورية الإسلامية لن يكون أبداً في ميدان تستعرض فيه الدول الغربية وإسرائيل تفوقها وإمكانياتها التكنولوجية، بل سوف يكون في ميدان تستعرض فيه الجمهورية الإسلامية تكتيكاتها وإمكانياتها الذاتية، حيث يمكنها التشويش على أنظمتها الإلكترونية وقد لا تتمكن طائراته بدون طيار من الاتصال بقواعدها عبر الأقمار الصناعية، كما ستقوم إيران ولديها التكنولوجيا والإمكانيات بالتشويش على أنظمة الـ GPS الموجودة بصواريخهم، وبالتالي تفقد القدرات الصاروخية الغربية، مثل الصواريخ «كروز» ميزاتها وتفوقها، ويتم تحييدها ولا يبقى من أنظمة التوجيه إلا أنظمة التوجيه بالليزر، ولكن يجب أن تكون وسائل التحكم قريبة من الأهداف وبالتالي ضمن نطاقات الدفاعات الجوية الإيرانية وترسانتها الهجومية. (تلك احد قواعد الحرب الذهبية للاستراتيجي الصيني العظيم صن تزو والتي تجعل من اسباب النصر هو مواجهة الاعداء بمراكز ضعفهم وتجنب مناطق قوتهم). إيران لم تبلغ المخطط الإسرائيلي والغربي رسائلها من خلال خطب رنانة لـ «خامني» أو «رفسنجاني»، مثلما كان يفعل دائماً جمال عبد الناصر، أو صدام حسين، أو البشير، أو مثل باقي زعماء الدول العربية المفوهين، المعروفين بإجادة فن إلقاء الخطب الرنانة التي لا تسمن ولا تغني من جوع، بل عن طريق أفعال وعمليات على الأرض كانت نتاج عشرات السنين من العمل الجاد وقبل كل هذا الوطنية، والإيمان بحق الجمهورية الإسلامية، والأمة الإيرانية أن تتبوء مركزها الذي يليق بها بين الأمم.

- فيما يلي أهم الرسائل التي أرسلتها إيران إلى الغرب ومثلت رادعًا عمليًا ضد مغامراتهم وأطماعهم:-
- ١- إيران تنتج عشرات الغواصات الصغيرة المتطورة اسمها غدِير، مصممة خصيصًا لمهاجمة القطع البحرية الغربية بالخليج العربي وقادرة على إغلاق مضيق هرمز في بضع ساعات، وهي غواصات سريعة ومسلحة جيدًا، وتستطيع الوصول إلى أعماق كبيرة، وهي تعمل كقنابل ذكية موجهة لأحداث أكبر ضرر ممكن بأساطيل الدول الغربية، تحمل تلك الغواصات أنظمة تشويش وتخفي وحرب إلكترونية متقدمة تجعلها تتسلل بهدوء وخفة وسط الأساطيل الغربية وتدمرها.
 - ٢- إيران طورت الصاروخ البالستي فاتح ١١٠، المعروف بصاروخ لبنان، وهو صاروخ يعمل بالوقود الصلب من إنتاج الصناعات العسكرية الإيرانية، متميز فائق الدقة ومداه الذي يصل حتى ٣٠٠ كم صمم خصيصًا لمهاجمة القواعد العسكرية الغربية في قطر، والإمارات، والبحرين، والسعودية، ومنشآت النفط، ومواني تصدير النفط بالخليج العربي (المسافة بين قاعدة الأسطول الخامس الأمريكي بالبحرين والسواحل الإيرانية ١٩٠ كم)، دقة الصاروخ وقوته التدميرية كبيرة وتجعل منه سلاحًا رادعًا ومؤثرًا.
 - ٣- في ١٨ ابريل ١٩٨٨ تمكنت البحرية الإيرانية من إغراق القطعة البحرية الأمريكية «صامويل بي ريبورتز» بواسطة الألغام وإغراق سفينة أخرى للوجستيات ومروحية (إيران تنتج أكثر أنواع الألغام البحرية تطورًا وشدة وتدميرًا بالعالم).
 - ٤- في بدايات عام ٢٠٠١ أطلقت إيران ٦٦ صاروخًا أرض - أرض من أراضيها في اتجاه معسكرات منظمة مجاهدي خلق الإيرانية المعارضة (معسكرات أشرف)، على حدود العاصمة العراقية بغداد بالقرب من محافظة «ديالي» في أقل من ثلاث ساعات، الأمر الذي أقلق لجنة الشؤون العسكرية بالكونغرس الأمريكي وأبدى وقتها الجنرال «تومي فرانكس» رئيس القيادة المركزية الأمريكية قلقه من هذه العملية ومغزاها والتقدم الواضح لبرنامج الصواريخ البالستي الإيراني ودقته ومستوى إدارة العملية رغم تعقيداتها التكنولوجية.

- ٥- في عام ٢٠٠١ أيضًا أمر مرشد الثورة الإسلامية علي خامنئي بتسليح جميع قطع البحرية الإيرانية بصواريخ باليستية إيرانية ذات مدى ٣٠٠ كم، والانتشار بالخليج العربي وبحر عمان، كما أمر بتدشين خطي إنتاج للقطع البحرية في مينائي بندر عباس وبندر إنزالي لإنتاج المدمرات.
- ٦- في عام ٢٠٠٦ قامت المقاومة اللبنانية بإصابة البارجة الإسرائيلية «هارنيت» التي كانت تقف أمام سواحل بيروت على بعد ١٨ كم بصاروخ متطور إيراني الصنع طراز الكوثر.
- ٧- في عام ٢٠٠٦ أيضًا وأثناء الحرب الإسرائيلية اللبنانية بجنوب لبنان أذهل حزب الله الغرب والعالم بأدائه الباهر، والذي كان شهادة في حق قيادة الحرس الثوري الإيراني الذي أشرف على تدريب وتسليح عناصر الحزب وأمدّه بالمعلومات الاستخبارية الضرورية لكي ينتصر، ما أذهل إسرائيل وفاجأ الغرب واستخباراته حجم المعلومات الاستخبارية الدقيقة التي كانت بحوزة الحرس الثوري الإيراني عن الجيش الإسرائيلي وأسلحته. التي ترجمها حزب الله بالاشتراك مع الحرس الثوري إلى خطط تدريب وأسلحة وذخائر، مكنته من وقف اجتياح جنوب لبنان وإذلال الجيش الإسرائيلي، نوع الذخيرة والتسليح التي كانت لدى عناصر حزب الله كانت مناسبة لاختراق السُّتر الواقية للجندي الإسرائيلي (نجاح استخباراتي)، كما أن تكتيكات الحرب للوحدات الإسرائيلية كانت أيضًا معلومة لدى حزب الله (نجاح استخباراتي آخر)، أيضًا قدرة حزب الله والحرس الثوري على إدارة المعركة تكتيكياً واستراتيجياً وإعلامياً واستخبارتياً، لقد بدا الحزب واثقاً من استعداداته وتجهيزاته، كان الحزب يتصرف أمام إسرائيل وكأنه تدرب على هذا النزال مئات المرات ويعلم جيداً رد فعل الاسرائيليين وخطواتهم التالية، لقد كان أداء حزب الله وخلفه الحرس الثوري الإيراني رائعاً محترفاً، ولم يفقد لحظة زمام المبادرة والفعل وبدا الحزب وخلفه الحرس الثوري وكأنه يقوم بمناورة دورية عادية وهو يعلم جيداً معلومات دقيقة وتفصيلية عن الطرف المواجه (نجاح استخباراتي آخر)، كما أن تدمير الدبابة الإسرائيلية المتقدمة «الميركافا» فخر إسرائيل ومصدر مباهاتها بعبوات

متفجرة رخيصة، توضع بطريقة معينة أسفل محرك الدبابة، وبمقدار معلوم ومحسوب من الشحنة المتفجرة، كان أيضًا نجاحًا استخباراتيًا آخرن يوضح أن لدى القيادات الإيرانية معلومات وتحليلات دقيقة لأهم مكونات آلة الحرب الإسرائيلية، وفخر الصناعات الحربية الاسرائيلية ونقاط ضعفها.

٨- في ديسمبر من عام ٢٠١١ ولمدة عشرة أيام أجرت إيران مناورات بحرية ضخمة على مساحة ٢ مليون كم مربع شرق مضيق هرمز.

٩- في عام ٢٠١٣ وفي ذروة الاستعدادات الغربية والإسرائيلية لتوجيه ضربة عسكرية لإيران فوجئ الغرب بتحكم إيران في إحدى طائرات التجسس الأمريكية المتطورة من طراز RQ-170 وأسرها، ووقف رجال الجيش الإيراني يتفخرون بإنجازهم التقني ويلتقطون الصور التذكارية.

١٠- في عام ٢٠١٣ أيضًا، قامت إيران بإعفاء قمر صناعي أمريكي كان يتجسس على برنامجها النووي، وذلك عبر إطلاق شعاع من الليزر نحو عدسته وتدميرها. طبعًا صعقت أمريكا والغرب من التطور الإيراني بأسلحة الفضاء وقدرتها بل وتفوقها.

١١- في فبراير ٢٠١٥ أجرت البحرية الإيرانية المناورة الرسول الأعظم ٩، نطاق المناورات كالعادة شرق مضيق هرمز، غرضها ليس كالمعتاد إغلاق مضيق هرمز أو تدمير بعض القطع الحربية المعادية أو تدمير حاملة طائرات، فتلك أصبحت أحد الدروس الرئيسة لطلبة البحرية الإيرانيين ويحفظونها عن ظهر قلب، بل أسر حاملة طائرات والسيطرة عليها، لن يسعنا هنا تفصيل مدى التعقيدات والتحديات التي تشمل تلك المهمة فهي كما بأفلام الحركة مهمة مستحيلة، فأسر حاملة طائرات يعني الكثير المستحيل لأصحاب الخلفيات العسكرية وبخاصة البحرية، ويكفي وعلى عجلة حتى نتخيل كمّ التعقيد المصاحب لعملية أسر حاملة طائرات ثقيلة أمريكية، أن تعلم عزيزي القارئ نبذة عن أحد حاملات الطائرات الأمريكية الثقيلة في السطور القليلة القادمة.

الارتفاع من أقل نقطة تحت سطح الماء حتى فوق مستوى سطح البحر ٧٥ مترًا (مبنى يعادل ٢٥ دورًا)، الطول ٣٣٠ مترًا، العرض ٤٠ مترًا، الوزن

بأقصى حمولة ٩٠ ألف طن، قدرة المحركات ٢٨٠ ألف حصان، السرعة ٣٥ عقدة بحرية أي ٦٤ كم/ساعة، تتكون خلافاً لمدرجات الإقلاع والهبوط من حظائر للطائرات ٨٥ طائرة تقريباً منها المقاتلة القاذفة، الاستطلاع المضادة للغواصات، والحرب الإلكترونية والإنذار المبكر، وأنظمة تسليح مختلفة من دفاع جوي إلى صواريخ بحر-أرض أو بحر-بحر، وأنظمة حرب إلكترونية ومدنية سكنية لإعاشة ٥٥٠٠ عنصر يمثلون طاقمها منهم ٢٥٠٠ عنصر من عناصر القوات البحرية الأمريكية الخاصة المعروفة بالمارينز والمشاة، محطة لتوليد الطاقة النووية تحتوى على ٨ مفاعلات صغيرة لتغذية المحركات بالطاقة، أنظمة صرف صحي ومعالجة وتحلية المياه، أنظمة تكييف ومستشفى كامل سعة ٥٠ سريرًا، ورش صيانة ومخازن للأطعمة وقطع الغيار والذخائر، بالإضافة إلى وسائل الدفاع القوية والمعقدة التي تتوافر لحاملات الطائرات، يرافق حاملات الطائرات تشكيل حربي مكون من أكثر من عشر قطع بحرية قتالية ثقيلة تتكامل لتشكل أكثر من خط دفاعي ضد أي هجوم أو اعتداء، منها الطرادات والمدمرات والفرقاطات المضادة للغواصات، بالإضافة إلى سفن دعم لوجستي وعدد غير محدد من سفن مكافحة الألغام والزوارق الحربية السريعة الخفيفة، أيضًا يكفي أن تعلم عزيزي القارئ أنه في دراسة صينية قدرت تكلفة إغراق وليس أسر حاملات طائرات أمريكية بخسارة ٣٠% من قدرة الأسطول الصيني في مقابل خسارة حاملات طائرات واحدة أي فقد ١٠% من قدرة البحرية الأمريكية.

محتوى الرسائل السابقة أن إيران أصبحت تملك من العلم والتكنولوجيا والخبرات الذاتية ما يمكنها من تتبع الأقمار الصناعية والطائرات الخفية، بإمكانات وتكنولوجيا إيرانية غير معروفة للغرب ولا لإسرائيل، وبإمكانها إلحاق أكبر الضرر بها، ولديها من المعلومات الاستخبارية والإمكانات ما يجعل أي معتد عليها يدفع الثمن مكلفًا وغاليًا في قواته الجوية والبحرية والبرية، يقول الباحثون الغربيون: إن ضرب إيران في عام ٢٠٠٤ كان أسهل من ضربها ٢٠٠٧، وحرَبًا مع إيران ٢٠١١ لا تقارن مع حربها اليوم؛ فكل يوم تزداد إيران قوة وتنتج مصانعها مزيدًا من الأسلحة والأنظمة ما يؤمنها ويحمي أمنها. لقد غيرت إيران العقيدة العسكرية الغربية، تمامًا كما فعلت مصر في أكتوبر عام ١٩٦٧ حيث

استطاع زورقان خفيفان تابعان للبحرية المصرية إغراق المدمرة المتطورة الإسرائيلية إيلات أمام سواحل بورسعيد، لقد هزت تلك العملية الباهرة الخبراء والمخططين بالعالم، ولم يستفد من يومها أحد بدلالات تلك العملية أكثر من إيران التي استوعبت جيداً القاعدة العظيمة أن الأسرع يهزم الأضخم وطبقتهما في جميع تكتيكاتها الحربية بكافة أفرع جيشها، لقد أعطت إيران دروساً للمخططين الغربيين في أن كيف لقطعان صغيرة من الغواصات الصغيرة أو الزوارق ذات السرعات العالية وقدرات إلكترونية وتخفي مميزة وتسليح مناسب أن تغرق حاملة طائرات أو بارجة ضخمة وأن تكون نداءً لأسطول ضخم حديث كامل وتتلاعب به (أصبح من الروتين السنوي والمعتاد أن تقوم إيران بعمل مناورات بحرية بجوار الأساطيل الغربية بالخليج العربي وبأعالي البحار لتذكر دومًا المخطط الغربي بتلك الحقيقة)، كما أعطتهم درساً كيف لجندي صاعقة مدرب تدريباً جيداً ويملك روحاً قتالية عالية أن يذل سرية كاملة ويوقف تقدمها، كما أثبتت كيف لمثل هذا الفرد المدرب جيداً أن يتلاعب بأكثر الدبابات تسليحاً وتدريباً (الدبابة ميركافا في حرب لبنان ٢٠٠٦)، التسليح والتدريب الجيد والتكتيكات الرائعة لميليشيات حزب الله التي أثخنت الإسرائيليين في لبنان، ومثلها لحماس في غزة وأداء القوات المدربة في سوريا واستعراض إيران لصواريخها الباليستية المتنوعة من ٢٠٠ كم حتى ١٠.٠٠٠ كم وأقمارها الصناعية ودفاعها الجوي المتقدم، وجيشها وحرسها الثوري المدربين والمسلحين جيداً، جميعها أقنعت المخطط العسكري الغربي بأن حرباً على إيران لن تكون أبداً وبأي حال نزهة أو عملية عسكرية محدودة محسوبة المخاطر والخسائر، هكذا قال المحلل العسكري البارز «سيمور هيرش»، لقد وصل الخيال بالمخططين الغربيين والإسرائيليين إلى التفكير في استخدام القنابل النووية التكتيكية لمهاجمة الجمهورية الإسلامية وإخماد دفاعاتها القوية، ولكن الخوف من رد فعل الجمهورية ومهاجمتها لحاملات الطائرات الأمريكية والغربية والقواعد العسكرية الغربية، وما قد ينتج عنه آلاف الخسائر البشرية وخسائر ضخمة بالمعدات، وما قد يصاحب هذا من رد فعل إيراني هستيري آخر يدفعها لاستخدام مخزونها من الأسلحة الكيماوية والبيولوجية، ويصبح الجميع خاسراً، ويومها يقف الجميع يحصى خسائر أكبر بكثير من

المكاسب ويتمنى إنهاء حرب يستحيل إنهاؤها، الخلاصة لقد أجبرت القيادة الإيرانية الغرب على إدراك أن الخيار العسكري خيار أرعن وغير محسوب النتائج، وغير محدود لمسرح عملياته، وأن التعقيدات السياسية الدولية ورد فعل روسيا والصين الحلفاء التقليديين لإيران تجعل من خيار الحرب خيارًا يكاد يكون مستحيلًا.

○ إيران وسياسة الاعتماد على الذات

يمكن لدول العالم الثالث وخصوصًا الغنية، أن تشتري أفضل تكنولوجيا الرادارات التي يقدمها الغرب وروسيا، ولكن هذا لن يقلق الغرب أبدًا بقدر قلقه من رادار إيراني محلي الصنع، يحتمل أنه أقل كفاءة، ما يخيف أقوى الجيوش المهاجمة، هي الأمور التي لا يتوقعها مثل رادار لا يُعلم مواصفاته أو حتى وجوده، وبالتالي لم يتحضر له ولا يملك وسائل الدفاع منه، بإمكان بطارية صواريخ غير معلوم إمكانياتها أن تسقط سربًا من الطائرات المغيرة مهما كانت متقدمة، والسبب بسيط أن تلك الطائرات لم تتجهز ولم تتحضر لمواجهة تكنولوجيا تلك البطارية غير المعلومة.

جهود إيران في التغلب على تكنولوجيا الإخفاء بالطائرات الأمريكية خير مثال على هذا الفرض، لقد استثمرت إيران قدراتها العلمية في استنباط تكنولوجيات محلية رخيصة وفعالة تفقد العدو مميزاته وتفوقه، ففي حرب الخليج ١٩٩٠ ضربت الطائرات الشبح الأمريكية إف ١١٧ بطاريات الدفاع الجوي العراقية والرادارات، قبل أن تطلق الدفاعات العراقية طلقة واحدة، والأمر تكرر في الحرب العراقية العام ٢٠٠٣، إيران ركزت أبحاثها في مجال التغلب على تلك المميزات بالطائرات الأمريكية إف ١١٧ والقاذفات بي ٢، لهذا أنتجت منظومتها الرادارية المعروفة بمطلع الفجر ٢، وهو رادار يشبه الرادار الروسي المتقدم المعروف بـ «النيبو» وهو المستخدم في منظومتها الصاروخية إس ٤٠٠، ويصل قطر عمله إلى ٤٨٠ كم، ولديه القدرة على رصد ١٠٠ هدف في آن واحد وحتى ارتفاع ١٠٠ ألف قدم، أيضًا من التكنولوجيا الإيرانية في مواجهة تكنولوجيا الإخفاء بالطائرات الإسرائيلية والغربية هو إدماج تكنولوجيا الكاميرات الحرارية في أنظمة الدفاع الجوي الخاصة بها، وهي بهذا أصبحت أكثر دقة

وقدرة على رصد كافة أنواع الطائرات والصواريخ، وتوجيه نيرانها إلى الأهداف المعادية وذلك باستخدام حزم من البرامج المعقدة التي تدمج نتائج المسح الراداري مع نتائج المسح الحراري البصري، والقادر على رصد الأهداف المعادية حتى ٤٠٠ كم.

لا يمكن لدولة منفردة أن تتساوى مع الإمكانيات الاقتصادية والعسكرية والتكنولوجية للولايات المتحدة، ولكن يمكن لدولة مثل الجمهورية الإسلامية أن تردع أمريكا بجيوش تمتلك عقيدتها الخاصة، وتكنولوجياتها المحلية وتصمم نمطها القتالي خارج الأطر الغربية أو الأجنبية المعروفة

التجربة الإيرانية تجربة جديرة بالاحترام، وقابلة للتكرار مع أي دولة تطمح أن يكون لها استقلال حقيقي وإرادة وطنية وسياسات تملك أدوات إقرارها.

الصناعات العسكرية الإيرانية

وفيما يلي سوف نعرض للقارئ ماذا فعلت القيادة الإيرانية في مدة ٣٥ عامًا تقريبًا هي عمر الثورة الإسلامية منذ قيامها في العام ١٩٧٩ في أحد أهم جوانب القوة الشاملة للدول وهو مجال التصنيع العسكري، ولنطلق لخيال القارئ تقدير حجم الجهد والعرق والعمل الذي كان على القيادة الإيرانية أن تبذله في ظل حصار وعقوبات ومقاطعات أمريكية وغربية، وفي ظل تعقيدات سياسية واقتصادية بالغة، بل وحرب شرسة استمرت تسعة أعوام مع العراق عطلت الكثير من برامج الجمهورية لتأسيس دولة قوية، أيضًا لنطلق لخيال القارئ عقد المقارنات بين وضع الجمهورية الإسلامية اليوم وباقي الدول الإسلامية الأخرى التي مازلنا نطلق على حكامها وملوكها أصحاب الفخامة والسعادة والحكمة والقيادة وغيرها من الألقاب، ولنذكر القارئ دومًا بمقولة السياسي الإنجليزي العظيم «ونستون تشرشل»: إن العظمة تعني المسؤولية، فكم كانت قدر المسؤولية التي اتسم بها قادة إيران! وكم كان قدر العظمة والمنعة التي حققوها لبلادهم! ولناخذ جولتنا سلاحا سلاحا بداية بسلاح الجو الإيراني.

○ سلاح الجو الإيراني

- تنتج الصناعات العسكرية الإيرانية عدة طائرات لحساب سلاح الجو الإيراني أهمها:-
- ١- الطائرة المعروفة بالبرق أو الصاعقة، وهي مقاتلة تطوير إيراني للطائرة الأمريكية إف ٥، وقد قامت بتطويرها حتى المستوى SR 2، وهي تشبه بعد التطوير الطائرة الأمريكية إف ١٥.
 - ٢- الطائرة شفق، وهي طائرة مقاتلة شبحية تطير بسرعة الصوت، من تصميم جامعة الطيران التابعة لجامعة مالك اشتر للتكنولوجيا، غير معلوم تسليحها أو منظومات الحرب الإلكترونية فيها وتحيطها إيران بسرية كبيرة.
 - ٣- الطائرة F 313 وهي طائرة نفاثة مقاتلة وقاذفة متعددة المهام، تدعي إيران أنها النسخة الإيرانية التي تعادل ال إف ٣٥ الأمريكية وال سوخوى ٥٠ الروسية لم تنشر إيران معلومات تفصيلية عنها، معظم تقارير الغرب تشكك في قدرة التكنولوجيا الإيرانية على الوصول لتلك القدرات الفائقة بطائراتها.
 - ٤- الطائرة إيران ١٤٠، وهي نسخة إيرانية من الطائرة الروسية انتينوف ١٤٠، وهي تصلح للعمل كناقلة جند ومعدات وأسلحة، وأيضًا كطائرات مدنية تسع ل ١٠٠ شخص وتستخدمها الخطوط الجوية الإيرانية.
 - ٥- المروحية بنها ٢٠٩١، وهي النسخة الإيرانية للمروحية الهجومية الأمريكية كوبرا 1 AH، وهي مجهزة لحمل الصواريخ الإيرانية طوفان.
 - ٦- المروحية شهيد ٢٨٥، تصنع شركة HESA الإيرانية سرعتها ٢٢٥ كم/س ومداهها ٨٢٥ كم، وهي مروحية هجومية تزود بالصواريخ الإيرانية شديدة الانفجار ٣٦١، والتي تعمل بتقنية التتبع الآلي (أطلق وانسى)، كما يمكن لهذه المروحية العمل في كافة الأوقات وتحت أقصى الظروف، ومزودة بتقنيات متقدمة تشمل تزويدها بالصواريخ الموجهة بالأشعة تحت الحمراء.
 - ٧- الطائرة بدون طيار شاهد ١٢٩ مداها من ١٧٠٠-٢٠٠٠ كم قادرة على التحليق لمدة ٢٤ ساعة وحمل ٨-٤ صواريخ ذكية شديدة الانفجار، وبإمكانها التحليق على ارتفاع ٢٤ ألف قدم ويتم توجيهها بواسطة الأقمار الصناعية الإيرانية العسكرية.

- ٨- الطائرة بدون طيار سفير الموت، مداها ١٠٠٠ كم وسرعتها تصل ل ٩٠٠ كم/س وبإمكانها حمل أربعة صواريخ كروز.
- ٩- الطائر بدون طيار أبابيل -٥ مداها ١٢٠ كم، وسرعتها ٣٠٠ كم/س، والتحليق على ارتفاع ١٥ ألف قدم، وتستخدم في أعمال التجسس والتصوير الجوي والعمليات الانتحارية الموجهة، حيث يمكن تحميلها بشحنة شديدة الانفجار زنة ٩٠ كجم.
- ١٠- الطائرة بدون طيار مهاجرة ٤ المعروفة أيضاً بالمرصاد، استخدمها حزب الله في حرب لبنان ٢٠٠٦. تبلغ سرعتها ٢٥٠ كم/س، وتطير على ارتفاع ١١ ألف قدم ولمدة ٩٠ دقيقة، قادرة على الرصد والتصنت وأيضاً التشويش تحمل أجهزة متقدمة ويمكن توجيهها بالأقمار الصناعية.
- ١- الطائرة فراز ٢ وهي النسخة الإيرانية للطائرة الأمريكية POINTER، هي طائرة خفيفة بدون طيار يمكن طيها وحملها على حقيبة ظهر، تحلق على ارتفاع ٩٠٠٠ قدم وبسرعة ٩٠ كم/س ومدى ١٠ كم.

○ سلاح الصواريخ الباليستية الاستراتيجية الإيراني

إيران ضمن الدول العشر الكبرى بالعالم في إنتاج الصواريخ بمختلف أنواعها (الباليستية - الصواريخ كروز - الحاملة للأقمار الصناعية - الدفاع الجوي - المضادة للدروع والطوربيدات).

وهي الرابعة من حيث العدد بعد الولايات المتحدة والصين وروسيا (غير مؤكد). تتنافس إيران وإسرائيل وتلته وراؤهما تركيا في هذا المجال المهم وتلك الصناعة المعقدة.

أهم أنواع الصواريخ التي تنتجها الصناعات الإيرانية:

- ١- الصاروخ الباليستي متوسط المدى سجيل، مداه ٢٠٠٠ كم، وهو بهذا يمثل تهديداً لكامل الأراضي الإسرائيلية وجنوب أوروبا، اختبرته إيران في عام ٢٠٠٩ واعترفت الولايات المتحدة الأمريكية بدقته ونجاح تجربته، وهو صاروخ متعدد المراحل ويعمل بالوقود الصلب.

- ٢- الصاروخ البالستي متوسط المدى الفجر ٣ ويصل مداه ٢٠٠٠ كم، ولديه القدرة على المناورة وتجنب الرادارات، وهو متعدد الرؤوس ويمكنه إصابة أهداف متعددة.
- ٣- الصاروخ البالستي قصير المدى قيام ١، وهو أكثر الصواريخ الإيرانية تقدماً، مداه بين ٧٠٠-١٠٠٠ كم، يعمل بالوقود السائل، لديه القدرة على المناورة والتخفي ويعمل بدون أجنحة، يحمل رأس وزنها ٧٥٠ كجم.
- ٤- الصاروخ البالستي سومار، مداه ٢٥٠٠ كم ويعمل بالوقود الصلب ويمكنه تدمير عدة أهداف وهو من عائلة الصواريخ كروز.
- ٥- الصاروخ البالستي عماد، وهو على اسم القائد الشهيد «عماد فايز مغنية» قائد ميلشيات حزب الله اللبنانية، مداه ١٧٠٠-٢٥٠٠ كم وهو متعدد المراحل، ويمكن التحكم فيه وتوجيهه حتى لحظة إصابة الهدف وقادر على حمل رأس زنة ٧٠٠ كجم.
- ٦- الصاروخ البالستي قصر المدى شهاب ١ مداه من ٣٠٠ إلى ٥٠٠ كم وزن الرأس الحربي ١٠٠٠ كجم، يعتقد أن إيران تحتفظ بمخزون لا يقل عن ٣٠٠ صاروخ من هذا الطراز، وهو بالخدمة منذ عام ١٩٨٩.
- ٧- الصاروخ البالستي شهاب ٢ قصير المدى ٧٥٠ كم وزن الرأس الحربي ١٠٠٠ كجم، ومنها الرؤوس العنقودية الخطأ المحتمل لدقة هذا الصاروخ ٥٠ متراً أي تقريباً المسافة بين عمودي إضاءة ارتفاع ١٢ متراً، ويعتقد أن إيران تحتفظ بمخزون ٤٥٠ صاروخاً من هذا الطراز، وهو بالخدمة منذ عام ١٩٩٠.
- ٨- الصاروخ البالستي متوسط المدى شهاب ٣ مداه ٢٠٠٠ كم وقادر على حمل القنابل الانشطارية حتى حمولة ١٠٠٠ كجم، دخل الخدمة ٢٠٠٣.
- ٩- الصاروخ البالستي شهاب ٤ وهو مصمم لإطلاق الأقمار الصناعية ويصل مداه حتى ٣٠٠٠ كم.
- ١٠- الصاروخ البالستي طويل المدى شهاب ٥ وهو قادر على حمل الرؤوس النووية ويصل مداه حتى ٥٠٠٠ كم.
- ١١- الصاروخ البالستي طويل المدى شهاب ٦ ويصل مداه حتى ١٠,٠٠٠ كم ويطول كامل الساحل الشرقي للولايات المتحدة الأمريكية.

- ١٢- الصاروخ الباليستي سفير ٣ ويستخدم لإطلاق الأقمار الصناعية الإيرانية حتى حمولة ٧٥٠ كجم وارتفاع ١٠٠٠ كم.
- ١٣- الصاروخ المتوسط المدى قدر ١١٠ وعائلته -قدر اف، وقدر اتش- هو صاروخ مجهز برأس ممطر عالي الدقة ويتراوح من ١٤٠٠ كم حتى ٢٠٠٠ كم.
- ١٤- الصاروخ الباليستي طويل المدى عاشوراء يبلغ مداه ٢٠٠٠-٢٥٠٠ كم وهو نسخة مطورة من عائلة الصواريخ شهاب وهو صاروخ عالي الدقة ويعمل بالوقود الصلب.
- ١٥- عائلة الصاروخ الباليستي قصير المدى الفاتح (١١٠) الذي يصل مداه من ٢٥٠ كم إلى ٤٠٠ كم، وهو ذو دقة بالغة وأنظمة ملاحية ذاتية يعمل بالوقود الصلب، ويمكن إطلاقه جواً وبحراً وبراً من قواعد ثابتة أو متحركة، نسبة الخطأ في دقته ١٠ متر، وزن الرأس الحربي ٥٠٠ كجم.
- ١٦- الفاتح ٣١٣ وهو نسخة مطورة من الفاتح ١١٠ ويصلح مداه إلى ٥٠٠ كم.
- ١٧- الصاروخ الباليستي قصير المدى التكتيكي النازعات ١٠ يصل مداه إلى ١٥٠ كم ووزن الرأس الحربي ٢٣٠ كجم، وهو جزء من عائلة مختلفة القدرات التفجيرية والمدى بداية من نازعات ٤، ٥، ٦ وحتى نازعات ١٠.
- ١٨- الصاروخ الباليستي قصير المدى زلزال ٣ ويصل مداه حتى ٢٥٠ كم ووزن الرأس المتفجرة ٩٠٠ كجم، وهو جزء من عائلة تشمل زلزال ٢ وزلزال ١ مختلفة المدى ووزن الرأس الحربية.



(صورة للصاروخ الإيراني الباليستي شهاب)

○ القوات البحرية

- ١- المدمرة خليج فارس، (هي نتاج مشروع لقمان الإيراني لإنتاج العشرات من وحدات البحرية، يبلغ طاقمها ١٨٠ فردًا، وطولها ٢٠٠ متر، ووزنها ٧٠٠٠ طن سرعتها ٣٠ عقدة بحرية، أي ٤٧ كم/س والإبحار لمسافة ٥٠٠٠ ميل بحري أي ٩٠٠٠ كم، وهي قادرة على حمل مروحيات وتملك وكراً لحمايتها، ويحمى تلك المدمرة النظام الراداري الإيراني المتطور عصر، وتحتوي المدمرة على نظام قيادة متطور قادر على بث صور المواجهات ومسرح العمليات بصور ثلاثية الأبعاد، والمدمرة مسلحة بمجموعة من المدافع البحرية الحديثة من نوع فجر ٢٧ عيار ٧٦ مم ومدى ١٧ كم (أحدث المدافع البحرية الذكية بالعالم والقادر على لإطلاق ١٢٠ قذيفة/دقيقة، ويلقم أوتوماتيكيا وقادر على التعامل مع جميع الأهداف بما فيها الأهداف الجوية حتى ارتفاع ٢٣ الف قدم) والمدفع الرشاش المتقدم فتح عيار ٤٠ مم ومدى مؤثر ٤٠ كم، وصواريخ سطح - سطح، والصواريخ كروز الإيرانية المضادة للقطع البحرية الكبيرة والمعروفة باسم نور والتي يبلغ مداها ١٢٠ كم، والصواريخ قادر التي يبلغ مداها ٢٢٠ كم، والصواريخ سطح - جو محراب الإيراني الصنع. بالإضافة إلى الصواريخ المضادة للطائرات ميثاق ١ و٢ المحمولة على الكتف، والتي يبلغ مداها ٥ كم والقادرة على إصابة أهدافها حتى ارتفاع ١٠، ٠٠٠ قدم وبسرعة ٦٠٠م/ث.
- ٢- الفرقاطة جوشن، استخدمت إيران لبناء تلك الفرقاطة أحدث تقنيات بناء الهياكل بالعالم، حيث استخدمت الألياف المضادة للحرارة في تصنيع هيكلها، تحمل هذه الفرقاطة مروحتين ومزودة بالصواريخ قادر ونصر ١ وكوثر، كما تم تسليحها بالمدافع البحرية طراز فجر ٢٧ والصواريخ المحمولة سطح جو ميثاق ١-٢.
- ٣- المدمرة جمران ١، هي مدمرة ضمن المشروع الإيراني موج طولها ٩٤ مترًا وعرضها ١١ وقادرة على حمل ١٤٢٠ طنًا من الذخائر والمعدات، سرعتها ٥٦ كم/س وطاقمها ١٤٠ بحارًا، يمكنها حمل مروحية وتزويدها بالوقود

يبلغ نطاق عملها ٥٥٠٠ ميل بحري، والمدمرة مصممة لمواجهة الحروب الكيماوية والنووية والبيولوجية، ومزودة بنظام توجيه ذاتي، المدمرة مجهزة بأربع راجمات صواريخ سطح-سطح بمدى ١٧٠ كم، وصواريخ فجر وقاذفين لإطلاق الطوربيدات وعدد من المدافع البحرية، ومضادات الطائرات المحمولة من طراز ميثاق.

٤- المدمرة جمران ٢، هي نسخة معدلة من زميلتها جمران ١ ولكن مع زيادة السرعة لتصل حتى ٣٠ عقدة بحرية، ولديها قدرات عالية على المناورة وأن جميع أجهزة تشغيلها وأنظمتها رقمية، وأنه أتم تصنيعها من مواد خاصة خفيفة تمتص موجات الرادار، وهي مزودة بنظام إدارة للمعركة يمكن من خلاله مشاهدة مسرح العمليات أرضًا وبحرًا وجوًا وبالاعماق.

٥- الفرقاطة الخفيفة ساهاند، تم تدشينها في عام ٢٠١٢، وهي مصنوعة من مواد خاصة تكفل لها التخفي (صعوبة رصدها باستخدام الرادارات التقليدية) هي محملة بالصواريخ كروز الإيرانية قادر والرادار المتقدم عصر يبلغ مدى عملها ١١٠٠٠ كم وسرعتها ٦٠ كم/س، إزاحتها ٢٠٠٠ طن.

٦- الفرقاطة الخفيفة موج، وهي النسخة الإيرانية من الفرقاطة الإنجليزية الفاند، تبلغ إزاحتها ١٥٠٠ طن وطولها ٩٠ مترًا، ومسلحة بالصواريخ الإيرانية نور المضادة للسفن.

٧- الفرقاطة القاذفة تندر، هي الفرقاطة الرئيسية لحراسة السواحل الإيرانية، تستطيع الإبحار لمسافة ١٤٨٠ كم بسرعة ٥٥.٥ كم/س، وهي مزودة بطائرات بدون طيار وأنظمة حرب إلكترونية متعددة، وأنظمة اتصالات بالأقمار الصناعية ومنصوب عليها الرادار الإيراني المتقدم عصر، السلاح الرئيس للفرقاطة، وهي الصواريخ من طراز نور وقادر وفجر بالإضافة إلى المدفع المتطور فجر ٢٧.

٨- الفرقاطة بيكان، وهي فرقاطة مجهزة بالصواريخ الصينية سطح - سطح C 801 - C 802 والمدفعية الإيرانية الشهيرة فجر ٢٧ وصواريخ كوثر ونصر ١.

٩- الغواصات غدیر، دخلت الخدمة في عام ٢٠٠٧، واستغرق تصميمها عشر سنوات، تملك منها إيران حوالي عشرين غواصة، وهي من فئة الغواصات

الخفيفة ولديها إمكانيات متقدمة للتخفي وتجنب السونار والرادارات البحرية المتقدمة وسرعتها ١١ عقدة ومحركها سوبر سيلنت، مسلحة بطوربيدات عيار ٥٣٣ مم من طراز الحوت وتستطيع زرع الألغام البحرية، طولها ٢٩ مترًا وإزاحتها ١٢٠ طنًا.



(صورة للغواصة الإيرانية الخفيفة غدیر)

- ١٠- الغواصة شبه الثقيلة فاتح، تبلغ حمولتها ٦٠٠ طن، وطولها ٤٨ مترًا، قادرة على العمل حتى عمق ٢٠٠ متر ولمدة خمسة أسابيع، تحمل أربع قاذفات للتوربيدات عيار ٥٣٣ مم من طراز حوت المتطورة وكذلك ثمانية ألغام بحرية مدى إبحارها ٦٧٠٠ كم وسرعتها تحت الماء ١٤ عقدة وفوق الماء ١١ عقدة.
- ١١- الغواصة الثقيلة (بعثت)، هي غواصة تحت الإنشاء تعمل حتى عمق ٣٠٠ متر، سرعتها ٢٢ عقدة تحت سطح الماء مزودة بست قاذفات طوربيدات، ولديها القدرة على إطلاق الصواريخ الإيرانية كروز نور وقادر وفجر ١.
- ١٢- الغواصات سابحات ١٥، وهي تستخدم لأغراض الاستطلاع البحري وجمع المعلومات وتستطيع العمل لمدة ٢٥٠ ساعة تحت الماء.
- ١٣- الغواصات ناهانغ، تبلغ إزاحتها ٣٠٠-٤٠٠ طن، وطولها ٢٢ مترًا، وهي أيضًا من الغواصات الخفيفة (القرزمة) غير معلوم تسليحها أو تصميم هيكلها ولكن هي في الأساس تصميم كورية شمالية.

- ١٤- ذو الفقار وهو زورق صواريخ قادر على العمل لمدى ٣٢٠ ميلاً بحرياً، سرعته ١٣٠ كم/س مسلح بصواريخ نصر ١ وكوثر. طاقم تشغيله ٣ أفراد وهو النسخة الإيرانية من قارب سباقات السرعة الأمريكي الشهير بليدرانر.
- ١٥- الزورق الطائر باور -٢ تبلغ سرعته ١٠٠ عقدة بحرية، هو مسلح برشاشات متطورة وأجهزة ملاحية وكاميرات تعمل على الأقمار الصناعية، وله قدرات تخفي عالية، ويستخدم لأغراض الاستطلاع والدوريات البحرية والساحلية.
- ١٦- زوارق الدوريات عاشوراء قادر على زرع الألغام البحرية يصل مداه حتى ١٠٠ ميل بحري، ومحمل بقاذفات صواريخ عيار ١٢-١٠٧ مم ورشاش عيار ٧,١٢ مم.

○ سلاح المدرعات والمركبات المصفحة

- ١- الدبابة ذو الفقار بطرازاتها ١-٢-٣، وهي تطوير إيراني للدبابة الروسية T 72 والأمريكية M 60، وهي مسلحة بمدفع عيار ١٢٥ مم وقادرة على إطلاق القنابل الموجهة، وهي تزن ٥٢ طنًا ومداه ٤٥٠ كم.
- ٢- عربية نقل الجند براق، وهي النسخة الإيرانية المعدلة للمصفحة الصينية WZ 501، وهي تعمل بمحرك ٣٣٠ حصاناً ومزودة بمدفع عيار ١٢,٧ مم ومسلحة بصواريخ مضادة للدبابات.
- ٣- عربية نقل الجند كوبرا، وهي مصفحة قادرة على حمل عشرة أفراد خلاف طاقمها، وهي من أكثر ناقلات الجند انخفاً فوق سطح الأرض بالعالم مزودة برشاش ٢٣ مم، وهي التطوير الإيراني لحاملة الجنود الروسية المصفحة BTR 60.

○ منظومات الدفاع الجوي

- ١- منظومة الدفاع الجوي بعيدة المدى باور ٣٧٣، وهي النسخة الإيرانية الشبيهة بمنظومة الصواريخ الروسية اس ٣٠٠، والأمريكية الشهيرة الباتريوت، وهو نظام بعيد المدى قادر على تتبع أكثر من ١٠٠ هدف، والتعامل مع ١٢ هدفاً في آن واحد، مصمم للتعامل مع الصواريخ البالستية، والطائرات الشبح إف ٢٢ الأمريكية، والقاذفة بي ٢، مدى النظام قطر ٣٥٠ كم وارتفاع ١٠.٠٠٠ قدم.

- ٢- منظومة الدفاع الجوي متوسط المدى المرصاد، وهو نسخة إيرانية للصواريخ الأمريكية هوك، وهو مزود بصواريخ إيرانية من طراز شلمجة القادرة على التعامل مع الأهداف على ارتفاعات منخفضة ومتوسطة وبمقطع راداري ضئيل.
- ٣- منظومة الدفاع الجوي قصيرة المدى الشهاب الثاقب، وهو نسخة من النظام الصيني HQ-7 تبلغ نسبة دقة إصابته ٩٦% المدى من ٨-١٢ كم، ويوجه بالرادار أو بصرياً أو عن طريق ال IR، تبلغ سرعته ٢.٣ ماخ.
- ٤- منظومة الدفاع الجوي متوسطة المدى S-200 مداه ١٥٠ كم وقادر على الاشتباك مع الأهداف حتى سرعة ٤ ماخ.
- ٥- منظومة الدفاع الجوي متوسطة المدى تلاش، وهو مزود بصواريخ من نوع صياد ٢ التي تعمل بالوقود الصلب، وهو متعدد المراحل (مرحلتين)، ولديه إمكانية التتبع الذاتي للأهداف، وقادر على تجنب التشويش والحرب الإلكترونية، وهو نسخة من الصواريخ الأمريكية الشهيرة الباتريوت يصل مداه ٤٣ كم وارتفاع ٢٧ ألف قدم وبسرعة ١٢٠٠ متر/ث.
- ٦- منظومة الدفاع الجوي رعد ومداه قطر ٥٠ كم وارتفاع ٧٥ ألف قدم، وهو شبيه بالمنظومة الروسية البوك ٢.
- ٧- عائلة صواريخ الدفاع الجوي ميثاق المحمولة على الكتف.
- ٨- عائلة صواريخ الدفاع الجوي صياد ٢.
- ٩- عائلة الصواريخ ستار ٣ و ٤.
- ١٠- عائلة الصواريخ فاطر.

○ صواريخ المدفعية وراجمات الصواريخ

- ١- راجمات الصواريخ فلق ١-٢ عيار ٣٣٣ مم ورعوس حربية زنة ١١٧ كجم ومدى ١٨٠ كم، قدرتها التدميرية حتى ٣٠٠ متر مربع، وسرعته ١.٨٥ ماخ، وهو صاروخ يعمل بالوقود الصلب متعدد المراحل ويستخدم لضرب الأهداف البحرية والتجمعات البرية الضخمة.

- ٢- المدفعية الصاروخية فجر ٥، وهي النسخة الإيرانية من راجمات الصواريخ الصينية WS-1، وزن الرأس الحربي ١٧٥ كجم، والمدى ٧٥ كم وهي صواريخ تعمل بالوقود الصلب.
- ٣- الصواريخ ارش مداها ١٢-٤٠ كم عيار ١٢٢ مم، وسرعتها ١١٠٠ م/ث.
- ٤- الصاروخ H-R-1-2 مداه ٢٠ كم ووزن الرأس الحربي من ٨-١٨ كجم.
- ٥- الصاروخ تندر ٦٩ مداه ١٥٠ كم.
- ٦- الصاروخ شاهين ٢ صاروخ شديد الانفجار، مداه ٢٠ كم ووزن الرأس الحربية ٨٦ كجم.
- ٧- الصاروخ عقاب.
- ٨- القذيفة الذكية قاصد الموجهة بالليزر، وتزن ٢٠٠٠ رطل.

○ صواريخ مضادة للمروحيات

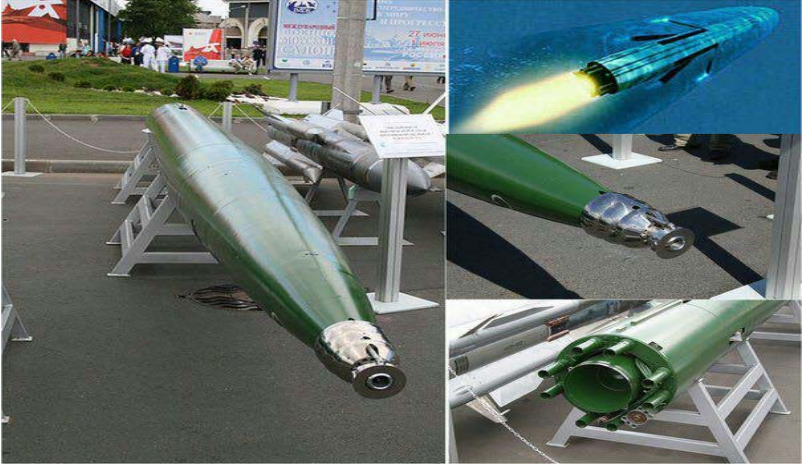
- ١- صواريخ القائم.
- ٢- صواريخ رعد ١-٢.

○ مضادات الدبابات والعربات المصفحة

- ١- صاعقة.
- ٢- طوفان ٢، هو النسخة الإيرانية للصاروخ الأمريكي الشهير TOW، وهو ذو رأس مزدوج قادر على اختراق الدروع حتى ٧٥٠ مم وسرعته ٣١٠ م/ث وزن الرأس ٤.١ كجم المدى الفعال ٣٨٥٠ متر ودقة إصابته ٩٢٪.
- ٣- طوسون.
- ٤- دهلاوية.

○ الصواريخ مضادات السفن

- ١- طوربيد الحوت هو النسخة الإيرانية من الطوربيد الروسي شكفال الأحدث بالعالم، هو طوربيد قادر على تعقب أهدافه تحت الماء بسرعة ١٠٠ م/ث (٣٦٠ كم/س) ويعمل بتكنولوجيا متقدمة لا تملكها إلا الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا، يبلغ مداه الأقصى ١٥ كم وتحاول إيران تطويره لمدى أكبر.



(صورة للطوربيد الإيراني الحوت أحدث طوربيدات العالم)

- ٢- طوربيد الفجر، هو طوربيد من الطوربيدات فائقة السرعة عالية التدمير قادر على التعامل مع القطع الحربية الكبيرة والغواصات أيضًا .
- ٣- الصاروخ خليج فارس، هو النسخة الإيرانية من الصواريخ الأمريكية كروز، يمكنه إصابة الأهداف البحرية والأرضية بصورة عمودية ومن ارتفاعات عالية رأسه الحربية ٦٥٠ كجم، وسرعته تفوق سرعة الصوت بـ ٣ أضعاف وهو صاروخ عالي الدقة ويوجه عبر الأقمار الصناعية الإيرانية، وتصل مداه حتى ٣٠٠ كم، وهو معروف بالناقل القاتل لدقة إصابته التي تصل لثمانية أمتار.
- ٤- نور، هو تطوير للصاروخ الصيني C-802 يمكن إطلاقه من السفن والغواصات أو الطائرات، أو الأرض مداه ٢٠٠ كم ويمكنه الطيران فوق سطح الماء حتى ٥ أمتار، عالي الدقة ويحمل أجهزة ملاحية متقدمة، سرعته تقريبًا سرعة الصوت نسبة دقته ٩٨%، ووزن الرأس الحربي ١٦٥ كجم من المواد شديدة الانفجار، يعمل بالوقود الصلب وهو من الصواريخ الذكية ذاتية التوجيه، وهو من أصاب المدمرة الإسرائيلية هارنيت أمام سواحل بيروت في عام ٢٠٠٦ ولم تتمكن المدمرة الأحدث بالعالم من اكتشاف الصاروخ.

- ٥- كوتر ٣، وهو صاروخ مضاد للسفن وموجه تلفزيونياً مخصص لإغراق القطع الحربية والسفن الضخمة حتى حمولة ٣٠٠٠ طن، مداه ٢٥ كم وهو النسخة الإيرانية المطورة للصاروخ الصيني C-701، تبلغ سرعته ٠,٨ ماخ وزن الرأس الحربي ٢٩ كجم، توجد نسخة منه موجهة بالرادار، يتميز بتأخير انفجار شحنته إلا بعد اختراق الهدف.
- ٦- نصر ١، هو صاروخ بحر أرض (من نوع كروز) ويمكن استخدامه أرض - بحر أيضاً، وهو يعمل بالوقود الصلب ووزن الرأس الحربي ١٥٠ كجم، وسرعته تقريباً سرعة الصوت، ارتفاعه عن سطح البحر ٥ أمتار، الأمر الذي يجعله خارج الرصد الراداري وقادر على تدمير البوارج والسفن الكبيرة حتى وزن ٣٠٠٠ طن، يصل مداه من ٣٥ حتى ٥٠ كم.
- ٧- رعد صاروخ بحري مداه ٣٦٠ كم وهو نسخة من الصاروخ الصيني HY-2.
- ٨- ٣٢٤.
- ٩- شديد ١.
- ١٠- الثاقب هو صاروخ بحري يصل مداه إلى ٨٠ كم وموجه بالرادار.

○ العتاد العسكري لأفراد المشاة

- ١- السترات الواقية لجنود المشاة.
- ٢- أقنعة الحرب الكيماوية والبيولوجية.
- ٣- الاسلحة الخفيفة لجنود المشاة مثل PKM, AKM, M-G-3. خبير، زعاف، الرشاش فتح، الرشاش M16-A-2.
- المدفع فجر ٢٧. هو فخر للصناعات العسكرية الإيرانية، دخل الخدمة فعلياً في عام ٢٠٠٨ ووقتها لم تكن تكنولوجيا تصنيعه متاحة إلا لدى الصناعات الحربية الأمريكية والإيطالية، هو من المدافع البحرية ذاتية الحركة الذكية، لديه القدرة على إطلاق ١٢٠ طلقة في الدقيقة مدى المدفع ١٧ كم ويستطيع التعامل مع الأهداف الجوية حتى ارتفاع ٢٣ ألف قدم في مختلف الظروف الجوية صباحاً ومساءً.

○ الإلكترونيات

- ١- أنظمة التسديد بالدبابات .
- ٢- أنظمة التدريب لمحاكات الطائرات والدبابات .
- ٣- الرادار حسيب .
- ٤- الرادار بصير ١١٠ .
- ٥- الرادار عصر، وهو رادار بحري دفاعي بعيد المدى محمل على غالب القطع البحرية الإيرانية المهمة مداه يصل إلى أكثر من ٢٠٠ كم، وقادر على رصد أكثر من ١٠٠ هدف وحتى ذات المقطع العرضي الراداري ٤ أمتار، وهو ضد التشويش والحرب الإلكترونية وقادر على رصد الصواريخ باليستية وتتبعها .
- ٦- أنظمة المراقبة الكهروبرصرية .
- ٧- كاميرات التصوير المستخدمة بالأقمار الصناعية .
- ٨- أنظمة الرؤية الليلية .

📖 القدرات الكمية للجيش الإيراني

○ القوات البحرية الإيرانية نذاجا كما يطلق عليها في إيران (IRIN):-

ازدهرت البحرية الإيرانية بعد الثورة الإسلامية حيث بدأت في الاعتماد على نفسها ومنعت ابتعاث البعثات الدراسية إلى الخارج، وبدأت جامعة الإمام الخميني للعلوم البحرية بإنشاء أربع كليات لتعليم العلوم البحرية والهندسة الميكانيكية، كما أسست مركزًا بحثيًا للعلوم البحرية المتخصصة في منطقة بندرانزالي بمحافظة جيلان على الحدود الروسية، طول السواحل الإيرانية ٢٤٤٠ كم تقريبًا، وهو الأمر الذي يحتم عليها الاحتفاظ بقدرات بحرية كبيرة ومتميزة .

تملك إيران القطع التالية:-

- ١- ثلاث غواصات ثقيلة روسية، من طراز كليو محملة بعدد ١٨ طوربيد و٢٤ لغماً، وهي ذات إزاحة ٢٣٠٠ طن، وسرعة ٢٥ عقدة تحت السطح، و١٢ عقدة فوق السطح وطاقمها مكون من ٧٢ فردًا وحمولتها الكاملة ٣٩٠٠ طن .

- ٢- غواصتان خفيفتان (الفتاح) محلية الصنع .
- ٣- ثلاثون غواصة خفيفة (قزمة) صناعة محلية طراز غدیر .
- ٤- غواصة خفيفة من (ناهانج) محلية الصنع .
- ٥- غواصة خفيفة (سابحات) محلية الصنع .
- ٦- أربع غواصات خفيفة من طراز يوجو تصنيع كوريا الشمالية .
- ٧- مدمرة ثقيلة (خليج فارس) محلية الصنع .
- ٨- ثلاث فرقاطات من نوع ALVAND الإنجليزية وتحمل طاقماً مكوناً من ١٣٢ فرداً .
- ٩- الفرقاطة الخفيفة جمران ٢ محلية الصنع .
- ١٠- الفرقاطة الخفيفة جوشن محلية الصنع .
- ١١- الفرقاطة الخفيفة تندر محلية الصنع .
- ١٢- الفرقاطة الخفيفة بيكان محلية الصنع .
- ١٣- الفرقاطة الخفيفة جمران واحد محلية الصنع .
- ١٤- فرقاطتان خفيفتان محلية الصنع طراز موج .
- ١٥- فرقاطة خفيفة محلية الصنع طراز ساهند .
- ١٦- ٢ كورفيت طراز باياندور الأمريكي .
- ١٧- ٨ لنشات طراز هنديجان الهولندية مسلحة بصواريخ C-802 الصينية .
- ١٨- ١٤ لنش صواريخ فرنسي من طراز سينا ١- وكامان، مسلحة بصواريخ نور المحلية الصنع .
- ١٩- ١٠ لنشات هودونج الصينية الصنع ومسلحة بصواريخ نصر ١ .
- ٢٠- ٣ لنشات بارفين الأمريكية مسلحة بصواريخ نصر ١- .
- ٢١- ١٠ زوارق C-14 الصينية الصنع مسلحة بصواريخ نصر ١- .
- ٢٢- ١٠ زوارق MK-13 الصينية الصنع مسلحة بالصواريخ الصينية TL-10 .
- ٢٣- ٣٠ زورق كورى شمالي طراز TAEDONG-C مسلحة بطوربيدات محلية الصنع .

٢٤- ١٥ زورق محلي الصنع (طراز طهران) مسلح بطوربيدات الحوت المحلية الصنع.

٢٥- ١٠٠ زورق حربي محلي الصنع مقسم بين الجيش وقوات الحرس الثوري ومسلح برجمات الصواريخ محلية الصنع ورشاشات ومدفعية بحرية.

٢٦- ٢٠٠ زورق دورية محلي الصنع ما بين زوارق حماية ساحلية وأخرى شاطئية.

٢٧- ٤ مروحيات SEA DARAGON KH-53 D أمريكية الصنع.

٢٨- ٤ مروحيات SEA KING أمريكية الصنع.

٢٩- عدد غير محدد من المروحيات الروسية MI-171.

٣٠- ١٠ مروحيات AB-212 مخصصة لأعمال البحث والانقاذ.

٣١- عدد أفراد القوات البحرية الإيرانية حوالي ١٨ ألف عنصر.

هناك كتابات تتحدث عن أن القوة البحرية الإيرانية ضمن العشر بحريات الأولى بالعالم، وهناك تقارير أخرى تتحدث أنها من حيث العدد ضمن البحريات الكبرى بالشرق الأوسط، أما من حيث القدرة والإمكانيات فهي ضمن البحريات المتوسطة القدرة أو أقل، وأن هناك مبالغت من طرف القيادات الإيرانية في الإعلان عن قدرات الوحدات الإيرانية ومستوى تجهيزها وتسليحها، ولكن الحقيقة أن البحرية الإيرانية لم تختبر على نطاق واسع حتى نستطيع تقييم إمكانياتها وقدراتها ومستوى تسليحها، ولكن انتشار البحرية الإيرانية بجوار أساطيل الدول الغربية الكبرى بمضيق هرمز وخليج عمان والمناورات البحرية الدورية التي تنظمها البحرية الإيرانية بالخليج العربي تجعلنا على الأقل نتوقع أن البحرية الإيرانية ذات إمكانيات جيدة، تحليل المخبرات الغربية وضمونها الإسرائيلية للمناورات الإيرانية عن مستوى جاهزية وقدرات قطعها البحرية يجعلنا مطمئنين إلى استنتاجنا بقوة البحرية الإيرانية وكفاءتها، رغم اعتمادها شبه الكامل على تصاميم إيرانية وتسليح محلي، طبعاً الدول الغربية لن تشر نتائج تحليلاتها عن نقاط القوة والضعف بالأسطول الإيراني؛ فتلك معلومات يتم تبادلها بين مخبرات الدول وثمانها غالباً، ولكن الأمر المؤكد أنه لو كانت القوات البحرية

الإيرانية دون المستوى لخرجت عشرات التسريبات العسكرية الرسمية وغير الرسمية تكذب تصريحات القيادات السياسية والعسكرية الإيرانية بشأن قوة سلاح البحرية الإيراني وجاهزيته، وتسخر منهم وتحرجهم أمام شعبهم وتظهرهم بمظهر المفرطين في تحمل المسؤولية، والسفهاء البلهاء الذين يبددون المليارات على أنظمة تسليح متخلفة ومنخفضة الكفاءة والتأثير، تقارير كهذه ضرورية ضمن الحرب النفسية الدائرة بين الغرب وإيران، ولكن الحقيقة المؤكدة أن الغرب وأجهزته وقياداته تنصت جيداً لخطب «الملاي» بإيران أكثر مما تنصت لخطب الملوك والزعماء العرب، وتتأهب لمناورات إيران وتراقبها جيداً، وتحسب لها أكثر من أي شيء آخر (أيضاً تهتم الدول الكبرى بمناورات الجيش المصري)، في أكثر من مناسبة يلمح «علي خامنئي» لهذا، ويذكر شعبه والمشككين في قدرات إيران العسكرية أن الغرب لو شعر للحظة أن إيران أمة ضعيفة، وأنها لا تملك ما يدافع عن سيادتها لهاجمها برًا وبحرًا وجوًا. إذلال القيادة الإيرانية وترويضها هدف أمريكي إسرائيلي غربي ثمين منذ قيام الثورة الإسلامية وحتى الآن وسيظل كذلك في المستقبل.

○ القدرات الكمية لسلاح الجو الإيراني

يصنف سلاح الجو الإيراني على أنه بالترتيب ٢٤ على مستوى العالم، سلاح الجو الإيراني ينقسم إلى قسمين القوات الجوية للجمهورية الإسلامية والمعروف بـ IRIAF، والقوات الجوية التابعة للحرس الثوري والمعروف بـ IRGCAF وعمومًا كلا الفرعين يمثلان القوات الجوية العسكرية للدولة وسلاحها الذي يشمل الآتي:-

- ١- ٤٤ طائرة F-14 الأمريكية، وهي مقاتلة اعتراضية خفيفة تملك قدرات كبيرة على المناورة وصممتها الولايات المتحدة للعمل على حاملات الطائرات.
- ٢- ٢٥ طائرة MIG-29 روسية، وهي مكافئة للمقاتلة الأمريكية F-15 يمكنها حمل ٦ صواريخ جو-جو.
- ٣- ٢٣ طائرة ميراج F-1 الفرنسية، وهي مقاتلة وقاذفة يبغ حمولتها ٦٣٠٠ كجم ومسلحة بـ ٤ صواريخ جو-جو.

- ٤- ١٧ طائرة من طراز F-7 الصينية، وهي مقاتلات متعددة المهام وسرعتها ٢ ماخ.
 - ٥- ٢٤ طائرة متعددة المهام محلية الصنع من طراز صاعقة.
 - ٦- ٦٦ طائرة فانتوم F-4 الأمريكية متعددة المهام.
 - ٧- ٦٠ طائرة تيجر F-5 الأمريكية متعددة المهام.
 - ٨- ٢٧ طائرة سوخوي SU-24 الروسية متعددة المهام.
 - ٩- ١٣ طائرة سوخوي SU-25 الروسية متعددة المهام.
 - ١٠- ٢٠٠ طائرة هليكوبتر محلية وأجنبية الصنع.
 - ١١- ٢٠٠ طائرة نقل جند ومعدات والآليات وتموين محلية وأجنبية الصنع.
 - ١٢- عدد غير معلوم من طائرات التدريب محلية وأجنبية الصنع.
 - ١٣- عدد غير معلوم من الطائرات بدون طيار المحلية والصينية الصنع.
 - ١٤- تضم القوات الجوية ٤٥ ألف عنصر.
- تجمع معظم التقارير الرزينة أن سلاح الجو الإيراني أقل الأسلحة الإيرانية قدرة وتقدمًا وسط أقرانه بالشرق الأوسط، وأنه يمثل نقطة ضعف بارزة في إجمالي القدرات العسكرية الإيرانية، وتلك حقيقة تحاول إيران التغلب عليها ولكنها تحتاج إلى وقت ونفقات كبيرة في مجال الأبحاث.

○ القدرات الكمية لسلاح الصواريخ الاستراتيجية الإيرانية

سلاح الصواريخ الباليستية أقوى وأحدث الأسلحة بالترسانة الإيرانية وأكثرها ردعًا، هو سلاح الردع الرئيس ويدها الطولى، لا جدال في دقة وقدرة وفاعلية وكفاية الصواريخ الباليستية التي تنتجها الصناعات العسكرية الإيرانية، هذا ما شهدته الأعداء قبل الأصدقاء، لقد أسردنا سابقًا وبالتفصيل القدرات التصنيعية الذاتية الإيرانية في هذا المجال الاستراتيجي المهم، وهو ما يمثل صلب القدرة الإيرانية الرادعة، النجاح الإيراني في هذه الصناعة وهذا المجال تجربة جديرة بالاحترام والدراسة والتحليل، كيف لأمة محاصرة ومهددة ومفروض عليها عقوبات أن تقطع شوطًا طويلاً في هذا المجال الصعب بالغ التعقيد والتكنولوجيا بل وتتفوق على دول كان لها سبقًا عليها وتطور إقليميًا وعالميًا، لا توجد تقارير

دقيقة عن حجم ترسانة الصواريخ الإيرانية ولكن غالبها يتحدث عن آلاف الصواريخ المخزنة في مخازن وقواعد إطلاق تحت سطح الأرض على أعماق تصل إلى ٥٠٠ متر، يشرف الحرس الثوري الإيراني على غالب القدرات الصاروخية الإيرانية ويمول برامجها، وهو المسئول عن حماية مصالح الجمهورية خارج حدود الدولة.

○ قوات الدفاع الجوي الإيراني

يغطي إيران شبكة معقدة من منظومات الدفاع الجوي مكونة من ٣٧٠٠ نقطة، تضاريس إيران الجبلية سلاح ذو حدين، التضاريس الإيرانية الجبلية تضع تحديات أمام القيادة العسكرية الإيرانية بشأن انتظام التغطية الرادارية وتغطيتها كامل الأراضي الإيرانية، وعلى كافة الارتفاعات وفي نفس الوقت تكفل الطبيعة الجبلية إمكانية عمل أكمنة مميّنة لطائرات الأعداء على كافة الارتفاعات.

تتكون شبكة الدفاع الجوي الإيراني من المنظومات الآتية:-

١- المنظومة طويلة المدى الروسية S-300، وهي منظومة تعتبر الأحدث في فئتها، وحصلت عليها إيران في نهاية عام ٢٠١٥، ولدى إيران نظام مشابه لتلك المنظومة اسمه BAVAR-373، وهو يعني القدرة باللغة الإيرانية وقد سبق بيان مواصفاته.

٢- المنظومة قصيرة المدى الروسية TOR-M-2 (إله الرعب عند الشعوب الألمانية القديمة) ويطلق عليه أيضًا سام-١٥، وهو مكافئ للصواريخ الفرنسية كروتال، وهو نظام تستطيع البطارية منه اكتشاف ٤٨ هدفًا في نفس الوقت وتصنيف أهم عشرة أهداف وأكثرها خطورة ثم التعامل مع أربعة أهداف منخفضة حتى ارتفاع ٦٠٠٠ متر في نفس الوقت، تحتوي البطارية على ٣٢ صاروخًا مخزنة في أربع قواذف ومركز للقيادة والسيطرة، يقدر زمن الاشتباك بعشر ثوانٍ، ويستطيع التعامل مع أهداف ذات مقطع راداري صغير وسرعات تصل إلى ٢٥٠٠ كم/س وحتى مدى ٤٠ كم، وله نسخة للعمل بالوحدات البحرية تسمى N-9-SA.

٣- المنظومة متوسطة المدى محلية الصنع طراز تلاش، وهي مزودة بالصواريخ الإيرانية صياد-٢.

- ٤- المنظومة متوسطة المدى محلية الصنع طراز مرصاد، وهي مزودة بالصواريخ الإيرانية شلمجة، وهو النسخة الإيرانية للمنظومة الأمريكية هوك.
- ٥- منظومة الدفاع الجوي متوسطة المدى S-200، وهي نسخة للمنظومة الروسية SA-5 يبلغ مداها ٣٠٠ كم، وتشتبك مع الأهداف حتى ٤ ماخ، قادرة على مواجهة التشويش الإلكتروني.
- ٦- منظومة الدفاع الجوي قصير المدى الإيرانية الصنع الشهاب الثاقب، وهو النسخة الإيرانية للمنظومة الصينية HQ-7، تبلغ دقة هذا النظام ٩٦% ومداه حتى ١٥ كم ووزن الرأس الحربي ١٤ كجم وتبلغ سرعته ٢٣ ماخ.

○ القدرات الكمية للقوات البرية الإيرانية

يبلغ عدد القوات الإيرانية حسب غالب التقارير حوالي ٥٤٥ ألف جندي نظامي و١.٨ مليون فرد احتياطي، وتملك إيران عدد ٢٤٠٠ دبابة، و١٥٥٠ ناقلة جند مصفحة، ٢٥٠٠ مدفع مجرور و١٥٠٠ منصة لإطلاق الصواريخ، ٤٠٠ مدفع ذاتي الحركة.

○ الحرس الثوري الإيراني (الباسدران)

ونحن نتحدث عن القدرات الكمية للجيش الإيراني لا يمكن أن نغفل عن الحرس الثوري الإيراني وقدراته وإمكانياته، بينما الجيش الإيراني جيش محترف قومي ليس له توجهات سياسية، فإن الحرس الثوري الإيراني وبحكم ظروف نشأته وأغراض تكوينه عكس ذلك تمامًا، فالحرس الثوري هو أحد أركان النظام الحاكم بإيران وذراعه العسكري، ويتبع مباشرة مرشد الثورة وله تشكيلاته وأسلحته وقواته الجوية والبحرية والبرية، كما له موارده الخاصة خلافاً لميزانية الدولة، الحرس الثوري نشأ بغرض تعزيز سلطة الثورة الإسلامية والحفاظ عليها من أعدائها الداخليين والخارجيين، وهو من حمى الثورة الإسلامية الإيرانية من محاولات مؤيدي الشاه الأسبق للقضاء عليها في سنواتها الأولى، وقد أنشأه ورعاه وأمدّه بالموارد المالية والبشرية رجال الدين الإيرانيين الذين قامت الثورة الإسلامية على أيديهم وعلى رأسهم الإمام «الخميني» الذي أصدر مرسوم تكوين الحرس الثوري في ٥ مايو ١٩٧٩، والغرض الرئيس كما ورد بمرسوم التأسيس

الدفاع عن أهداف الثورة الإسلامية والدفاع عن وجودها ضد أعدائها بالداخل والخارج.

يقدر عدد قوات الحرس الثوري بـ ٣٥٠ ألف عنصر حسب تقديرات المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية بلندن، و١٥٠ ألف عنصر حسب تقديرات معهد الدراسات الاستراتيجية الدولية بواشنطن، ونحن نميل إلى التقدير الثاني فالعقيدة القتالية الإيرانية تركز في تخطيطها للقوات البرية على الكيف وليس الكم، وعلى التدريب الراقى والتسليح المتقدم لأعداد صغيرة من عناصرها عوضاً عن الأعداد الضخمة المتواضعة التدريب، يلاحظ ذلك في إعداد وتدريب وتسليح عناصر حزب الله اللبناني وفيلق القدس الزراع الخارجي لقوات الحرس الثوري الذي يعمل حالياً بالعراق وسوريا وغزة وباقي دول العالم، يقدر عدد أفراد فيلق القدس بـ ٣٠ ألف عنصر^(١).

من ضمن تشكيلات الحرس الثوري أيضاً قوات التعبئة الشعبية «الباسيج» وهو عبارة عن ميلشيات تطوعية من الرجال والنساء من مختلف الأعمار والخلفيات العلمية، تساعد الشرطة الإيرانية على حفظ الأمن الداخلي وكان قمع مظاهرات ٢٠٠٩ والمعروفة بالثورة الخضراء أحد أبرز مهامها، يبلغ عدد قوات «الباسيج» حوالي ٥٠ ألف عنصر^(٢).

دأبت وسائل الإعلام الإقليمية والدولية على اعتبار قوات الحرس الثوري الإيراني النسخة الإيرانية المماثلة للجيش الأحمر الذراع العسكرية للثورة البلشفية، أو الجيش الثوري الفرنسي، أو جيش التحرير الشعبي الصيني، أو الجيش البعثي بسوريا والعراق. ولكن الحقيقة أن قوات الحرس الثوري الإيراني تختلف تماماً عن تلك الجيوش الثورية التي تكونت نتيجة ثورات ضخمة في تاريخ تلك الأمم، ونتيجة عوامل داخلية مرتبطة بأوضاع جماعات مصالح وقوى تدافع عن وجودها ومصادر تمويلها، وانتهى دورها إلى أن صارت مركزاً من مراكز القوى داخل مؤسسات حكم تلك الدول وتغولت سلطاتها حتى صارت

(١) لا يوجد تدقيق لهذا الرقم ولكنه ورد في عديد من المقالات التي تتناول أنشطة هذا الفيلق.

(٢) لا يوجد تدقيق لهذا الرقم أيضاً.

تدافع عن مصالحها وتناست مصالح شعوبها، ومع مرور الوقت تناست أسباب تكوينها وأسس ومبادئ مؤسسيها الأوائل وبدت في غالب الأوقات تغرد خارج السرب وكأنها قوى غاشمة منفلته تبحث دومًا عن مصالحها الضيقة، ولكن الحرس الثوري الإيراني ونتيجة انتخاب أعضائه بدقة وبعد اختبارات نفسية وعقلية وبدنية معقدة يعمل كمؤسسة منضبطة ومخلصة للقيادة العليا بالجمهورية.

ولعلم القارئ غالب قيادات الحرس الثوري الإيراني الأوائل تلقوا تدريباتهم بين وحدات منظمة التحرير الفلسطينية بلبنان أثناء الكفاح المسلح للثورة الإسلامية قبل سقوط الشاه، وأبرزهم: عباس زمني، وعلي، شمخاني، ومصطفى شمراي، وجواد منصوري وعباس دزدزاني (أحد المؤسسين الأوائل لحزب الله اللبناني) هذا يفصل بعض الارتباط التاريخي لإيران بالقضية الفلسطينية ونفوذهم الضخم في لبنان، إيران لم تنس المساعدات الفلسطينية للثورة الإسلامية وهي مازالت في بداية نشأتها وفي أخطر مراحل ضعفها وتكونها، كما أن أحد مبادئ الحرس وأحد أسباب نشأته هو مساندة ودعم حركات التحرر الإسلامية، وهذا يوضح أن دعم إيران لمنظمات الجهادية الفلسطينية مثل حماس والجهاد وباقي الفصائل الإسلامية وحزب الله اللبناني وبعض ميلشيات الشيعة بالعراق والحوثيين في اليمن وقيادات الشيعة بالكويت والبحرين والإمارات واجب على أفراد وقيادات الحرس وضمن مهام مسؤولياتهم.

يسهم الحرس الثوري الإيراني بقوة في التأسيس السياسي والتكوين الثقافي للشباب، وهو يلعب دورًا مهمًا في تأهيل الشباب بإيران في مجالات اجتماعية كثيرة.



الاتفاق النووي الإيراني - الغربي وتوازنات الأمن الإقليمي بمنطقة الشرق الأوسط

القدرات الاستراتيجية الإيرانية

○ البرنامج النووي الإيراني

أبو البرنامج النووي الإيراني هو المهندس «حسن ظهрани»، الذي لقي دعمًا وتشجيعًا من القيادي البارز هاشمي رفسنجاني الذي يقول عن البدايات الأولى للبرنامج، لقد بدأنا برنامجنا النووي بأجهزة طرد مركزية قديمة ومستعملة وخراطم وتصميمات غير دقيقة ومنقوصة من باكستان وجنوب إفريقيا والأرجنتين.

قبل أن نوضح للقارئ طبيعة البرنامج النووي الإيراني وأهدافه، وبعيدًا عن الإعلام وما يشه من معلومات مضللة وتحليلات أنصاف المثقفين والتافهين من العلماء، نحب أن نشير إلى تقرير لمنظمة عدم الانحياز صدر في عام ٢٠٠٦ أيدت فيه المنظمة جهود إيران ومساعدتها لامتلاك دورة الوقود النووي وتكنولوجيا التخصيب، وأعربت فيه عن قلقها من تعنت الدول الكبرى وترتيباتها الغربية لتكريس احتكار الوقود النووي، وقصره على عدة دول غربية استعدادًا لمرحلة ما بعد عصر الوقود الأحفوري (الفحم والنفط)، أعتقد أن القارئ بدأ يدرك جوهر الصراع الإيراني الغربي، إيران تحاول الاكتفاء الذاتي من وقود المستقبل والغرب وخلفه إسرائيل تحاول منعها من هذا الإنجاز العلمي الاستراتيجي الذي يؤكد استقلالية إيران ويدعم تفوقها ويزيد من مواردها لتوفير الطاقة الضرورية لنهضتها وتقدمها بالمستقبل، لقد قال الرئيس الإيراني «أحمدي نجاد» خلال مراحل التفاوض بين إيران والغرب أنهم يقايضون الذهب (يقصد برنامج إيران لدورة الوقود وتكنولوجيا التخصيب) بالشيكلواته (إغراءات الغرب أن ذلك بتطبيع العلاقات الاقتصادية والسياسية مع إيران)، والسؤال الذي يجب أن نسأله لأنفسنا كشعوب لا تملك تلك التكنولوجيا كم أكلنا من الشيكلواته وحتى متى سوف يستمر الغرب في إطعامنا وإطعام قادتنا الشيكلواته؟ وماذا بعد عصر الشيكلواته يوم ينضب نفطنا وغازنا؟

اليوم تقف إيران ضمن ١٧ دولة فقط بالعالم تمتلك تكنولوجيا دورة الوقود النووي كاملة^(١).

مصر ضمن دول لم تستكمل دورة الوقود النووي ولكن لديها بعضاً منه . لقد بدأ البرنامج النووي الإيراني في عام ١٩٧٦ في عهد شاه إيران الراحل، الذي نال موافقة الرئيس الأمريكي «جيرالد فورد» على أن تقدم أمريكا لإيران كافة التسهيلات التقنية والمادية لإنتاج كامل دورة الوقود النووي اللازم لتشغيل مفاعل بوشهر الذي تعاقدت إيران وفي نفس العام على بنائه من خلال كونسرتيم أمريكي - فرنسي - ألماني بقدرة ١١٩٠ ميجاوات على أن ينتهي العمل به في عام ١٩٨١، بالتوازي مع هذا قام شاه إيران وفي عام ١٩٧٧ بتوقيع اتفاقية تعاون مع جنوب إفريقيا، يتم بمقتضاه تمويل البرنامج النووي الجنوب إفريقي بالموارد المالية في مقابل إمداد إيران بالنتائج العلمية وكميات كافية من اليورانيوم الضروري لاستكمال برنامجها النووي .

بعد قيام الثورة الإسلامية في عام ١٩٧٩ أوشكت الشركات العاملة بمفاعلات بوشهر أن تنتهي (تم إنجاز ٨٥% من المفاعلات) إلا أن تدهور العلاقات الإيرانية الأمريكية أجبر الشركات الغربية والأمريكية على التوقف عن العمل وسحب خبرائها وموظفيها، في هذا التوقيت قررت القيادة الإيرانية استكمال البرنامج النووي وقررت أن التطور الإيراني في هذا المجال العلمي المهم يجب أن يتم وبأي ثمن .

حددت القيادة الإيرانية مجالات عمل وأهداف برنامج إيران النووي في

الآتي :-

- ١- تصميم وتنفيذ محطات الكهرباء النووية .
- ٢- إنشاء وتشغيل مفاعلات الأبحاث النووية الانشطارية والانصهارية .
- ٣- استيعاب دورة الوقود النووي وإنتاج الوقود اللازم لمحطاتها للطاقة والنظائر المشعة للطب والزراعة والصناعة والأبحاث .

(١) اليابان - ألمانيا - هولندا - البرازيل - الأرجنتين - جنوب إفريقيا - أوكرانيا - إسرائيل - إيران - أمريكا - روسيا - بريطانيا - فرنسا - الصين - الهند - باكستان - كوريا الشمالية .

٤- تطوير الأبحاث النووية في استخدامات الإشعاعات الذرية في مجالات الطب والصناعة والزراعة.

٥- تطوير أساليب وإجراءات توفير الأمن والسلامة للأنشطة النووية بكافة المراكز والمواقع.

٦- تطوير أبحاث البلازما^(١) والاندماج النووي، وهي تكنولوجيا ما بعد عصر الانشطار الذري التي لا تحتاج إلى وقود نووي بل فقط بنية علمية وتقنية مؤهلة، حيث إن إدماج ذرتي التريتيوم والديوتيريوم يولد قدرة كهربائية هائلة لا ينتج عنها أي تلوث بيئي، ناتج الاندماج هو نواة ذرة الهيليوم الخامل ولا تحتاج إلى عمليات معقدة كما هو حاصل حالياً في المفاعلات الانشطارية لتخصيب اليورانيوم حتى ٥%، هذا مجال علي مهم تتنافس فيه الدول على أن يكون لها السبق فيه، ومن يستطيع أن يمتلك نتائج مهمة بهذا المجال فإنه يؤمن بمورد طاقة لا نهائية ولا ينضب لأجيال قادمة بالإضافة إلى مصادر الطاقة الأخرى مثل الطاقة الشمسية وطاقة الرياح.

بعد قيام الثورة الإسلامية وفي الثمانينات من القرن الماضي وأثناء الحرب العراقية الإيرانية تم ضرب اثنين من مجموعة المفاعلات التي تم بناء غالبها بمحطة بوشهر بصواريخ فرنسية الصنع أطلقتها القاذفات العراقية، إلا أن القيادة الإيرانية ازدادت تصميمًا على استكمال برنامجها النووي القومي، لجأت إيران إلى باكستان والصين والأرجنتين لاستكمال أركان برنامجها النووي ومؤسساته في وقت أجبرت الولايات المتحدة الأمريكية الوكالة الدولية للطاقة الذرية وباقي الدول الغربية على عرقلة التعاون العلمي والتقني مع إيران. في عام ١٩٨٥ بدأت إيران برنامجها الجاد نحو امتلاك تكنولوجيا دورة الوقود النووي ومن ضمنها تكنولوجيا التخصيب وكان القرار سياسياً استراتيجياً بالاعتماد على الذات.

في بداية التسعينيات من القرن الماضي شكلت إيران وروسيا منظمة بحثية مشتركة لإمداد إيران بالخبراء والمعلومات الضرورية؛ لاستكمال برنامجها النووي

(١) حالة المواد قبل الاندماج النووي وهي في درجات حرارة ما بين العشرة مليون والخمسة عشر مليون درجة.

كما اعتمد مدير الـ SVR الروسي «سيرجى تروينكوف» قرار مساعدة إيران على تحسين وتطوير برنامجها لإنتاج الصواريخ الباليستية، بذلت الولايات المتحدة الأمريكية جهودًا كبيرة لإثناء روسيا والأرجنتين والصين عن دعم إيران ونجحت في ذلك، إلا أن إيران تمكنت من الحصول على التصميمات والأبحاث اللازمة لبرنامجها، كما استطاعت جذب عدد لا بأس به من العلماء الروس ودول أوروبا الشرقية للعمل ببرنامجها الطموح خارج سيطرة تلك الدول وضمن برنامج سرى ضخم لاجتذاب العلماء المتميزين من مختلف دول العالم وبالاخص دول أوروبا الشرقية التي انهارت بعد تفتت الاتحاد السوفيتي.

اليوم إيران تمتلك أكثر من ١٩ مركزًا بحثيًا وموقعًا لتخصيب اليورانيوم موزعة كالآتي:-

- ١- مركز أبحاث جورغان للنظائر المشعة.
- ٢- مركز أبحاث درمند لأبحاث البلازما.
- ٣- مركز أبحاث جابر بن حيان لتحويل اليورانيوم.
- ٤- مركز أبحاث جامعة شريف للبحوث النووية.
- ٥- مركز أبحاث بوناب للتكنولوجيا النووية.
- ٦- مركز معلم كالايه للأبحاث النووية.
- ٧- مركز رامانداه لتخصيب اليورانيوم.
- ٨- منشأة نطنز لتخصيب اليورانيوم.
- ٩- مركز أراك لتصنيع المياه الثقيلة.
- ١٠- مركز شكر أباد لتخصيب اليورانيوم.
- ١١- موقع دارخوين لتخصيب اليورانيوم.
- ١٢- مركز أردكان لتثقية اليورانيوم الخام.
- ١٣- منجم سغند لاستخلاص اليورانيوم.
- ١٤- منجم زاريغان لاستخلاص اليورانيوم.
- ١٥- موقع مفاعل بوشهر النووي (تم استكماله وافتتاحه في عام ٢٠١١) بقدرة ١٠٠٠ ميجاوات.

- ١٦- مفاعل طهران للأبحاث TRR، بقدرة ٣٠ كيلوفولت.
- ١٧- مفاعل أصفهان بقدرة ٥ كيلوفولت للأبحاث.
- ١٨- موقع فوردو لتخصيب اليورانيوم قرب مدينة قم.
- ١٩- موقع بارشين لتخصيب اليورانيوم.



(صورة لموقع فوردو لتخصيب اليورانيوم أهم المنشآت النووية الإيرانية)

○ محطات مهمة في البرنامج النووي الإيراني

في عام ٢٠٠٣ وبعد وقت قصير من الغزو الأمريكي للعراق وسقوط صدام حسين وتحوطا من حماقات أمريكية لإشعال حرب أخرى ضد إيران تزعم الرئيس الإيراني السابق «محمد خاتمي» تيارا من القادة الإيرانيين قدم اقتراحاً سرياً إلى المرشد الأعلى للثورة الإسلامية «علي خامنئي» يقضى بأن تتخلى إيران مؤقتاً عن دعمها السرى لحماس وحزب الله اللبناني مقابل تطبيع العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية، قبل «علي خامنئي» الاقتراح على مضض إلا أن الرئيس الأمريكي جورج بوش رفضه واعتبره وسيلة من وسائل إيران لكسب الوقت والمراوغة. بدأ النزاع الغربى الإيراني حول برنامجها النووي في هذا العام يأخذ منعطفًا جادًا، ففي هذا العام بدأ الغرب والولايات المتحدة وإسرائيل إدراك ضخامة البرنامج النووي الإيراني ومدى التطور الذي وصل إليه، رغم الحصار

ومراقبة الدول الكبرى الدقيقة له والأهم انتبه الغرب ولاول مرة إلى كفاءة النظام الإيراني ومؤسساته وقدرته العالية وكفائته في حماية برنامج ضخم ومعقد كهذا .
في نوفمبر من عام ٢٠٠٣ انتقدت الوكالة الدولية للطاقة الذرية إيران في تقرير شهير لها وزعمت أن إيران أجرت بحوثًا وتجارب أولية ترمي إلى تطوير قدرات عسكرية نووية، من ضمنها وضع المفجر ونقاط تموضع المتفجرات عالية الانفجار بالرءوس النووية وإمكانية تحميل الصواريخ النووية على قواعد متحركة، رفض السيد «محمد خاتمي» الرئيس الإيراني بذلك الوقت تقرير الوكالة وهدد بخفض مستوى تعاون بلاده مع الوكالة، واستمرت إيران في استيراد اليورانيوم من الصين وإجراء التجارب لفصل البلوتنيوم وإنتاج الماء الثقيل ومحاولات تخصيب اليورانيوم لمستويات أعلى من ٥٪.

في عام ٢٠٠٤ شرعت كل من إنجلترا وفرنسا وألمانيا في التفاوض مع إيران بشأن تخفيف حدة التوتر مع الولايات المتحدة الأمريكية والغرب، أسفر التفاوض على ما يعرف باتفاق باريس الذي يقضي بتعليق إيراني طوعي ومؤقت لدورة الوقود النووي ببرنامجها النووي، مقابل اعتراف صريح من الغرب بحق إيران في امتلاك تكنولوجيا دورة الوقود بل ومساعدتها في ذلك، على أن يتحقق نوع من الرقابة الدولية الكثيفة لاهداف البرنامج لضمان أن يظل برنامجا سلميا بغرض توليد الطاقة (لاحظ ان المقترح شبيه بما تم الاتفاق عليه بعد ١١ عاما في لوزان عام ٢٠١٥).

في عام ٢٠٠٥ وبعد فوز الرئيس الإيراني «أحمدي نجاد» بفترة الرئاسة الأولى وجه بفض اختتام الوكالة الدولية للطاقة الذرية عن أجهزة ومعدات تخصيب اليورانيوم بموقع أصفهان، واعتبر أن الغرب يتملص من التزاماته الواردة باتفاق باريس وقام بتعيين الفيزيائي والسياسي الشهير «على لاريجاني» كبيراً للمفاوضين الإيرانيين، داعياً الغرب والولايات المتحدة إلى احترام تطلعات الأمة الإيرانية وحقوقها المشروعة في امتلاك التكنولوجيا النووية، فزعت الدول الغربية من هذا الإجراء، وبدأت الدول الراعية لاتفاق باريس إلى عرض حزمة من الاتفاقيات السياسية والاقتصادية بالإضافة إلى إجراءات و ضمانات تكفل إمدادات طويلة الأمد من المواد والمعدات النووية مع معاهدة عدم اعتداء بين إيران

والاتحاد الأوروبي (غير شاملة الولايات المتحدة الأمريكية)، رفض «أحمدي نجاد» العرض الغربي ووصفها في تحدي بالصندوق الفارغ.

في يوليو من عام ٢٠٠٦ عرض معهد العلوم والأمن الدول سلسلة من صور الأقمار الصناعية، تحليل وتشرح مجموعة من المنشآت النووية بموقع أصفهان ونطنز، وفي نفس الشهر من نفس العام أصدر مجلس الأمن القرار ١٦٩٦ الذي يطالب إيران بتعليق أنشطتها لتخصيب اليورانيوم وبدون تأخير استنادًا إلى الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة، وجعل هذا الأمر ملزمًا وإلا تعرضت لعقوبات دولية.

ردت إيران في أغسطس من عام ٢٠٠٦ وعلى لسان رئيسها «أحمدي نجاد» وأمام حشدا من مؤيديه في مدينة أرومية شمال غرب إيران رفضه لقرار مجلس الأمن رقم ١٦٩٦، وأعلن متحديًا أن بلاده حققت إنجازات كبيرة في مجال تخصيب اليورانيوم وإنتاج الوقود النووي والماء الثقيل، وأنه لا توجد قوة تستطيع إجبار إيران على التخلي عن حقها المشروع في امتلاك تكنولوجيا الوقود النووي، وأعلن تخلي إيران عن البروتوكول الإضافي الذي وقعته إيران سابقًا لطمأنة الغرب مع وكالة الطاقة الذرية، ومبشرًا شعبه بأن إيران أصبحت قاب قوسين أن تكون دولة نووية، فما الذي جعل الرئيس الإيراني واثقًا إلى هذا الحد متحديًا الغرب والولايات المتحدة الأمريكية؟ الحقيقة أن إيران وعند تلك النقطة كانت تجني ثمار سنين عديدة من العمل السري والصامت من أجل امتلاك وسائل ردع كافية على النحو التالي:-

وسائل الردع الإيرانية أثناء مراحل التفاوض مع الغرب بشأن برنامجها

النووي:-

- ١- المواقع النووية الإيرانية التي تبلغ ١٧ موقعًا موزعين على جميع أنحاء البلاد وغالبها مواقع محصنة تحت الأرض بعمق ٥٠٠ متر.
- ٢- يستحيل تدمير تلك المواقع بضربة جوية واحدة بل يحتاج الأمر إلى حملة جوية مستمرة لعدة أيام وعلى مدار الساعة.
- ٣- طول الحملة الجوية ينهي عنصر المفاجأة، ويمكن إيران من تنظيم دفاعاتها واتخاذ إجراءات الرد المناسب.

- ٤- لن تتردد إيران من استخدام صواريخ فجر الموجودة لدى حزب الله لضرب وسط وشمال إسرائيل، كما أن لدى إيران القدرة الصاروخية المؤثرة والكافية التي تجعل كلاً من تل أبيب وجنوب أوروبا كله في مدى الآلة الحرب الإيرانية، بالإضافة إلى جميع عواصم الدول الخليجية والقواعد الغربية بالخليج ووحداته البحرية.
- ٥- في حالة تسرب نووي أكيد نتيجة مثل هذا الهجوم فمن المؤكد أن إيران سترد بما لديها من أسلحة كيميائية وبيولوجية.
- ٦- أعلنت إيران وفي أكثر من مناسبة أن أي هجوم عليها يعني أن مصالح الدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل بجميع أنحاء العالم ستكون أهدافاً مشروعة لآلة الحرب الإيرانية.
- لقد تعلمت إيران الدرس من تدمير إسرائيل للمرافق النووية العراقية في عام ١٩٨١، واستغلت كل عناصر القدرة والتفوق لديها وحيدت معظم عناصر الضعف، وبهذا كان المفاوضات الإيراني قوياً وواثقاً من أوراقه أثناء التفاوض. من وجهة نظري أن أقوى عامل لنجاح إيران في مراوغة الغرب أثناء مفاوضاتها الشاقة هو التزام وتصميم قيادتها وشعبها على إنجاز تفوقهم التقني المهم وإيمانهم بعدالة مساعيهم نحو التقدم والأخذ بأسباب القوة والمنعة والعلم. العظمة تأتي من الالتزام والمسئولية، لقد كان قادة إيران ملتزمين وعلى قدر المسئولية، ولهذا كانت العظمة ليس لهم بل لشعبهم ولأجيال عديدة قادمة.
- في ديسمبر من عام ٢٠٠٦ وأمام رفض إيران للقرار رقم ١٦٩٦، أصدر مجلس الأمن القرار رقم ١٧٣٧ والذي فرض العقوبات على إيران، متضمنًا تجميد أصول أفراد ومنظمات إيرانية مرتبطة بالبرنامج النووي، وقرر إنشاء لجنة لمراقبة تنفيذ القرار، وقد بذلت كل من الصين وروسيا جهودًا كبيرة للتخفيف من العقوبات التي شملها القرار.
- في مارس من عام ٢٠٠٧ وسعت الأمم المتحدة ومجلس الأمن من دائرة العقوبات المفروضة على إيران.
- في مارس من عام ٢٠٠٨ فرض مجلس الأمن سلسلة جديدة من العقوبات شملت سلعًا ومعدات مزدوجة الاستخدام السلمي أو العسكري، وأيضًا توسعت العقوبات لتشمل برنامج إيران للصواريخ الباليستية.

في ٩ يونيو ٢٠١٠ صدر القرار رقم ١٩٢٩ وتم بموجبه فرض حظر كامل على تصدير السلاح إلى إيران، وأعطى الحق في تفتيش الشحنات المتوجهة إلى إيران، كما فرض تجميدًا شاملًا على أصول بمليارات الدولارات للحرس الثوري الإيراني، وفرض عقوبات على خطوط الشحن التابعة للخطوط الجوية الإيرانية، وقد توسعت الولايات المتحدة الأمريكية وبعض الدول الغربية في هذا القرار ووسعت نطاقات عمله لتشمل عقوبات اقتصادية وتجارية.

في ٨ يونيو من عام ٢٠١١ تم تمديد القرار ١٩٢٩ لمدة ١٢ شهرًا أخرى. في بداية العام ٢٠١٢ أصدرت الوكالة الدولية للطاقة الذرية تقريرًا يظهر تطور القدرات النووية الإيرانية وأوضح التقرير أن أجهزة الطرد المركزي الإيرانية بلغت ١٢٧٨٤ من طراز IR-1، وأشار التقرير إلى أن إيران بدأت باستخدام ٩٦ كجم من اليورانيوم عالي التخصيب ٢٠%؛ لإنتاج وقود لمفاعل الأبحاث الذي تملكه في طهران، كما ورد بالتقرير إصرار إيران على عدم السماح لمفتشي الوكالة بزيارة منشآتها النووية في فوردو وبارجين، في نهاية العام أعلنت الوكالة إنتاج إيران لحوالي ٢٨٠ كجم من اليورانيوم عالي التخصيب حتى ٢٠%، وهو المستخدم للأبحاث الطبية و٨٢٧١ كجم من اليورانيوم منخفض التخصيب ٣.٥% المستخدم كوقود نووي للمفاعلات.



(صورة الرئيس الإيراني الأسبق أحمد نجاد)

في عام ٢٠١٣ تولى الرئيس الإيراني «حسن روحاني» رئاسة الجمهورية الإسلامية، الرئيس «روحاني» كان كبيراً للمفاوضين الإيرانيين من ٦ أكتوبر ٢٠٠٣ وحتى ٢٠٠٥، وهو مهندس سياسة إخفاء البرنامج النووي الإيراني، وهو الذي قال يوم إن حصلت باكستان على قنبلتها والبرازيل على تكنولوجيا دورة الوقود بدأ العالم يتعامل معهما لا لإنهاء برنامجهما بل لمراقبته، فقد أصبحت تلك الدول دولاً نووية بالأمر الواقع، مع بداية فترة حسن روحاني أعلن عن ضرورة التعامل الإيراني مع الدول الست الكبرى (الولايات المتحدة - ألمانيا - فرنسا - إنجلترا - الصين - روسيا) بإيجابية منتقداً السياسة التصادية للرئيس السابق «أحمدي نجاد» (نعتقد أن جهود القيادة الإيرانية والرئيس الإيراني أحمدي نجاد في تسريع البرنامج النووي الإيراني والنجاحات التي حققها البرنامج في فترتي رئاسته مهدت الطريق للرئيس حسن روحاني لكي يدخل في مفاوضات مجدية مع الغرب وقد أصبحت إيران النووية واقعا لا شك فيه).

يقول الفقيه القانوني والدستوري والناطقة المصري دكتور عبد الرزاق السنهوري باشا: «لا تضح تضحية الحمقى، ضح حيث تكون التضحية منتجة ومتناسبة مع نتائجها». تلك عقيدة القيادة الإيرانية والحقيقة أنها تجيد استخدامها جيداً.

لقد أرهقت العقوبات الدولية إيران وبلغت كلفة خسائرها ١٥٠-٢٠٠ مليار دولار، بينما إيران أصبحت دولة نووية وعليه فمن غير المنطقي استمرار صراع باهظ التكاليف السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بينما أحد أهدافه النهائية ليست ضرورة ملحة (امتلاك القنبلة النووية)، لقد أدركت القيادة الإيرانية أن الأعباء الاقتصادية الضخمة نتيجة العقوبات بالتأكيد ستؤثر سلباً على جميع عناصر القوة الشاملة للدولة، الاقتصاد هو ممول جميع عناصر القوة بأي دولة بدون الاقتصاد فإن قطاعات عديدة ستتضرر، بينما البرنامج النووي أصبح واقعا والعديد من أهدافه تحققت، إيران النووية أصبحت حقيقة واضحة للعالم، امتلاك السلاح النووي يمكن تأجيله إما رفع العقوبات واستمرار تمويل برامج الأبحاث واستقطاب النوايا والناهبين ورعايتهم واستمرار برامج الصناعات العسكرية الطموحة، وزيادة الإنفاق الحكومي على برامج مكافحة الفقر وبرامج تحسين

مستوى مواطنيها ودعم الصناعات وغيرها من برامج ومبادرات خططها القومية رؤية إيران ٢٠٢٥، جميعها لا يمكن تأجيلها وأهم بكثير من امتلاك سلاحا يمكن في أي وقت آخر مناسب امتلاكه، لقد أمنت إيران احتياجات أجيالاً عديدة قادمة من الطاقة ووقود المستقبل، كما أمنت استقلالها وحريتها وعززت حضورها الإقليمي والدولي وأمنها القومي.

○ اتفاقية لوزان

استمرت إيران في مفاوضاتها مع الدول الكبرى منذ منتصف عام ٢٠١٣ وحتى بداية عام ٢٠١٥ وتحديداً في الثاني من إبريل حيث أعلن عن اتفاقية لوزان بسويسرا، التي أنهت حلقات شاقة من التفاوض استمرت لـ ١٨ شهراً واثنتي عشرة سنة من الصراع العلني والصريح بين إيران والدول الغربية الكبرى، جاء من صلب الاتفاق أنه سيدخل حيز التنفيذ اعتباراً من ١٥ يناير ٢٠١٦، أعلنت الولايات المتحدة أنه اتفاق تاريخي، صرح وقتها الرئيس الأمريكي أوباما أن الاتفاق أجل وعطل طموحات إيران في امتلاك السلاح النووي لعقد من الزمان (عشر سنوات) أعلن وقتها وزير خارجية إيران «جواد ظريف» أنه يجب فوراً رفع العقوبات المفروضة على إيران منذ العام ١٩٧٩.

الاتفاقية مبنية على اتفاق مبدئي تم التوصل إليه في ٢٤ نوفمبر ٢٠١٣، وافقت فيه إيران على مبدأ التخلي عن جزء من برنامجها النووي ذي الصبغة المزدوجة المدنية - العسكرية مقابل رفع العقوبات المفروضة عليها، في ٢٠ يناير ٢٠١٤ بدأت إيران والدول الست الكبرى مفاوضات موسعة للتوصل إلى اتفاق إطار نهائي، تم الاتفاق على أن يكون ٢٤ نوفمبر ٢٠١٤ موعداً نهائياً لإنجاز الاتفاق النهائي، تم تمديد الموعد النهائي لإنجاز الاتفاق حتى الأول من يوليو ٢٠١٥، في الثاني من إبريل ٢٠١٥ أنجز الاتفاق وجاء في بيان الاتفاق بنوده التالية :-

- ١- ستواصل إيران برنامجها النووي السلمي حتى درجات تخصيب ٣.٦٧ - ٥% وسيكون التخصيب بمنشأة نطنز شمال أصفهان.
- ٢- ستخفض إيران عدد أجهزة الطرد المركزية التي تملكها من ٢٠ ألف جهاز إلى ٦٠٠٠ جهاز على أن يعمل منهم ٥٠٠٠ فقط.

- ٣- يبقى مفاعل أراك موقعًا للماء الثقيل مع إجراء تعديلات بقلب المفاعل بحيث لا ينتج البلوتونيوم المستخدم في تصنيع الأسلحة النووية على أن يصدر الوقود المستنفذ إلى الخارج.
- ٤- سيتم تحويل منشأة فوردو من موقع لتخصيب اليورانيوم إلى مركز للأبحاث النووية، وستتعامل إيران والمجتمع الدولي في إجراء أبحاث مشتركة به.
- ٥- تم الاتفاق على تدابير للإشراف على تطبيق بنود الاتفاق وتنفيذ البروتوكول الإضافي بشكل طوعي تحت إشراف الوكالة الدولية للطاقة الذرية.
- ٦- ستعاون إيران والدول الكبرى في مجالات إنشاء وتصميم المفاعلات النووية ومفاعلات الأبحاث ومجالات الأمن والسلامة النووية.
- ٧- سيتم إصدار قرار من الأمم المتحدة ومجلس الأمن يلغي القرارات السابقة والعقوبات وبيارك الاتفاق.

○ اتفاقية لوزان

- ١- الاتفاق يساعد إيران على الاحتفاظ ببرنامجها النووي بمكوناته الأساسية وأهدافه، مع بعض القيود على جزء منه يتعلق بدرجات التخصيب أعلى من درجات التخصيب اللازمة للاستخدامات المدنية والتي تقدر بـ ٥% (أكثر من ذلك ليس له أي هدف آخر إلا استخدامه لإنتاج القنبلة الذرية)، بهذا فإن البرنامج النووي الإيراني بقي سالمًا كاملًا واعترفت الدول الكبرى بإيران دولة نووية.
- ٢- الاتفاق وضع حدًا لنسبة تخصيب اليورانيوم وليس كميته.
- ٣- الاتفاق وضع حدًا لعدد أجهزة الطرد المركزية، ولكن لم يضع حدًا أو قيودًا على نوعية الأجهزة أو الطاقات الإيرانية الذاتية لتصنيع تلك الأجهزة محليًا وتطويرها.
- ٤- الاتفاق أظهر اختلاف المصالح في العلاقات الاستراتيجية بين دول الخليج والولايات المتحدة الأمريكية، وبدا واضحًا أن هناك مساحات كبيرة وواضحة من مناطق اختلاف المصالح تحتم على دول الخليج تقليص سياساتها شديدة الالتصاق بالسياسات الأمريكية، والخروج من مظلتها

الأمنية والتوجه نحو علاقات إقليمية ودولية تؤمن مصالحها خلافاً للولايات المتحدة الحليف التقليدي، لاحظ التقارب الخليجي المصري، والخليجي الفرنسي، والخليجي الروسي، وأيضاً الخليجي الصيني والتركي الروسي.

٥- الاتفاق أوجد شرخاً في العلاقات الإسرائيلية - الأمريكية، وبدا واضحاً أن الولايات المتحدة فقدت اهتمامها بمنطقة الشرق الأوسط والخليج، وأن عصر التدخل العسكري الأمريكي لأجل ضمان أمن حلفائها بالمنطقة قد ولى، وعلى إسرائيل تدبير أمورها بنفسها كما هو الحال مع حلفاء أمريكا الخليجيين، إسرائيل كانت تأمل أن تنتهي المفاوضات بالفشل وتؤدي إلى حرب إقليمية تقضي على طموحات إيران في أن تكون قوة إقليمية كبرى، وتضمن وضع إسرائيل الإقليمي كقوة إقليمية متفوقة بلا منافس لعشرات السنين القادمة، أو أن تنتهي المفاوضات بتفكيك كامل البرنامج النووي الإيراني وإنهاء جهود أكثر من ٣٥ عاماً من العمل والأبحاث في هذا المجال العلمي المهم والاستراتيجي، لم يحدث أي من هذا، واليوم تقف إسرائيل لأول مرة منذ حرب ١٩٧٣ لا تملك الفعل وأقصى ما تستطيع هو رد الفعل.

٦- الاتفاق يحتم على الغرب مساعدة إيران في أبحاثها العلمية في المجال النووي، وهو الأمر الذي له إيجابياته على تطور البنية التحتية للبرنامج النووي ككل وزيادة مهارات وخبرات كوادرها العلمية، من وجهة نظري تطوير الإمكانيات الإيرانية في تكنولوجيا البلازما والاندماج النووي أهم وأكثر جدوى من امتلاك سلاح ذري.

٧- الاتفاق يحرم إيران من الجوانب العسكرية لبرنامجها النووي وهو جانب تحتاجه لمعادلة التفوق الاستراتيجي الإسرائيلي وضمان نفوذها الإقليمي، ومن الثابت أنه يمكن للقيادة السياسية الإيرانية إن أرادت ومتى رغبت الأمر باستكمال هذا الجانب سراً وهي تملك المرافق والأدوات التي تكفل تنفيذ ذلك، ولكن من تحليلي للقدرات الإيرانية وعناصر قوتها الشاملة وعقلية وسلوك القادة الإيرانيين فإنهم يعلمون جيداً كما أعلم أن إيران اليوم لا تحتاج إلى تلك القدرات العسكرية، إيران أحوج ما تكون اليوم إلى تقوية

اقتصادها وتحقيق خططها ٢٠٢٥، وأن تنجز مزيداً من الخطوات نحو تحسين قاعدتها العلمية والبحثية، وتطوير صناعاتها العسكرية ومستوى معيشة مواطنيها وخفض معدلات الفقر والبطالة وعلاج مشكلة المشردين بالمجتمع، والتي تمثل قبلة موقوته وإنقاذ الريال الإيراني ومحاربة الفساد ودعم الحريات العامة واستقلال القضاء،

الخلاصة، «جون كيري» وزير الخارجية الأمريكي صرح في أكثر من مناسبة أن إيران النووية يصعب قصفها ويصعب أيضاً محاصرتها، إيران دولة نووية رغم أنف الجميع، لا يمكن للقادة الإيرانيين التفريط في حق إيران أن يكون لها موطئ قدم وسط دول العالم المتقدمة بفضل تقدمها وتطورها في مجال من أهم مجالات القوة والمنعة بالحاضر والمستقبل، لا يمكن أيضاً أن تفرط القيادة الإيرانية في مليارات الدولارات وعشرات الآلاف من ساعات العمل الجاد والتضحيات والأعمال الاستخباراتية وتضحيات شهدائها من العلماء (مصطفى أحمد روشن خبير تخصيب اليورانيوم، ومسعود محمدي خبير فيزياء الجسيمات، ومجيد شهرياري عالم فيزياء الكم). وغيرهم الذين اغتالتهم إسرائيل، كما لا يمكن التفريط في ٣٥ عاماً من العمل الشاق والمضنى وتضحيات أمة بكاملها من أجل التفوق والنبوغ وتأمين استقلال أجيال حالية وقادمة لعشرات السنين، قلنا سابقاً إن الاتفاق النووي الإيراني الغربي هدنة وفرصة لالتقاط الأنفاس تمهيداً لجولة أخرى من التنافس والتسابق لانتزاع النفوذ الإقليمي والدولي والتفوق بين القوى الإقليمية الكبرى وهو كذلك.

الأسلحة الكيميائية والبيولوجية الإيرانية

وقعت إيران عام ١٩٩٢ على اتفاقية حظر الأسلحة الكيميائية CWC والتي دخلت حيز التنفيذ إلزاماً عام ١٩٩٧ وهي بهذا تكون قد أنهت برنامجها لامتلاك الأسلحة الكيميائية والذي بدأت في منتصف حربها مع العراق ١٩٨٠-١٩٨٩، كما أنها وقعت في أغسطس من عام ١٩٧٣ على اتفاقية حظر الأسلحة السامة والبيولوجية، ولكن قدرات إيران البحثية والعلمية والتصنيعية وبخاصة مختبرات أبحاث دامغان تمكن القيادات السياسية والعسكرية الإيرانية من امتلاك الأسلحة الكيميائية والبيولوجية متى أرادا ذلك وبسهولة.

برنامج إيران الفضائي

هناك ٤٨ دولة بالعالم تمتلك أقمارًا صناعية، منهم ٢٤ دولة فقط تستطيع تصنيعها، منهم ٨ دول فقط تستطيع تصنيعها وإطلاقها إيران واحدة من الـ TOP 8 بهذا المجال، حيث تملك البنية التحتية والإمكانيات التكنولوجية القادرة على تصنيع وإطلاق الأقمار الصناعية، بهذه المقدمة أردت أن أهيئ القارئ للعديد من المفاجآت التي قد يجهلها أو يعلم عكسها نتيجة تورط الإعلام العربي والغربي في إمدادنا بمعلومات مغلوطة عن الجمهورية الإسلامية كجزء من الحرب عليها وكجزء من سياسات حصارها، طبعًا هناك دول إقليمية عربية كبرى كان قادتها وحكامها سعداء بحملة التشويه التي قادها الغرب ضد الجمهورية الإسلامية وبدا أغلبهم منتشيًا ومرتاحًا، وقد تكفل الغرب بطمس حقيقة التقدم العلمي والتقني الإيراني ومدلسًا وخافيًا التخلف العلمي العربي.

بدأت إيران برنامجها الفضائي في ١ فبراير ٢٠٠٤ بتأسيس وكالة الفضاء الإيرانية ISA منذ ذلك الحين أطلقت إيران ١٤ قمرًا صناعيًا من طرازات مختلفة ولأغراض متعددة، كما أطلقت مسبارين مأهولين إلى الفضاء وإعادتهما مرة أخرى استعدادًا لإرسال بعثات إيرانية مأهولة إلى القمر أو المريخ بحلول العام ٢٠٢٠.

○ أهداف البرنامج الفضائي الإيراني وبرامج تصنيع الأقمار الصناعية الإيرانية

- ١- تحسين البنية العلمية والبحثية للجمهورية في علوم الفضاء والاستشعار عن بعد والاتصالات.
- ٢- زيادة الثقافة الاجتماعية والوعي القومي بعلوم الفضاء وأهميتها كأحد علوم المستقبل.
- ٣- امتلاك القدرة على تصنيع الأقمار الصناعية بكافة أنواعها محليًا وإطلاقها بواسطة الصواريخ الإيرانية.
- ٤- إرسال بعثات إيرانية مأهولة إلى الفضاء بحلول العام ٢٠٢٠.

- ٥- جمع معلومات عن اماكن تمرکز القوات المسلحة للدول.
- ٦- رصد أعمال التدريب والتحركات الدورية للقوات العسكرية للدول وبخاصة المعادية.
- ٧- تقدير الأسلحة والذخيرة والقدرة المطلوبة للتعامل مع الامكانات العسكرية للدول المعادية.
- ٨- دراسة خطط الهجوم والدفاع المناسبة حسب الصور والمعلومات الواردة عبر الأقمار.
- ٩- اكتشاف قواعد إطلاق الصواريخ ومراكز الدفاعات الجوية والأرضية للأعداء المحتملين.
- ١٠- الصور الفضائية تعطي معلومات وبيانات حية عن المراكز الاستراتيجية لمصادر التهديد للجمهورية، -بث مباشر- (بعكس الخراط التقليدية التي تحتاج إلى تحديث).
- ١١- تحسين قنوات الاتصالات العسكرية وأدوات السيطرة والقيادة والتجسس والحرب الإلكترونية.
- ١٢- توجيه الصواريخ الباليستية والطائرات بدون طيار العاملة بالجيش والحرس الثوري لتحقيق مزيدا من التحكم والدقة العالية.

○ تطور البرنامج الفضائي الإيراني

- ١- في عام ٢٠٠٥ أطلقت إيران أول أقمارها الصناعية من طراز سينا -١ وهو إنتاج إيراني - روسي مشترك، أطلق القمر بواسطة الصاروخ الروسي كوزموس -٣ إلى مدار على بعد ٦٥٠ كم وكان بغرض التجسس.
- ٢- في عام ٢٠٠٨ أطلقت إيران بالاشتراك مع الصين القمر Enviroment -1 بهدف التنبؤ بالطقس والكوارث الطبيعية، ويؤمن تغطية كاملة للأرض كل يومين، تم الإطلاق بواسطة صاروخ صيني من قاعدة صينية.
- ٣- في الثاني من فبراير ٢٠٠٩ أطلقت إيران القمر AMID وهو يعني الأمل، تم تصنيع القمر بالكامل في إيران وعلى يد علماء إيران كما أطلق بواسطة الصاروخ الإيراني سفير -٢ من مدينة سمدان، استمر القمر في مداره على

ارتفاع ٤٠٠ ميل لمدة ٤٠ يوماً تقريباً وقد أسقطته إيران بعد انتهاء مهمته في التجسس لصالح الحرس الثوري.

٤- في يونيو ٢٠١١ تم إطلاق القمر رصد ١-1 RASED بواسطة الصاروخ الإيراني سفير -٢ لارتفاع ٢٦٠ كم له قدرات تحليلية متميزة من تصميم الباحثين بجامعة مالك اشتر في طهران التابع للحرس الثوري الإيراني، يدور حول الأرض ١٥ مرة/٢٤ ساعة.

٥- في ٣ فبراير ٢٠١٢ تم إطلاق القمر الصناعي التجريبي المهدي NAVID وهو يحمل معدات اتصالات لمداره حول الأرض بواسطة الصاروخ الإيراني سفير -٢ إلى مدار ٣٧٠ كم من سطح الأرض.

٦- في عام ٢٠١٣ أطلقت وكالة الفضاء الإيرانية ISA مسباراً فضائياً إيرانياً يحمل قردياً إلى مدار على ارتفاع ١٢٠ كم وظل المسبار في مداره ربع ساعة ثم تمت استعادته، كان الإطلاق بواسطة الصاروخ الإيراني بيشغام، وقد سبق لإيران أن أرسلت حشرات وسلاحف إلى مدارات حول الأرض واستعادتها خلال الأعوام ٢٠٠٩-٢٠١٢.

٧- في عام ٢٠١٤ أعلن مدير برنامج الفضاء الإيراني منصور كابغانيان أن إيران تخطط لصنع مركبة فضاء مأهولة لإرسال رواد فضاء إيرانيين إلى مدارات حول الأرض تمهيداً لإرسالهم ضمن برنامج أكثر تطوراً إلى القمر أو المريخ بحلول العام ٢٠٢٠.

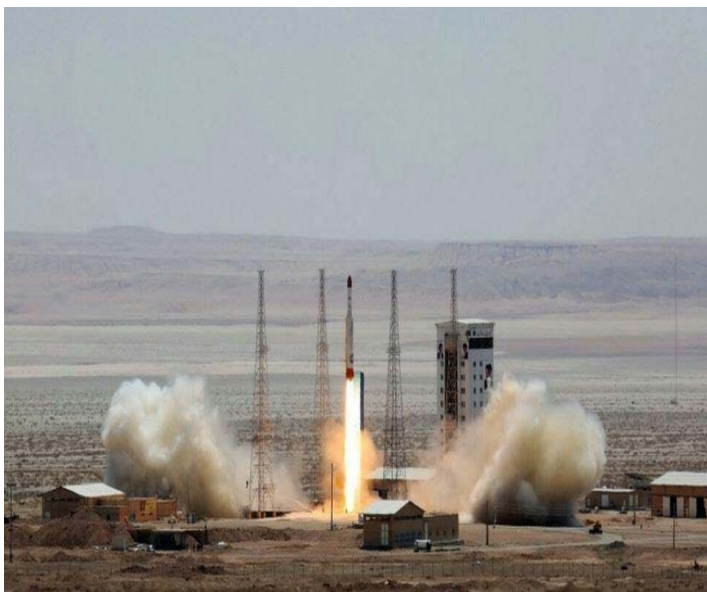
٨- في ٢ فبراير ٢٠١٥ أطلقت إيران القمر الصناعي فجر بواسطة الصاروخ سفير -٢ إلى مدار حول الأرض على مسافة ٤٥٠ كم، وزن القمر ٥٢ كجم وهو من نوعية الأقمار نانو الستاليت التي تتميز فيها إيران كما زود القمر بمعدات تصوير متقدمة بغرض التجسس، هذا هو القمر الرابع الذي صنع في إيران.

٩- تخطط إيران لإطلاق عدد ٣ أقمار من عائلة مصباح بالتعاون مع إيطاليا بنهاية العام ٢٠١٦ كما لديها خطة لإطلاق الـ ٧ أقمار التالية خلال العام ٢٠١٧ تتضمن الآتي:-

- إطلاق القمر الإيراني ناهيد NAHID وهو من نوعية الأقمار النانو ستاليت بوزن ٥٠ كجم إلى مدار منخفض ٢٥٠ كم وهو مخصص للأغراض العسكرية.

- إطلاق القمر الإيراني ناصر NASER وهو من نوعية الأقمار النانو ستاليت بوزن ٥٠ كجم إلى مدار منخفض ٢٥٠ كم وهو مخصص للأغراض العسكرية ونظام ملاحى للتعرف على الأقمار الصناعية الأخرى والمعادية له.
- إطلاق القمر الإيراني شريف SHARIF وهو تصميم جامعة شريف للتكنولوجيا من نوعية الأقمار النانو ستاليت بوزن ٥٠ كجم وهو بقوة تمييز قدرها ١ متر ومخصص للأغراض العسكرية.
- إطلاق القمر الإيراني ظافر ZAFIR 1 وهو من نوعية الأقمار النانو ستاليت بوزن ٩٠ كجم إلى مدار ٥٠٠ كم وهو مخصص للأغراض العسكرية ومخطط أن يطلق من قاعدة الإمام الخميني.
- إطلاق القمر الإيراني قم QAEM وهو مخصص للاتصالات.
- إطلاق القمر الإيراني زهراء ZAHRAH وهو مخصص للاتصالات.
- إطلاق القمر الإيراني تولو TOLOO وهو مخصص للأغراض العسكرية.
- تسعى وكالة الفضاء الإيرانية وبحلول العام ٢٠١٨ إلى أن يكون لديها القدرات التكنولوجية لتصنيع الأقمار الكبيرة زنة ٧٠٠ كجم وإطلاقها بواسطة صواريخها المحلية من عائلة سفير القادرة على حمل حتى ٨٥ طنًا والوصول إلى مدارات ١٠٠٠ كم من سطح الأرض.
- تتبع الـ ISA مباشرة رئيس الجمهورية وهي تشرف على برامج تطوير وتنفيذ وإطلاق الأقمار الصناعية الإيرانية ومراكز التحكم الفضائي بمنطقة شاهرود وتتعاون مع الحرس الثوري في تطوير برامج الصواريخ الاستراتيجية ذات الاستخدامات المزدوجة العسكرية والفضائية، تقع المراكز الرئيسية لبرنامج الفضاء الإيراني في طهران - قم - مهدست - شاهرود، ميزانية الوكالة السنوية ٧ مليارات دولار (٢٠١٤) أيضًا يقوم البرنامج الفضائي الإيراني على تعاون كامل بين وكالة الفضاء الإيرانية ومؤسسة الصناعات الجيوفضائية بوزارة الدفاع الإيرانية.
- من الواضح أن إيران متفوقة في برنامجها الفضائي على إسرائيل رغم حدثاتها في هذا المجال العلمي المعقد (بدأت إيران برنامجها في ٢٠٠٤ وإسرائيل في ١٩٨٣)، إسرائيل تحاول تعويض ذلك باتفاقيات تعاون علمي

وبحشي وتصنيع مشترك مع الدول الكبرى، كما أن هناك اتفاقيات أخرى تتيح استغلال إسرائيل لامكانيات تلك الدول التجسسية والعسكرية لخدمة مصالحها وتضييق الهوة بينها وبين إيران، أيضا إيران متفوقة على تركيا في هذا المجال وإن كان الأتراك يحاولون تعويض ما فاتهم ولديهم برامج تصنيع وتبادل علمي مشترك مع الجمهورية الإسلامية، خفة وزن الأقمار الإيرانية وتكلفة إطلاقها المنخفضة وقدرة المعامل الإيرانية، والمرافق البحثية على إنتاج العشرات من تلك الأقمار ووسائل إطلاقها يتيح لإيران ميزة تنافسية رائعة ومهمة ومؤثرة، بينما مازال على مصر والسعودية أن تقطع أشواطًا طويلة في هذا المجال الاستراتيجي المهم. في ٢٧ يوليو ٢٠١٧ وأثناء مراجعة الكتاب اطلقت ايران وبنجاح الصاروخ سيمروغ (اسم طائر بالاساطير الفارسية القديمة) وهو قادر على حمل قمر صناعي زنة ٢٥٠ كجم الى مدار على ارتفاع ٥٠٠ كم.



(صورة من البرنامج الفضائي الإيراني)

الصاروخ سيمروغ

القدرات الإلكترونية الإيرانية

○ الجيش الإلكتروني الإيراني ICA

في عام ٢٠٠٨ أعلنت إيران عن مسابقة قومية كبرى لاستقطاب النابهيين والعباقرة في علم الكمبيوتر وتكنولوجيا المعلومات والمحترفين بمجال الإنترنت والمتمرسين في اختراق المواقع الحكومية والخاصة، وتم استقطاب ١٠ آلاف باحث وعالم متميز ومبدع في هذا المجال من داخل إيران وخارجها، وفرت الجمهورية الإسلامية كافة المزايا المادية والمعنوية لهم، كما رصدت حكومة «أحمدي نجاد» حوالي مليار دولار لتوفير معدات وبرامج وتقنيات وخبراء أجنبية من أجل دعم نواة جيشها الإلكتروني الوليد.

في عام ٢٠٠٩ تأسس الجيش الإلكتروني الإيراني المعروف اختصاراً بـ ICA وحسب الإحصائيات هو ضمن أهم ١٠ جيوش إلكترونية بالعالم، وتبلغ ميزانيته السنوية أكثر من مليار دولار، في عام ٢٠١٠ صنف ريتشارد كلارك المسئول السابق في مجلس الأمن القومي الأمريكي ومؤلف كتاب الحرب الإلكترونية إيران كثاني دولة على مستوى العالم بعد الصين تملك قدرات إلكترونية متفوقة ومتميزة. قد يكون في هذا بعض المبالغات ولكن في غالب التقديرات والدراسات التي تتناول هذا الفرع من القدرات العسكرية تحتل إيران دائماً أحد المراكز العشر الأولى على مستوى العالم.

في عام ٢٠١٠ اغتالت إسرائيل أحد العلماء المميزين المشرفين على الجيش الإلكتروني الإيراني ويدعى «مجتبى أحمدي»، ومنذ ذلك التاريخ أحاطت إيران بجميع أنشطة وعناصر جيشها الإلكتروني بسرية كاملة وإجراءات أمن خاصة واستثنائية. في مارس ٢٠١٢ أعلن المرشد الأعلى للثورة الإسلامية إنشاء المجلس الأعلى للفضاء الإلكتروني بهدف توحيد جهود المجموعات المشابهة تحت مظلة الجيش الإلكتروني الإيراني ومنها فريق «أشيبان» المسئول عن الأمن الرقمي والمعلومات بالجمهورية الإسلامية ومجلس الفضاء الإلكتروني التابع للباسيج (قوات الدفاع الشعبي)، يتكون المجلس الأعلى للفضاء الإلكتروني والمشرف على الجيش الإلكتروني من :-

- رئيس الجمهورية (رئيساً)

- ممثل رئيس البرلمان .
- رئيس المخابرات .
- رئيس مجلس القضاء الأعلى .
- قائد قوات الحرس الثوري .
- قائد قوات الشرطة .
- ممثل المرشد الأعلى بمجلس الأمن القومي .
- وزير العلوم والبحث العلمي .

○ أهم وأبرز عمليات الجيش الإلكتروني الإيراني

- ١- في عام ٢٠٠٩ الذي تأسس فيه الجيش الإلكتروني الإيراني استهدف مواقع الحركة المعارضة التي أسسها المرشح الرئاسي الإصلاحي المعارض «مير حسين موسوي» والمعروفة بالثورة الخضراء وقام بتخريبها، في نفس العام اخترق مواقع تويتر وأرسل رسائل ذات طابع سياسي ثم تلاه موقع «بايدو» أشهر محرك بحث صيني ثم موقع صوت أمريكا الشهير .
- ٢- في عام ٢٠١٠ استطاع الجيش الإلكتروني الإيراني اكتشاف وتدمير الفيروس الإسرائيلي STUXNET المصمم لتخريب أجهزة الطرد المركزي الإيرانية المسؤولة عن عمليات تخصيب اليورانيوم بالبرنامج النووي، كاد الفيروس يصيب البرنامج النووي الإيراني كله بالشلل وهدم هائل لولا الإجراءات السريعة والمحترفة التي اتخذتها كئاتب الجيش الإلكتروني الإيراني، والتي عطلت عمل الفيروس بعد اكتشافه (تسبب الفيروس في خلل بـ ١٠% من أجهزة الطرد المركزية الإيرانية البالغ عددها ١١ ألف جهاز بذلك الوقت).
- ٣- في أواخر عام ٢٠١٢ استهدف الجيش الإلكتروني شركة أرامكو السعودية العملاقة وبعض المؤسسات الحكومية السعودية وسرقة أكثر من نصف مليون وثيقة، أسفر الهجوم على تلف ٣٠ ألف جهاز كمبيوتر، وتعطيل الشبكة الداخلية للحاسب لشركة أرمكو، وتلف عدد كبير من الملفات الرئيسية الخاصة بعمليات الشركة عدا ملفات التحكم بالإنتاج، تعطلت شبكة الحاسب بالشركة لمدة أسبوع وتكبدت الشركة مئات الملايين من الخسائر نتيجة الهجوم (كان اسم الفيروس شمعون أحد أبناء سيدنا يعقوب الأحد عشر).

- ٤- في عام ٢٠١٢ تبنت مجموعة تابعة للجيش الإلكتروني الإيراني اسمها باراستو عملية تعطيل موقع وكالة الطاقة الذرية IAEA، ونشرت مخططات أولية لمحطات نووية أمريكية تحت الإنشاء.
- ٥- في عام ٢٠١٢ أيضًا تبنت مجموعة تابعة للجيش الإلكتروني الإيراني تسمى محاربو القسام هجومًا إلكترونيًا ضد مجموعة مؤسسات مالية ومصرفية أمريكية.
- ٦- في عام ٢٠١٣ تم اختراق مواقع وكالات الأنباء اليهودية العالمية رويترز وإسوشاتدبرس، ونشر خبر مضلل عن هجوم إرهابي على البيت الأبيض وإصابة الرئيس الأمريكي أوباما، أدى هذا الخبر إلى انخفاض مؤشر داوجونز الصناعي ١٥٠ نقطة وخسارة البورصة الأمريكية أكثر من ١٢٠ مليار دولار.
- ٧- في عام ٢٠١٣ أيضًا جرى اختراق موقع بايدو - أنك أهم محرك بحث صيني ويسيطر على حصة ٦٠% من السوق الصينية وتعطيله لمدة أربع ساعات.
- ٨- في ديسمبر عام ٢٠١١ استطاع فريق من الجيش الإلكتروني التحكم في أحد أهم وأحدث طائرات التجسس الأمريكية بدون طيار وأسرها (الطائرة RQ-170 الشبحية)، استخدمت إيران التقنية المتوافرة في تلك الطائرة لاحقًا في تطوير طائراتها بدون طيار شاهد ١٢٩ وقاهر ٣١٣.
- ٩- في عام ٢٠١٤ اخترقت عناصر الجيش الإلكتروني هيئة قيادة الأركان الأمريكية، والتي تتحكم في توجيه الطائرات بدون طيار العاملة بالعراق (٦٥ طائرة من طراز برايداتور وريبر) وأبطلت عملها لمدة أربع ساعات.
- ١٠- في عام ٢٠١٥ أحبط الجيش الإلكتروني محاولة المخابرات الإنجليزية بالاشتراك مع أحد العملاء بدولة الإمارات القرصنة على أرشيف وثائق الحكومة الإيرانية.
- هذا جانب من الحرب الذكية التي تخوضها الدول، إن لم تكن قويًا وسط الكبار فسوف تأكل، إيران أدركت تلك الحقيقة وتتسلح بكل طاقاتها لكي تكون شوكة عصية قوية في حلق من يريد إيذاءها.

الاستخبارات الإيرانية

تسمى وزارة الاستخبارات والأمن الوطني الإيرانية، هي واحدة ضمن عدة أجهزة مخابرات إيرانية تعمل بالتوازي، وجميعها تتبع المرشد الأعلى للثورة، تأسست سنة ١٩٨٤ وتضم ٣٠ ألف موظف ويتبعها ١٦ وكالة، وهي الوارثة لجهاز السافاك (المخابرات الإيرانية في عهد شاه إيران السابق)، تعتبر الاستخبارات الإيرانية أكبر وأكثر المؤسسات الأمنية حركة ونشاطاً وتأثيراً بالشرق الأوسط حسب وصف أحد تقارير البنتاجون سنة ٢٠١٣، ضمن الـ ١٦ وكالة التابعة للاستخبارات الإيرانية تقع وحدة العقاب -٢ وهي مسئولة عن تأمين البرنامج النووي الإيراني ضد عمليات التجسس أو الاختراق أو التخريب، تغطي عمليات الاستخبارات الإيرانية العالم أجمع في أي بقعة توجد بها مصالح إيرانية، تنشط في العراق - سوريا - لبنان - غزة - الإمارات - البحرين - أفغانستان - تركيا - باكستان - ألمانيا - جورجيا - فرنسا - كورواتيا - إنجلترا - النمسا - أذربيجان - إفريقيا - أمريكا اللاتينية - أمريكا الشمالية - روسيا.

توجد قيادة جماعية لوزارة الاستخبارات تحت مسمى مجلس تنسيق المعلومات الغرض من إنشائها هو:-

- ١- الإشراف على جميع وكالات الاستخبارات الـ ١٦.
- ٢- دراسة اللوائح والقوانين التي تتعلق بالأنشطة العسكرية.
- ٣- إدارة فريق الأزمات.
- ٤- مكافحة الأنشطة التجسسية والأعمال العدائية والتهديدات ضد المصالح الإيرانية بالداخل والخارج.
- ٥- تأمين مرافق الدولة والمراكز الحساسة والبرامج العسكرية والفضائية والنووية.
- ٦- وضع أهداف واستراتيجيات وسياسات وبرامج ومبادرات الحرب النفسية ضد أعداء الجمهورية.
- ٧- مراقبة تحركات الأقليات العرقية كالأكراد والبلوش والتركمان والعرب والمنظمات الإرهابية كمجاهدى خلق المعارضة.

مجلس تنسيق المعلومات مكون من :-

- وزير الاستخبارات (رئيسًا).
- المدعى العام الإيراني.
- وزير الداخلية أو نائبه.
- مسئول استخبارات الجيش.
- مسئول استخبارات الحرس الثوري (له وكالتان مستقلتان تابعتان له خلاف
المخابرات الإيرانية).
- وزير الخارجية أو نائبه.
- مسئول المخابرات الداخلية.



القوة السياسية للجمهورية الإسلامية



(صورة المرشد الحالي للثورة علي خامنئي)

إيران دولة ديمقراطية يستحيل تزوير إرادة شعبها حسب ميكانيزم دستورها ونظامها السياسي، بتلك الكلمات رد مرشد الثورة «علي خامنئي» على المشككين في نزاهة الانتخابات الرئاسية التي فاز فيها «أحمدي نجاد» بفترة رئاسية ثانية في عام ٢٠٠٩، وكان ينافسه فيها «مير حسين موسوي» و«مهدي كروبي» اللذان نادوا باصلاحات جذرية في أولويات وسياسات حكومة «أحمدي نجاد»، وحاول الغرب وقتها التلميح إلى تزوير نتائجها.

بصفة عامة يميل النظام السياسي الإيراني إلى النظام الرئاسي الغربي مع تعديلات تمزج بينه وبين الفقه الشيعي الاثنى عشر.

أكثر القنوات الإعلامية بعالمنا العربي تصف النظام الإيراني بالديكتاتوري الديني المتشدد -هذا على أساس أن الدول والممالك العربية واحات من واحات الديمقراطية بالعالم!- ولكن الحقيقة التي يعلمها الباحثون والمتخصصون والغرب عمومًا إن الحقيقة عكس ذلك تمامًا، إرادة الناخبين الإيرانيين محترمة ومقدسة ولا يمكن المساس بها، كما أن المرشد الأعلى للثورة ورئيس الجمهورية (رؤساء السلطة التنفيذية)، ومجلس الشورى ومجلس خبراء القيادة (السلطة التشريعية) منتخبون بمعرفة الشعب في انتخابات حرة نزيهة يستحيل تزويرها كما تحدى بذلك مرشد الثورة «علي خامنئي» ودعا الغرب إلى إثبات عكس ذلك وكان

محققاً، النظام السياسي الإيراني نظاماً مبتكراً تأسس على إيجابيات النظم الديمقراطية الغربية، متجنباً سلبياتها معدلاً فيها لكي تتلاءم مع الثابت من فقه وعقيدة وتراث الفقه الشيعي دون أن تمس تلك التعديلات جوهر وديناميكية النظم الغربية الإيجابية التي تقوم على :-

- احترام إرادة الناخبين وإنفاذ إرادتهم وحریتهم في الاختيار والانتخاب .
- تحقيق مبدأ تداول السلطة .
- الفصل بين السلطات والتوازن الدقيق بينها مع تكريس مبادئ دولة القانون حيث الجميع حكاماً ومحكومين سواسية أمام القانون الذي تسهر كافة أجهزة الدولة على تطبيقه وإنفاذه .
- تمثيل كافة أفراد الشعب وطوائفه ومكوناته الدينية والعرقية والثقافية والاجتماعية .
- استحالة التزوير أو التلاعب بإرادة الناخبين بضمانات عملية يتفق عليها جميع مكونات القوى السياسية .
- المساواة أمام القانون بين أعلى سلطة بالبلاد وعمامة الشعب بلا تمييز أو سلطات فوقية أو صلاحيات استثنائية .
- إقامة حياة سياسية سليمة وقوية قائمة على أحزاب فاعلة ولها شعبية ولها مواردها الكافية التي تضمن أداء دورها في التثقيف السياسي وتفريخ السياسيين والتنفيذيين ونشر الوعي القومي والشعبي بأهداف الدولة العليا وتحدياتها .
- ضمان تحقق مصالح الدولة العليا، وتحقيق التقدم والرقي لشعبها ووجود القدر الكافي من العقول والخبرات الاستثنائية بجميع سلطات الدولة الثلاثة القضائية والتنفيذية والتشريعية .

حسب تعريف الماوردي لمصطلح الإمام فهو النائب عن الرسول ﷺ في حراسة الدين وسياسة الدنيا، في المذهب الاثني عشر الإمام الثاني عشر الغائب ينوب عنه الولي الفقيه حتى يعود في آخر الزمان أمام مهدي يملأ الأرض عدلاً، ويجمع المسلمين بعد أن تفرقوا وملأت الأرض جوراً، بهذا فالولي الفقيه هو نائب نائب سيدنا محمد ﷺ .

أيضًا في غالب التراث الإسلامي فإن مبدأ الشورى هو طلب الشورى من عامة المسلمين دون تفریق، وهو أيضًا رأى وقول السياسي التونسي والمفكر الإسلامي البارز راشد الغنوشي.

الإدراك العميق لمبادئ نظام الحكم الإيراني يجعلنا نستوعب أثره الإيجابي على عناصر القوة الشاملة للجمهورية السياسية والاقتصادية والعسكرية.

تم إقرار الدستور الإيراني في ٣ ديسمبر ١٩٧٩.

واجه الإمام الخميني ومساعدوه عددًا من الأسئلة كان يجب عليهم الإجابة عليها أثناء إقرار بنود الدستور وبلورة النظام كله، أهمها:-

١- كيف يمكن نسخ أساليب الحكم الغربية ولها ما لها وعليها ما عليها؟ وهي إن كانت ناجحة في تحقيق التقدم المادي لشعوبها، إلا أن لها عيوبها المعلومة وآثارها الاجتماعية السلبية التي لا يمكن أن يسمح بها ولاة الأمر المسلمون، ولا تتفق مع القيم الإسلامية ولا عقائد المسلمين وتقاليدهم وأعرافهم.

٢- كيف يمكن المزج بين أنظمة الحكم الغربية وأنظمة الحكم الإسلامية التراثية وبخاصة ما ورد بدولة الخلافة الأولى وما تلاها من ممالك؟ فتلك لها إيجابياتها وسلبياتها وتلك لها حسناتها وسيئاتها، كما أن التراث الإسلامي ملئ باجتهادات علماء الأمة وكنوز من المعرفة لم ترتق إلى حد الكمال كنظام قابل للتطبيق في عصرنا الحديث، ولكن لها اعتبارها وتميزها ولا يمكن إهمال تراث مئات السنين من الاجتهادات العلمية الرصينة ومحاولات فقهاء الإسلام بلورة نظام إسلامي حديث يمزج بين أسس الشورى التي فهمها وطبقها الخلفاء الراشدون في صدر الدولة وما تلاهم من خلفاء وملوك؛ وبين نظم الديمقراطية التي ابتكرها الغرب ويطبقها في عصرنا الحديث وأثبتت في غالبها كفاءة وإيجابية؟

٣- كيف يمكن أن يحتفظ مرشد الثورة وإمام المسلمين أو الخليفة أو الأمير أيًا كان الوصف العلمي في التراث والفقهاء الإسلامي بوظائفه الرئيسية في حراسة الدين وسياسة الدنيا دون ديكتاتورية معروف سلبياتها وضررها البالغ على مستقبل الدول وحاضرها، مع الاحتفاظ بإيجابيات النظم الديمقراطية الغربية وأهمها الحرية؟.

٧- كيف تقسم السلطات وكيف تتوازي بينها، بحيث يمتلك النظام السياسي النهائي المرونة والقدرة والكفاءة، مع الاحتفاظ بأسس الأنظمة الديمقراطية الغربية ومبادئ الفقه الإسلامي في أمور سياسة الدنيا وحراسة الدين.؟
فيما يلي سوف نتحدث اختصاراً عن نظام الحكم الإيراني، وسوف يدرك القارئ كيف استطاع المؤسسون الأوائل للجمهورية الإسلامية المزج بكفاءة ليست مثالية، ولكن أيضاً جيدة بين أسس النظم الغربية في الحكم وأسس الفقه الإسلامي واجتهادات العلماء الثابتة في تراثنا الغني الثمين فيما يخص حراسة الدين وسياسة الدنيا.

كيفية أركان النظام السياسي الإيراني

- الولي الفقيه (المرشد الأعلى للثورة الإسلامية ومنتخبه مجلس خبراء القيادة).
- رئيس الجمهورية ونوابه ومجلس الوزراء (ينتخب رئيس الجمهورية بالاقتراع المباشر من الشعب وهو يرأس مجلس الوزراء وهو من يعينهم وله ٨ نواب يتولى النائب الأول منهم مهامه في حالات الضرورة القصوى كما سيأتي بيانه لاحقاً)
- مجلس الشورى (وهو مجلس منتخب بالاقتراع المباشر من الشعب الإيراني وهو من يسن التشريعات والقوانين ويشترط عدة شروط في الترشح لهذا المجلس التشريعي الهام، أهمها أن يكون المرشح حاصلًا على درجة الماجستير أو ما يعادلها)
- مجلس صيانة الدستور (يعين المرشد الأعلى للثورة نصف أعضائه، ويعين مجلس الشورى نصفهم الآخر، وهو يماثل المحكمة الدستورية العليا في الدول الغربية ومهمته مراقبة دستورية القوانين التي يشرعها مجلس الشورى وأيضاً مطابقتها للشريعة ومبادئ الفقه الاثنى عشرة).
- مجلس تشخيص مصلحة النظام (يعين أعضاء المرشد الأعلى، يختص بالفصل بين مجلس الشورى ومجلس صيانة الدستور والحكومة في حالة حدوث اختلافات في وجهات النظر لكل سلطة، كما يعين من أعضائه مرشد مؤقتا في حالة الموت المفاجئ للمرشد الأعلى لحين أن يقوم مجلس خبراء القيادة بانتخاب مرشدا جديدا).

- مجلس خبراء القيادة (أو مجلس الخبراء وينتخبهم الشعب بانتخابات مباشرة وهو من ينتخب المرشد الأعلى).
- مجلس الأمن القومي^(١).

○ الولي الفقيه أو المرشد الأعلى للثورة

عند إعداد الدستور الإيراني كان هناك اتجاهان داخل القيادة الإيرانية، الأول يتزعمه الخميني يتبنى الموروث التاريخي والعقائدي الشيعي المتشدد بشأن مبدأ ولاية الفقيه وهيمنته، والتيار الآخر الذي يتبنى الاتجاه الغربي في الحكم وأيضًا مستندًا إلى بعض كبار أئمة الشيعة الذين يرفضون أن يكون مبدأ ولاية الفقيه محورًا للسلطات السياسية والدينية، مؤكدين على مدنية الدولة وسيادتها على كافة السلطات دون تمييز أو حقوق (سماوية) غير قابلة للنقض أو التغيير أو تفضيل طبقة على طبقة (طبقة رجال الدين وآيات الله)، بعد مناقشات صعبة في النهاية خرج لنا خليط بين هذا وذاك كما سنوضح لاحقًا. حسب نص المادة ٥ من الدستور فإن الولي الفقيه أو المرشد الأعلى هو أعدل وأتقى رجل بالأمّة، وهو رتبة ومنزلة لا يترتب عليها أي حصانة قانونية، فحسب نص المادة ١٠٧ من الدستور فإن المرشد الأعلى وعامة الناس متساوون أمام القانون.

مؤهلات المرشد حسب المادة ١٠٩ فإن صفات المرشد يجب أن تكون (العلم بالقانون الشرعي والفقه الإسلامي - العدل ترك المحرمات ولزوم الواجبات والطاعات - المروءة - الفقه - الشجاعة - الذكاء - القدرة على فهم الأمور العامة وأمور قيادة الدولة ومصالح الناس والأمور السياسية والاقتصادية والعسكرية).

ينتخب المرشد الأعلى للثورة من قبل مجلس خبراء القيادة (مجلس الخبراء) مرة ويستمر في منصبه مدى الحياة، مجلس الخبراء مكون من ٨٨ عضوًا ينتخبهم الإيرانيون بالاقتراع السري الحر المباشر ومدتهم ٨ سنوات (سيأتي ذكره لاحقًا).

(١) لاحظ أن جميع المؤسسات السابقة إما منتخبة بالانتخاب المباشر من الشعب بضمانات كافية تمنع تزوير إرادته أو بالاقتراع الغير مباشر من نواب عن الشعب كما سيأتي بيانه بالتفصيل لاحقًا.

يمكن لمجلس الخبراء عزل المرشد في حالات عجزه أو فقدته أي من الصفات والمؤهلات التي تؤهله للمنصب.

○ صلاحيات المرشد

- تعيين أو عزل نصف أعضاء مجلس صيانة الدستور وهو المجلس الذي يراجع أعمال مجلس الشوري الإيراني (البرلمان) من حيث دستوريته ومدى اتفاقها مع الشريعة الإسلامية.
- رسم السياسات العامة للبلاد.
- مراقبة سلطات الحكم والتأكد من أداء واجباتها وعملها وحسم الخلافات فيما بينها وتنظيم العلاقات بينها.
- اعتماد نتيجة الانتخابات الرئاسية وقبول استقالة رئيس الجمهورية أو عزله عند الضرورة.
- التوجيه بإجراء الاستفتاءات العامة.
- إعلان الحرب والسلام.
- تعيين القائد الأعلى للحرس الثوري.
- تعيين رئيس أركان الجيش.
- تعيين رئيس مؤسسة الإذاعة والتلفزيون.
- العفو عن العقوبة أو تخفيفها عن المحكومين.
- تعيين رأس السلطة القضائية.

○ المرشد الحالي هو السيد علي خامنئي:-

ولد في مدينة مشهد ١٩ إبريل من عام ١٩٣٩، والده من أبرز علماء مشهد وجده الخامنئي من أبرز علماء آذربيجان المقيمين بالنجف، وجده من والدته هو السيد «هاشم آبادي» من أبرز علماء مشهد، كان محل ثقة الإمام الخميني واحترامه، عينه الخميني عضوًا بمجلس شوري الثورة منذ يومه الأول، كما شغل منصب ممثل الخميني بمجلس الدفاع الإيراني الأعلى، ورئيس الجمهورية الإسلامية من ١٩٨١ وحتى وفاة الإمام الخميني في ١٩٨٩، وبعدها انتخبه مجلس خبراء القيادة بحكم الدستور مرشدًا للثورة، له أكثر من ٣٥ مؤلفًا

بمجالات عدة بالعلوم الشرعية والسياسة والاجتماع والثقافة، كما ترجم كتاب المستقبل لهذا الدين وكتاب بيان ضد الحضارة الغربية للشهيد سيد قطب، الذي كان يحظى بمكانة عالية لديه لنباهته وعلمه واجتهاداته القيمة، من أهم مؤلفاته :-

- إنسان بعمر ٢٥٠ سنة .
 - الهيكلية العامة للفكر الإسلامي في القرآن .
 - الفهم الصحيح للدين .
 - الحكومة الإسلامية في ظل ولاية الفقيه .
 - الحكومة في الإسلام .
- يجيد اللغات الإنجليزية والتركية والعربية بالإضافة إلى الفارسية اللغة الأم .
- اختارته مجلة فوربس في عام ٢٠١٢ في قائمة ضمن ١٩ من أهم وأقوى الشخصيات تأثيراً بالعالم .

○ رئيس الجمهورية ونوابه والوزراء

رئيس الجمهورية ينتخب في اقتراع حر مباشر من الشعب كل أربع سنوات وبحد أقصى مرتين متتاليتين^(١)، يمثل رئيس الجمهورية والمرشد الأعلى رأساً السلطة التنفيذية، بهذا فإن النظام الإيراني نظام فريد تمارس فيه السلطات التنفيذية دورها من خلال قائدين في توازن دقيق دون تصادم أو تعطيل أو خلل، يساعد رئيس الدولة عدد من النواب وفي حالة عجزه أو وفاته أو أي سبب يحول دون أدائه مهام منصبه يحل نائب الرئيس الأول مكانه لحين إجراء انتخابات رئاسية يدعو لها المرشد الأعلى، كما يرأس رئيس الجمهورية مجلس الوزراء وهو من يعينهم ومسئول عن أعمالهم، قد يبدو للوهلة الأولى أن النظام الإيراني فيه خلل فكيف يمكن لسلطة ذات رأسين أن يستقيم عملها؟ الحقيقة أن أي نظام سياسي يجب أن يكون له محور تمامًا مثله مثل أي بناء، محور البناء السياسي الإيراني هو المرشد الأعلى، فهمنا لتلك الفرضية الحقيقية يسهل علينا فهم التوازن الدقيق للبناء السياسي الإيراني، ليس عيباً أبداً أن يكون لرئيس أي سلطة حق الاعتراض على قرارات سلطة أخرى، ففي النظام الأمريكي مثلاً للرئيس حق النقض على

(١) حسب الدستور كل إيراني ذكراً أو أنثى تجاوز الـ ١٥ عاماً يمكن له الانتخاب .

أي قرار يتخذه الكونجرس الأمريكي، كما أن للكونجرس حق رفض تعيين أي وزير أو شخصية رفيعة بالدولة عينها الرئيس.

مجلس الوزراء مكون غالبًا من ٢١ وزيرًا برئاسة رئيس الجمهورية وللرئيس ٨ نواب.

يشترط في رئيس الجمهورية أن يكون: (ذكرًا - إيرانيًا - مسلمًا شيعيًا حسب المذهب الاثنى عشر - تقى - ورع - حكيم - مشهودًا له بالأمانة - ما بين ٢٥، ٧٥ عامًا - لم يسبق الحكم عليه في أي من القضايا - لم يخدم نظام الشاه السابق - معلومًا عنه الإيمان بمبادئ الثورة الإسلامية وأهمها مبدأ ولاية الفقيه).

رئيس الجمهورية الحالي هو السيد «حسن روحاني»، المولود في ١٢ نوفمبر ١٩٤٨ بمدينة سرخة شمال إيران، تخرج من جامعة طهران قسم القانون عام ١٩٦٩ ونال درجة الدكتوراه عام ١٩٩٩ في القانون من جامعة غلاسكو الإنجليزية GCU، وكان عنوان دراسته السلطة التشريعية الإسلامية وتطبيقاتها في الدستور الإيراني، وهو عضو بمجلس خبراء القيادة منذ عام ١٩٩٩ وعضو بمجلس تشخيص مصلحة النظام منذ ١٩٩١، وعضو في المجلس الأعلى للأمن القومي منذ عام ١٩٨٩، كما كان كبير مفاوضي إيران بشأن برنامجها النووي خلال الفترة من أكتوبر ٢٠٠٣ وحتى مايو ٢٠٠٥، له أكثر من عشرين مؤلفًا، أهمها كتاب الفكر السياسي الإسلامي ويقع في ثلاثة مجلدات، والأمن القومي الإيراني والدبلوماسية النووية، يجيد العربية والإنجليزية بجانب الفارسية اللغة الأم.



(الرئيس الإيراني الحالي حسن روحاني)

○ صلاحيات الرئيس

- تعيين نوابه وقبول استقالتهم. نائب الرئيس الأول هو السيد «إسحاق جاهنكيرى».
- إنفاذ بنود الدستور وتطبيقه.
- ممارسة السلطة التنفيذية عدا ما أوكله الدستور إلى المرشد الأعلى.
- تعيين الوزراء والإشراف عليهم وقبول استقالتهم (عدا وزير الدفاع والاستخبارات فيجب أخذ موافقة المرشد الأعلى عليهما).
- تنسيق السياسات الحكومية وتعيينها بعد موافقة مجلس الشورى.
- المصادقة على القوانين وإنفاذها بعد موافقة مجلس الشورى.
- المصادقة على الاتفاقيات والمعاهدات بعد اعتمادها من مجلس الشورى.
- إعداد الميزانية العامة للدولة وتطبيقها بعد اعتماد مجلس الشورى.
- تعيين السفراء.
- تمثيل الدول بالمحافل الدولية.
- منح الأوسمة والميداليات وجوائز الدولة.
- مما سبق يمكننا فهم ميكانيزم العلاقة بين سلطات رئيس الجمهورية والمرشد الأعلى ونلخصها فيما يلي:-
- مرشد الثورة رئيس الجمهورية:-
- مدة الحكم مدى الحياة ٤ سنوات.
- جهة الانتخاب مجلس خبراء القيادة انتخاب شعبي مباشر.
- الصلاحيات مطلقة وسيادية تنفيذية ويقيدها الدستور.

○ السلطة التشريعية

- السلطة التشريعية في إيران يمارسها مجلسان:-
- ١- مجلس الشورى.
- ٢- مجلس صيانة الدستور.

مجلس الشورى:-

يسمى أحياناً بالبرلمان الإيراني عدد أعضائه ٢٩٠، ينتخبون من الشعب كل أربع سنوات، ويضاف ٢٠ عضواً كل ١٠ سنوات استجابة للتطورات السكانية، على أن يعين نائباً عن اليهود والزرادشت، ويشترك المسيحيون والأشوريون والكلدانيون في نائب واحد، أما الأرمن فيمثلهم نائبون.

صلاحياته:-

- مناقشة خطط وأعمال الحكومة والمصادقة عليها.
- متابعة الوزراء واستجوابهم والتصويت على منحهم الثقة أو سحبها منهم.
- المصادقة على المعاهدات والاتفاقيات والعقود الخارجية.
- تعديل حدود البلاد بشرط قبول ٨٠% من أعضائه للتعديل.
- الموافقة على طلب الحكومة إعلان الطوارئ ولمدة أقصاها ٣٠ يوماً.
- التصويت على سحب الثقة من الرئيس في حالات يحددها الدستور.

شروط الترشح:-

- أن يكون المرشح لعضوية المجلس حاصلاً على درجة الماجستير أو ما يعادلها على الأقل.
- إيراني الجنسية.
- السن بين ٣٠-٧٥.
- مؤهلاً جسمانياً وعقلياً.
- ليس عليه أحكام قضائية.
- مؤمناً بمبدأ ولاية الفقيه.

يشغل منصب رئيس مجلس الشورى الدكتور «علي لاريجاني» المولود بالنجف في ٣ يونيو ١٩٥٨، وهو فيزيائي نابه حاصل على بكالوريوس العلوم في مجال الرياضيات بتقدير ممتاز وحاصل على الدكتوراه والماجستير في فلسفة القانون، شغل منصب رئيس هيئة الإذاعة والتلفزيون الإيرانية، وأمياً عاماً لمجلس الأمن القومي الإيراني وكبيراً للمفاوضين الإيرانيين بالبرنامج النووي.

مجلس صيانة الدستور:-

وجد هذا المجلس ليتم أعمال مجلس الشورى، بهدف التأكد من مطابقة القوانين التي يعتمدها المجلس للدستور والشريعة الإسلامية. وهو مجلس مبتكر أوجده المشرعين الإيرانيين لمعالجة الاشكالية الدينية والتي تفرض ملاءة التشريعات القانونية للشريعة الإسلامية

عدد أعضائه ١٢، ٦ فقهاء في القانون و٦ فقهاء في الشريعة (المذهب الجعفري).

فقهاء الشريعة يختارهم المرشد الأعلى أما فقهاء القانون فيختارهم مجلس الشورى من قائمة يحددها رئيس السلطة القضائية.

مدة المجلس ست سنوات ويجري تجديد نصفه كل ثلاث سنوات عن طريق القرعة ويتم انتخاب الأعضاء الجدد بنفس الطريقة السابقة.

صلاحيات مجلس صيانة الدستور:-

- الإشراف على الانتخابات الرئاسية وغيرها من الانتخابات العامة.
- الموافقة على المرشحين لانتخابات مجلس خبراء القيادة ومجلس الشورى ورئاسة الجمهورية.
- تفسير نصوص الدستور بشرط أن يحظى التفسير على قبول ٧٥% من عدد الأعضاء.
- المصادقة على التشريعات التي يعتمدها مجلس الشورى في مدة لا تزيد على عشرة أيام.
- يمكن لأعضاء مجلس صيانة الدستور حضور جلسات مجلس الشورى بغرض الإسراع في اعتماد قراراته.
- حق التحكيم بين الحكومة ومجلس الشورى في حالة الاختلاف بالقضايا المهمة.
- يرأسه العلامة البارز والمرجع التقليدي «آية الله أحمد جنتي» أحد كبار علماء الحوزة العلمية بمدينة قم، من مواليد مدينة أصفهان عام ١٩٢٧.

○ السلطة القضائية

ينص الدستور الإيراني في ١٩ مادة على استقلال القضاء (المواد ١٥٦-١٧٤).

أركان السلطة القضائية :-

- ١- رئيس القضاة ويعينه المرشد الأعلى لمدة خمس سنوات . وهو مسئول عن الهيكل الوظيفي والإداري للسلطة بكامل أعضائها، ويشارك في إعداد مسودات القوانين والتي تقترحها الحكومة، كما يعتمد اختيار وتوظيف القضاة والمعاونين لهم ومحاسبتهم وإقالتهم أو قبول استقالتهم، رئيس السلطة القضائية هو رجل الدين والقانوني البارز «صادق لاريجاني» من مواليد مدينة النجف عام ١٩٦٠، وهو أخو «محمد لاريجاني» العالم البارز ببرنامج إيران النووي و«علي لاريجاني» رئيس مجلس الشورى الإيراني، وجميعهم أبناء عائلة عريقة النسب والعلم والنفوذ السياسي والديني .
 - ٢- وزير العدل ويختاره رئيس الجمهورية ضمن قائمة يحددها رئيس القضاة .
 - ٣- رئيس المحكمة العليا ويعينه رئيس القضاة لمدة خمس سنوات ويشرف على أعمال المحاكم ويراقب عملها وإنفاذها للقانون .
 - ٤- المدعي العام ويعينه رئيس القضاة لمدة خمس سنوات .
- تحتل إيران المرتبة ٨٨ من ١٠٢ دولة على مستوى العالم في مؤشر سيادة القانون التابع لمؤسسة (WJP)، وهي بهذا تتخلف كثيراً عن دول الإقليم وبخاصة تركيا التي احتلت المرتبة ٨٠، ومصر التي احتلت المرتبة ٨٦، بينما لم يشمل التقرير كلاً من السعودية وإسرائيل لنقص المعلومات، وما زال على الحكم في إيران بذل جهد كبير لتحسين استقلال القضاء وإنفاذ مبدأ سيادة القانون واقعاً وليس إنشأً، كما أن أحكام إعدام عشرات السنة وبخاصة الأكراد تضع علامات استقلال كثيرة على تحقق مبدأ استقلال القضاء بإيران .

○ مجمع تشخيص مصلحة النظام

حسب المادة ١١٢ من الدستور التي نصت على إنشائه وفصلت مهامه، يختص المجلس بالفصل بين مجلس الشورى ومجلس صيانة الدستور والحكومة عند اختلاف أي منهم، كما يقوم بدور الاستشارى للمرشد الأعلى في القضايا السياسية والاقتصادية وباقي أمور الحكم ويقدم إليه النصح في القضايا المهمة والحساسة، ويعين مجلس تشخيص مصلحة النظام مرشداً أعلى للثورة مؤقتاً في

حالة عجز المرشد أو إقالته لحين انتخاب مرشد جديد بمعرفة مجلس خبراء القيادة، يبلغ أعضاؤه ٣١ عضوًا يعينهم مرشد الثورة ولمدة خمس سنوات، كما ينضم إليهم تلقائيًا رؤساء السلطات الثلاثة رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الشورى ورئيس القضاة.

رأس مجلس تشخيص مصلحة النظام ولفترة طويلة السياسي ورجل الدين البارز «علي أكبر هاشمي رفسنجاني»^(١)، من مواليد مقاطعة كرمان عام ١٩٣٤، هو تلميذ مقرب للإمام الخميني ونال على يديه درجة حجة الإسلام، وهي مرتبة أقل بدرجة من مرتبة آية الله، يجيد عدة لغات كما أنه شغل العديد من المناصب المهمة منذ قيام الثورة ومنها:

- عضو مجلس قيادة الثورة منذ قيامها.
- نائب رئيس مجلس الشورى من ١٩٨٠-١٩٨٩.
- رئيس القوات المسلحة الإيرانية ١٩٨٨-١٩٨٩.
- رئيس الجمهورية ١٩٨٩-١٩٩٧.
- له مناظرة شهيرة مع الإمام العلامة يوسف القرضاوي.
- صدر له العديد من الكتب من أهمها كتاب (حياتي)، والذي يتناول فيه سيرته الذاتية وأراءه السياسية والدينية والاقتصادية.

يعد رفسنجاني ورفيق دربه وصديقه «علي خامنئي» من أهم قادة الثورة الإيرانية منذ قيامها، وشكلا معًا تيارًا حكم إيران منذ البدايات الأولى للثورة وحتى اليوم، لا جدال في مساهماتهم الإيجابية والضخمة في تقدم إيران وتطورها الذي نشهده اليوم وهما في إيران يشبهان شيمون بيريز وعيزرا ويزمان بإسرائيل.

○ مجلس خبراء القيادة (مجلس الخبراء):-

هو المسئول عن اختيار المرشد الأعلى وأيضًا هو المسئول عن إقالته في حالتيه.

- ١- العجز عن أداء مهام عمله.

(١) توفي في مطلع عام ٢٠١٧، وحاليا يرأسه رجل الدين البارز آية الله «محمود شاهرودي».

٢- فقدته أي من المؤهلات التي يقتضيها منصبه الرفيع والمهم .
مدة المجلس ثماني سنوات، عدد أعضائه ٨٨ عضوًا يختارهم الشعب بالاقتراع السري العام المباشر. ينص الدستور على أن مقر المجلس هو مدينة «قم» المقدسة المركز العلمي الثاني للشيعة بعد النجف بالعراق، وتقع جنوب طهران على بعد ١٥٧ كم، ويقع بقم قبر السيدة فاطمة المعصومة ابنة الإمام موسى الكاظم الإمام السابع في سلسلة أئمة الشيعة الاثني عشر وابن الإمام جعفر بن محمد الصادق.

لأهمية هذا المجلس فقد وضعت شروطًا قاسية لمن يريد أن يترشح به، منها: أن يكون المرشح فقيهاً، أميناً، له رؤية سياسية واقتصادية واجتماعية، نبياً وفضلاً وقادراً على تمييز الولي الفقيه واختياره وتعيينه، يرأس المجلس رجل الدين البارز آية الله «أحمد جنتي» (٨٩) عامًا أمام الجمعة بطهران وقم وعضو مجلس صيانة الدستور منذ يومه الأول ١٩٨٠ و ترأسه في الفترة ١٩٩٣، وحتى إبريل ٢٠١٦، كما كان عضوًا في مجمع تشخيص مصلحة النظام، هو مهندس النظام القضائي الإيراني وأحد المقربين للمرشد الأعلى للثورة.

المجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني

هو الذي يضع السياسات الأمنية والدفاعية للبلاد بعد موافقة المرشد الأعلى، كما يراقب جميع سلطات الدولة للتأكد من اتفاق أنشطة السلطات مع السياسات العامة للدولة والمقررة سلفاً.

تشكيلة المجلس

- رئيس الجمهورية رئيساً
- ممثلون عن المرشد الأعلى للثورة.
- رئيس مجلس الشورى.
- وزير الخارجية.
- وزير الداخلية.
- رئيس القضاة.
- وزير الدفاع أو رئيس الأركان.

- وزير المالية.
- وزير التخطيط.
- وزير الإعلام.
- للمجلس أمين عام هو السيد علي شمخاني.

○ الأحزاب في إيران

تنشط عشرات الأحزاب في إيران وتتنحصر في تيارين يتصارعان النفوذ

بالبلاذ:

الأول: تيار إصلاحي معتدل ويضم حوالي ١٥ حزبًا.

الثاني: هو التيار المحافظ المتشدد، وأهم حزبين يمثلانه هما حزب المؤتلفة وسيطر على غالب مفاصل الدولة، وحزب روحانيات مبارز ويرأسه علي أكبر ناطق ثوري أحد أهم المقربين من المرشد الأعلى.

محظور في إيران بنص الدستور قيام الأحزاب الماركسية أو العلمانية أو الملكية.

الخلاصة، الحياة السياسية في إيران حياة متنوعة وقوية ونابضة، ومتنوعة بالتيارات السياسية سواء محافظة أو معتدلة، قوية من حيث التأثير على متخذي القرارات والسلطات بمختلف أنواعها وتأثير الأحزاب بالشارع، ونابضة من حيث تغيير مزاج الناخبين فتارة ينتخب الشعب رئيسًا معتدلًا (محمد خاتمي) ثم يتبعه آخر متشدد (أحمدي نجاد) ثم ينقلب عليه ويختار آخر معتدلًا (حسن روحاني)، بصفة عامة النظام السياسي الإيراني أثبت كفاءته ورغم العيوب التي سنذكرها لاحقًا، إلا أن العلم والموهبة والذكاء الذي يتسم به أعضاء وأركانه وقياداته والمستوى المرتفع للمهارات العلمية لأعضائه والتي نص عليها الدستور أظهرت إيجابياته وقللت إلى حد كبير سلبياته، كما أن الوعي الشعبي بأهمية الانتخابات والمشاركة السياسية كبيرة والتي تصل في المتوسط إلى ٦٠% ممن لهم حق الانتخاب ساهمت في أن تفخر إيران وعلى لسان مرشدها الأعلى باستحالة تزوير إرادة الشعب واختيارات الأمة.

سليات النظام السياسي الإيراني

وعلى الرغم من التوازن الرائع والدقيق بين قوى السلطة بمختلف أنواعها والإيجابية التي تعمل بها مكونات النظام السياسي الإيراني إلا أننا نخشى على التجربة السياسية الإيرانية من الآتي :-

- ١- تغول صلاحيات المرشد الأعلى وميلها إلى الديكتاتورية، صحيح أن المرشد الحالي والذي قبله يتمتعون بقدر من الفطنة والذكاء ورجاحة العقل ما يقيد صلاحياتهم المطلقة طوعا ويوظفها في إطار المصلحة العليا للدولة في زهد واضح وتواضع جم، إلا أن النظام هو قوانين وأفراد وهناك احتمالية ولو ضئيلة أن يصل إلى هذا المنصب الرفيع من تفتته السلطة وتغريه صلاحيات المنصب، لهذا فإنني أرى ضرورة تعديل مدة المرشد الأعلى من مدى الحياة إلى مدتين كل منها ٥-٦ سنوات كحد أقصى.
- ٢- النص على أن تكون قيادات الدولة من الشيعة الاثني عشر فيه عنصرية دينية تهمش الإيرانيين السنة وتقلل من حقهم المشروع في بلوغ أرقى مناصب الدولة، وهو الأمر الذي لا يتفق مع صحيح الدين ويفرغ النظام من مضمونه ووصفه بالإسلامي إلى منظور ووصف أضيق حري به أن يكون النظام السياسي الشيعي وليس الإسلامي، فغالبا المسلمين لا يؤمنون بمبدأ ولاية الفقيه.
- ٣- يجب دعم الاستقلال القضائي الكامل، وتعديل النص الذي يجعل من تعيين رئيس السلطة القضائية بمعرفة المرشد الأعلى وتغييره إما ليكون عن طريق مجلس الشورى أو مجلس خبراء القيادة أو مجلس القضاء الأعلى وهذا الأفضل، كما يجب إلغاء المحكمة الخاصة برجال الدين فذلك تمييز لا يجوز وأيضا وضع مراكز الاعتقال التابعة للحرس الثوري وأجهزة الاستخبارات تحت رقابة القضاء أو مجلس الشورى.
- ٤- الحرية الإعلامية بإيران تحتاج إلى دعم وزيادة في مساحات حرية التعبير، الحرية في التعبير ضمانا مهمة ورئيسية لاستمرار أي نظام سياسي ودعامة قوية لتصحيح سلبياته وتعظيم إيجابياته، يجب أن يعمل النظام بحرية

وجراً، ويجب أن تشجع الدولة تنوع الأفكار والمرجعيات والثقافات، الحرية اسمى قيم الإنسانية وأعظم هبات السماء إلى البشر.

٥- القيود المفروضة على تكون الأحزاب الليبرالية والماركسية قد يكون مفهوماً ومقدراً في بدايات الثورة وأثناء وضع الدستور، أمّا اليوم فأعتقد أن الدولة والثورة والنظام السياسي كله قد وصل إلى مرحلة من النضج الكافي الذي يقضي برفع مثل تلك القيود غير المبررة والتي تنتقص من جوهر حرية الاعتقاد السياسي والديني لمكونات المجتمع. عموماً النظام السياسي الإيراني نظام جيد وتجربة رائعة لها إنجازاتها، وثبت بالتجربة طيلة ٣٧ عاماً أن لها من الإيجابيات أكثر بكثير من السلبيات ولها من الإنجازات ما تتضائل أمامها الإخفاقات.

✍ القوة الاجتماعية

○ الأمن الداخلي:

وزير الداخلية الإيراني هو «محمود علوي»، يحكم منظومة الأمن الداخلي الإيراني وزارة الداخلية ويساعدها ميليشيات التعبئة الشعبية الباسيج أحد مكونات الحرس الثوري الإيراني، الشرطة الإيرانية شرطة حديثة ومدربة، في مونديال ٢٠١٤ بريو دي جانيرو استعانت الشرطة البرازيلية بالشرطة الإيرانية في حفظ الأمن والنظام كجزء من ثمرات الجهود الدبلوماسية الإيرانية للتغلغل في أهم دول أمريكا اللاتينية، كما ستقوم الشرطة الإيرانية بالاشتراك مع الشرطة البرازيلية بحفظ الأمن وتأمين الوفود المشاركة بدورة الألعاب الأولمبية بالبرازيل أيضاً في أغسطس ٢٠١٦، كما أن وزارة الداخلية الإيرانية قامت بإعادة بناء وهيكلية وتدريب جهاز الشرطة الأوغندي بناء على اتفاقية بين حكومة الدولتين وقعت في نهاية عام ٢٠١٤، كان من ضمنها أيضاً بناء مستشفى لعلاج الضباط وعائلاتهم^(١)، يوجد ضمن جهاز الأمن الداخلي الإيراني شرطة اسمها شرطة

(١) لاحظ استخدام الدولة الإيرانية نفس الأساليب والاستراتيجيات الاسرائيلية لاكتساب النفوذ بالدول الإفريقية.

الإرشاد وهي تشبه في أهدافها وهيكلها وأسلوب عملها هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمملكة العربية السعودية، التي تختص بمراقبة ممارسات المواطنين بالأماكن العامة ومدى التزامهم بالقيم الإسلامية المتعارف عليها والأعراف الاجتماعية في الملبس والتعاملات.

كان من شعارات الثورة الإسلامية الإيرانية شعار مجتمع مسلم بأمراض اجتماعية أقل، رغم كفاءة الشرطة الإيرانية ودورها البارز في حفظ الأمن وانضباط الشارع الإيراني ونظامه وإنفاذ القانون إلا أنها مازالت تحتاج إلى بذل مزيد من الجهد في خفض معدلات القتل العائلي والدعارة وانتشار المخدرات، ومكافحة التسول والتشرد، بالإضافة إلى مقاومة الفساد بين أفرادها.

○ الرعاية الصحية:

إيران تنفق ١١.٥% من ميزانيتها على برامج الرعاية الصحية لمواطنيها بينما تنفق روسيا نسبة ١٠.٥% من ميزانيتها وتنفق مصر مثلاً نسبة ٤.٥%، عانى القطاع الطبي الإيراني نتيجة العقوبات ومنذ عام ٢٠١٢ من نقص الأدوية والمستلزمات الطبية، إلا أن هذا النقص لم يؤثر على مكانة إيران كأحد أهم مراكز السياحة العلاجية حيث جذب تقدم إيران الطبي وحادثة مرافقها ما يقرب من ٣٠٠ ألف مريض أنفقوا ما يزيد على ١٢٠٠ مليون دولار، تتميز إيران عن المقاصد الأخرى بالشرق الأوسط بالمستويات المتقدمة للأبحاث وطرق العلاج الحديثة لعشرات الأمراض وفي جميع التخصصات مع رخص التكاليف. تتميز طهران بمراكزها الطبية المتقدمة في مجال أمراض الجهاز التنفسي، وخرسان في مجالات جراحات العيون ومشكلات الإبصار وأمراض القلب وجراحات التجميل وأمراض العظام، أما فارس فتتميز بالمراكز الطبية المتقدمة في أمراض الكبد والكلى وزراعة النخاع. ومدينة يزد فتتميز بمرافقها الطبية في مجال أمراض الخصوبة والعقم، ومدينة قم ومشهد فتتميز بمراكزها الطبية المتقدمة في علاج الأمراض الجلدية وعمليات زراعة الشعر، وأمراض السرطان، وهمدان وإيلام وزنجان فتتفوق بمجال العلاجات غير التقليدية لكافة الأمراض باستخدام الأعشاب. في بداية عام ٢٠١٤ طرح الرئيس روحاني برنامجاً طموحاً لإصلاح منظومة الرعاية الصحية للإيرانيين أسماه مؤيديه روحاني-كير على غرار برنامج

الرئيس الأمريكي أوباما- كبير، وقد دخل حيز التنفيذ منذ نهاية العام نفسه، وبمقتضاه أصبح جميع الإيرانيين خاضعين لمنظومة الرعاية الصحية بالإضافة إلى غير الإيرانيين وضمن البرنامج كان هناك بعد بيئي لتحسين البيئة بصفة عامة بإيران لما له من انعكاس على صحة المواطنين، ومن أهم الإجراءات التي اتخذتها الحكومة في هذا المجال بدء الحكومة في توفير أنواع الوقود التي تتفق مع مواصفات البيئة الأوروبية يورو ٤ ويورو ٥ ويورو ٦.

○ الرعاية الاجتماعية:

حسب غالب تقارير صندوق النقد الدولي فإن إيران تحتل مكانة متقدمة بين الدول التي لديها نظام للحماية الاجتماعية الشاملة يضم ٢٨ برنامجًا للتأمينات بمختلف أنواعها والمساعدات النقدية والغذائية، والمساعدة في حالات الكوارث كما تضم تلك البرامج مساعدات للعاطلين عن العمل، وبرامج للتدريب التأهيلي لقطاعات ضخمة من العاطلين حسب حاجة سوق العمل، وبرامج لرعاية المعاقين واليتامى ودعم الطاقة والغذاء للفئات الأكثر احتياجًا بالمجتمع، وخدمات صحية طويلة الأمد لكبار السن وبخاصة العجزة منهم، وبرامج لتشجيع الزواج والإنجاب وزيادة النسل، بصفة عامة برامج الرعاية الاجتماعية والصحية الإيرانية من البرامج الرائدة بالمنطقة.

○ وضع الأقليات

تلك المسألة أحد أهم القضايا التي تمثل انتقادًا دائمًا ورئيسيًا للحكم في إيران منذ قيام الثورة، يستغل أعداء إيران الإقليميين والدوليين أوضاع الأقليات الدينية مثل المسلمين السنة والمسيحيين واليهود والعرقيات مثل الأكراد والبلوش والعرب الأذربيجان للتدخل في شئون البلاد، وإثارة الاضطرابات وزيادة الاحتقان السياسي والاجتماعي في العديد من الأقاليم الإيرانية المهمة، رغم أن البند الخامس عشر من الفصل الثاني من دستور الجمهورية الإسلامية ينص ضمان حق الأقليات في الحفاظ على هويتهم الدينية والثقافية والحرية الكاملة في ممارسة شعائرهم، والإنتاج العلمي والأدبي والفني بما يناسب ثقافتهم، إلا أن واقع الممارسات اليومية للحكومات الإيرانية المتعاقبة خلاف ذلك تمامًا.

○ العرب

في منتصف إبريل ٢٠٠٥ خرج آلاف العرب القاطنين بالأهواز جنوب العراق بمظاهرات تطالب حكومة طهران بتحسين ظروفهم المعيشية (يتركز غالب آبار النفط والغاز الإيرانية بمناطقهم) واحترام ثقافتهم العربية ومذهبهم السني، ووقف ما سموه محاولات طهران بفرض اللغة والثقافة الفارسية والمذهب الشيعي الجعفري، تم قمع المظاهرات بعنف مبالغ فيه من قبل الحكومة بذلك الوقت ومازال الإقليم يشهد احتقاناً سياسياً واجتماعياً حتى اليوم.

○ البلوش

هم سنة يتركزون على الحدود الإيرانية الباكستانية جنوب شرق إيران، في مارس ٢٠٠٦ تبنى تنظيم جند الله البلوشى المسلح هجوماً على القيادات الأمنية الإيرانية بتلك المنطقة، مما أسفر عن وقوع عدد ضخم من الضحايا منهم، الأمر الذي دفع حكومة المركز بطهران إلى إرسال قوات أمنية ضخمة من بينها وحدات من الحرس الثوري الإيراني لحفظ الأمن والنظام، ومازالت تلك المنطقة مسرحاً لعمليات مسلحة بين قوات الأمن وتنظيم جند الله المسلح الذي يطالب أيضاً باحترام الهوية الدينية السنية والثقافية لأهالي إقليم بلوشستان.

○ الأكراد

في يوليو من عام ١٩٨٩ تم اغتيال رئيس الحزب الديموقراطي الكردستاني الدكتور عبد الرحمن قاسمى بفيناء عاصمة النمسا واثنين من مساعديه في عملية يسود اعتقاد واسع بأن المخابرات الإيرانية والرئيس الإيراني السابق أحمدب نجاد ضالعين فيها، حتى الآن وعلى مدار اليوم والساعة هناك اشتباكات مسلحة بين قوات الأمن الإيرانية والمسلحين الأكراد في الأقاليم التي يتركزون فيها في بخيارى وإيلام وكرمنشاه وهمدان وكردستان بالشمال الغربي وشرق إيران.

○ الأذربيجان

هم الإيرانيون أصحاب الأصول التركية، ويتركزون في شمال وشمال غرب إيران، وعاصمتهم تبريز، أيضاً يطالبون حكومة المركز في طهران باحترام حريتهم وثقافتهم التركية في التعليم والإعلام والإنتاج الأدبي والفني.

وضع الأقليات في إيران قبلة موقوته مثلها مثل وضع الأقليات في إسرائيل وتركيا، وتمثل نقطة ضعف بالغة الخطورة في تماسكهم السياسي والاجتماعي، احترام حقوق الأقليات الدينية والعرقية أحد مبادئ الدين الإسلامي الحنيف ويتفق تمامًا مع المذاهب الغربية التي تنص على ذلك وتمارسه فعليًا، لا أجد مبررًا للإجراءات القمعية التي تمارسها حكومات تلك الدول ضد حقوق الأقليات فيها، كما لا أجد أي منطوق يبرر الهلع والخوف من إعطاء المواطنين حرياتهم الدينية والثقافية والسياسة.

القوة الناعمة الإيرانية

في لحظات تاريخية من حياة الأمم يتوافر مجموعة من أبنائها بسدة الحكم يكون لديهم الحكمة والعلم والقدرة الاستثنائية على تحقيق أمن الأمة القومي ومصالحها وتطوير قدراتها وتعظيم دورها الإقليمي والعالمي، في عام ١٩٧٩ كانت إيران في موعد مع أولئك نفر من الأبناء، المدقق للسير الذاتية للقادة الإيرانيين بمراكز صنع القرار الرئيسة في إيران منذ قيام الثورة ينتابه التعجب والاندعاش لهذا الكم الوافر الذي أنتجته الأمة الإيرانية من أصحاب العقول الرائعة بمختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، والنتيجة أن إيران اليوم دولة إقليمية متفوقة لديها من الإنجازات السياسية والاقتصادية والعلمية والعسكرية ما تفاهر به الأمم، يكفي أن نحلل أداء فرق التفاوض الإيرانية مع أقوى دول العالم وأكثرها تقدمًا على مدار أكثر من عشرين عامًا بخصوص برنامجها النووي حتى نتأكد من كفاءة وعلم وموهبة أركان جهازها البيروقراطي، (قارن بين موقف حكومة إيران وهي تتفاوض مع أقوى دول العالم وموقف حكومة مصر وهي تتفاوض مع اثيوبيا والسودان!!!!!!)، مخطئ من يظن أن إيران الإسلامية يحكمها مجموعة من المهوسيين المتشدددين الملالي كما يسميهم إعلامنا العربي والإعلام الغربي، بعيدًا عن اختلافنا المذهبي مع المذهب الجعفرى الرسمي لإيران وأيضًا شجبنا التام للممارسات الأيرانية ضد الأقليات العرقية والمذهبية والدينية، إلا أننا لا بد أن نعترف بنجاح القيادة الإيرانية بتحقيق إضافات إيجابية جمّة للدولة رغم الحصار القاسى والمقاطعات الإقليمية والدولية، واستيعابهم العميق لسياسات الدول وقيادتها وقبل كل هذا امتلاكهم الرؤية

الصحيحة والرسالة المتكاملة التي تتناسب مع إيران كدولة عريقة ذات موارد ضخمة وتاريخ مشرف، طيلة الوقت كنت أتساءل لماذا تتصادم القيادات الإيرانية مع الغرب في قضية خاسرة، لماذا لا تتعاون مع الدول الكبرى لأجل مصالحها ومستقبل شعبها كما فعلت ومازالت تفعل غالب دول المنطقة لماذا لا تتعلم من النموذج الألماني والنموذج الياباني في إعادة بناء بلادها بعد أن دمرتها الحروب والصراعات بلا مشكلات مع الدول الكبرى المنتصرة، لا يمكن لدولة في عالم اليوم أن تكون مستقلة تمام الاستقلال ولا يمكن لدولة أن تعزل وتتفوق عن مجالها الإقليمي والدولي، ولكن وبعد فترة وجيزة أدركت أن القيادة الإيرانية تتصادم وتحمل من المخاطر الشيء الكثير من أجل اكتساب مزيد من القدرات الاقتصادية والعلمية والعسكرية تستطيع من خلالها إعادة دمج نفسها مرة أخرى بالنظام العالمي ولكن بترتيب متقدم وضمن وضع إقليمي ودولي أكثر توافقاً مع الطموح الإيراني والأمة الإيرانية العظيمة، بالدراسة العميقة والتحليلية لسلوك الدول الكبرى تجاه الدول المسلمة يمكن أن نلمح ان هناك عقداً تاريخية وعنصرية بالغة التطرفاً تحكم سلوك وثوابت وقيم قادة تلك الدول تجعل من التجربة اليابانية والألمانية غير قابلة للتكرار مع أي من دولنا العربية والإسلامية، لن تسمح الدول الكبرى لأي دولة عربية أو مسلمة أن تمتلك من عناصر القوة الحقيقية إلا القدر القليل، لهذا لم يكن أمام إيران بدا من الصدام الذي يقود إلى احتقان ولا يصل إلى الحرب، لقد تعلمت إيران الدرس جيداً ودرس قادتها تجارب محمد علي، وإسماعيل باشا، وجمال عبد الناصر، وصدام حسين وجميعها نماذج حديثة وواضحة لا تحتاج إلى ذكاء أو موهبة للفهم.

○ وثيقة إيران أفق ٢٠٢٥

في بداية الفترة الثانية للرئيس الإيراني محمد خاتمي ٢٠٠١ وجه المرشد الأعلى للثورة علي خامنئي بإعداد خطة استراتيجية تحكم عمل سلطات الدولة حتى عام ٢٠٢٥، أسند أمر إعداد الخطة إلى منظمة الإدارة والتخطيط التابعة لرئاسة الجمهورية، استغرق العمل عامين وشارك فيه أكثر من ٤٠٠ خبير إيراني ودولي في إعداد الاستراتيجية والبرنامج درسوا تجارب أكثر من ٣٠ دولة، وقدم هذا المشروع إلى المرشد الأعلى كمسودة لإبداء ملاحظاتها ثم أرسلها المرشد

إلى الرئيس الإيراني السابق ورئيس مجلس تشخيص مصلحة النظام حجة الإسلام «هاشمي رفسنجاني» في عام ٢٠٠٣ لمراجعتها وإصدارها في شكلها النهائي، بعد مراجعة مجلس تشخيص مصلحة النظام للمشروع وإجراء بعض التعديلات قام بإرسالها مرة أخرى إلى المرشد الأعلى للثورة الذي صدّق عليها في الرابع من نوفمبر من نفس العام (٢٠٠٣) وأرسله إلى سلطات الدولة كافة، وإلزامها بالعمل من خلاله بداية من عام ٢٠٠٥، وتطبق خلال الخطط الخمسية الإيرانية الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة، تعتبر الوثيقة أهم ما صدر عن الثورة الإسلامية بعد الدستور، حيث باتت بحكم مرسوم المرشد الأعلى هي الحاكمة لجميع سياسات واستراتيجيات أجهزة الدولة ومجالات عملها، هدف البرنامج تحويل إيران إلى قوة إقليمية كبرى في منطقة جنوب غرب آسيا وأسيا الوسطى والقوقاز وبعض دول الشرق الأوسط، وهي خمس وعشرون دولة تشمل: تركيا - إسرائيل - المملكة العربية السعودية - مصر - الإمارات - الكويت - قطر - أذربيجان - كازخستان - أرمينيا - أوزبكستان - باكستان - أفغانستان - تركمانستان - جورجيا - طاجيكستان - قرغيزستان - البحرين - فلسطين - سوريا - العراق - عمان - لبنان - الأردن - اليمن، هذا أمر يعني ببساطة المنافسة على النفوذ والريادة مع دول يبلغ عدد سكانها ٥٠٠ مليون نسمة ومساحتها مجتمعة ١٢ مليون كم مربع.

بعد إصدار الوثيقة لخص «علي خامنئي» مرشد الثورة الإسلامية الإيرانية الوثيقة في أحد خطبه قائلاً يجب أن تتفوق على جميع دول مجالنا الحيوي في الاقتصاد والقدرات العسكرية والقدرات العلمية والتكنولوجية. مع تولي الرئيس «محمود أحمدني نجاد» رئاسة الجمهورية في عام ٢٠٠٥ اعتبر الوثيقة أقل من طموح الجمهورية الإسلامية، وأقل من الإمكانيات البشرية والاقتصادية للأمة الإيرانية معتبراً أن إيران يجب أن تكون قوة عالمية كبرى وليس إقليمية.

لا ننسى أن ملخص الأهداف العليا لبرنامج إيران النووي هو ضمان الآتي :-

- ١- الوضع الإقليمي المتفوق على كل من إسرائيل ومصر والسعودية وباكستان والهند.
- ٢- الوضع العالمي المتفوق بين دول عدم الانحياز ودول العالم الإسلامي.

٣- اقتسام النفوذ السياسي والاقتصادي بينها وبين الدول الكبرى، وبخاصة روسيا في دول آسيا الوسطى^(١) والتي يبلغ اقتصادها مجتمعاً حوالي ٣٠٠ مليار دولار ومساحتها ٤ ملايين متر مكعب وعدد سكانها -السوق- ٦٥ مليون نسمة.



(١) كازخستان - أوزبكستان - تركمنستان - طاجيكستان - قيرغيزستان.

الهدف الرئيسي للمشروع الإيراني

رؤية ٢٠٢٥-٢٠٢٥

أن تكون إيران بحلول عام ٢٠٢٥ بلدًا متقدمًا ومتصدرًا الموقع الاقتصادي والعسكري والعلمي والتكنولوجي الأول على جميع الدول المذكورة سابقًا، وصاحبة دور مميز ومؤثر وفاعل في السياسات الدولية.

الترجمة الرقمية للعبارة السابقة تعني ما يلي :-

- ١- أن يكون الاقتصاد الإيراني ضمن مجموعة الـ G 20 التي تضم أهم ٢٠ اقتصادًا عالميًا.
 - ٢- أن يكون ترتيب القدرات العسكرية الإيرانية ضمن أهم عشرة دول على مستوى العالم.
 - ٣- أن يكون ترتيب إيران العلمي والتكنولوجي ضمن أهم عشرين دولة بالعالم في مجال الإنتاج العلمي وأبحاث التكنولوجيا العالية.
- بعد عقد من تطبيق الخطة تتقدم تركيا والسعودية في المنافسة الاقتصادية وتحتلان المركز الـ ١٨ والـ ١٩ على الترتيب ضمن أهم اقتصاديات العالم، بينما تحتل إيران المركز ٢٩ عالميًا، كما تتقدم كل من تركيا وإسرائيل ومصر في المنافسة العسكرية التكتيكية، حيث تحتل تركيا المركز ٨ وإسرائيل المركز ١١ ومصر المركز ١٣ عالميًا، بينما تحتل إيران المركز ٢٢ (قد يرجع تأخر ترتيب إيران لندرة المعلومات الموثقة عن القدرات الكمية والتنوع المتاحة وهو أمر مفهوم لدولة في حالة حرب مع أهم الدول الكبرى)، أما فيما يخص الإنتاج العلمي وأبحاث التكنولوجيا العالية فإن إيران حققت بعض التقدم في مجالات محددة، مثل: تكنولوجيا النووية، والنانوتكنولوجي، وعلوم الفضاء والأقمار الصناعية، والعلوم الطبية، إلا أنها تقع خلف إسرائيل بالمركز الـ ١٩ على مستوى العالم في مجال البحث العلمي حيث تحتل إسرائيل المركز الخامس عشرة، كما أن نسبة الأمية المرتفعة مقارنة بباقي الدول الرئيسية بالمنطقة تزيد من التحديات

التي تواجهها إيران في مارثون طويل لا يحتمل التهاون أو التقليل من أثر الأمية السلبية على قطاعات الدولة.

هناك من ينتقد أداء القيادة الإيرانية وهناك من يثني عليهم وبين هذا وذاك، وبعد ما استعرضناه سابقًا لا نملك إلا القول بما بدأنا به دراستنا سابقًا في أن الاتفاق النووي الإيراني الغربي فرصة لالتقاط الأنفاس لجولة جديدة من التنافس بين الدول الخمس الكبرى بالإقليم بما فيهم إيران، أمامنا عقد كامل من المنافسات القوية والشرسة بين إيران وتركيا وإسرائيل ومصر والسعودية، عشر سنوات ستحاول فيها تلك الدول أن يكون لها الريادة والتفوق والتقدم، أن ينعم مواطنوها بمجتمع قادر على إنتاج العلم والتكنولوجيا معتمدًا على موارده البشرية في زيادة ناتجه المحلي في ظل نظم متقدمة في التعليم والصحة والرعاية الاجتماعية وبعيدًا عن الفساد والقمع والتمييز وتضييق الحريات والحقوق العامة، للتجربة الإيرانية حسنها وسيئاتها إيجاباتها وسلبياتها، ولكن في النهاية هي تجربة ثرية تستحق عشرات الدراسات التي تناول بعمق جوانبها كافة، هي تجربة تستحق الانتباه إليها وتناولها بالنقد البعيد عن الأهواء أو الإسقاطات الدينية أو العرقية أو الخلفيات الثقافية.

على القيادة الإيرانية أن تولى اهتمامًا إلى التأثيرات السلبية الهائلة على اقتصادها نتيجة معادات الدول الكبرى والتصادم معها وأيضًا علاقاتها المتوترة مع دول الخليج ومصر وإسرائيل. الاقتصاد هو الممول الرئيس لجميع عناصر القوة الشاملة، تأخر إنجاز أهداف خطة إيران ٢٠٢٥ يرجع بالأساس إلى الانكماش وتباطؤ النمو الاقتصادي الذي حدث نتيجة الحصار الغربي والدولي، الأمر الذي أثر على عشرات البرامج التي كانت ضرورية ومهمة لإنجاز أهداف الخطة، كما أن ممارسات طهران ضد المعارضين تعطي صورة سلبية عن مدى احترام الإسلام والجمهورية جزء منه لمبدأ الرأي والرأي الآخر كما أن أحكام الإعدام العديدة التي يصدرها النظام القضائي ضد المعارضين تشكك في مبدأ استقلالية القضاء الإيراني وعدالة أحكامه، كما أن حرية الصحافة تحتاج إلى مراجعات شاملة فمازالت الجهات الأمنية الإيرانية تغلق الصحف المعارضة كما أن نقابة الصحفيين مازالت تحت التحفظ وباقي النقابات فهي إما خاضعة لسيطرة المتشددين الموالين

لنظام الحكم أو متحفظ عليها وغير نشطة، أيضًا مشكلة الأقليات والاحتقان السياسي والأمني بمناطق واسعة من إيران تجعل من متانة النسيج الاجتماعي الإيراني أمرًا مشكوكًا فيه وتسبب آثارًا سلبية على تدفق الاستثمارات الأجنبية ومستوى العلاقات السياسية الإيرانية وبعض أهم دول الجوار، كما تجعل من البنية الاجتماعية رخوة وبيئة مناسبة للتدخلات الأجنبية الذي حتمًا ليس في صالح دولة تسعى لكي تكون متقدمة ورائدة ومتفوقة إقليميًا وعالميًا، في حديث شهير للأمير تركي الفيصل رئيس المخابرات العامة السعودية السابق (١٩٨٠-٢٠٠١) قال إن إيران نمر من ورق بمخالب فولاذ، مبررًا ذلك بسوء الوضع الاقتصادي الإيراني وضعف الأداء الحكومي في برامج تحسين الخدمات الصحية والتعليمية والاجتماعية لمواطنيها، وكأنه يلوح أن الإنجازات التي حققتها إيران في بعض المجالات المهمة هي إنجازات قصيرة المدى سوف تتضاءل أهميتها وتطورها ويكون مصيرها الحتمي هو الزوال؛ بسبب هشاشة البنية الاقتصادية للجمهورية الإسلامية رغم حجمها الضخم وتنوع مكوناتها. الاقتصاد هو كلمة السر في تشكيل مستقبل إيران وقدرة النظام السياسي على التجديد في السياسات والاستراتيجيات والأهداف أصبحت ضرورة ملحة في لحظات فارقة من حياة الأمة الإيرانية والمنطقة، في نهاية عام ٢٠١٥ صرح هاشمي رفسنجاني أحد قادة الثورة الإسلامية التاريخيين والعضو المهم في هرم السلطة الإيراني لعقود قائلًا محذرًا الجناح المتشدد بالسلطة: أن أكبر تحدٍ يواجهه إيران كاملة اليوم هو التغيير والاستجابة لتطلعات المواطنين السياسية والاقتصادية والاجتماعية، تداول السلطة السياسية في إيران وقوة نظامها السياسي وثرائه بالكفاءات والعقول قادر على إعطاء دفعة سريعة وقوية وآمنة للدولة نحو مزيد من الحريات العامة وتقليص نفوذ الجهات الأمنية وبخاصة الحرس الثوري في المجالين السياسي والاقتصادي، كما أن الحرية الإعلامية مطلوبة بجانب الحريات الشخصية التي كفلتها الشريعة وأكدت عليها.



عناصر القوة الشاملة للمملكة العربية السعودية



(صورة الملك عبد العزيز مؤسس المملكة)

السكان (القوة البشرية)

المملكة العربية السعودية أكبر دولة بالشرق الأوسط من حيث المساحة حيث تبلغ ٢.١ مليون كم مربع وتقع في الجنوب الغربي من قارة آسيا، يبلغ عدد سكانها ٣٠ مليون نسمة حسب إحصاء العام ٢٠١٤ منهم ١٠ ملايين مقيمين غير سعوديين، يحدها من الشمال العراق والأردن ومن الشمال الشرقي الكويت ومن الشرق قطر والإمارات والبحرين ومن الجنوب اليمن وسلطنة عمان أما الغرب فيحدها البحر الأحمر، ظهر أول اسم لمصطلح السعودية في المكاتبات البريطانية بشأن الرجال والقوات التابعة لعبد العزيز بن سعود خلال العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين الماضي، في العاشر من أغسطس عام ١٩٣٢ انعقد بالطائف اجتماعاً ضم علماء دين معروفين وممثلين رعايا أجنبية بالحجاز ونجد وعددًا من كبار التجار والملوك واتفقوا على تغيير اسم الدولة من مملكة نجد والحجاز إلى

المملكة العربية السعودية بقيادة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، وكان هذا الميلاد الرسمي للمملكة، اللغة العربية هي اللغة الرسمية للمملكة ويتحدث بها غالب السكان عدا بعض المناطق في صحراء الربع الخالي ومرتفعات منطقة جيزان فيتكلمون بلغات سامية قديمة مثل المهرية والخورانية، الدين الإسلامي هو الدين السائد بالبلاد ويمثل المذهب السني نسبة ٩٠% والمذهب الشيعي الجعفري ١٠% تقريباً يتركز معظمهم بالمناطق الشرقية بالمملكة، يتركز غالب السكان بالمدن الرئيسية بالمملكة حيث تبلغ نسبتهم ٥٢% و٢٧% بالريف و٢١% بالبوادي، تمثل النساء ٤٩% والرجال ٥١%، نسبة البطالة ٦% (٢٠١٤)، في العام ٢٠٠٠ كانت نسبة الأمية بالمملكة ١٨% وقد بدأت المملكة برامج ومبادرات عديدة للاهتمام بهذا الملف حتى وصلت نسبة الأمية في العام ٢٠١٤ الى ٧% فقط بينما نسبة الأمية بمصر في العام ٢٠١٤ أيضاً بلغت ٢٧%^(١)، تبلغ قوة العمل السعودية حسب إحصاءات ٢٠١٤ ٥.٤ مليون نسمة يمثل الذكور منهم نسبة ٨٨% منهم، ويضاف إليهم حوالي ١٠ ملايين من العمالة الوافدة وبهذا تحتل المملكة المركز الرابع عالمياً بين الدول المستقطبة للعمالة بعد الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وألمانيا.

يبلغ معدل الإنفاق السنوي على التعليم والبحث العلمي بالمملكة حوالي ٤٥ مليار دولار (٢٠١٤) يمثل حوالي ٦% من الناتج المحلي الإجمالي وهي نسبة تماثل ما تخصصه الدول المتقدمة على التعليم والبحوث العلمية (تبلغ النسبة في مصر ٢.٨%)، يمثل الإنفاق الحكومي على التعليم نسبة ٩٠% من هذا المبلغ بينما ينفق القطاع الخاص ١٠% فقط، يبلغ عدد الطلاب بالمدارس السعودية بجميع المراحل ٥ ملايين طالب وعدد المعلمين نصف مليون وعدد الإداريين ١٠٠ ألف أما الجامعات فتبلغ ٢٥ جامعة حكومية و٩ جامعات أهلية و٣٤ كلية أهلية، حققت المملكة تقدماً كبيراً في مخرجات جامعاتها ومراكزها البحثية حيث حققت بالعام ٢٠١٤ ٧٠٠٠ إصداراً بحثياً حسب إحصاءات قاعدة البيانات العالمية Web Of Knowledge خاصة في مجالات الفيزياء والرياضيات

(١) نسبة الأمية في السعودية عام ١٩٧٠ كانت ٦٠% وفي مصر كانت ٥٠%.

والأحياء والعلوم الصحية والطبية والعلوم الإنسانية (في نفس العام كان نصيب مصر من الإخراجات ٦٠٠٠ بحث)، حسب تقرير المكتب الأمريكي لبراءات الاختراعات والعلامات التجارية USPTO فإن عدد براءات الاختراع السعودية يبلغ ٢٠٠ براءات اختراع سنوياً (بينما يبلغ في مصر ٦٦ براءة اختراع)، تقود جامعة الملك سعود بالرياض الجامعات السعودية في مجال الإنتاج الفكري والأوراق العلمية يليها جامعة الملك عبد العزيز بجدة ثم جامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران وأخيراً جامعة الملك عبد الله للعلوم والتكنولوجيا للدراسات العليا.

يوجد بالمملكة ٣٤ جامعة حكومية وأهلية موزعة على مناطقها الرئيسية

الثلاثة عشرة وأهمها:-

- جامعة الملك سعود بالرياض وتضم ٢٤ كلية.
- جامعة الملك عبد العزيز بجدة وتضم ٢٤ كلية.
- جامعة الملك فيصل بالإحساء وتضم ١٦ كلية.
- جامعة أم القرى بمكة المكرمة وتضم ٢٣ كلية.
- جامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران وتضم ٨ كليات.
- جامعة الملك خالد بأبها وتضم ٤٧ كلية.
- جامعة طيبة بالمدينة المنورة وتضم ٢٨ كلية.
- جامعة الملك عبد الله للعلوم والتكنولوجيا وهي متخصصة للدراسات العليا والأبحاث المتقدمة.

من أبرز علماء السعودية البارزين:-

- الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الباز وله أكثر من ٤٠ مؤلفاً في علوم الشريعة وصفه العلامة المحدث الألباني بأنه إمام أهل السنة في زمانه.
- الشيخ محمد بن صالح العثيمين وله أكثر من ٢٥ مؤلفاً وقد وصفه أيضاً الإمام الألباني بأنه مجدد هذا القرن (يقصد القرن العشرين)
- الدكتورة حياة سندی العالمية البارزة في مجال التكنولوجيا الحيوية.

- الدكتور عبد الله الربيعة الجراح السعودي العالمى في مجال فصل التوائم الملتصقة.
- الدكتورة ابتسام باخريس العالمية بمجال النانوتكنولوجيا وعضوة بالمنظمة الأوروبية للأبحاث النووية المعروف اختصاراً بسيرن.
- دكتورة سهاد باحجرى الكندى العالمية الدولية البارزة بمجال الكيمياء الحيوية.
- دكتورة غادة المطيرى العالمية بمجال الهندسة الكيميائية.
- دكتور محمد بن راشد الفقه الجراح العالمى الشهير بجراحات القلب والمتخصص في جراحات قلب الأطفال.

على الرغم من النجاحات السعودية في مجال التعليم بصفة عامة والقضاء على الأمية بصفة خاصة إلا أن المخرجات العلمية وتطبيقات التكنولوجيا لا تتناسب مع الإنفاق الضخم الذي تنفقه المملكة على التعليم، أعتقد أن الحكومة الحالية بقيادة الملك سلمان بن عبد العزيز والأمير محمد بن سلمان أدركت هذه الحقيقة والأيام القادمة ستشهد نقلة نوعية في الإنتاج العلمى والإنجازات التقنية للمملكة، الواقع أن البنية التحتية العلمية أكثر من جيدة فالمملكة تمتلك جامعات ومراكز أبحاث كافية لإمداد كافة قطاعات الدولة بالمعرفة كما أن الموارد البشرية والمادية متوفرة يبقى فقط توظيف تلك الطاقات نحو أهداف قومية عالية في القطاعات المهمة العسكرية والاقتصادية والاجتماعية ولحسن الحظ أصبحت اليوم تلك الأهداف واضحة بفضل برنامج رؤية المملكة ٢٠٣٠ والذي يقوم على تحويل اقتصاد المملكة إلى اقتصاد المعرفة تلعب فيه الجامعات والمراكز البحثية الدور الرئيسى في تنمية الناتج المحلى وتحقيق الثروة بكافة قطاعات ومرافق المملكة، كما أن الموارد البشرية الحالية للمملكة كافية لتغذية أي خطط طموحة للتنمية والتقدم، يبقى التحدى هو متى تتولد الروح التي تجعل من القوة البشرية السعودية معيناً لا ينضب من الابتكارات والأعمال الرائدة؟

الموارد الاقتصادية (القوة الاقتصادية)



(صورة مجمع شركة أرامكو للبتروكيمياويات)

يحتل الاقتصاد السعودي المرتبة الأولى على اقتصاديات الدول العربية وشمال إفريقيا والمرتبة الثانية بعد تركيا بالشرق الأوسط بإجمالي ناتج محلي إجمالي قدره ٧٤٧ مليار دولار كما تأتي بالمرتبة الثالثة عالمياً في إجمالي الأصول من العملات الأجنبية والذهب بعد الصين واليابان بإجمالي أصول قدرها ٧٤٦ مليار دولار (٢٠١٤)، (انخفض هذا الاحتياطي بشدة خلال الأعوام ٢٠١٥ و٢٠١٦ و٢٠١٧ نتيجة انخفاض أسعار البترول العالمية ونفقات تمويل الحرب على اليمن التي فاقت في تكلفتها الحسابات الأولية للحرب عشرات المرات)، تتبنى المملكة اقتصاد السوق الذي يقوم على العرض والطلب وعدم وجود أية قيود على الصادرات أو الواردات سوى بعض القيود على واردات السلع المحرمة حسب الشريعة الإسلامية، كما تتميز المملكة بانخفاض التعريفات الجمركية بصفة عامة والتي تصل لحد الإعفاء للسلع الغذائية الرئيسية، تعتبر بورصة الأوراق المالية السعودية (تداول) من البورصات الرائدة بالمنطقة ويبلغ رأسمالها السوقى ٥٨٤ مليار دولار^(١)، كما تمتلك المملكة قطاعاً مصرفياً متميزاً ومتقدماً ولا توجد أية قيود على تداول العملات الأجنبية، لا توجد ضرائب على الدخل بالمملكة حيث تحتل المملكة المركز الثالث عالمياً بين أكثر الدول الجاذبة للاستثمار من ناحية التنافسية الضريبية (منتدى دافوس ٢٠١٤) كما تحتل المركز الرابع لنفس

(١) تقريبا ٤ اضعاف سوق المال بايران و١٦ مرة حجم سوق المال بمصر.

المؤشر من ناحية ملائمة الاقتصاد الكلى وأساسه القوية، ولكن توجب القوانين على الشركات إخراج ما يعادل ٢.٥% من إجمالي أصولها كزكاة مال سنويًا تصرف وفق المصاريف الشرعية تحت إشراف هيئات دينية حكومية محترمة، تمتلك المملكة بجانب ثروتها النفطية الضخمة مناجم ضخمة للذهب والفضة والبلاطين والنحاس كما تحتوى أراضيها على أكبر احتياطيات العالم من خام الفوسفات، كما تمتلك مناجم منجنيز وتيتانيوم وزنك وورصاص وليثيوم وجميعها تتركز في منطقة الجلاميد شمال البلاد حيث تم اكتشاف أكثر من ٥٠٠٠ موقع ومنجم منها ١٢٧٣ موقعًا للمعادن النفيسة و١١٧٢ موقعًا للمعادن الفلزية و٢٥٠٠ موقع للمعادن اللافلزية، يتنوع الاقتصاد السعودي بين الصناعة والتجارة والزراعة والسياحة يدعم تلك المجالات سياسات حكومية رشيدة وغرف تجارية وصناعية ومهنية تمارس دورها في ضبط الأسواق وتذليل العقبات ودعم المنتسبين فنيًا وخدميًا كما تسهم في وضع التشريعات الاقتصادية المناسبة وتعديلها عند الضرورة والتحكيم الطوعى بين منتسبيها وحماية المهنة من الفاسدين والترويج للاستثمارات الأجنبية المباشرة التي بلغت حسب إحصاءات هيئة الاستثمار السعودية ٧ مليارات دولار سنويًا (٢٠١٤) موزعة على القطاعات الاقتصادية المختلفة بين خدمية وصناعية وتجارية وعقارية.

○ أهم الصناعات بالمملكة

تتنوع الصناعات بالمملكة بين صناعة النفط والغاز والبتروكيماويات والصناعات الثقيلة والمتوسطة والتحويلية، البنية الصناعية للمملكة بنية قوية ومتنوعة تضم حوالي ٦٥٠٠ مصنع تقريبًا بمختلف المجالات الأمر الذي أوصل الصادرات السعودية غير النفطية إلى ٥٥ مليار دولار (٢٠١٤)، يبلغ حجم مساهمة القطاع الصناعى في الناتج المحلى القومى الإجمالى نسبة ١١% / ٢٠١٥ وتخطط الحكومة لرفعه إلى ٢٠% في خلال سنوات قليلة قادمة، تشجع الحكومات السعودية المتعاقبة القطاع الخاص وتوفر العديد من الحوافز للاستثمار بغرض بناء قاعدة صناعية قوية ومتطورة تلبي احتياجات المملكة المتزايدة وتساعد على توفير فرص العمل وأيضًا دعم الاقتصاد الكلى عن طريق خفض الاستيراد

- وزيادة الصادرات وجلب التكنولوجيا واكتساب الخبرات والمهارات الضرورية لتحقيق التقدم، من أهم الحوافز والمبادرات التي تتبناها الحكومة لتشجيع الاستثمارات الداخلية وجلب الاستثمارات الخارجية ما يلي :-
- الإعفاء من الضرائب عدا ضريبة الدخل التي تحصلها الحكومة على رؤوس الأموال وقدرها ٢.٥% سنويًا.
- القروض الصناعية طويلة الأمد بفترات سماح طويلة وآجال تصل إلى ١٠ سنوات في بعض الصناعات.
- تأجير الأراضي للمصانع والشركات بأسعار زهيدة.
- تجهيز الأراضي بالمناطق الصناعية بالمرافق والخدمات الرتقية وطرحها للمستثمرين بأسعار رمزية لا تعكس مستواها العالمي والمتقدم.
- أنشأت الحكومة صندوق التنمية السعودي الذي منح قروضًا تتجاوز ١٠٠ مليار ريال بدون فوائد لمئات المصانع حتى العام ٢٠١٣.
- أنشأت الحكومة الهيئة الملكية للجبيل وينبع ورأس الخير التي استطاعت جذب استثمارات مباشرة بالمناطق التابعة لها قدرها أكثر من ٧٥٠ مليار ريال في أقل من ١٠ سنوات.
- قررت الحكومة السعودية إنشاء الهيئة السعودية للمدن الصناعية ومناطق التقنية بغرض الإشراف على تنمية وتطوير أكثر من ٣٢ مدينة ومنطقة صناعية بمختلف مناطق المملكة وأزالت المعوقات التي قد تؤثر سلبيًا على نمو تلك المدن والمناطق وجعلها أكثر جاذبية للاستثمار.
- بداية من العام ٢٠٠٦ أنشأت المملكة ٤ مدن اقتصادية كبرى لجذب الاستثمارات الخارجية والداخلية وتهئية بيئة منافسة وجيدة تساهم في جعل المملكة أكثر تنافسية بين دول الأقليم وهذه المدن هي: - مدينة الملك عبد الله الاقتصادية بمكة المكرمة بتكلفة قدرها ١٠٠ مليار دولار، مدينة المعرفة الاقتصادية بالمدينة المنورة بتكلفة ٥ مليارات دولار ومدينة الأمير عبد العزيز بن مساعد بحائل شمال المملكة باستثمارات ٨ مليارات دولار ومدينة جيزان الاقتصادية بجنوب غرب المملكة باستثمارات قدرها ٨ مليارات دولار.

○ صناعة النفط والغاز (الاستكشاف - الإنتاج - التكرير - النقل - التوزيع)

يمثل النفط والغاز العصب الرئيسي لاقتصاد المملكة حيث تحتل المركز الثاني في احتياطي النفط العالمي (٢٠%) بعد فنزويلا كما تعد الأولى عالمياً في حجم الإنتاج والتصدير بحصة سوقية قدرها ٢٠%، تنتج المملكة ١٠ ملايين برميل يومياً وتخطط لتصبح طاقاتها الإنتاجية ١٦ مليون برميل يومياً بحلول العام ٢٠٢٥، أيضاً تمتلك المملكة سادس أهم احتياطيات الغاز الطبيعي بالعالم (يبلغ الاحتياطيات المؤكدة ٣٣٣ تريليون قدم مكعب خلافاً ٦٤٠ تريليون قدم مكعب من الغاز الصخري) وتستخرجه من آبار النفط وأكثر من ١٠٠ بئر غاز تنتج سنوياً ما قدره ٤ تريليونات قدم مكعب (٢٠١٤)، تمتلك المملكة أكبر شركة بالعالم من حيث القيمة السوقية وهي شركة الزيت العربية السعودية (أرامكو) حيث تبلغ قيمتها ١٠ تريليونات دولار حسب تقرير مجلة اكسلوريشن ٢٠١٥ (١٠ آلاف مليار دولار) ويعمل بها حوالي ٦٠ ألف موظف بالإضافة إلى ١٠٠ ألف متعاقد ويبلغ حجم عائداتها السنوية ٣٠٠ مليار دولار، تبلغ الطاقات التكريرية للمملكة ٣ ملايين برميل يومياً موزعة على ١٦ مصفاة داخل وخارج المملكة من ضمنها أكبر معمل تكرير للبترول بالعالم في بقيق شرق المملكة وبهذا فهي تحتل المركز الثامن بالعالم في هذه الصناعة الاستراتيجية كما تمتلك المملكة ثاني أضخم أسطول نقل نفط وغاز بالعالم، تملك المملكة أيضاً أكبر حقل نفط بالعالم على اليابسة وهو حقل غوار (أى العميق) وينتج حوالي ٥٠% من إنتاج المملكة ويحتوى على ٧٠ مليار برميل احتياطي مؤكد ويقع شرق المملكة بالقرب من مدينة الأحساء، كما تمتلك المملكة أكبر حقل مغمور بالعالم في منطقة السفانية شمال شرق المملكة (٦٠ كم من حدود الكويت) بالخليج العربي.

○ صناعة البتروكيماويات

تنتج المملكة تشكيلة واسعة من المنتجات البتروكيماوية مثل القطران - الإيثيلين - الإيثانول - البولى بروبيلين - البولى إيثيلين - الستيارين - الصودا الكاوية - حمض الستريك - الأزوت - اليوريا، تحتل المملكة العربية المركز السابع عالمياً في حجم إنتاج البتروكيماويات وتحتل المركز الحادى عشر بالعالم

في حجم الصادرات البتروكيميائية، تعتبر شركة سابك التي تمتلك الحكومة ٧٠% من أسهمها رابع أهم شركة في مجال البتروكيمياويات بالعالم بحجم مبيعات سنوى قدره ٥٠ مليار دولار وأرباح قدرها ٥ مليارات دولار وعدد موظفين ٤٠ ألف موظف وضمن أهم ٢٠٠ شركة بالعالم بقيمة سوقية قدرها ٩٠ مليار دولار. تبلغ الطاقة الإنتاجية للشركة ٧٠ مليون طن سنوياً من الإيثيلين والميثيل والبولي كاربونيت واليوريا والبولي فينيل والبولي اميد بالإضافة إلى عدد من المعادن ومواد البناء وأهمها الحديد حيث يبلغ إنتاج السعودية حوالي ٧ ملايين طن حسب تقرير الاتحاد العالمي للصلب ٢٠١٤.

○ الصناعات الثقيلة والتحويلية والمتوسطة

تمتلك السعودية قطاعاً صناعياً خاصاً قوياً يقوم بتوظيف مليون مستخدم تقريباً باستثمارات تبلغ ١٠٠٠ مليار ريال (٢٧٠ مليار دولار)، فيما يلي جدول تفصيلي باهم المصانع بالسعودية حسب تقرير قسم الإحصاءات الصناعية والتجارية التابع للمركز الإعلامي لوزارة التجارة والصناعة السعودية.

جدول يوضح أهم المصانع بالمملكة وحجم الاستثمارات بالدولار (٢٠١٤)			
عدد المستخدمين	عدد المصانع	رءوس الأموال بالمليار دولار	الصناعة
٧٨.٩٢	٦٦٢	١٢٢	صنع المواد الكيميائية والمنتجات الكيميائية
١٨.٩٨١	١٣٥	٣٧	فحم الكوك والمنتجات النفطية المكررة
١٦٦.٥٩	١.٣٦٦	٢	صنع منتجات المعادن اللافلزية الأخرى
٥٠.٩٥٧	٢٦٧	٢٠	صنع الفلزات القاعدية

١٣٦.٥٦٩	٧١٦	١٥	المنتجات الغذائية
٤٤.٠٧٤	١٨٣	١	المشروبات
٨٤.٥٣١	٨٤٠	٨	صنع منتجات المطاط واللدائن
٢٨.٢٦٢	١٩٥	٨	صنع الآلات والمعدات غير المصنفة في موضع آخر
١٠٦.٧١٥	٩٢٦	٧	صنع منتجات المعادن المشكلة، باستثناء الآلات والمعدات
١٣.٤٢	٨٨	٥	الصناعات التحويلية الأخرى
٣٣.٦٩٣	٢١٠	٣	صنع المعدات الكهربائية
٣٣.٣٦٧	٢١٦	٣	الورق ومنتجات الورق
١٥.٩١٣	٩٤	٢	المنسوجات
٢٦.٣٩٩	٣٢٦		صنع الأثاث
١٥.٧٣٧	١٥٣	١	صنع المركبات ذات المحركات والمركبات المقطورة ونصف المقطورة
٨.٦٨	٣٤	١	صنع المنتجات الصيدلانية الأساسية والمستحضرات الصيدلانية
٨.٦٤٩	٥٨	١	صنع الحواسيب والمنتجات الإلكترونية والبصرية
٥.٨٩٢	٥٦		الطباعة واستنساخ وسائط الإعلام المسجلة
١٣.٠٣٣	١٠١	٠.٠	الملبوسات

٦.٠٣٠	٧٤	٠.٢٧	الخشب ومنتجات الخشب والفلين، باستثناء الأثاث؛ صنع أصناف من القش ومواد الضفر
٧٢٣,٣	٣٧	٠.١٩	المنتجات الجلدية والمنتجات ذات الصلة
٣.٥٠١	٣	٠.١٧٥	إصلاح وتركيب الآلات والمعدات
١.٧٥٣	١١	٠.٠٨	صنع معدات النقل الأخرى
٣٥٩,٩٠٥	٦٧٥١	٢٧٠	الإجمالي

○ القطاع الزراعي

تعاني المملكة من شح الموارد المائية، تعتمد على مياه الأمطار والمياه الجوفية تبلغ احتياجات المملكة السنوية من المياه حوالي ٩ مليارات متر مكعب، توفر السدود الـ ٥٠٠ التي تملكها المملكة بمناطقها المختلفة ٢٥٠٠ مليون متر مكعب من تخزين مياه الأمطار والباقي من مياه الآبار وتحلية ماء البحر حيث تعد المملكة الدولة الأكبر الأولى عالمياً في هذا المجال بقدرة ٥ ملايين متر مكعب يومياً (١.٣ مليار متر مكعب سنوياً)، ورغم ندرة المياه وارتفاع تكلفتها فإن الحكومة لديها برامج متقدمة لتحقيق الأمن الغذائي للمواطنين بالإضافة إلى حسن إدارة الموارد المائية.

تبلغ المساحة القابلة للزراعة بالمملكة حوالي ١٢٠ مليون فدان يمكن زراعة ١٠% منهم وفوراً إذا ما توافرت المياه، يبلغ نصيب القطاع الزراعي حوالي ٢% تقريباً من الناتج المحلي الإجمالي بإجمالي قدره ١٤ مليار دولار، أهم المحاصيل التي تزرع بالمملكة القمح والشعير والذرة البيضاء والسمسم والخضراوات والفواكه والبن بالإضافة إلى إنتاج التمور حيث يوجد بالمملكة ٢٤ مليون نخلة تنتج مليون طن من التمور ضمن أكثر من ٤٠٠ صنف وبهذا فهي تحتل المركز الثاني عالمياً بعد الإمارات في إنتاج هذا المحصول المهم، تقدم الحكومة دعماً مجزياً للمزارعين وقروضاً طويلة الأجل بدون فوائد من أجل

تشجيع الاستثمار بالمجال الزراعي وتحقيق الاكتفاء الذاتي من المواد الغذائية حيث تنتج المملكة تقريباً ١٥٠ مليون طن من الإنتاج الزراعي سنوياً ٢٠١٤، تبلغ إجمالي المساحة المزروعة بالمملكة ٢ مليون فدان وعدد الأيدي العاملة التي تعمل بهذا القطاع نصف مليون عامل، تنتج المملكة سنوياً نصف مليار دجاجة و٤ مليارات بيضة من بيض المائدة وتمتلك ٩ ملايين رأس من الغنم و٤٠٠ ألف رأس من البقر و٣ ونصف مليون رأس من الماعز و٤٠٠ ألف رأس من الإبل، أيضاً تنتج المملكة سنوياً مليار ونصف لتر من الألبان ومائة ألف طن من الأسمالك والروبيان (الجمبري) إحصاءات ٢٠١٤ حسب موقع الغرفة التجارية بالرياض، تتحرك الحكومة السعودية وفق خطط مدروسة واستراتيجيات واضحة في هذا القطاع الحيوي والاستراتيجي المهم، لم تقف الحكومة أمام ندرة المياه مكتوفة الأيدي ولم يغرها النجاحات التي حققتها في هذا المجال بل أسست زرعاً حكومياً قوياً للاستثمار خارج المملكة بدول العالم المختلفة لتأمين الاحتياجات الزراعية للمملكة وتأمين حاجات رعاياها ولهذا أنشأت المملكة الشركة السعودية للاستثمار الزراعي والإنتاج الحيواني (سالك) أحد الكيانات الضخمة لصندوق الاستثمارات العامة السعودي، اليوم تمتلك الشركة استثمارات ضخمة بكل من بولندا وأوكرانيا وكندا والولايات المتحدة والبرازيل وكازخستان والسودان وجميعها بغرض ضمان تأمين تدفق الواردات الغذائية للمملكة وتحقيق الأمن الغذائي للمواطنين والمقيمين. (في يوليو من عام ٢٠١٦ صدق البرلمان السوداني على قانون يسمح للمملكة العربية السعودية باستصلاح مليون فدان في شمال شرق السودان ضمن برنامجها رؤية ٢٠٣٠).

○ قطاع السياحة

تملك المملكة أهم مدينتين مقدستين لدى أكثر من مليار ونصف مسلم بالعالم وهما مكة المكرمة والمدينة المنورة، بالإضافة إلى ذلك تمتلك المملكة أكثر من ٦٠٠٠ موقع أثري ومائتي متحف، تخطط الحكومة لكي تبلغ نسبة مساهمة هذا القطاع المهم في الناتج المحلي الإجمالي عام ٢٠٢٠ إلى ١٨%، وجذب مليون ونصف المليون سائح أجنبي غير سائحي الحج والعمرة التي يبلغ عدد سياحها ١٢ مليون سائح سنوياً يحققون دخلاً مباشراً قدره ١٨ مليار دولار أمريكي ٢٠١٤، تخطط الحكومة لتخفيف القيود على الحجاج والمعتمرين

والسماح لهم بالبقاء فترة طويلة وزيارة الأماكن السياحية المتعددة بالمملكة مثل مدائن صالح وصحراء الربع الخالي حيث قرية الفاو عاصمة مملكة كندة القديمة ونجران القديمة التي شهدت حادثة أصحاب الإخدود التي ورد ذكرها بالقرآن الكريم ووادي الدواسر حيث إثار حضارة المقر (٩٠٠٠ عام قبل الميلاد) وهم أول من استأنس الخيول وغيرها من الأماكن الأثرية العديدة، كما أن السعودية تمتلك ١١٥٠ جزيرة بالقرب من سواحلها على البحر الأحمر و١٥٠ جزيرة بالخليج العربي تمثل نواة لسياحة بحرية متميزة لهواة الغوص وصيد الأسماك، تخطط الحكومة لكي يكون إجمالي عدد السائحين ١٥ مليون سائح في العام ٢٠٢٠ و٣٠ مليون سائح عام ٢٠٣٠ حسب ما ورد ببرنامج الحكومة رؤية ٢٠٣٠، يدعم قطاع السياحة شبكة ضخمة من المطارات المدنية تتجاوز الـ ٢٧ مطارًا معظمها قادر على استقبال الرحلات الجوية الخارجية كما تمتلك أحد أكبر شركات الطيران بالعالم وهي الخطوط الجوية السعودية التي تستحوذ على أسطول حديث من الطائرات يقدر بـ ١٤٠ طائرة تنقل سنويًا حوالي ٢٥ مليون راكب من وإلى أكثر من ١٠٠ واجهة محلية وعالمية.

○ قطاع التشييد والبناء

في تقرير مجلس الغرف السعودية ٢٠١٤ أشار إلى أن قطاع التشييد والبناء السعودي يأتي في المرتبة الثانية بعد قطاع النفط والغاز في نسبة مساهمته بالناتج المحلي الإجمالي بنسبة ٥% والسعودية تمتلك العشرات من شركات المقاولات الضخمة ذات الخبرات المتميزة في تنفيذ أعقد المشروعات المدنية والصناعية التي تقوم بتوظيف ملايين الموظفين في مشروعاتها المنتشرة بجميع أنحاء المملكة.

○ البنية التحتية للمملكة

تميز المملكة ببنية تحتية حديثة متقدمة، وهو أمر مهم يحسن من الميزات التنافسية للمملكة ويحسن من بيئتها الجاذبة للاستثمارات الخارجية والمشجعة على الاستثمارات المحلية، ففي القطاع الصحي تملك المملكة طاقة ٣٥ ألف سرير موزعة على ٢٦٠ مستشفى حكوميًا و١٥ ألف سرير موزعة على ١٣٧ مستشفى أهليًا خلافاً لحوالي ٢٣٠٠ مستشفى حكومي و٢٢٠٠ مستشفى أهلي، وتعد كل من مستشفى الملك فيصل بالرياض والملك خالد للعيون من

أهم مستشفيات المملكة ذات السمعة العالمية والمستوى الطبي المتقدم، كما تحتل المملكة المرتبة ١٩ عالمياً في إنتاج الطاقة الكهربائية بإجمالي إنتاج قدره ٥٨ ألف ميغاوات ٢٠١٤، بالإضافة إلى ٢٠ ألف ميغاوات أخرى سوف تدخل الخدمة ينتهي تنفيذها عام ٢٠١٨، أيضاً تمتلك المملكة أحدث وأكبر شبكة طرق بالشرق الأوسط بإجمالي أطوال قدرها ٦٠ ألف كم وشبكة حديثة وسريعة من السكك الحديدية بأطوال قدرها ٥٠٠٠ كم، كما تمتلك ٢٧ مطاراً مدنياً و ١٤٠ طائرة حديثة لنقل الركاب بسعة ٦٨ مليون راكب سنوياً ومليون طن بضائع، أيضاً تملك المملكة أكبر شبكة موانئ بالشرق الأوسط بإجمالي قدره ٩ موانئ تحتوى على ٢١٠ رصيف شحن وتفريغ،

أما عن بنية الاتصالات وتقنية المعلومات فإن المملكة تمتلك شبكة اتصالات هي الأكبر والأحدث بالمنطقة كما أن قطاع الاتصالات يشارك بنسبة ٢.٨% من الناتج المحلى الإجمالى للمملكة عام ٢٠١٤، تعتبر شركة الاتصالات السعودية أحد أكبر شركات الاتصالات بالعالم بإجمالى عوائد سنوية قدرها ١٢ مليار دولار وأرباحاً سنوية قدرها ٢ مليار دولار وعدد موظفين يتجاوز الـ ١٧ ألف موظف، ومما هو جدير بالذكر أن يعلم القارئ أن السعودية تحتل المركز الأول عالمياً في عدد مستخدمي الهواتف المحمولة حيث تبلغ نسبتهم ١٨٨% من عدد السكان ويحتل السعوديون المركز الأول عالمياً في عدد مستخدمي اليوتيوب بصفة يومية والمركز الثانى إقليمياً في عدد مستخدمي الفيسبوك والمركز الأول إقليمياً في عدد مستخدمي تويتر، بصفة عامة تمتلك السعودية اقتصاداً متطوراً حديثاً وقاعدة صناعية متطورة وقطاعات اقتصادية زراعية وسياحية وخدمية متطورة وواعدة، يمثل مساهمة القطاع الخاص في الناتج المحلى الإجمالى ٤٠% تقريباً ٢٠١٤، لقد أدركت القيادات السعودية منذ الأيام الأولى لتأسيس المملكة أهمية تشجيع القطاع الخاص ودوره المهم في النهوض بالأوطان ويحضرنى قول ماثور عن الملك فيصل بن عبد العزيز رحمة الله عليه إن الحكومات ليست حكومات بقالة ولا تعمل عمل البقالين، كان هذا أحد تصريحات الملك رداً على التقرير وحملات الهجوم التي كان ينظمها جمال عبد الناصر ضد المملكة ونظامها بستينات القرن الماضى وبينما كانت الحكومة المصرية مشغولة بتبديد مواردها في إنشاء منافذ بيع ساندوتشات الوجبات السريعة

وإنشاء منافذ بيع الخبز للمواطنين والسيطرة على مفاصل الاقتصاد وتسريع عمليات التأمين والتضييق على القطاع الخاص وأصحاب المبادرات الفردية ورجال الأعمال كانت المملكة تستقطب رجال الأعمال وأصحاب العقول والمواهب السعوديين والأجانب لأجل تسريع وتيرة النمو والمساهمة في خططها للنمو والتقدم.

يبقى على حكومة المملكة ربط الأنشطة الاقتصادية بالجامعات ومراكز الأبحاث، اقتصاد المعرفة هو الطريق الوحيد لكي تستمر المملكة في سباقها مع الدول الكبرى الأخرى بالإقليم، القيادة الحالية تدرك هذا ولأول مرة نسمع عن رغبة الحكام السعوديين في تحويل اقتصاد بلادهم إلى اقتصاد المعرفة حيث تقود الجامعات ومراكز الأبحاث مصادر توليد الناتج المحلي ويكون للابتكار والتكنولوجيا القيمة المضافة الحقيقية عوضاً عن الموارد الطبيعية كالبتروول والغاز والتي تستنفذ ولا تتجدد، يبقى على القيادة تبني الخطط والبرامج التي تحول تلك الكلمات إلى واقع ونتائج تزيد من الثروة الاقتصادية وتسهم في تحسين القدرات التنافسية للمملكة، كما ينبغي على حكومة المملكة أن تدعم الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد وحماية النزاهة التي أنشأتها عام ٢٠١١ لكي تتمكن من أداء واجباتها بعد أن بلغ حجم الفساد السنوي بالمملكة ٨٤ مليار دولار حسب تقرير متدى الشفافية السعودي (تقريباً ١٠% من الناتج المحلي الإجمالي) ٢٠١٤.

القوة الجيوستراتيجية (الجغرافيا)



(صورة لخريطة المملكة موضحة بها أهم المدن الرئيسية)

تنقسم المملكة إلى حوالي ١٣ منطقة إدارية كالتالي :

- * منطقة الجوف عاصمتها سكاكا .
 - * منطقة الحدود الشمالية وعاصمتها عرعر .
 - * منطقة تبوك وعاصمتها تبوك .
 - * منطقة حائل وعاصمتها حائل .
 - * منطقة المدينة المنورة وعاصمتها المدينة المنورة .
 - * منطقة القصيم وعاصمتها بريدة .
 - * منطقة مكة المكرمة وعاصمتها مكة المكرمة ، وأهم مدنها مدينة جدة العاصمة الاقتصادية للمملكة .
 - * منطقة الرياض وعاصمتها الرياض .
 - * المنطقة الشرقية وعاصمتها الدمام وأهم مدنها الإحساء .
 - * منطقة الباحة وعاصمتها الباحة .
 - * منطقة عسير وعاصمتها أبها .
 - * منطقة نجران وعاصمتها نجران .
 - * منطقة جيزان وعاصمتها جيزان .
- تبلغ طول الحدود البرية السعودية ٤٥٠٠ كم اما الحدود البحرية فتبلغ ٣٤٠٠ كم منها ٢٤٠٠ حدودا بحرية على البحر الأحمر، تتوسط المملكة منطقة المحيط الهندي وتتحكم في مضيق هرمز وباب المندب وحركة السفن بالبحر الأحمر من وإلى قناة السويس، كما أن الأراضي السعودية تحتوى على أهم المزارات المقدسة لأكثر من مليار ونصف المليار مسلم بالإضافة إلى أهم احتياطات النفط والغاز بالعالم، نظرًا لاتساع البقعة الجغرافية للمملكة الأمر الذي يجعل غزوها أمرًا صعبًا في ظل وجود سلسللة جبال البحر الأحمر من الغرب وتحوط المملكة بغطاء صحراوى كبير مع جميع دول الجوار بالشمال والشرق والجنوب الأمر الذي يستحيل معه تحقيق عنصر المفاجأة، لهذا فإن الوضع الجغرافى للمملكة مريحًا من الناحية العسكرية وداعمًا للقدرات الكلية للدولة وخاصة القدرات الاقتصادية .

القوة العسكرية

في تقرير معهد استوكهولم لأبحاث السلام العالمي SIPRI ٢٠١٤ جاء ترتيب المملكة في المركز الرابع عالمياً في حجم الإنفاق العسكري بإجمالي قدره ٥٨ مليار دولار سنوياً، بينما وحسب ترتيب جلوبال فير عن أقوى جيوش العالم بنفس العام جاء ترتيب الجيش السعودي في المرتبة ٢٥ ضمن ١٢٦ دولة، عبر عن هذا الفارق الكبير بين الإنفاق وترتيب المملكة تصريح ولى العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان حيث قال في حديث له ببداية العام ٢٠١٦ إن هناك أخطاء يجرى الآن تداركها في منظومة الإنفاق على التسليح السعودي بحيث يعكس حجم الإنفاق ترتيب المملكة عالمياً بين الدول الأكثر قدرة عسكرية ومن ضمنها مراجعة عقود التسليح وبيان مدى تلبيتها للحاجات الرئيسية والضرورية لتسليح أفرع القوات المسلحة وبيان مستويات التكلفة ومدى تطابقها وأسعار المشتريات للدول الأخرى (ملمحاً إلى إمكانية وجود فساد ومبالغت في أسعار الشراء) كما تجرى مراجعات شاملة لاستراتيجية المملكة في مجال التصنيع العسكري.

تعتمد المملكة استراتيجية تنوع مصادر التسليح فلديها علاقات عسكرية ممتازة مع أهم مصنعي السلاح بالعالم مثل الصين وروسيا والبرازيل وتركيا وبالطبع الولايات المتحدة والدول الغربية الكبرى، ولكن يمكن القول إنه بصفة عامة غالب تسليح القوات العسكرية للسعودية غربى وتحديداً أمريكى، كما أنها تعتمد في تشغيل منظومتها العسكرية على خبراء أجانب معظمهم أمريكيين وبريطانيين (حسب تصريح كينيث بولاك الخبير السابق في وكالة المخابرات الأمريكية والبيت الأبيض)، تلك نقطة ضعف خطيرة تجعل من القوات العسكرية للمملكة في يد أجنبية وتكون دائماً لخدمة الأهداف الغربية بالمنطقة، في فترات طويلة سابقة كان هناك تطابق شبه كامل بين مصالح المملكة والدول الكبرى وعلى رأسهم أمريكا وبالتالي لم يكن أمر الخبراء الغربيين أمراً ذا قيمة فالقدرات العسكرية السعودية ستتحرك في وقت التهديد لمصالحها ومصالح الدول الكبرى بنفس الوقت ونحو نفس الأهداف أما اليوم وبعد التطورات العالمية والإقليمية لم تعد مصالح المملكة متطابقة مع مصالح الغرب، ولم يعد الاعتماد الكامل على

الدول الكبرى والربط الاستراتيجي بين المصالح مجدداً، فهذا هو أمريكا وفي عهد باراك أوباما ولعقود قادمة تغيير خريطة مصالحها وتذليل منطقة الشرق الأوسط وبالتالي دول الخليج قائمة اهتماماتها وتتصدر أولويات السياسات الخارجية والدفاعية حربها على الإرهاب ومحاصرته ومحاصرة الصين وروسيا المنافس الاقتصادي والعسكري القوى في مناطق النفوذ الأمريكي التقليدية في منطقة بحر الصين حيث الفلبين وماليزيا واندونيسيا وتاييلاند وسنغافورة وأمريكا اللاتينية وقارة إفريقيا حيث مناجم اليورانيوم والذهب والنحاس واحتياطيات النفط والغاز التي لم تكتشف بعد والتي تفوق احتياطيات دول الخليج الحالية، كما أن الاتفاق النووي الإيراني يصب في صالح الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل بينما ستتضرر دول الخليج وهو هدنة ضرورية للغرب لإعادة رسم خططه واستراتيجياته وأهدافه لاحتواء الجمهورية الإسلامية وتطويعها والاستعداد لجولة أخرى من النزاع على مناطق السيطرة والنفوذ أما الدول الخليجية وعلى رأسها المملكة السعودية فستظل طيلة مدة الاتفاق تحت التهديد المباشر لألة الحرب الإيرانية وتحت الضغط السياسي والعسكري الذي تجيده القيادة في طهران وبتفوق، وبينما وضع إسرائيل وتركيا أمام طموحات إيران الإقليمية يكاد يكون متماسكاً ومتفوقاً نوعاً ما يبقى وضع باقي دول الخليج بلا استثناء بلا غطاء حقيقي وعرضة للابتزاز وشتى أنواع الضغوط بعد أن تخلى الغرب والولايات المتحدة عنها وبعد أن سقطت ورقة التوت عن الاستراتيجيات السياسية والعسكرية الخاطئة لغالب دول الخليج وعلى رأسهم المملكة، في منتصف يونيو عام ٢٠١٠ اجتمع وزير الدفاع الإسرائيلي أيهود باراك ونظيره الأمريكي روبرت غيتس ومستشار الأمن القومي جيم جونز كان الاجتماع بشأن قلق إسرائيل من صفقة أمريكية سعودية لشراء عشرات الطائرات من طراز إف ١٥ وتحديث البعض الآخر الموجود بالخدمة لدى المملكة، في نهاية الاجتماع تعهدت الولايات المتحدة بعدم تنفيذ أية صفقات مع المملكة إلا بعد التنسيق والتشاور مع تل أبيب. (لن أعلق، فالكلام واضح ولا يحتاج تفسيراً فألة الحرب السعودية التي بنتها بمئات المليارات من الدولارات مكشوفة بالكامل لدى إسرائيل وهي كتاب مفتوح لدى أصغر رتبة بالجيش الصهيوني) في إبريل ٢٠١٦ وفي حديث لرئيس المخابرات

العامّة السعويّة وسفيرها السابق بواشنطن الأمير تركي الفيصل وأثناء زيارة أوباما إلى الرياض قال إن الأيام الخوالي بين الرياض وواشنطن قد ولت بغير رجعة وأنه يجب التعامل مع واقع أن مصالح البلدين بالمنطقة لم تعد متطابقة وأنه يجب إعادة تشكيل العلاقات من هذا المنطلق.

لم نبدأ كعادتنا سابقًا في سرد القدرات الكمية لمنظومة الدفاع السعويّة فخلال دراستي للقدرات العسكريّة السعويّة بدا الأمر وكأنّ معدات الجيش مؤجّرة من أمريكا وبريطانيا وباقي دول الغرب بأطقم تشغيلها على أن ينتهي الأمر بالتملك بعد أن تنهي المملكة تدريب منتسبيها ليحلوا محل الأجنبي وهو أمر عجيب ولكن سوف أذكر للقارئ ما هو متاح عن الإمكانيات الكمية لآلة الحرب السعويّة التي تتكون من:-

٢٣٣ ألف جنديًا منهم ٧٥ ألفًا بالقوات البرية^(١)، كما تملك المملكة ١٢٠٠ دبابة حديثة غالبها طراز A-1 - M-1 الأمريكية و T-90 S الروسية و ٥٥٠٠ عربة قتال مدرعة (يخضع ١٢٠٠ منهم لقيادة الحرس الوطني) و ٥٢٥ مدفعا ذاتي الحركة و ٤٥٠ مدفعا مجرورا و ٣٢٥ راجمة صواريخ و ١٥٥ مقاتلة اعتراضية و ٢٣٦ طائرة هجومية و ١٨٠ طائرة نقل و ١٧٠ طائرة تدريب و ٢٠٠ مروحية و ٥ طائرات إنذار مبكر و ١١ طائرة تزود بالوقود و ٧ فرقاطات و ٤ سفن كورفيت و ٩ زوارق صواريخ و ١٧ زورق دورية و ٤٤ طائرة عمودية بحرية و ١٤٠ مركبة نقل جنود بحرية، كما تملك المملكة قوات احتياطية قدرها ٢٥٠ ألف جندي.

لقد كان لدى دول الخليج ومصر تجربة رائعة اسمها الهيئة العربية للتصنيع، ضمت كلاً من مصر والسعودية والإمارات وقطر أنشأت عام ١٩٧٥، كان هدفها إنشاء قاعدة تصنيع عسكري متقدمة، لم يستمر المشروع العربي كثيراً دبت الخلافات، باعت دول الخليج أسهمها بالهيئة إلى مصر في العام ١٩٩٣ بقيمة ١.٨ مليار دولار، استكملت مصر المشروع وتملك الهيئة حالياً ١٢ مصنعاً ينتج العديد من أنواع الطائرات والدبابات والعربات المدرعة وأنظمة الصواريخ

(١) منهم ١٦ ألف بقوات الدفاع الجوي و ٢٥٠٠ سلاح الصواريخ الاستراتيجية و ١٠٠-١٢٠ ألف جنديًا بالحرس الوطني وهو المكلف بتأمين الأمن الداخلي للمملكة وحراسة المنشآت المقدسة.

والذخائر والقنابل وأجهزة القيادة والسيطرة وتوجيه الطائرات والصواريخ والإعاقة والتشويش والتصنت والرادارات وأجهزة الرؤية الليلية وأنظمة التسليح الشخصي لأفراد المشاة والقوات الخاصة وغيرها من العتاد الحربي، لنا أن نتخيل كيف كان يمكن أن يكون عليه التصنيع العسكري العربي المشترك لو استثمرت المملكة وحكومات باقي دول الخليج في تلك الهيئة جزء بسيطاً من مئات المليارات التي تنفقها سنوياً وتذهب إلى خزائن الدول الأجنبية للحصول على أنظمة تسليح لا تملك القدرة على تشغيلها ناهيك عن تصنيعها، لن أتطرق في الحديث عن القدرات الكمية للجيش السعودي والتي ذكرناها سابقاً ولكن ليعلم القارئ أن السعودية والتي تملك أسطولاً جويّاً حديثاً ومتطوراً غالبه من طراز F-15 ستريك إيجل الأمريكية المتطورة والتيفون والتورنيدو الإنجليزية لم يستطع وعلى مدار عامين تقريباً من حسم حرب اليمن الحالية وإخضاع ميليشيات الحوثيين خفيفة التسليح ضعيفة التدريب والتي تفتقد لأي قدرات للدفاع الجوي، كما لم يحدث على الأرض أي إنجازات رغم امتلاك المملكة أكثر من ١٢٠٠ دبابة حديثة و٥٥٠٠ عربية مدرعة غالبها من طراز BMP-3، وأكثر من ٢٥٠ ألف جندي نظامي ومثلهم احتياطي، رغم حداثة العتاد الحربي السعودي إلا أن انخفاض مستوى التدريب وافتقاد الخبرات الحربية المتراكمة وغياب الخبراء والفنيين السعوديين المدربين يجعل من تلك الآلة الضخمة ضئيلة التأثير محدودة القدرات.

نظرة سريعة على حجم الذخيرة التي استهلكتها آلة الحرب السعودية خلال عام منذ بداية حربها على اليمن والإنجازات العسكرية التي تحققت يجعلنا نجزم أن هناك خللاً رهيباً في التدريب وانخفاضاً غير مقبول في كفاءة الأفراد قادة وجنوداً، لقد سحبت المملكة أكثر من ١٥٠ مليار دولار من احتياطياتها من النقد الأجنبي وغطاء الذهب لتمويل طلبات سريعة وعاجلة من الذخائر والمعدات حيث لم يكف الاحتياطي السعودي لتلبية حاجات العمليات الأمر الذي يؤكد انخفاض مستوى التدريب وكفاءة الأفراد وعدم دقة وكفاية المعلومات الاستخبارية مما أدى للارتفاع الضخم في معدلات استهلاك الذخائر والمعدات دون نتائج مؤثرة، حرب اليمن مقارنة بحرب إقليمية مع دولة كبرى بالمنطقة كإسرائيل أو إيران تعتبر نزهة وبيئاً تدريبياً بالذخيرة الحية، لو كانت إسرائيل هي من تحارب الحوثيين

لانتشرت فرق الاستخبارات وأقمارها التجسسية وفرقها الإلكترونية قبل العمليات ترصد وتحلل بدقة وبمهارة أهداف الحرب العسكرية والاقتصادية والسياسية^(١).

ثم نشرت ومع بدء العمليات لوائي مظلات ووحدات خاصة ولوائي مدرعات يحاصرون أهم تجمعات الميليشيات بالجبال والمدن وسرايا الاستخبارات والطائرات بدون الأقمار الصناعية وأجهزة التصنت تعمل ليل نهار في تناغم وكفريق عمل محترف تستهدف القادة الحوثيين ومؤيديهم وتبث الرعب في قلوبهم ثم يأتي سلاح الجو الإسرائيلي فينهي الحرب خلال شهرين بعد أن يكون قد دمر البنية التحتية العسكرية لميليشيات الحوثي وخطوط إمدادهم وفي النهاية تكون إسرائيل قد انتزعت المبادرة وسادت الأرض والجو وأجبرت الجميع على التفاوض بشروطها ووفق أجندتها، لا أعلم أين ذهبت عشرات المليارات من الدولارات، القمر الصناعي الواحد الجيد لأغراض التجسس يتكلف ١٥٠-٢٠٠ مليون دولار كان من المنطقي أن مليارًا أو اثنين من الـ ٥٨ مليار دولار التي تنفقها المملكة سنويًا يوفر للمملكة شبكة قوية من عشرات الأقمار الصناعية لسنين عديدة قادمة تؤمن لها تفوق استخباراتي على جميع دول المنطقة وتمدها بسيل من المعلومات الدقيقة لا يقدر بثمن ويضمن لها شبكة اتصالات وقيادة وسيطرة آمنة وقوية، يبدو أن شبكة الأقمار الصناعية السعودية الحالية غير فعالة أو لا يتم استغلالها الاستغلال الأمثل، لا أعلم ماذا يجري بمشروعات التدريب السنوية لمختلف أفرع القوات بالسعودية؟، كما لا أعلم كيف يتم اتخاذ القرار بشأن خطط التسليح السنوية وخطط التصنيع الاستراتيجية؟ وما أسس احتساب مخزونات الذخائر ومعدلات استهلاك المعدات؟ أرجو وبعد تصريحات ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان أن نشهد تناميًا ملحوظًا للقدرات العسكرية السعودية تساوى الكم الهائل من النفقات وأن تكون القدرات حقيقية وليست وهمية، لنا في التجربة المصرية قبل عام ١٩٦٧ نموذجًا لصناعة الوهم حتى صدقه من صنعه. كما أرجو ان تبدا القيادات السعودية مفاوضات

(١) قد تكون المملكة قامت بهذا ولكن الواضح أنها اتسمت بالعشوائية وعدم الدقة والشمول والكفاية

جادة وسريعة مع اليمنيين بكل طوائفهم السياسية بغرض خروج امن وسريع من المستنقع اليمنى الذي يستنزف خزائنها دون امل في نجاح أو تفوق كان يمكن ان يكون مضمونا بلوغه لو انفق جزءا من نفقات الحرب على شيوخ القبائل والعشائر ورؤساء الاحزاب اليمنيين، عدة مليارات من الدولارات تنفق على مشروعات اجتماعية وصحية يستفيد منها الشعب اليمنى بكل مكوناته كانت كفيلة باكتساب نفوذا شعبيا وسياسيا باليمن يضمن مصالحها ويعادل النفوذ الايرانى على ارض اليمن، كما نعتقد ان الحل الوحيد لانهاء حرب اليمن وبسرعة هو التفاوض مع الايرانيين، استمرار الحرب واطالة امدها يعنى استنزاف المملكة عسكريا واقتصاديا ويعنى امكانية نقل ارض المعركة الى داخل الحدود السعودية وهو الامر الذي لو حدث لكان سببا في اقتتال داخلى بين مؤيدى الحرب وعلى راسهم الامير محمد بن سليمان وباقى اعضاء العائلة المالكة المناوئين اصلا لولايته عهد والده الملك سلمان، اى مواجهات عسكرية ضخمة بجنوب المملكة ايا كانت نتائجها كفيل باسقاط الملك وولى عهده بل تقسيم المملكة، لهذا فانى ارى خطورة بالغة وعواقب جسيمة لاستمرار تلك الحرب العنيفة التي دمرت اليمن في كارثة انسانية وصفتها الامم المتحدة في اواخر اكتوبر ٢٠١٧ بانها الكارثة الانسانية الاكبر على ظهر الارض.

○ القدرات الصاروخية والنوية الاستراتيجية السعودية

يعتقد على نطاق واسع أن السعودية هي الممول الرئيسي لبرنامج باكستان النووى كما أنها الممول الرئيسي لاقتصادها، من غير المؤكد نقل أي من القدرات النووية الباكستانية إلى أراضي المملكة وإن كانت هناك تقارير غربية تتحدث عن هذا وبخاصة بعد المعلومات التي أعلن عنها المنشق الدبلوماسى السعودى محمد الخليوى في العام ١٩٩٤ والذي أعلن اللجوء إلى الولايات المتحدة بذلك الوقت، كما يدعم تلك التقارير شراء المملكة الصاروخ الصينى CSS -5 - DF -3 دونج فانج المعروف برياح الشرق القادر على حمل الرؤوس النووية والتقليدية ويصل مداه إلى ٢٨٠٠ كم وارتفاعه ٥٧٠ كم وحمولته حتى ٣طن.

يقدر ما تملكه المملكة من هذا الصاروخ ١٠٠-١٥٠، كما تمتلك عدد غير معروف من النسخة الأحدث والأدق لنفس العائلة من طراز DF-21. أيضًا تشير صور الأقمار الصناعية الإسرائيلية إلى وجود قواعد صاروخية بالستية محصنة تحت الأرض ولكن أبعادها لا تناسب الصواريخ الصينية وتبدو أقرب إلى أبعاد ومواصفات الصاروخ الباكستاني من عائلة كروز حنف ٧ الذي يصل مداه من ٧٥٠-١٠٠٠ كم وسرعته أقل قليلاً من سرعة الصوت ويعمل بالوقود الصلب وهو قادر على حمل رؤوس تقليدية أو نووية حتى ٧٠٠ كجم.

○ الأقمار الصناعية السعودية

بدأت المملكة برنامجها الفضائي بتصنيع الأقمار الصناعية بالاشتراك مع فرنسا في العام ١٩٨٥ وقد بدأ التعاون بينهما بإنتاج سلسلة الأقمار عرب سات A-1 & B-1 & C-1 وهي أقمار مخصصة للاتصالات زنة ١٢٠٠ كجم تقريباً، في العام ١٩٩٢ أطلقت المملكة القمر عرب سات A-2 وهو أيضًا مخصص للاتصالات ووزنه حوالي ٢٥٠٠ كجم، في العام ١٩٩٦ أطلقت الأقمار عرب سات A-3 & B-2 ويزن القمر الواحد منهما ٢٥٠٠ كجم، في العام ١٩٩٩ أطلقت القمر بدر ١- وهو من سلسلة القمر عرب سات A-4 ووزنه ٣٣٤١، في العام ٢٠٠٦ أطلقت المملكة قمرين هما بدر ٣ وبدر ٦ عرب سات B-4، C-4 زنة ٣٤٠٠ كجم، وهي أقمار أيضًا للاتصالات، ثم في عام ٢٠٠٨ أطلقت القمر عرب سات A-5 ويزن ٤٠٠٠ كجم وجميع الأقمار السابقة تعمل حتى الآن، في العام ٢٠١٠ أطلقت المملكة قمرها عرب سات B-5 ويزن حوالي ٥٠٠٠ كجم، في العام ٢٠١٢ أطلقت المملكة الأقمار عرب سات A-6 & B-6.

بهذا تملك المملكة ١٤ قمرًا صناعيًا مخصصة للاتصالات ويمكن استخدامها في الأغراض العسكرية من الإنتاج المشترك مع الشركتين الفرنسيتين

THALES ALENIA SPACE & ASTRIUM/Aerospatiale

أيضًا تقود الشركة السعودية للتنمية والاستثمار التقني (تقنية) بالاشتراك مع مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية برنامج التصنيع والتصميم المحلي للأقمار الصناعية لكافة الاستخدامات المدنية والعسكرية، كما تقوم أيضًا بالاستثمار بمجال التصنيع العسكري.

في العام ٢٠٠٠ أطلقت المملكة أول سلسلة أقمارها التجريبية المصنعة محلياً سعودي سات A-1 / B-1 / في ٢٦ سبتمبر ٢٠٠٠ وزن كل قمر حوالي ٢٠ كجم ومداره على ارتفاع ٦٥٠ كم ويستخدم في التصوير والاستثمار عن بعد. في الثاني من ديسمبر ٢٠٠٢ أطلقت السعودية قمرها الثالث من طراز سعودي سات C-1- ج وزنه أيضاً ٢٠ كجم وارتفاع مداره ٦٥٠ كم ويستخدم للاتصالات.

في ١٤ يونيو ٢٠٠٧ أطلقت المملكة القمر سعودي سات ٢- ووزنه ٣٥ كجم وارتفاعه ٦٥٠ كم ويستخدم في الاتصالات.

في العام ٢٠٠٤ أطلقت المملكة سلسلة أقمارها سعودي كمسات ١ ، ٢ بوزن أيضاً ١٢ كجم ومدار ٦٥٠ كم ويستخدم أيضاً للاتصالات.

في العام ٢٠٠٧ أطلقت السعودية سلسلة أقمار سعودي كمسات ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ وهو مماثل لمواصفات نفس العائلة كمسات ١ ، ٢

في العام ٢٠٠٧ أيضاً أطلقت المملكة القمر سعودي سات - ٣ بوزن ٢٠٠ كجم ومدار ٦٥٠ كم ويستخدم لأغراض المراقبة والتصوير.

في العام ٢٠١٤ أطلقت المملكة القمر سعودي سات - ٤ وهو الأحدث في سلسلة أقمارها المحلية الصنع وقد تم تطويره بمدينة الملك عبد العزيز بالاشتراك مع جامعة ستانفورد الأمريكية واحد المراكز التابعة لوكالة ناسا، هو قمر مخصص للاستشعار عن بعد وإجراء التجارب العلمية ونقل البيانات، كما تمتلك السعودية القمر الصناعي أوسكار ٥٠ وهو مخصص لهواة الراديو بالعالم وقد أطلقته جامعة الملك عبد العزيز وهو من تصميم وتصنيع الجامعة ويستخدم الطاقة الشمسية كمصدر للطاقة.

في بداية العام ٢٠١٦ وقعت شركة تقنية الاتفاقيات التالية بغرض التصنيع المحلي للطائرات العسكرية والمدنية والأقمار الصناعية والرادارات:-

- اتفاقية تصنيع الطائرة بلاك هوك بالمملكة بالاشتراك مع شركة سايكروسكي الأمريكية.

- اتفاقية تصنيع طائرة النقل الخفيفة AN-132 بالاشتراك مع شركة انتونوف الأوكرانية كما سوف يتم إنتاج طائرات النقل الثقيل والمتوسط لتلبية الطلب

- الضخم للمملكة على هذا النوع من الطائرات للاستخدامات العسكرية والمدنية ومهام الإخلاء الطبي والاستطلاع الجوي والبحرى.
- اتفاقية الشراكة مع شركة ديجيتال جلوب الأمريكية لتصنيع مجموعة من الأقمار الصناعية الصغيرة المخصصة للتصوير الفضائي والاستطلاع بدقة تباين ٨٠ سم.
 - اتفاقية تصنيع مشترك مع شركة أسلسان التركية بغرض تصنيع معدات وأنظمة الحرب الإلكترونية والرادارات والكهروبصريات.
- لقد انتهت المملكة لضرورة التصنيع الحربى وأصبحت عقود المشتريات العسكرية تحتتم تصنيع ١٠% من قطع الغيار سريعة الاستهلاك داخل المملكة كما تخطط الحكومة وعلى مدار عقدين بداية من العام ٢٠١٦ إلى الوصول بمعدلات التصنيع المحلى من الاسلحة والذخائر إلى ٧٠%.
- الحقيقة أن المملكة ما زالت تستثمر وبمعدلات ضخمة في تعزيز ترسانتها العسكرية ومن أبرز الصفقات التي أبرمتها حكومة المملكة خلال الفترة الفترة ٢٠١٢ - ٢٠١٧ ما يلى :-
- في العام ٢٠١٢ أبرمت المملكة عقودًا مع ألمانيا بقيمة ٢ مليار يورو لتأمين حدود المملكة بشبكة إلكترونية متقدمة.
 - في العام ٢٠١٢ أيضًا اتفقت المملكة مع روسيا على توريد ١٥٠ مروحية هليكوبتر من طراز مى ٣٥ و١٥٠ دبابة تى ٩٠ إس و٢٥٠ عربة نقل مشاة مدرعة طراز BMP-3.
 - في العام ٢٠١٤ وقعت المملكة صفقة بقيمة ٤ مليارات يورو مع فرنسا لشراء أنظمة دفاع جوى من طراز كروتال وقطع بحرية وصواريخ مضادة للطائرات ورادارات بحرية وتجهيزات طبية للمستشفيات الميدانية.
 - فى العام ٢٠١٥ وقعت أيضًا مع فرنسا صفقة بقيمة مليار يورو لشراء ٢٣ طائرة هليكوبتر خفيفة طراز H-145.
 - أبرمت المملكة صفقة مدرعات كندية بقيمة ١.٣ مليار دولار.
 - صفقة طائرات إنذار مبكر أوإكس مع الولايات المتحدة بقيمة ٢ مليار دولار.
 - صفقة لشراء ١٥٠ دبابة باكستانية طراز الخالد بقيمة ٦٠٠ مليون دولار.

- صفقة شراء ٧٢ طائرة قتال بريطانية طراز يوروفايتر تايفون بقيمة ٤.٥ مليار يورو.
- صفقة صواريخ تاو الأمريكية المضادة للدروع ونظام الدفاع الجوي ضد الأهداف العالية THAAD ونظام الدفاع الجوي ضد الأهداف المنخفضة باتريوت باك - ٣ بقيمة ١.٧ مليار دولار.
- صفقة لشراء ٦٩ دبابة أمريكية طراز أم ١ ايه ١ بقيمة ١٣٢ مليون دولار.
- صفقة شراء طائرات نقل أمريكية ب ٧ مليارات دولار.
- صفقة لشراء طائرات BC21 السويدية.
- في منتصف ٢٠١٧ وقعت المملكة صفقة سلاح مع الولايات المتحدة قدرها ١١٠ مليار دولار تشمل شراء دبابات وطائرات مقاتلة وتحديث بعض الاسلحة التي لديها ومنظومات حرب الكترونية ومعدات اتصالات.
- في نهاية ٢٠١٧ وقعت المملكة صفقة مع روسيا لشراء منظمة الدفاع الجوي اس - ٤٠٠ وبعض الاسلحة والمعدات الحربية الاخرى في صفقة بلغت ١٢ مليار دولار.

○ الاستخبارات العامة السعودية

تأسست في العام ١٩٥٧ وهي بهذا من المخابرات العريقة بالمنطقة (المخابرات العامة المصرية انشئت عام ١٩٥٤)، غالبًا تتحفظ المخابرات وبشدة عن عملياتها، كما أن المعلومات عنها ضئيلة إلا أننا يمكن الجزم بأن المخابرات السعودية نشطة وأنه منذ العام ٢٠٠٥ وتحت وطأة الهجمات الإرهابية القاسية التي كانت تضرب المملكة وتسبب لها حرجًا داخليًا وخارجيًا جرى إعادة هيكلة صحيحة في اتجاه تحديث أساليب العمل داخل الاستخبارات ودعمها ماليًا وتقنيًا بالاشتراك مع الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية وأيضًا المخابرات الباكستانية ISI، من أشهر عمليات جهاز المخابرات السعودي ما يلي :-

- ١- تأمين الاستحواذ على صفقة الصواريخ الباليستية الاستراتيجية الصينية رياح الشرق التي فاجأت بها المملكة العالم وأبرز حلفائها ولم ينتبهوا لها إلا وهي داخل قواعدها المحصنة تحت الأرض.

- ٢- تأمين وصول الأسلحة والمساعدات إلى المجاهدين الأفغان أثناء الحرب السوفيتية الأفغانية بثمانينات القرن الماضي.
 - ٣- تمويل وتأمين وصول الأسلحة إلى المقاومة الإسلامية بحرب البوسنة والهرسك بتسعينيات القرن الماضي.
 - ٤- في عام ٢٠٠٩ حذرت الاستخبارات السعودية الولايات المتحدة من هجوم إرهابي كبير لتنظيم القاعدة باستخدام طابعات مفخخة كان مخططًا إرسالها إلى الأراضي الأمريكية عن طريق شركة UPS.
 - ٥- في العام ٢٠١٢ ونتيجة معلومات استخباراتية سعودية أبطلت الولايات المتحدة هجومًا إرهابيًا للقاعدة عن طريق تفخيخ أحد الانتحاريين المسافرين على أحد الطائرات الأمريكية.
 - ٦- في مارس ٢٠١٥ حررت القنصل السعودي بعدن عبد الله الخالدي من أسر القاعدة.
 - ٧- في إبريل ٢٠١٥ وبناء على معلومات استخباراتية قام سلاح الجو السعودي باستهداف مخازن الصواريخ الباليستية والأسلحة الثقيلة لميليشيات عبد الله صالح والحوثي بطائرات إف ١٥.
 - ٨- حسب تقرير الفينانشيال تايمز مايو ٢٠١٣ تم تصنيف المملكة وجهاز استخباراتها بأنه أكبر ممول للجيش السوري الحر وأن المساعدات العسكرية والمالية الضخمة التي مولتها المملكة كانت السبب الرئيسي للنجاحات التي حققها الجيش السوري الحر ضد الجيش النظامي ونظام الأسد بدمشق في ذلك الوقت.
 - ٩- استطاعت المخابرات السعودية تجنيد عبد الله جابر أحد أبرز القادة بأريتريا الذي بدوره أمد المملكة بمعلومات عن علاقة النظام الأريتري بإسرائيل وتنظيم الشباب الصومالي.
- بصفة عامة مستوى المخابرات السعودية في ارتفاع مستمر كما أن رقعة أنشطتها تتزايد، الدعم المادي السخي الذي تتلقاه من الحكومة يسهم في زيادة إمكانياتها البشرية وقدراتها على تجنيد الآلاف من العملاء بكافة الدول المهمة بنطاقها الحيوي (لا توجد معلومات دقيقة موثقة عن حجم ميزانية الاستخبارات السعودية السنوية إلا أنه يتم تداول أرقام تتراوح بين آل ٦ مليارات إلى

١٠مليارات دولار أمريكي)، كما أنه لا توجد أية قيود على تكنولوجيا التجسس الإلكترونية والتصنت والاستطلاع الفضائي التي تتدفق على المملكة الأمر الذي يجعل من المخابرات السعودية جهازًا نشطًا وقديرًا له نفوذه الملحوظ في اوساط المثقفين والاعلاميين وبعض السياسيين باهم الدول الاقليمية والعالمية.

عمومًا السعودية تتميز بقدرات عسكرية متميزة ولكنها ليست كافية لمواجهة التهديدات الإقليمية بالمنطقة ولا تكفي أبدًا لدولة لديها طموح الزعامة على كامل الشرق الأوسط وجنوب غرب آسيا، تحتاج المملكة إلى إنشاء جيشها الإلكتروني كما تحتاج إلى وسائل ردع فوق تقليدية وسريعًا، أيضًا تحتاج إلى تعزيز إمكانيات التصنيع المحلي للأسلحة الثقيلة ومختلف أنواع الذخائر، لقد ثبت فشل الاعتماد على العلاقات الدولية الاستراتيجية في تأمين حاجات المملكة الدفاعية لسبب بسيط أن تلك العلاقات ليست ثابتة بل متغيرة ومن الخطأ الجسيم التخطيط لحاجيات الدولة وتأمين أمنها على متغيرات، إسرائيل وتركيا وإيران تتنافس وتتسابق حاليًا في برامج تصنيع محلية متقدمة لمختلف أنواع الأسلحة والذخائر كما أن كلاً منهما يمتلك القدرات الاقتصادية والتصنيعية الضرورية لبرامج فضائية متميزة ومتقدمة وكلاً لديه قدرات نووية وكيماوية وبيولوجية متفوقة، الحقيقة أن المملكة تأخرت كثيرًا في ريادة تلك المجالات الحيوية المهمة والاتفاق الأخير بين إيران والغرب كشف أمورًا كثيرة وجملته من الأخطاء في السياسات والاستراتيجيات الدفاعية للمملكة وإن كان الاتفاق وكما نكرر فرصة للتقاط الأنفاس فإن المملكة عليها عبء كبير لتعويض سنوات عديدة فاتت.

القوة السياسية



(صورة الملك سلمان ملك السعودية والأمير محمد بن سلمان ولي العهد)

حين ناقش القوة السياسية للمملكة العربية السعودية فإننا نتكلم عن الحقائق التالية.

- ١- يقع الحرمين الشريفان (مكة والمدينة) داخل حدود المملكة ويمثلان أهم مدنها، من يسيطر على تلك المدينتين المقدستين يهيمن ببساطة على النفوذ السياسي والثقافي في ٥٧ دولة مسلمة تغطي مساحة قدرها ٣٢ مليون كم مربع، ومشاعر أكثر من مليار ونصف المليار مسلم.
 - ٢- تسيطر المملكة على حصة قدرها ٢٠% من سوق بيع منتجات النفط والغاز بالعالم، يوم أوقف الملك فيصل البترول عن الدول الغربية الداعمة لإسرائيل بحرب ١٩٧٣ عادت الخيول والحمير تظهر بشوارع الغرب كوسيلة من وسائل المواصلات في مشهد أعاد الغرب بكل تقدمه وحضارته قرنًا كاملاً للوراء، البترول سلعة استراتيجية وليس سلعة تجارية استهلاكية كما يكتب بالإعلام أو يردده بعض المسؤولين الحكوميين العرب وتجدد المملكة استخدام تلك الورقة جيدًا حيث تتحكم بأسعار النفط عالميًا حين تريد.
 - ٣- السعودية تملك ثالث أكبر احتياطي سيادي دولارى نفدى بالعالم بعد الصين واليابان، كما أن لديها خططًا لاستثمار أكثر من ١٠٠٠ مليار دولار في مشروعات واستثمارات داخل وخارج المملكة، ما يعنى ملايين فرص العمل وآلاف المشروعات الكبرى التي تسيل لها لعاب أهم حكومات وشركات ومؤسسات العالم، تلك القدرات الاقتصادية والمالية الضخمة وموقع المملكة ضمن أهم عشرين اقتصادًا بالعالم يجعل لها ثقلًا سياسيًا رائعًا لدى أهم عواصم العالم التي تسعى دائمًا نحو المكاسب الاقتصادية والصفقات الضخمة في جميع المجالات وبخاصة المجالات العسكرية والمملكة من أهم الدول التي تستثمر في هذا المجال، لقد ذكرنا مرارًا أن القدرات الاقتصادية تدعم السياسة والسياسة تدعم الاقتصاد.
- أرجو أن لا يندهش القارئ حين يعلم أن مركز ثقل النفوذ السياسي والاقتصادى بمنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا قد بدأ في التحول تدريجيًا من مصر إلى المملكة منذ هزيمة ٦٧ يومها فقدت مصر ٨٥% من معدات جيشها ودمرت مدن القناة تقريبًا وعددًا لا بأس به من المصانع والمرافق وحرمت الحرب

مصر من عوائد قناة السويس التي كانت تمثل ٤% من الناتج المحلى الإجمالى لها بذلك الوقت واضطرت الحكومة المصرية إلى طبع أوراق البنكنوت لتمويل نفقات حرب الاستنزاف الأمر الذي ولد موجات تضخمية هائلة ضغطت على الاقتصاد وهوت بالجنيه المصري من مكانته الإقليمية والعالمية الكبيرة بذلك الوقت إلى أن يصير عملة غير قابلة للصرف خارج حدود الدولة بعد أن كان من أقوى العملات وأكثرها قيمة، قدرت خسائر مصر بتلك الحرب وكما قال رئيس وزراء مصر السابق عزيز صدقى بـ ٢٥ مليار دولار^(١) حتى يدرك القارئ حجم الجريمة التي ارتكبتها جمال عبد الناصر في حق مصر عليه أن يعلم أن مشروع مارشال لإعادة إعمار أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية وإعادة تشغيل مصانعها تكلف ١٢.٩ مليار دولار أي أن مصر خسرت ضعف الموارد المالية المطلوبة لإعمار قارة أوروبا كاملة بعد الحرب العالمية الثانية.

كانت الرياض ثانى أكبر ممول يدعم مصر اقتصادياً بعد الكويت بحجم قدره ٥٠ مليون جنيه استرليني سنوياً طوال فترة حرب الاستنزاف (مقررات مؤتمر قمة الخرطوم ٦٧)، تدريجياً بدأت الهوة الاقتصادية والسياسية تزداد بين مصر والمملكة لصالح السعودية إقليمياً ودولياً حتى وصل الأمر إلى الانفراد الكامل للرياض بالنفوذ والسيطرة الكاملة العام ٢٠١١ حيث ظهر الانهيار الكامل لأركان الدولة المصرية ورخاوتها وبات الجيش المصري المؤسسة الوحيدة التي استطاعت أن تنجو من فساد عقود عديدة سابقة تميزت بتخبط السياسات وسوء الحكم وسيطرت جماعات المصالح في تزواج واضح بين النخب الأمنية والسياسية والتنفيذية ورجال الأعمال، اليوم نظام الحكم في مصر يعتمد اعتماداً كلياً على الدعم السخى الذي تقدمه الرياض وبعض دول الخليج لصفقات تسليحه ودعم نفوذه السياسى والاقتصادى بالمنطقة والعالم، اليوم النفوذ السعودى بجميع دول الخليج وكامل منطقة الشرق الأوسط والعالم أكبر بكثير من النفوذ المصرى، كما أن علاقات السعودية مع تركيا وإيران وإثيوبيا وأريتريا أفضل من علاقات مصر مع تلك الدول المهمة، الدبلوماسية السعودية بالأمم المتحدة ورابطة العالم

(١) ١١ مليار جنيه مصرى بأسعار تلك الفترة.

الإسلامي ومنظمة التعاون الإسلامي أكثر حضورًا وتأثيرًا من الدبلوماسية المصرية كما أن أهمية المملكة لدى أهم العواصم الغربية أعظم وأكثر نفوذًا، أن الاقتصاد الضخم للمملكة يدعم السياسة بنفس قدر ضخامته وأهميته، تراجع الاقتصاد المصري ومشكلاته أثرت سلبيًا وبقوة على عناصر القوة الشاملة المصرية وبخاصة النفوذ المصري التقليدي حتى في أهم مناطق نفوذها التقليدية بليبيا والسودان وسوريا وفلسطين، حتى إثيوبيا تستطيع حكومة المملكة وعن طريق الملياردير السعودي محمد العمودي (الإثيوبي من ناحية الأم) أن تؤثر في اقتصادها وبالتالي سياستها بما يخدم مصالحها نتيجة الاستثمارات الضخمة التي يملكها العمودي بأديس أبابا وجميعها تمت بمباركة المملكة ورعايتها، كما أن النفوذ الإسرائيلي بإثيوبيا راسخ الجذور وكما أوضحنا سابقًا ومنذ خمسينيات القرن الماضي بفضل علاقاتها المتشعبة مع أهم زعماء القبائل وحكومة المركز بأديس أبابا.

الحقيقة أن للسعودية نفوذًا رائعًا بالمناطق الرئيسية المهمة بالعالم ولها علاقات سياسة ممتازة مع أهم العواصم السياسية والاقتصادية بالعالم، حيث تنتشر سفاراتها في ٧٧ دولة ولها ١٣ قنصلية و ٣ وفود ومكتب تجاري (موقع وزارة الخارجية السعودية) ومن ما هو جدير بالذكر أن أول بعثة دبلوماسية سعودية كانت وجهتها إلى القاهرة سنة ١٣٤٨ هجرية ١٩٢٩ م، السعودية عضوة بالمنظمات الإقليمية والدولية التالية:- مجلس التعاون الخليجي - جامعة الدول العربية - الأمم المتحدة - حركة عدم الانحياز - رابطة العالم الإسلامي - منظمة التعاون الإسلامي - مجموعة العشرين - منظمة الأوبك - منظمة التجارة العالمية - منظمة التنمية الدولية - مؤسسة التمويل الدولية - وكالة ضمان الاستثمار متعدد الأهداف - البنك الإفريقي للتنمية - الصندوق العربي للإنماء - البنك الآسيوي - صندوق النقد العربي.

نظام الحكم بالسعودية ملكي مطلق حيث يرأس الملك مجلس الوزراء وينوب عنه ولي العهد في بعض المهام وهو بنص النظام الأساسى للحكم يجب أن يتفرغ تمامًا لمعاونة الملك في أمور الحكم وهو حسب النظام الأساسى للدولة نائب رئيس الوزراء الأول، في حالة عجز الملك يقوم ولي العهد وبناء على قرار من هيئة البيعة بتسلم الحكم مؤقتًا وعند وفاة الملك تنصب هيئة البيعة ولي العهد

ملكاً على أن يختار الملك لاحقاً ولياً للعهد بالاشتراك مع هيئة البيعة، في حالة خلو منصبى الملك وولى العهد تقوم هيئة البيعة بإدارة شئون البلاد على أن تختار ملكاً للبلاد ضمن أبناء الملك المؤسس عبد العزيز أو أحفاده خلال سبعة أيام، هيئة البيعة مكونة من أبناء الملك عبد العزيز أو من ينوب عنهم من أبناء الأبناء (في حالى المرض أو الوفاة) ويرأسها حالياً أكبر أبناء الملك عبد العزيز الحاليين سناً الأمير مشعل بن عبد العزيز.

يساعد الملك مجلس الشورى وهو ليس ملزماً في قراراته بل هو مجلس مكون من ١٥٠ عضواً يختارهم الملك من ذوى الاختصاص والعلم في مجالات عديدة مختلفة يقدمون المشورة والاقتراحات للملك، وقد يناقشون بعض القوانين والدراسات، يتم تغيير أعضاء مجلس الشورى كل ٤ سنوات وينص نظامه الأساسى على ضرورة تجديد نصف أعضائه على الأقل كل ٤ سنوات ويشكل بأمر ملكى قبل انتهاء فترته بشهرين على الأقل، كما أن هناك هيئة مهمة من أركان الحكم بالمملكة تسمى هيئة الخبراء هي تابعة لمجلس الوزراء وتتبع الديوان الملكى مباشرة يقوم دورها على المراجعات الدورية للقوانين وأنظمة العمل التي تحكم مؤسسات الدولة ورفع تعديلاتها المطلوبة عند الضرورة إلى جلالة الملك لمناقشتها في مجلس الوزراء كما تقدم تلك الهيئة المشورة والرأى للهيئات الشبيهة في الوزارات المختلفة، لا توجد أحزاب بالسعودية أو انتخابات تشريعية أو تنفيذية فالسلطات جميعها مركزة بيد الملك ومجلس الوزراء، الملك يرأس الحكومة ويضع التشريعات الضرورية للبلاد ويتابع الجهات التنفيذية حيث يجب على جميع الوزارات تقديم تقرير إلى الديوان الملكى كل ٩٠ يوماً عن سير العمل بها ومدى تنفيذها لقرارات الملك وأوامره الملكية وتوصياته، كما أن سجل المملكة في مجال الحريات العامة لا يرقى إلى المستوى الدولى بالدول الكبرى أو المتقدمة حيث يحظر القانون التظاهر ولا يسمح بالتعبير عن الرأى بالجرائد ووسائل الإعلام إلا الآراء المتفقة مع التوجهات والسياسات الحكومية، كما أن الأمن يلاحق المعارضين وبقوة، تحتل المملكة الترتيب ١٦٤ عالمياً في مؤشر حرية الصحافة للعام ٢٠١٤.

القضاء بالمملكة قضاء شرعي يستمد أحكامه من الشريعة وهو من درجتين ويشرف مجلس القضاء الأعلى على شئون المحاكم بمختلف درجاتها وشئون القضاة ورعايتهم، يعتبر القضاء بالسعودية قضاءً مستقلاً نوعاً ما ولكنه لم يحدث في تاريخه كله أن أصدر أحكاماً تخالف التوجهات العامة للدولة أو تنتقد سياساتها.

نظام سياسي مقترح ليواكب تغيرات العصر بالسعودية

بصفة عامة تحتاج المملكة إلى إعادة هيكلة نظامها السياسي إذا ما أرادت تأمين جبهتها الداخلية من نقطة ضعف واضحة وخطيرة، والتأسيس لنظام حكم سياسي محترم لعشرات السنين القادمة دون ضعف أو اضطرابات أو رخاوة في البنية الادارية، ملف صلاحيات الملك المطلقة والحريات الأساسية للمواطنين في حاجة إلى دراسة شاملة نزيهة يتجرد فيها أولى الأمر من أنانيتهم وتكون مصلحة البلاد والعباد هي المحرك الرئيسي لجميع سلطات الدولة، الملكيات المطلقة وكذلك الديكتاتوريات الجمهورية المطلقة أصبحت من الماضي وتاريخ نأخذ منه العبرة والحكمة وليس واقعاً وأسلوباً للحكم وسياسة وطن يطمح أن يكون له مكان مميز بين الأمم، تكلفة الديكتاتورية المطلقة ضخمة^(١) ولولا الإيرادات المستمرة من صادرات النفط والغاز لما استطاعت المملكة أن تصل إلى ما وصلت إليه اليوم، أتفهم دوافع الآباء المؤسسين الأوائل في اتباع الأساليب الديكتاتورية في الحكم في البدايات الأولى لوضع أسس الدولة وترسيخ دعائم الحكم أما اليوم وبعد انخفاض معدلات الأمية إلى معدلاتها الدنيا وارتفاع مستوى معيشة المواطنين نتيجة عوائد النفط والغاز الضخمة وارتفاع نسبة الشباب بين قطاعات السكان وزيادة الوعي الديني والسياسي والاقتصادي لجموع المواطنين نتيجة كفاءة النظام التعليمي فإنه بات من الواجب توسيع مساحات الحريات العامة للمواطنين واعتماد تطبيق الأساليب الديمقراطية الحديثة في الحكم، كما أن الاستقلال الكامل للسلطة القضائية ضمانة رئيسية لسلامة أسس الحكم ومحاربة الفساد وتحقيق العدالة التي بدونها لا يستقيم ولا يستقر الملك.

(١) متوسط فاتورة الفساد السنوية بالمملكة حوالي ١٠٪ من ناتجها المحلي الإجمالي.

من الممكن تعديل نظام الحكم الإيراني ليناسب نظام حكما سعوديا اكثر تطورا مما هو عليه النظام الملكي الحالي، بتعديلات بسيطة في النظام الإيراني يمكن ان يحتفظ الملك بصلاحياته الكبيرة مثل صلاحيات مرشد الثورة الإيرانية وان يكون محورا للسلطات وفي نفس الوقت يتمتع الشعب السعودي بالحرية في انتخاب مشرعيه ونوابه في تجربة يستحقها مثل غيره من شعوب العالم المتقدم بنفس صلاحيات مجلس الشورى الإيراني . كما يمكن ضمان دورا تشريعيا رقابيا لعائلة آل سعود يماثل دور مجلس تشخيص مصلحة النظام ومجلس خبراء القيادة مع ضمان الدور الحالي للمؤسسات الدينية كما هو بمجلس صيانة الدستور .

القوة الاجتماعية

○ الأمن الداخلي

توفر العائدات النفطية الضخمة الموارد المالية الضرورية لتمويل قوات أمنية سعودية مدربة وحديثة متطورة، من المعلوم أن مدن المملكة من أقل مدن العالم في معدلات الجريمة، حوالي جريمة قتل لكل مائة ألف نسمة في حين أن المتوسط العالمي ٦ جرائم لكل ١٠٠ ألف نسمة، من يزور المملكة من أجل العمل أو الحج أو العمرة يلمس مدى الاحترافية التي تميز قوات الأمن الداخلي ودقة انتشارهم وكفاية تجهيزاتهم وتدريبهم وأيضاً أخلاقهم، سوف يلاحظ الزائر ما يلي :-

- ١- التواجد الملحوظ لقوات الأمن الداخلي بأهم الأماكن بالمدن وبالشوارع الرئيسية وعلى الطرق السريعة، مزودة بسيارات حديثة وأجهزة لاسلكية واتصالات متطورة.
- ٢- سوف يلاحظ مدى التدريب الراقى لأفراد الأمن الداخلي في تعاملهم مع المواطنين والأجانب وكيف يتم المزج بين الأدب الجم وأهداف تطبيق القانون ومنع المخالفات.
- ٣- إذا صادف وتركت سيارتك بأحد المناطق غير المخصصة لذلك قبل أن تباعد عن سيارتك بخطوات ستجد سيارة من سيارات الأمن الداخلي (الشرطة) تنادى عليك من خلال مكبر للصوت وتطلب منك بأدب لا يخلو من حزم أن تتحرك بسيارتك إلى الأماكن المخصصة لجراج السيارات.

- ٤- أماكن نقاط التفتيش الثابتة والمتحركة لا يمكن أن تكون سببًا لاختناق مروري بل تتم باحترافية شديدة تكفل تأمين تلك النقاط وفي نفس الوقت التأكد من المشتبه بهم دون تعطيل المرور أو التسبب في تعطيل انسياب حركة المواطنين.
- ٥- لا يمكن لأي شركة أو محل تجارى أن يخترق القانون ويقوم بعرض بضاعته أمام محله أو شركته، كما أن الأمن العام يحرص على تطبيق القانون ويحفظ هيبة الدولة وحقوق المواطنين في المرور وضمان انسياب حركة المواطنين والبضائع بيسر وأمان فإنه أيضًا يحافظ على هيبة الدولة واحترام القانون فيما يخص إشغالات الأرصفة والأسواق غير الرسمية ويتصدى بحزم لا يخلو من حكمة تجاه أي ظاهرة بالشارع قد تؤدي إلى تكدير الذوق العام أو إعاقة المرور أو إزعاج المواطنين والانتقاص من حقوقهم في مدن منظمة خالية من العشوائية أو أى خروج على القانون والذوق العام.
- ٦- إجراءات الصحة والسلامة والدفاع المدنى محترمة من الجميع دون نقاش أو تحايل، يكفى زيارة أقل رتبة من منتسبى الدفاع المدنى لأي شركة أو مؤسسة أن تجعل رأس المنظمة يتابع بنفسه أية ملاحظات كتابية أو شفوية كنتيجة لتلك الزيارة.
- ٧- إذا صادف ووقفت بسيارتك على أحد جوانب طريق سريع ما هي إلا لحظات وستجد فوق رأسك سيارة من سيارات الأمن تتفحص أوراق ثبوتيتك ورخص سيارتك وتستفسر عن سبب وقوفك وتقدم لك المساعدة إذا دعت الحاجة أو تطلب منك التحرك وفورًا إذا كان وقوفك يهدد انسياب المرور وسلامة باقى المركبات على الطريق وتساعدك في ذلك إذا دعت الضرورة.
- ٨- لو شاهدت أحد الدوريات المتحركة أي نشاط غير عادى بأى مبنى سكنى أو تجارى فسوف تجد من يطرق بابك مستفسرًا وعارضًا المساعدة. كما أن ظاهرة المتسولين تظل لا يمكن وصفها بالظاهرة بالمملكة بل هي موجودة ولكن بحالات قليلة نادرة من قبل بعض الافارقة المتخلفين عن مناسك

الحج والعمرة و يقيمون بصورة غير شرعية وبعض البدو وهم من ولد على أرض المملكة ولا يملك والداه الجنسية السعودية .

٩- يستحيل أن تجد سيارات النقل الثقيل تسير داخل المدن في غير أوقاتها المحددة كما أنه نادرًا أن تجدها لا تلتزم بتعليمات المرور من حيث الأمن والسلامة واحترام السير بالحارات المرورية الخاصة بالنقل الثقيل وحسب السرعات المقررة رغم خلو الطريق لأنه وكالمعتاد إذا ما كنت سائق نقل ثقيل وخالف القانون ففى لحظات سوف تجد إحدى سيارات الأمن العام تستوقفك ويتم تطبيق القانون في حال مخالفتك .

١٠- كما هو متبع بالدول المتقدمة التواجد الأمني ملحوظ ممثل في دوريات الشرطة وموتوسيكلات الدوريات، التواجد الأمني الملحوظ على مدار الساعة ويوميًا بدون إجازات (لاحظ التواجد الأمني للشرطة المصرية بالعاصمة وليس المحافظات أيام الجمعة أو بأيام الأسبوع الأخرى بعد ساعات العمل الرسمية، الحقيقة مؤسفة وتدعو للحزن).

١١- أخيرًا من المشاهد التي تدعو للإعجاب أساليب وتكتيكات وسائل الأمن العام وعبقرية انتشاره والتدريب الراقى الواضح لمنتسبيه قادة وجنودًا وتمكنه في توجيه الحشود الضخمة أثناء الحج والعمرة التي تقدر بالملايين وتتركز في مناطق محدودة ورقعة جغرافية ضيقة، الحقيقة أن المملكة أثناء مواسم الحج والعمرة وإسرائيل خلال المظاهرات الفلسطينية وأيام الجمعة أمام المسجد الأقصى وحائط المبكى وإيران بالمرآد الشيعية المقدسة من الدول ذات الخبرات المتميزة في هذا الأمر المهم والمعقد، (لاحظ تخبط وزارة الداخلية المصرية في حفظ الأمن وتنظيم المرور وتدفق المشجعين اثناء دخولهم وخروجهم لمباراة كرة قدم عدد جماهيرها ٢٠ ألف مشجع)، أيضًا المملكة تنعم بأقل معدلات الجريمة على مستوى العالم حيث تحتل المرتبة ٣٦ بالنسبة لمعدلات الجرائم بكل أنواعها ضمن ١٤٧ دولة (٢٠١٤) بإجمالى عدد جرائم كلية قدره ٩٠ ألف جريمة يمثل المجرمون النساء منهم ٦% تقريبًا، ويتم القبض على ٧٠% من مرتكبي هذه الجرائم وتقديمهم للمحاكمة .

○ الرعاية الصحية والاجتماعية

أيضاً تتميز المملكة بحدائثة وكفاية برامج الرعاية الصحية والاجتماعية المقدمة للمواطنين، المرافق الصحية بالمملكة سواء الخاصة أو الحكومية تتمتع بإمكانيات تقنية عالية وأساليب إدارية حديثة، في العام ٢٠٠٩ إصدار الملك الراحل عبد الله بن عبد العزيز المرسوم الملكي رقم ٣٩١٧٥ الذي حدد فيه أهداف واستراتيجيات الحكومة في تطوير وتحديث الخدمات الصحية المقدمة للمواطنين وحدد برنامجاً زمنياً لتحقيق تلك الأهداف بحلول عام ٢٠٢٩، ولقد استطاعت حكومة المملكة تحقيق غالب تلك الأهداف بحلول نهاية العام ٢٠١٥، أهم الأهداف التي قررها الملك في مرسومه وإلزم بها جميع جهات الدولة وعلى رأسها وزارة الصحة:-

- ١- توسيع التغطية الصحية الشاملة لكي تستوعب جميع المواطنين دون استثناء أو تمييز.
- ٢- تقديم أعلى درجات الرعاية الصحية حسب أرقى الأنظمة العالمية.
- ٣- زيادة الإنفاق على برامج وخدمات الرعاية الصحية من ٤% وقت صدور المرسوم الملكي إلى ٦%، مع الوصول إلى مساهمة القطاع الخاص لـ ٥٠% من إجمالي الإنفاق الكلي.
- ٤- الوصول بالعمر المتوقع عند الولادة إن شاء الله إلى ٧٥ عاماً على الأقل.
- ٥- العمل على توفير طبيب لكل ٥٠٠ مواطن.
- ٦- توفير ٢.٥ سرير لكل ١٠٠٠ مواطن.
- ٧- توفير وحدة إسعافية حديثة ومتطورة وسريعة لكل ٥٠ ألف مواطن.
- ٨- توفير عنصر تمريض لكل ٢٥٠ مواطن.
- ٩- توفير عنصر فنى صحى لكل ٤٠٠ مواطن.
- ١٠- ضرورة رفع مستوى المستشفيات العامة بجميع المدن وضرورة الاستغناء عن تحويل المواطنين المرضى بين المستشفيات والعمل على أن تكون جميع المرافق الصحية قادرة على تقديم نفس الخدمات ومجهزة بنفس الإمكانيات.

- ١١- ربط المرافق الحكومية والخاصة بشبكة معلوماتية واحدة.
- ١٢- توحيد أنظمة العمل الفنية والإدارية بجميع المرافق الصحية الخاصة والعامة وضمان توافقها وأرقى الأنظمة المعمول بها في العالم.
- واليوم ٢٠١٦ تتطلع المملكة في رؤيتها للعام ٢٠٣٠ إلى أهداف ومعدلات أكبر سوف نذكرها في فصل القوة المعنوية للمملكة والتي سنتناول فيها بالتفصيل أهداف المملكة الكلية للمستقبل.

أيضاً تشرف المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية GOSI على برامج الرعاية الاجتماعية للمواطنين بالمملكة ويكفي للمقارنة بين ما تقدمه أنظمة التأمين الاجتماعي السعودي وما تقدمه الأنظمة المماثلة في مصر أن أقصى أجر اشتراك التأميني للموظف المصري هو ٥٠٠٠ جنيه (١٨٢٥ ريالاً تقريباً) شاملاً الأجر الأساسي والمتغير أما حسب النظام السعودي فهو ٤٥ ألف ريال أي ٢٥ ضعفاً.

بصفة عامة يتمتع المواطنون بالمملكة بأنظمة أمنية وصحية واجتماعية متقدمة وقد انعكس هذا على ترتيب المملكة لمؤشر التنمية البشرية الصادر عن الأمم المتحدة ٢٠١٤ لتحتل الترتيب ٣٤ ولا يسبقان إقليمياً إلا دولة إسرائيل التي تحتل المرتبة ١٩ بينما تحتل مصر الترتيب ١١٠ ضمن ١٨٩ دولة حسب تصنيف الأمم المتحدة ٢٠١٤.

○ القوة الثقافية





(صورتين لمكة والمدينة أهم مدينتين مقدستين لدى المسلمين)

وجود أهم مدينتين مقدستين لدى المسلمين بالمملكة وفر لها نفوذًا ثقافيًا هائلًا لدى أكثر من ٥٧ بلدًا مسلمًا ومليار ونصف المليار مسلم، ينتشر علماء الدين السعوديون بكافة أنحاء العالم ويحظون بترحيب واسع وكذلك قراء القرآن الكريم كما يقوم مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بدور مهم في تعظيم القوة الثقافية السعودية بتوزيعه أكثر من عشرة ملايين مصحف سنويًا على كافة الدول الإسلامية وغير الإسلامية كما يقوم بطباعة عشرات الآلاف من ترجمات القرآن الكريم إلى اللغات المختلفة وعشرات الآلاف من كتب السنة والمراجع بكافة العلوم الشرعية. كما تحظى فتاوى وآراء الشيخين بن باز وبن عثيمين بقبول واسع بين عشرات الملايين المسلمين السلفيين في مصر وباكستان والهند، أيضًا لم تكتف المملكة بهذا الزخم والنفوذ الديني كجزء مهم من نفوذها الثقافي الإقليمي بل أصبحت مجموعة مركز إذاعة الشرق الأوسط.

MBC (Middle East Broadcasting Center) أحد أهم مصادر القوة الثقافية السعودية وتقوم بدور مهم في توجيه الرأي العام الإقليمي وتشكيل الذوق العام والتأثير الفني ونشر الثقافة السعودية الخليجية ونمط الحياة السعودي بالاشتراك مع المجموعة الشقيقة الأخرى روتانا.

يملك مجموعة أم بي سي الشيخ السعودي وليد إبراهيم التي أنشأها في العام ١٩٩١ واليوم باتت تملك أكثر من ١٧ قناة فضائية أهمها قناة العربية الإخبارية (هناك معلومات غير مؤكدة تربط مصادر تمويل تلك المجموعة بأفراد نافذين بالعائلة المالكة والمخابرات العامة السعودية).

أيضاً يملك مجموعة روتانا الأمير السعودي الوليد بن طلال بن عبد العزيز، وهي اليوم أهم مجموعة ترفيهية إقليمية وتسيطر على حصة سوقية قدرها ٦٠% من سوق الترفيه العربي، يمتلك الإعلامى اليهودى مردوخ نسبة ١٨% منها وتملك المجموعة أكبر وأهم مكتبة أفلام عربية تقدر بـ ٢٠٠٠ فيلم، وتحتكر النشاط الفني لأكثر من ١٠٠ مطرب عربى من أهم وأشهر المواهب الفنية.

أيضاً لم تكتف المملكة بذلك بل وعن طريق مجموعة الشركة السعودية للأبحاث والنشر تمتلك المملكة أكثر الصحف العربية انتشاراً وتأثيراً بالمملكة وخارجها وهي صحيفة الشرق الأوسط بالإضافة إلى أكثر من ١٤ صحيفة ومجلة وعشرات الصحف الإلكترونية ومنها جريدة أراب نيوز، أسس المجموعة الأمير تركى الفيصل بالاشتراك مع خاله رئيس المخابرات السعودية الأسبق كمال أدهم ثم باعاً حصتها إلى أمير الرياض السابق وملك المملكة الحالي الملك سلمان بن عبد العزيز الذي أسند إدارتها إلى ابنه الأكبر الأمير أحمد بن سلمان.

طبعاً من حق المواطن المصري أن يسأل حكومته أين قنوات التلفزيون المصري والجرائد المصرية أين الأهرام؟ أين صوت العرب؟ وأين النفوذ الإعلامى المصري وكم عدد المشاهدين لقناة العربية الإخبارية وقناة النيل للأخبار؟ وكم عدد المشاهدين لمجموعة قنوات أم بى سى أو روتانا وكم عدد مشاهدى الفضائية المصرية وشبكة قنوات النيل؟ كم عدد قراء جريدة الأهرام داخل وخارج مصر وجريدة الشرق الأوسط أو الحياة؟، ما مدى تأثير صوت العرب لدى مستمعى الراديو بمنطقة الشرق الأوسط، لقد استسلم قادة مصر إلى شماعة الإمكانات يعلقون عليها تدهورنا وتراجعنا في المجالات كافة ونسينا في وسط مشكلاتنا أن السياسات الحكومية هي السبب في تراجع إمكانياتنا وأصبحنا اليوم والحكم في مصر وكأنه يبحث قضية الدجاجة أولاً أم البيضة؟، هل تغير السياسات حتى نعظم مواردنا أم نعظم مواردنا ثم نغير السياسات وأساليب الحكم؟ منذ ثورة ١٩٥٢ يعمل الحكم في مصر حسب ما ورد بالقسم الأخير من العبارة وهو على خطأ جسيم ولم ينتبه حتى اليوم لحجم الخسائر التي يتكبدها الوطن نتيجة قصور الرؤية وفساد المنطق وضحالة التفكير وفساد السياسات. لم

ينتبه أحد إلى حجم تكلفة الأنظمة والسياسات الديكتاتورية التي تقوم على مبدأ تمكين اهل الثقة واستبعاد اهل العلم والخبرة، لن نصل أبداً إلى تعظيم مواردنا في ظل سياسات أمنية وسياسية واقتصادية واجتماعية فاسدة، تكلفة القبضة الأمنية المشددة على مفاصل الحكم وتحكم أصحاب الخلفيات الأمنية في دورة صناعة القرارات بدوائر الحكم المصرية وبالقضاء أدت إلى خلل هائل في جميع مفاصل الدولة وتبديد ضخم للموارد وضياع فرص عديدة نحو التقدم والرقى، اليوم وفي ظل أزمة اقتصادية خانقة لم يجد أصحاب القرار بالحكومة المصرية أي غضاضة في الاقتراض بمعدلات هائلة لم تحدث بتاريخ مصر الحديث من الخارج والداخل لتمويل تكلفة بقائهم بالحكم؟ واليوم كما بالأمس تهدر الحكومة المصرية مواردنا والقروض التي ستدفعها أجيالاً قادمة في مشروعات ساذجة وبرامج مراهقة اقتصادية وسياسية بينما نستطيع أن نكون وببساطة من أعظم دول المنطقة والعالم بشرط تنحى النخبة الحالية عن صلاحياتها الإنهائية وامتيازاتها الغير المحدودة وإفساح المجال أمام أصحاب المواهب الحقيقية والعقول المتميزة لتقود الوطن وتخطط مستقبله وهم كثر والحمد لله.

من المآخذ التي يلاحظها المدقق في الحياة الثقافية السعودية انفتاح قطاعات واسعة من المواطنين وبخاصة الشباب على الفضائيات ووسائل التواصل الاجتماعي وفي نفس الوقت تتخذ الحكومة سياسات متشددة وغير مبررة تجاه السينما والمسرح وباقي الفنون الشبيهة، تلك الازدواجية غير مبررة وتحتاج إلى قرار حاسم، من غير المنطقي أن تخطط المملكة للريادة والتقدم الإقليمي والدولي ومازالت الحكومة تمنع منح تراخيص العروض السينمائية والمسرحية، ومازال على المواطن السعودي أن يذهب إلى البحرين أو الإمارات أو مصر لمشاهدة عرض سينمائي أو مسرحي هو وأسرته.

✍ القوة المعنوية (القوة الناعمة)

في يوم الاثنين الموافق ٢٥ إبريل ٢٠١٦ قدم الأمير الشاب محمد بن سلمان ولي العهد ووزير الدفاع ورئيس مجلس الشئون الاقتصادية والتنمية إلى مجلس الوزراء مبادرة السعودية نحو المستقبل وأسمها رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠، في نفس اليوم صدق مجلس الوزراء السعودي برئاسة الملك

سلمان بن عبد العزيز وبحضور كامل هيئته على الوثيقة وأصبحت نافذة وحاكمة وموجهة لجميع الوزارات والهيئات العامة بالدولة وجميع أجهزتها. ، في هذا الصدد تمت إعادة هيكلة بعض الوزارات والهيئات الحكومية وكلف مجلس الوزراء مجلس الشئون الاقتصادية والتنمية بوضع الآليات التي تكفل تنفيذ تلك الرؤية ولهذا خصص مجلس الشئون الاقتصادية الأدوات التالية لتمكنه من مراقبة تنفيذ أهداف الرؤية :-

- مكتب الإدارة الاستراتيجية .
- المركز الوطني لقياس أداء الأجهزة الحكومية .
- مركز الإنجاز والتدخل السريع .
- مكتب إدارة المشروعات .

كما قرر مجلس الشئون الاقتصادية والتنمية البرامج التالية لتحقيق أهداف

الرؤية :-

- برنامج التحول الوطني ٢٠١٦-٢٠٢٠ وسوف نتناوله لاحقاً .
- برنامج التحول الاستراتيجي لشركة أرامكو العملاقة .
- برنامج إعادة هيكلة صندوق الاستثمارات العامة .
- برنامج رأس المال البشري .
- برنامج الشراكات الاستراتيجية .
- برنامج التوسع في التخصص .
- برنامج تعزيز حوكمة العمل الحكومي .

○ ملخص أهداف رؤية المملكة ٢٠٣٠

يحتوى مشروع رؤية المملكة ٢٠٣٠ على أهداف عامة تحدد نطاقات عمل الحكومة ومناطق استثماراتها وأيضاً أهداف محددة يمكن قياسها ومحاسبة المسؤولين عنها من خلال مؤشرات ونسب ومعايير كمية، يركز المشروع على ٣ أسس تمثل مصدر قوة المملكة :-

- ١- وجود الحرمين الشريفين (البعث العربى والإسلامى).
- ٢- القدرات الاقتصادية والاستثمارية الضخمة (القوة الاقتصادية).

٣- الموقع الجغرافي المتوسط بين ٣ قارات والقريب من أهم الممرات العالمية مثل قناة السويس - باب المندب - مضيق هرمز (القوة الجيوسياسية).
وفيما يلي عرض ملخص لأهم أهداف مشروع المملكة الاستراتيجي المهم:-

○ الأهداف الكمية بمشروع المملكة ٢٠٣٠

- ١- تحسين ترتيب حجم الناتج المحلي الإجمالي للمملكة من المرتبة ١٩ عالمياً إلى المرتبة ١٥ على الأقل.
- ٢- رفع نسبة الاستثمارات الأجنبية المباشرة في الناتج المحلي الإجمالي من ٣.٨% حالياً إلى ٦%.
- ٣- رفع نسبة الصادرات غير النفطية من ١٦% حالياً إلى ٥٠% من إجمالي الناتج المحلي الاسمي غير النفطية.
- ٤- زيادة عدد المعتمرين من خارج المملكة من ٨ ملايين معتمر حالياً إلى ١٥ مليوناً بحلول العام ٢٠٢٠ وإلى ٣٠ مليون معتمر في عام ٢٠٣٠.
- ٥- إنشاء أكبر متحف إسلامي بالعالم في المدينة المنورة.
- ٦- زيادة عدد المواقع الأثرية بالمملكة والمسجلة لدى اليونسكو إلى ضعف العدد الحالي على الأقل، (عدد مواقع المملكة المسجلة لدى اليونسكو أربعة مواقع هم مدائن صالح - حى الطريف بالدرعية - جدة القديمة ومن ضمنها مكة المكرمة - منطقة حائل).
- ٧- زيادة حصة القطاع الخاص في الناتج المحلي الإجمالي من ٤٠% حالياً إلى ٦٥% على الأقل.
- ٨- تصنيف ٣ مدن سعودية على الأقل ضمن أفضل ١٠٠ مدينة للسكن والعيش عالمياً.
- ٩- رفع نسبة تملك الأسر السعودية لمساكنها من ٤٧% حالياً إلى ٥٢% بحلول العام ٢٠٢٠.
- ١٠- زيادة متوسط العمر المتوقع عند الولادة من ٧٤ عامًا حالياً إلى ٨٠ عامًا أو أكثر.

- ١١- دعم برامج التصنيع العسكري المحلية وزيادة نسبتها الحالية المقدرة بـ ٢% من الإنفاق الدفاعي إلى ٥٠%.
- ١٢- إطلاق برنامج (داعم) لاستثمار المواهب والتوسع في إنشاء الأندية الاجتماعية والرياضية ورفع عدد الأندية بالمملكة إلى ٤٥٠ نادى بحلول العام ٢٠٢٠.
- ١٣- رفع إنفاق الأسر على الترفيه والثقافة من حوالي ٣% إلى ٦%.
- ١٤- رفع نسبة ممارسة الرياضة مرة على الأقل أسبوعياً من ١٣% إلى ٤٠% من عدد السكان البالغين.
- ١٥- الحفاظ على معدلات الجريمة الحالية تقريباً جريمة قتل واحدة لكل مائة ألف نسمة مع تعزيز الإجراءات الأمنية لمكافحة تهريب وإدمان المخدرات وخفض معدلات الحوادث المرورية عن مستوياتها الحالية وتحسين إجراءات السلامة والأمان المرورى.
- ١٦- تحسين مؤشر رأس المال الاجتماعى وترتيب المملكة العالمى الحالي من المرتبة ٢٦ إلى مرتبة عالمية أفضل.
- ١٧- أن تكون ٥ جامعات سعودية ضمن أفضل ٢٠٠ جامعة عالمية.
- ١٨- تخفيض معدلات البطالة الحالية من ١١.٦% إلى ٧%.
- ١٩- زيادة مساهمة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في الناتج المحلى الإجمالى من ٢٠% حالياً إلى ٣٥%.
- ٢٠- رفع نسبة مساهمة المرأة في قوة العمل من ٢٠% حالياً إلى ٣٠%.
- ٢١- رفع نسبة مساهمة قطاع التعدين والمناجم في الناتج المحلى الإجمالى إلى ٢٧ مليار دولار وتوفير ١٠٠ ألف فرصة عمل جديدة بهذا القطاع بحلول العام ٢٠٢٠.
- ٢٢- توليد ١٠ آلاف ميغاوات من الكهرباء من الطاقات المتجددة (طاقة الرياح والطاقة الشمسية).
- ٢٣- رفع قيمة أصول صندوق الاستثمارات العامة السعودى من ١٦٠ مليار دولار إلى حوالي ٢٠٠٠ مليار دولار ليكون بهذا أكبر صندوق سيادى بالعالم.

- ٢٤- زيادة الإيرادات الحكومية غير النفطية من ٤٤ مليار دولار إلى ٢٧٠ مليار دولار.
- ٢٥- تحسين ترتيب المملكة في مؤشر فاعلية الأداء الحكومي من المركز ٨٠ عالمياً إلى المركز ٢٠.
- ٢٦- تحسين ترتيب المملكة في مؤشر الحكومات الإلكترونية من المركز ٣٦ عالمياً حالياً إلى أحد المراكز العشرة الأولى.
- ٢٧- رفع نسبة الادخار المحلي من ٦% حالياً إلى ١٠%.
- ٢٨- الوصول إلى مليون متطوع في قطاع المؤسسات غير الهادفة للربح بدلاً من ١١ ألف حالياً.
- ٢٩- رفع نسبة مساهمة المنظمات غير الحكومية الخيرية والأوقاف في الناتج المحلي الإجمالي من أقل من نصف في المائة حالياً إلى ٦%.
- ٣٠- إعادة تدريب وتأهيل أكثر من نصف مليون موظف حكومي عن بعد.
- ٣١- تحسين مركز المملكة عالمياً في مؤشر التنافسية من المركز الـ ٢٥ حالياً إلى أحد المراكز العشرة الأولى.
- ٣٢- رفع ترتيب المملكة في مؤشر أداء الخدمات اللوجستية من المرتبة الـ ٤٩ حالياً إلى المرتبة ٢٥.

○ الأهداف العامة لمشروع رؤية المملكة ٢٠٣٠

- ١- تسخير كامل الإمكانيات لخدمة ضيوف الرحمن.
- ٢- تعميق الهوية الوطنية السعودية وإحياء تراثنا الإسلامي والوطني.
- ٣- التحول من مفهوم سلامة إجراءات الإنفاق الحكومي إلى مفهوم فاعلية الصرف والإنفاق وارتباط الإنفاق الحكومي بأهداف كمية محددة يمكن قياسها ومحاسبة المقصرين عنها.
- ٤- تشجيع الاتجاه إلى مجتمع حيوي وأنماط حياة صحية وبيئية مناسبة.
- ٥- تطوير المدن والمناطق.
- ٦- تحسين منظومات إدارة المخلفات وحماية الشواطئ ومواجهة ظاهرة التصحر وترشيد استهلاك المياه والكهرباء وزيادة المحميات الطبيعية.

- ٧- الاهتمام بالأسرة وبناء شخصية الأجيال الناشئة عن طريق تطوير التعليم والأنشطة الرياضية والترفيهية والثقافية.
- ٨- مراجعة أنظمة دعم الغذاء والوقود والمياه والكهرباء بغرض وصول الدعم إلى مستحقيه.
- ٩- رفع مستوى أنظمة الرعاية الصحية ضمن منظومات متطورة عالمية.
- ١٠- دعم الأسر المنتجة والمنشآت الصغيرة والمتوسطة.
- ١١- استقطاب الكفاءات من دول العالم واستحداث طرق علمية لضمان تدفق الموارد البشرية لدعم مشروعنا الاستراتيجي العام.
- ١٢- الموازنة بين مخرجات التعليم واحتياجات سوق العمل.
- ١٣- دعم قطاع السياحة.
- ١٤- دعم قطاع الطاقة المتجددة.
- ١٥- دعم أنشطة التعدين والثروة المعدنية.
- ١٦- الحفاظ على ريادة المملكة العالمية في قطاع النفط والبتروكيماويات.
- ١٧- تخصيص الخدمات الحكومية.
- ١٨- تحسين بيئة الاستثمارات لضمان تدفق الاستثمارات الخارجية.
- ١٩- تطوير تجارة التجزئة.
- ٢٠- تطوير أنظمة وقوانين الجمارك والنقل البحري والبري.
- ٢١- التكامل الإقليمي والدولي.
- ٢٢- الالتزام بكفاءة الإنفاق والتوازن المالي.
- ٢٣- المرونة وإعادة هيكلة كافة مؤسسات الدولة وتحديث القوانين واللوائح.
- ٢٤- تحويل مجموعة أرامكو من مجرد شركة بترولية عملاقة إلى عملاق صناعي يعمل في جميع أنحاء العالم وتنوع مجالات عمله لتشمل كافة الصناعات.
- ٢٥- تحفيز كبرى الشركات السعودية العامة والخاصة لتكون عابرة للحدود ولاعباً رئيسياً في أسواق العالم.
- ٢٦- تحديث الجيش السعودي وتحسين مركزه العالمي ضمن أقوى جيوش المنطقة.

- ٢٧- تخفيض الإجراءات الحكومية الطويلة والبيروقراطية وتسهيل إجراءات جميع المعاملات الحكومية واختصار زمنها.
- ٢٨- توسيع الخدمات الحكومية الإلكترونية.
- ٢٩- تشجيع الصناعات المحلية لإبقاء ثرواتنا بالداخل وزيادة معدلات التوظيف.
- ٣٠- اعتماد مبادئ الشفافية في الإدارة الحكومية وتطبيق مبادئ المحاسبة الحكومية العالمية.
- ٣١- الوصول بالأداء الحكومي للمملكة إلى مصاف الأداء الحكومي بالدول المتقدمة الكبرى
- ٣٢- الارتقاء بمستوى الخدمات الصحية والتعليمية والاجتماعية المقدمة للمواطنين والوصول بها إلى أرقى المستويات العالمية.
- ٣٣- تحويل مركز الملك عبد الله المالي بالرياض إلى منطقة اقتصادية خاصة وربطه بمطار الملك خالد الدولي على أن يكون الوصول إليه بدون تأشيرات دخول وأن يكون مركزاً رئيسياً ومقرّ أكبر صندوق استثمار سيادى بالعالم.

○ برنامج التحول الوطني ٢٠٢٠

هو جزء من المشروع القومي السعودي ٢٠٣٠، هو خطة سريعة تعتبر افتتاحية معركة تحويل المملكة إلى قوة إقليمية متفوقة وعالمية مميزة، تبلغ تكلفة البرنامج ٢٧٠ مليار ريال (٧٢ مليار دولار) ومدته خمس سنوات بداية من العام ٢٠١٦ يغطي البرنامج ٢٤ جهة حكومية يجب عليها تحقيق ١٧٨ هدفاً استراتيجياً رئيسياً و٣٤٦ هدفاً فرعي، كما يضم البرنامج ٣٧١ مؤشراً لقياس مستوى تحقيق الأهداف الرئيسية والفرعية المحددة سابقاً، كما يحتوي البرنامج على مقارنات بين مستهدفات البرنامج والمستويات الإقليمية والدولية، يشمل البرنامج حصراً للمشكلات المهمة التي تعاني منها المملكة في عدد كبير من المجالات وخطط واستراتيجيات التغلب عليها، من ضمن استراتيجيات البرنامج لمعالجة المشكلات التي تواجهها المملكة رفع كفاءة التخطيط الحكومي وتعزيز شفافية الدولة ودعم الصادرات والاعتماد على المنتجات المحلية وتحسين جودتها وترشيد الاستيراد وخفضه بما قيمته ٧٢ مليار دولار وتشجيع الصناعات ذات العمالة الكثيفة

لوصول إلى توليد أكثر من نصف مليون فرصة عمل جديدة بالقطاع الخاص، تشجيع الاستثمارات المحلية وزيادة مستوى معيشة المواطنين وتطوير منظومة القضاء.

فيما يلي ملخص للبرامج والجهات المشاركة به :-

عدد مؤشرات الأداء	عدد الأهداف الفرعية	عدد الأهداف الرئيسة	اسم الجهة الحكومية المشاركة	مسلسل
٢١	١٩	٧	وزارة العدل	١
١٢	١٢	٦	وزارة المالية	٢
١٣	٧	٦	وزارة الاقتصاد والتخطيط	٣
١٧	١٦	١٦	وزارة الصحة	٤
١٧	١٧	١٠	وزارة الاتصالات وتقنية المعلومات	٥
١٠	٩	٧	وزارة التجارة والاستثمار	٦
٢٥	٢٤	٧	وزارة الشؤون البلدية والقروية	٧
١١	١١	٥	وزارة الخدمة المدنية	٨
١٠	٩	٤	وزارة الثقافة والإعلام	٩
٣٥	٣٥	١٦	وزارة البيئة والمياه والزراعة	١٠
٢٤	٢٤	١٥	وزارة الطاقة والصناعة والثروة المعدنية	١١
٣٧	٣٧	١٣	وزارة العمل والتنمية الاجتماعية	١٢
١١	١١	٣	وزارة الاسكان	١٣
٢٠	١٩	٨	وزارة التعليم	١٤

١٥	١٥	٩	وزارة النقل	١٥
١٥	١٠	٥	وزارة الحج والعمرة	١٦
١٦	١٦	٤	الهيئة العامة للسياحة والتراث	١٧
٧	٥	٤	الهيئة العامة للرياضة	١٨
١٢	١٠	٩	الهيئة الملكية للجِيبِل وَيَبَع	١٩
١٢	١٢	٧	مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية	٢٠
٨	٨	٤	مدينة الملك عبد الله للطاقة الذرية والمتجددة	٢١
٤	٤	٢	معهد الإدارة العامة	٢٢
١٢	١١	٥	الهيئة العامة للاستثمار	٢٣
٧	٥	٦	الهيئة العامة للغذاء والدواء	٢٤
٣٧١	٣٤٦	١٧٨	الإجمالي	

ومما هو جدير بالذكر أن يعلم القارئ ما هو التحول المهم والجوهري في طريقة عمل الحكومة السعودية، سوف تتحول الحكومة من العمل التقليدي من خلال عبارات إنشائية إلى العمل من خلال أهداف رئيسية وفرعية محددة ومؤشرات أداء يمكن قياسها ومحاسبة المسؤولين عنها، فيما يلي سوف نوضح للقارئ كيف حكم برنامج التحول الوطني عمل وزارة العدل وكيف كانت الأهداف تصب في اتجاه تحقيق العدل الذي هو أساس الملك وكيف استوعب المخطط السعودي أهمية تيسير إجراءات التقاضي وتطبيق مفهوم العدالة الناجزة وأثرها البالغ في زيادة معدلات الاستثمارات الداخلية والخارجية وتحقيق مفهوم سرعة التقاضي والذي يمكن من شيوع العدل ويرفع من مستوى الامن بالمجتمع وضمن الحقوق بين المواطنين.

بعض الأهداف الرئيسية لوزارة العدل ضمن برنامج التحول الوطني ٢٠٢٠:

- ١- رفع مستوى الخدمات العدلية والتميز المؤسسي .
 - ٢- الحد من تدفق الدعاوى القضائية إلى المحاكم .
 - ٣- رفع تصنيف القضاء السعودي وإبرازه محلياً وعالمياً .
- بعض الأهداف الفرعية ومؤشرات قياس الأداء لتحقيق الأهداف الرئيسية السابقة :

مسلسل	مؤشر الأداء	خط الأساس	الأهداف الفرعية ٢٠٢٠	الوحدة	المعايير الإقليمية	المعايير العالمية
١	متوسط المدة الزمنية لإغلاق القضايا غير التجارية	جار احتسابه	تحت الدراسة	يوم	لا ينطبق	١٠٠
٢	متوسط عدد الجلسات اللازمة لإغلاق القضايا غير التجارية	جار احتسابه	٥	جلسة قضائية	٥.٣	٧,٢
٣	متوسط مدة إنجاز المعاملات	جار احتسابه	١٥	دقيقة	تحت الدراسة	تحت الدراسة
٤	نسبة القضايا المنجزة	جار احتسابه	٨٥	%	٨٥	٩١
٥	نسبة رضا المتعاملين	جار احتسابه	٩٥	%	لا ينطبق	لا ينطبق
٦	متوسط عدد القضايا الواردة لكل قاضي	٤٥٥	٢٩٩	قضية	١٦٠	٢٧٠
٧	نسبة القضايا المحالة لمكاتب المصالحة	١٤	٤٠	%	٩٨	لا ينطبق
٨	نسبة تسوية القضايا بمكاتب المصالحة	٤٩	٦٥	%	١٢	٦٩

٩	تصنيف المملكة في مؤشر البنك الدولي لإنفاذ العقود	٨٥	٥٠	ترتيب	١٨	١
١٠	متوسط زمن معالجة القضايا التجارية	٥٧٥	٣٩٥	يوم	٤٩٥	٣٩٥
١١	نسبة خدمات الوزارة المقدمة إلكترونياً	جار احتسابه	٨٠	%	لا ينطبق	لا ينطبق
١٢	عدد الخدمات المقدمة من كاتب عدل متنقل	٠	نصف مليون	عدد	لا ينطبق	لا ينطبق
١٣	نسبة عمليات التوثيق عن طريق القطاع الخاص	٠	٥٠	%	لا ينطبق	٩٠

لو تحقق للسعودية ٨٠% من الأهداف والبرامج السابقة فإن على الحكم في مصر واجب إعادة النظر في برنامجه رؤية ٢٠٣٠ لأنه في تلك الحالة ستتضائل مكانة مصر الإقليمية وبالتالي العالمية أمام طموحات الأربعة دول الرئيسية الأخرى بالأقليم.

من المآخذ التي أرى أهميتها على برنامج التحول الوطني ٢٠٢٠ والبرنامج الأكبر رؤية ٢٠٣٠ أن كلاهما احتوى على أهداف متواضعة تخص التطور السياسي والتكنولوجي للبلاد، الأهداف التي وردت في برنامج ٢٠٣٠ و ٢٠٢٠ في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية جيدة ومقبولة وطموحة وكافية إلا أن الأهداف السياسية والتكنولوجية فيشار إليها على استحياء ضمن عبارات مرنة لا تخلو من الإنشاء، السياسة أهم عناصر القوة الشاملة للدول هي النسيج الذي يحتوى جميع العناصر الأخرى فيؤثر فيها ويتأثر بها ولكنه في النهاية هو أساس باقى عناصر القوة ومن يبلورها ويحتويها، هو التربة التي تنمو وتزدهر فيها باقى عناصر القوة الشاملة للدولة بقدر ما تكون التربة غنية وعفية وذات تهوية مناسبة وملائمة بقدر ما ينعكس ذلك إيجاباً وبشدة على باقى عناصر القوة للدولة،

تستطيع المملكة وبسهولة استلهاام الإيجابيات الموجودة بالنظام السياسى الإيرانى لتطوير نظام سياسى يضمن حق الأسرة المالكة فى الحكم وفى نفس الوقت منح السعوديين حريات سياسية واسعة يستحقونها، يمكن أن تحل هيئة البيعة محل مجلس خبراء القيادة الإيرانى فى اختيار الملك وولى العهد وأن يكون هناك جزء منتخب أو معين من رموز الدولة وإعلامها من خارج الأسرة الحاكمة، على أن يكون للملك صلاحيات المرشد الأعلى وأن يكون لرئيس الوزراء صلاحيات الرئيس الإيرانى المنتخب مع انتخاب مجلس الشورى السعودى كما ينتخب بإيران بنفس الصلاحيات على أن يكون رئيس مجلس الوزراء بموافقة الاغلبية، كما يمكن تطوير أداء مجلس صيانة الدستور لكى يحفظ لرجال الدين والمؤسسة الدينية السعودية نفوذها التقليدى عند اتخاذ القرارات واعتماد السياسات العامة للدولة، أيضًا التطور التكنولوجى وزيادة عدد مراكز الأبحاث وعدد المهندسين والخبراء فى شتى المجالات التقنية أمر مهم ويجب دعمه وتطويره بشدة وخاصة تقنيات وعلوم الفضاء والذرة والنانوتكنولوجى والبيوتكنولوجى والهندسة الوراثية وتكنولوجيا البلازما وعلوم الميتالورجى وتوطين تكنولوجيا صناعة الدواء والسلاح جميع ما سبق يكاد يكون من الأهمية بنفس قدر الأهمية الاقتصادية والاجتماعية التي اهتم بها المخطط السعودى الذي وضع الرؤية، الأهداف التي تم وضعها لمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية ومدينة الملك عبد الله للطاقة الذرية والمتجددة متواضعة للغاية وغير كافية لتحويل المملكة إلى اقتصاد المعرفة الذي تحدث عنه وحلم بها ولى العهد الأمير محمد بن سلمان ولزيادة مساهمتها فى المعرفة الإنسانية التي تليق بها، الجدول التالى يوضح حجم الصادرات من التكنولوجيا المتقدمة للدول الرئيسية بالإقليم، والمقصود بصادرات التكنولوجيا المتقدمة هو المنتجات ذات الكثافة العالية من حيث التطوير والأبحاث فى مجالات الفضاء وأجهزة الحاسب والمنتجات الدوائية والمعدات الطبية والأجهزة العلمية والأجهزة الكهربائية والإلكترونية المتقدمة.

صادرات التكنولوجيا المتقدمة بالمليار دولار (بيانات البنك الدولي)							
مسلسل	الدولة	١٩٨٠	١٩٩٠	٢٠٠٠	٢٠١٠	٢٠١٤	
١	إسرائيل	لا يوجد بيانات	١.١	٥	٨	١٠.٢٥	
٢	الإمارات	لا يوجد بيانات	٠	٠.٠٠٥	٠.٠٥	١.٥	
٣	الجزائر	لا يوجد بيانات	٠	٠.٠٠٢١	٠.٠٠٥	٠.٠٠٥	
٤	السعودية	لا يوجد بيانات	٠	٠.٠٠٢٣	٠.٢	٠.٢٥	
٥	تركيا	لا يوجد بيانات	٠.١٧	١.٠٧	١.٧	٢.٣٣	
٦	إيران	لا يوجد بيانات	٠	٠.١٢	٠.٦	لا يوجد بيانات	
٧	مصر	لا يوجد بيانات	٠	٠.٠٥٥	٠.١	٠.١٨	
٨	الإجمالي	لا يوجد بيانات	١.٢٧	٦.٢٥٤٤	١٠.٦٥٥	١٤.٥١٥	

الملحوظات المهمة التي نستخلصها من الجدول السابق الآتي:-

- ١- إن إسرائيل سباقة في إدراك أهمية الأبحاث العلمية وأثرها الاقتصادي والسياسي والعسكري وهنا نقصد الحكومة الاسرائيلية، لهذا فهي متفوقة ومتقدمة بفجوة واسعة على جميع دول الإقليم ومنذ تسعينيات القرن الماضي.
 - ٢- إن تركيا والإمارات وللحقيقة تحاول حكومتهما تعويض الفجوة التكنولوجية بين بلديهما وبين إسرائيل.
 - ٣- إن مصر وإيران والسعودية مازالتا متخلفين في هذا المجال والفجوة هائلة بينهم وبين إسرائيل.
 - ٤- أما الجزائر فتعرد خارج السرب رغم إمكاناتها الاقتصادية والبشرية وللجزائر شأن آخر معنًا فأيضًا الحكم العسكري الفاسد يبدد مواردها ويقوض إمكانياتها وسوف نتكلم عنها لاحقًا.
- ختامًا وبعد استعراض عناصر القوة الشاملة السعودية نستطيع أن نخلص إلى أن المملكة دولة فتيحة ذات نفوذ اقتصادي وسياسي وثقافي إقليمي واسع، الثروات

النفطية وفرت لها موارد مناسبة لتحقيق كثير من النجاحات في خطط تنمية متواصلة أهلت المملكة لكي تكون أحد أهم الدول الإقليمية الكبرى، يبقى من أهم مناطق ضعف المملكة هو قدراتها العسكرية ونظامها السياسي والتعليمي، كما ان كثافة الخبراء الأجانب في داخل جيش الدفاع السعودي والاعتماد عليهم بكثافة جريمة وخطأ جسيم يجب تغييره وبسرعة. أيضًا الملكية المطلقة بطبيعتها تنبت مواطن فساد وجماعات مصالح تبدد قدرًا لا بأس به من الموارد يفترض أنها ضرورية لتقدم الوطن كما أنها تسبب أمراضًا اجتماعية خطيرة بين أفراد المجتمع أهمها الشعور بالتهميش وانعدام المسؤولية وضعف الولاء والانتماء والمواطنة، مازال على حكومة المملكة تطوير نظامها السياسي وإعطاء مزيد من الصلاحيات لمجلس الشورى مع تغيير طريقة انتخاب إعضائه من التعيين إلى الانتخاب المباشر من قبل المواطنين، أيضًا من الأمور السياسية المهمة الحفاظ على وحدة وتماسك العائلة المالكة ووأد أية خلاقات قد تنشأ بين أفرادها، أعداء المملكة يعولون على تلك النقطة في تنفيذ خطط خبيثة لتقسيمها وإجهاض تجربة توحيدها التي قادها بعبقرية الملك عبد العزيز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أيضًا على المملكة تسريع برامج التصنيع المحلي للأسلحة الثقيلة والذخائر مع الاهتمام ببرامج تدريب الجيش قادة وجنودًا، نتائج حرب اليمن كشفت نقاط ضعف خطيرة في القدرات الدفاعية للمملكة وأهمها التدريب، كما أن التوسع في الاستعانة بالخبراء الأجانب في تشغيل الأسلحة المهمة والحساسة أمر غير مسموح أو مقبول به على الإطلاق وإن كان ولا بد فيمكن الاستعانة بخبراء من مصر أو باكستان أو خبراء أترك، أخيرًا أرى أن برنامج المملكة رؤية ٢٠٣٠ اهتم كثيرًا بتطوير مختلف عناصر القدرة الشاملة للدولة ولم يتطرق إلى ملف الحريات السياسية والحريات العامة للمواطنين والبحث العلمي والتكنولوجيا، وهو أمر مهم يحتاج إلى مراجعة أولى الأمر مراجعة دقيقة ومتأنية من أجل ضمان الأمن القومي لدولة فتية ناشئة لها طموح وأهداف عليا رائعة. يمكن للمتابع للأوضاع السياسية والاجتماعية بالمملكة أن يستوعب مخاطر التحولات السياسية السريعة، ولكنه لا يستوعب أيضًا عدم وجود برامج حتى ولو بطيئة لتحقيق مساحات من الحرية السياسية لمواطنين أصبحت ثقافتهم ومصادر معلوماتهم متعددة ومنفتحة على أمم أخرى

تتمتع بحياة سياسية نشيطة ويشارك فيها المواطنون في اختيار قادتهم ومسئولهم، التحول التدريجي نحو الديمقراطية السياسية أحد مصادر تحقيق الأمن القومي للمملكة وأحد أدوات منع التدخلات الأجنبية الخبيثة، أيضًا برامج محاربة الفساد مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالإصلاحات السياسية، فاتورة الفساد وتكلفتها العالية والتي ذكرناها سابقًا لا يمكن القضاء عليه إلا بإصلاحات سياسية ضخمة تنصدر معركة التغيير بالمملكة عمومًا وحسب ما ذكرته مجلة الفينانشيال تايمز في عددها الصادر في ٧ سبتمبر ٢٠١٧ فإنها قد اطلعت على وثيقة حكومية سعودية تؤكد حدوث مراجعات جذرية للخطة بإضافة مبادرات جديدة وحذف أخرى.



عناصر القوة الشاملة لجمهورية مصر العربية

السكان (القوة البشرية)



(صورة لأحد الآثار الفرعونية المهمة)

لا يملك أي إنسان وهو يتكلم عن مصر في أي مجال إلا أن يكون في خياله أجداد المصريين القدماء، كم كان هؤلاء البشر متفوقين وروادًا سبقوا الإنسانية كلها وأسسوا التاريخ الإنساني كله أهدوا الإنسانية مبادئ الرياضيات والفلك والكتابة، واستخدموا القلم والورق والطب والهندسة والزراعة والري والصيد والموسيقى والأدب والرسم والنحت، وقبل كل شيء التوحيد والأخلاق، آثارهم التي تمثل أكثر من ثلث آثار العالم تفصح عن عبقرية وتفرد وموهبة لم تتكرر حتى اليوم، في الوقت الذي كان العالم كله وقبل ١٠ آلاف عام يعيش حياة همجية قاسية وموحشة في جماعات تسكن الكهوف والأحراش، كانت مصر دولة ذات تخوم وحكومة مركزية وقانون وجيش ولها نظامها السياسي ومواردها الاقتصادية وتقاليدها الاجتماعية ومعتقداتها الدينية ومعابدها وتكنولوجياها، وقبل كل شيء شعبًا كريمًا يتحلى بمكارم الأخلاق نواته الأسرة وعماده الاحترام الكامل للمرأة، والاهتمام الفائق بالأطفال والولاء المطلق للحاكم والحب

الإنهائي لکمت أو الأرض السوداء وهو اسم مصر في عهد الفراعنة. في زيارة للخليفة العباسي السابع عبد الله المأمون بن هارون الرشيد إلى مصر عام ٨٣٢ ميلادية ٢١٧ هجرية جلس وسط حاشيته قائلاً قبح الله فرعون مصر إذ قال أليس لي ملك مصر فلو رأى العراق، فرد عليه قاضي قضاتها قائلاً يا أمير المؤمنين ما تراه اليوم بقية مما دمره الله ﷻ ألم تقرأ قوله تعالى: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَتْ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾ فتلك بقية باقية بعد تدمير فكيف كانت قبله؟، فقد بلغنا يا أمير المؤمنين أنه ليس هناك أرض أعظم من أرض مصر خيراً وبركة والبساتين والأشجار بحافتي النهر من رشيد إلى أسوان، والمرأة تخرج حاسرة بلا خمار لكثرة شجرها وطيب أهلها، وجباية مصر اليوم ٩٠ مليون درهم (الدرهم يساوي ٣.١٢٥ جرام فضة عيار ٩٩٩ أي حوالي ٢٠٠ مليون دولار بأسعار اليوم) وقد قال عمرو بن العاص رضي الله عنه إن ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة وهو محق، لاحظ أن خراج الأندلس في ذلك الوقت يساوي ٧ ملايين درهم والنتائج المحلي لأوروبا كلها بذلك الوقت يعادل خراج الأندلس أي أن حجم الاقتصاد المصري بتلك الأيام يعادل تقريباً ١٠ أضعاف الاقتصاد الأوروبي كله هذا يعني ببساطة أن مصر كانت واحة غناء مزدهرة تجارياً وزراعياً وحرقيًا بينما دول أوروبا جميعها لاتزال غابات وأحراشاً تسكنها جماعات من الغجر والمتوحشين، منذ فجر التاريخ مصر دولة مركزية موحدة مارست سيادتها على كامل تخومها بمفهوم السيادة الحديث قبل العالم أجمع بما لا يقل عن ٥٠٠٠ عام، في تاريخ الحضارات والممالك والأمم يمكن للقارئ العادي والمتخصص أن يميز الشعوب العظيمة والأخرى العادية، بين الشعوب الذهبية المتفوقة والأخرى غير الذات القيمة أو الأهمية والعادية، مصر تتربع على قمة الأمم كقطعة ذهبية ثمينة لا تقدر بثمن متفردة تبقى على مر الزمن ذات قيمة وأهمية حضارية وإنسانية، كل ما يمكن أن يفعله الزمان بها أن يخبؤَ بريقها ويقل نورها، ولكنها دائماً أبداً في ضعفها وقوتها غناها وفقرها تبقي متوهجة متفردة تشع معرفة وقيمة، وحكمة ملهمة للإنسانية، مصر على رأس الأمم الذهبية وفوق قمة الشعوب العبقريّة وإلى يوم الدين.

ورد في كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقي الدين المقريزي (لما خلق الله عز وجل آدم مثل له الدنيا شرقها وغربها، سهولها وجبالها

وأنهارها وبحارها، عمارها وقفورها، ومن يسكنها من الأمم ومن يملكها من الملوك، فلما رأى مصر رأى أرضاً سهلة ذات نهر جار مادته من الجنة تنحدر فيه البركة، ورأى جبلاً من جبالها مكسواً بالنور لا يخلو من نظر الله إليه فدعى سيدنا آدم للنيل بالبركة ولشعب مصر بالرحمة والبر والتقوى والحفظ، وقال: أكثر الله زرعك وضرعك وزكى نباتك ومازال فيك الخير ما لم تتجبري أو تتكبري (أو تخوني).

كما ورد عن ابن عباس في كتاب فتوح مصر وأخبارها لأبى القاسم بن عبد الحكم أن سيدنا نوحاً ﷺ وضع يده على رأس حفيده مصر بن بنصر بن حام ودعا له قائلاً: (بارك الله فيك وفي ذريتك وأسكنك الأرض المباركة التي هي أم البلاد وغوث العباد التي أنهارها أفضل أنهار الدنيا واجعل فيها البركات وسخر لك ولأولادك الأرض وقواهم عليها)، ومن قول سيدنا نوح أم البلاد وردت التسمية الشهيرة عن مصر بأنها أم الدنيا.

مصر أم الدنيا، فضلها الله على سائر بلاد الأرض، وشهد لها في كتابه بالكرم وعظم المنزلة وذكرها باسمها وخصها دون غيرها وكرر ذكرها (ورد اسم مصر صريحاً بالقرآن الكريم ٥ مرات و٢٥ مرة ضمناً)، فضل مصر لا يحتاج إلى برهان فيكفيها أن منها أنبياء الله إدريس وموسى وهارون ويوشع بن نون والخضر ولقمان ودانيال وخرقيل، وعاش فيها إبراهيم ويوسف ويعقوب والأسباط وعيسى عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأتم التسليم.

قال الرسول ﷺ موصياً أصحابه ﷺ: «إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمة ورحمة» وقال أيضاً «الله الله في قبط مصر فإنكم ستظهرون عليهم ويكونوا لكم عدة وأعاوناً في سبيل الله»، صدق رسول الله ﷺ.

ورد عن التابعي كعب الأحبار قوله: مصر بلد معافاة من الغبن من أرادها بسوء كبه الله على وجهه.

كما قال عنها الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري أهل مصر جند شداد ما كادهم أحد إلا كفاهم الله مؤنته.

في رواية عن والى العراق والقائد الأموي الشهير الحجاج بن يوسف الثقفي أنه أوعظ والى مصر في عهد عبد الملك بن مروان طارق بن عمرو فقال

(عليك بالعدل فهم قتلة الظلمة وهادمى الأمم، ما أتى عليهم قادم بخير إلا التقموه كما تلتقم الأم رضيعها وما أتى عليها قادم بشر إلا أكلوه كما تأكل النار الحطب، هم أهل قوة وأهل صبر وجلد فلا يغرنك صبرهم ولا تستضعف قوتهم، فاتق غضبهم وانتصر بهم فهم خير أجناد الأرض).

في حرب فرنسا والمكسيك قال شارل لويس نابليون بونابرت (١٨٥٢-١٨٧٠) المعروف بالأمبراطور نابليون الثالث (قبل أن تصل الكتيبة المصرية لم نحظ بانتصار واحد وبعد أن وصلت لم نر بعدها الهزيمة)، وكان الخديو محمد سعيد باشا والى مصر قد أرسل تلك الكتيبة بناء على طلب الأمبراطور لمساعدته بعد إخفاقات عديدة.

كتب المرشال والنبيل الفرنسى مارمون إلى قيادته في باريس: (لا ترسلوا إلينا فرقة تركية، أرسلوا إلينا كتيبة مصرية)، وكان وقتها يقود قوات الحلفاء (مصر - إيطاليا - فرنسا - إنجلترا - الدولة العثمانية) بحرب القرم ضد روسيا.

كتب كلود بك وهو طبيب فرنسي نابه عمل كبيراً لأطباء الجيش المصري في عهد «محمد علي باشا» واصفاً المصريين (هم أصلح الأمم للحرب من صفاتهم الامتثال للأوامر - الشجاعة والثبات عند المخاطر - الصبر في مواجهة المحن - الإقدام في ميادين القتال - لا يعرفون الخوف وليس في مفرداتهم التردد).

قال أدولف هتلر الزعيم الألماني عن مصر (أعطني سلاحاً روسياً وضابطاً ألمانيا وجندياً مصرياً أغزو بهم العالم).

قال الشيخ زايد آل نهيان رحمته الله: مصر بالنسبة للعرب هي القلب وإذا مات القلب فلا حياة للعرب، نهضة مصر من نهضة العرب.

قال رئيس أركان الجيش الإسرائيلي «بنيامين غانتس»: (الأحداث في مصر تثبت أنه يجب علينا التواضع والحذر في تقديراتنا لقوة الشعب المصري وحيوية شبابه) قال هذه العبارة معلقا على حماسة الشباب الثائر ضد نظام مبارك يوم ٢٨ يناير ٢٠١١.

لا يمكن أن أنسى أو ينسى أي سياسي محلي أو عالمي الصورة التي تناقلتها وسائل الإعلام المحلية والأجنبية عن أحد الشباب المصري الثائر خلال

أحداث جمعة ٢٨ يناير ٢٠١١ وهو يحمل بين يديه قبلى دخان مشتعلتين أطلقتها قوات الأمن المركزى في اتجاه زملائه مواجهها بصدرة احدى العربات المدرعة وهو غير مكترث في تحدٍ ووطنية واضحة وطاقة غير محدودة وقوة لا تغيب عن أعين الخبراء، هذا المشهد الذي أزعج دوائر صنع القرار الإسرائيلية أثبت عبقرية هذا الشعب ومكنونه الحضارى النادر ووطنية شعبه منقطعة النظير وطاقته غير النهائية والتزامه النادر وجميعها أخلاق لا تخرج إلا وقت الشدائد. لقد كان في يقيننا أن شباب مصر أصبحوا ضحية لمخدرات تذهب العقول وملذات تشغلهم عن أنفسهم ومستقبلهم ولكن ما حدث في ثورة يناير ٢٠١١ أثبت عظمة شعبنا وحيوية وقوة شبابه.

الانضباط كلمة السر للأمة المصرية إذا احسن استغلالها أصبحت بقمه العالم، أثناء ثورة يناير ٢٠١١ أنهارت وزارة الداخلية وفقدت أكثر من ٩٠% من معداتها وأفرادها وأحرقت غالب مقراتها، باتت الحكومة عاجزة، الجيش لم يكن مستعدا بعد لتولي مسئولية جهاز الشرطة لا قانونا ولا تدريبا ولا تجهيزا، احتاجت الدولة المصرية لعدة شهور لاستعادة وجودها بالشارع وفرض القانون، وعاشت مصر لمدة اربعة عشرة يوما في غياب كامل لاي سلطة منظمة لحفظ الأمن وتنفيذ القانون سواء سلطة الجيش أو الداخلية إثناء تلك الفترة الطويلة في عمر أي دولة حديثة أثبت الشعب المصري بانضباطه الذاتى عظمته وتحضره، لم ترتفع معدلات الجريمة كثيرا عن معدلاتها الطبيعية انتظم الناس في أعمالهم، لم نشهد عمليات سلب ونهب واسعة كما هو متوقع وحاصل بالدول الأخرى، في مثل تلك الظروف لم نشهد حالات اغتصاب أو قتل أو سرقة على نطاق واسع بل حالات معدودة واجهها الشعب بلجانه الشعبية التي شكلها بعفوية وبدائية عبقرية ففرض أمنا وسلاما في مجتمع يبلغ تعدادة قرابة الـ ٨٥ مليون نسمة يضم بين جنباته مسيحيين وأجانب مقيمين كالعراقيين والسودانيين واليمنيين بوسائل بدائية وإمكانات متواضعة.

مصر دولة عابرة للقارات تتوسط أهم قارات العالم وتتحكم في أهم طرق المواصلات الجوية والبرية والبحرية بالعالم، مصر سره العالم وعنقه من يحكم مصر يؤثر بحكم موقعها الفريد في العالم، تقع في الشمال الشرقي لقارة إفريقيا

ولديها امتداد لقارة آسيا حيث شبه جزيرة سيناء (٦%) من مساحة مصر ويحدها من الشمال البحر المتوسط وسواحل قارة أوروبا الجنوبية، سميت مصر على اسم مصرآيم ابن حام بن نوح عليه السلام، تبلغ مساحتها مليون كم مربع تقريبًا، طولها ١٢٨٠ كم، وعرضها ١١١٥ كم، عدد سكانها ٨٩ مليون نسمة حسب إحصاء ٢٠١٤ يتركزون على مساحة ٧% تقريبًا من مساحتها حيث الدلتا وجانبا وادي النيل، يمثل ساكنو المدن ٥٠% تقريبًا من عدد السكان وتمثل قوة العمل ٣٠% من عدد السكان (٢٨ مليون عامل تقريبًا ٢٠١٤) منهم ٢٠% إناث. ويمثل العاملون بالريف ٥٧% والعاملون بالمدن ٤٣%، يستقطب قطاع الزراعة والصيد ٢٧% من قوة العمل وقطاع التشييد والبناء ١٢% والصناعة ١١% والباقي قطاع الخدمات وبخاصة السياحة والقطاعات المرتبطة بها.

يعيش ٢٥% من عدد السكان تحت خط الفقر أي بدخل أقل من دولار أمريكي يوميًا، كما تبلغ نسبة الأمية ٢٧% من عدد السكان، ونسبة البطالة ١٣% من قوة العمل (حوالي ٣.٦ مليون تقريبًا ٢٠١٤)^(١).

يلزم الدستور الحالي بمواده من ١٨-٢١ الحكومة بإنفاق ما لا يقل عن ٤% من الناتج المحلي الإجمالي على التعليم ما قبل الجامعي و٢% على التعليم الجامعي، عدد الطلاب في مصر أربعة أضعاف سكان النرويج وضعف عدد سكان السويد وأيضًا ضعف عدد سكان البرتغال ويتساوون مع مجموع سكان اليونان وبلجيكا معًا، لو أحسن استغلالهم وتوجيه طاقاتهم لأضافوا قدرات هائلة إلى الناتج المحلي الإجمالي، يبلغ عدد الطلاب في مراحل التعليم قبل الجامعي ١٨.٥ مليون طالب، ٨٥% بمدارس حكومية والباقي منخرطون في التعليم الخاص و٢.٢ مليون طالب في المرحلة الجامعية بالجامعات والمعاهد العامة والخاصة ٧٥% منهم بالجامعات والمعاهد الحكومية (٢٠١٤).

(١) بعد قرار لاجكومة المصرية بتعويم الجنيه المصري أمام باقي العملات الدولية، تغييرات جميع المؤشرات الاقتصادية للأسوأ حيث زادت معدلات البطالة ونسب التضخم حتى وصلت إلى ١٥% و٢٠% على التوالي وزادت نسبة الفقراء إلى أكثر من ٣٠% وانخفض الناتج القومي الإجمالي إلى ٢٣٠ مليار دولار.

حسب إحصاء ٢٠١٤ الوارد بمركز معلومات وزارة التعليم يبلغ عدد المدارس بمختلف مراحل التعليم ٥٠ ألف مدرسة تحتوى على نصف مليون فصل دراسي، كما يبلغ عدد الجامعات في مصر ٢٦ جامعة حكومية و٤ جامعات أهلية غير هادفة للربح و٢٠ جامعة خاصة و١٢ أكاديمية و٨ كليات عسكرية، يبلغ إجمالي مخصصات التعليم ما قبل الجامعي في الموازنة العامة للدولة ٢٠١٤ ٥.٥ مليار دولار والتعليم الجامعي ٢.٥ مليار دولار، يوجد في مصر حوالي ١٢٥ ألف باحث ٤٠% منهم باحثين في العلوم الإنسانية موزعين على الجامعات ومراكز الأبحاث وأكاديمية البحث العلمي بالإضافة إلى حوالي ١٥٠ ألف باحث وعالم مصري يعملون خارجها منهم ١٩٠٠ عالم في تكنولوجيا وعلوم الذرة ومنهم ٤٢ رئيس جامعة مرموقة ومنهم ٢٠٠٠ مهندس يشغلون مناصب مهمة بشركة ميكروسوفت الأمريكية فقط غير عشرات الشركات الأمريكية والأوروبية الأخرى، ينتشر على أرض مصر ٣٥٢ مركزًا بحثيًا منهم ١٤ مركزًا تابعًا لوزارة البحث العلمي و١١٩ مركزًا تابعًا للجامعات والكليات و٢١٩ مركزًا بحثيًا تابعًا للوزارات، تبلغ ميزانية البحث العلمي المصري حوالي مليار دولار تذهب غالبها مرتبات للباحثين والإداريين (٢٠١٤)، يعاني الباحثون المصريون من ضعف التمويل اللازم لأبحاثهم كما أنهم غالبًا مكبلين بقوانين بيروقراطية تتعامل معهم كأنهم موظفون إداريون وليسوا علماء وباحثين نابهين يجب أن يكونوا متفرغين لأبحاثهم ومعاملهم.

من أهم المراكز البحثية في مصر:-

- ١- مدينة مبارك للأبحاث العلمية.
- ٢- مدينة زويل للأبحاث العلمية.
- ٣- معهد علوم الاتصالات والمعلومات.
- ٤- مركز تكنولوجيا الفضاء والاستشعار عن بعد.
- ٥- مركز الكيمياء المتقدمة.
- ٦- المركز القومي لتكنولوجيا الصناعات البحرية.
- ٧- معهد بحوث الطاقة الجديدة والمتجددة.
- ٨- معهد بحوث البيئة والموارد الطبيعية.

- ٩- معهد بحوث الزراعة وتنمية الأراضي القاحلة .
- ١٠- مركز بحوث الرعاية الصحية .
- ١١- مركز بحوث الصناعات الغذائية .
- ١٢- مركز بحوث الصناعات الدوائية .
- ١٣- مركز بحوث القياس والمعايرة .
- ١٤- مركز تكنولوجيا الاختبارات .
- ١٥- مركز البحوث الهندسية .
- ١٦- معهد بحوث البترول .
- ١٧- المعهد القومي للبحوث الفلكية .
- ١٨- معهد تيودور بلهارس للأبحاث .
- ١٩- مركز تطوير الفلزات .
- ٢٠- مركز البحوث النووية .
- ٢١- مركز إدارة المخلفات .
- ٢٢- معهد بحوث الإلكترونيات .
- ٢٣- معهد تكنولوجيا الإشعاع .

واقع البحث العلمي في مصر مزري ولا يرضى أي وطني غيور ويدعو للثناء، المخزون الحضاري لأقوى وأعظم أمة على مر التاريخ معطل ومكبل بإدارة حكومية متخلفة وقوانين بالية وأساليب عمل مقيدة للطاقات العقلية، ثروة مصر العقلية تكاد تكون متوقفة وتتعامل معها الدولة وكأنها مجموعة من الموظفين العموميين وليسوا علماء وعقول وبشرا نابغين، الدولة تنفق أرقامًا هزيلة على التعليم والبحث العلمي والنتيجة ضعف مستوى الخريجين وتدني مستوى الأبحاث العلمية وعشوائيتها وسطحيتها ونتيجة لهذا تحتل مصر المركز ٣٨ من أصل ٤١ دولة مهمة على مستوى عدد البحوث العلمية المنشورة سنويًا كما تحتل المركز ٩٩ من بين ١٤٣ دولة في مؤشر الابتكار العلمي، لا يوجد مجال علمي واحد يمكننا أن نتحدث عنه بفخر وتكون لمصر فيه كدولة وحكومة الريادة إقليميًا وعالميًا ولكن هناك نوابع فريدة مصرية بمختلف المجالات تؤكد المعدن الأصيل

والنادر لهذا الشعب الرائع، الإدارة الحكومية المصرية وعلى مدار عقود لم تستوعب أهمية البحث العلمي في التنمية الشاملة، حتى اليوم تشدق القيادات الكبرى بالوطن بعبارات خطابية لم يؤمنون بها يوماً ولم يستوعبوها، حتى اليوم يرى المخطط المصري والقيادة المصرية أن إنفاق المليارات في ما يمكن أن يموله القطاع الخاص يمثل ضرورة ملحة وأهم لأمن مصر القومي من إنفاق تلك الموارد على أبحاث علمية تسهم في حل مشكلاتنا المزمنة وأمراضنا الفتالة كما أن العقلية التشريعية الحكومية ما زالت تعتمد في عقوباتها على حبس الحريات وما تلزمه من نفقات ضخمة تثقل الموازنة العامة للدولة وتبدد مواردها بينما كثير من العقوبات يمكن تعديل أحكامها لتكون عقوبات مالية فنقل عدد السجنون لا أن نزيدها ونوجه ونزيد مواردنا إلى ما يدعم نهضتنا وتقدمنا، ما زالت العقلية الأمنية القديمة تتحكم في مفاصل الدولة وما زال محدود التفكير وقليلي الخبرة والموهبة يتربعون بأركان السلطة، لقد أوجزت للقارئ جهود الحكومات في تركيا وإيران وإسرائيل لدعم البحوث العلمية وبرامج تلك الدول لربط كافة أنشطة الدولة بالبحث العلمي وكيف يقود العلماء بتلك الدول سياساتها وخططها، وأيضاً كيف تنبعت كل من المملكة السعودية والإمارات أخيراً لأهمية البحث العلمي وتحويل اقتصادهما من اقتصاد مستهلك إلى اقتصاد يعتمد على العلم كمحرك ومولد للدخل القومي، بينما مازلنا في مصر نمتلك جيشاً من العلماء والباحثين ومئات المراكز البحثية، ولكن على الأوراق دون أن يكون لعلمهم وعملهم أثر ولا لتفوقهم دليل، ما لا يعلمه الكثيرون أن التخصص الدقيق للعالم المصري الشهير أحمد زويل هو تكنولوجيا استخدامات الليزر في المجالات المدنية والعسكرية وجائزة نوبل التي حصل عليها كانت بسبب أبحاثه في علم أشعة الليزر وتطبيقاته التي كان منها اختراعه كاميرات الطيف التي تلتقط الصور في فيمتو ثانية، لقد ذكرنا سابقاً كيف أن إسرائيل لديها تكنولوجيا استخدام الليزر في تخصيب اليورانيوم اللازم للمفاعلات النووية والاستخدامات العسكرية وهي تكنولوجيا رغم تعقيدها إلا أنها رخيصة وقليلة الوقت مقارنة بالتكنولوجيا التقليدية للتخصيب في وحدات الطرد المركزي، زويل معروف للعالم وللحكومة المصرية منذ عام ١٩٩٣ حيث حصل على جائزة ولف الإسرائيلية أرفع الجوائز

العلمية تقديراً لأبحاثه في مجال الفيزياء والكيمياء ومنها الليزر، ومن قبلها حصل على جائزة الملك فيصل عام ١٩٨٩ في العلوم هل كان بمصر من يهتم؟ هل كان بمصر من لديه رؤية وطموح فيستعين بخبرات الرجل ونبوغه وتفوقه فينتقى من أبنائها النابهين ليعطيهم من علمه وموهبته؟ هل كان هناك بمصر مؤسسة واحدة تنهت لأهمية العلم الذي يمثله هذا الرجل وغيره فاستعانت به لتحقيق تقدم علمي يدعم قوتنا.

○ بعض علماء مصر رفيعي المستوى بالداخل والخارج

- فيما يلي قائمة ببعض أهم علماء مصر بالخارج يسهمون بنبوغهم وتفوقهم في خدمة بلاد وأوطان أخرى غير بلادهم وأوطانهم.
- ١- دكتور أبو بكر الصديق، عالم الرياضيات الشهير الحاصل على جائزة أفضل عالم رياضيات بالعالم من أكاديمية جاليليو بلندن، والأستاذ الزائر لجامعات أوروبا وأمريكا، والذي له أكثر من ٥٠٠ بحث علمي ونظرية باسمه.
 - ٢- الدكتور محمد عبده، أستاذ الفيزياء وبخاصة الاندماج النووي والحاصل على جائزة أينشتين من الأكاديمية الصينية للعلوم ورئيس مركز الأبحاث المتقدمة للطاقة بجامعة كاليفورنيا.
 - ٣- المهندس المصري كريم رشيد، أشهر مصمم صناعي بالعالم، تعرض تصميماته بمتاحف الفن الحديث بالعالم وخصوصاً متحف الفن الحديث في نيويورك وسان فرانسيسكو، له أكثر من ٢٠٠٠ تصميم عبقرى في العمارة الداخلية والخارجية والإنارة والأثاث.
 - ٤- دكتور مجدي بيومي، أهم علماء العالم في مجال الحاسب الآلي والذكاء الصناعي، له عشرات الأبحاث والأوراق العلمية كما له أكثر من ٢٥ اختراعاً مهماً في مجالات الحاسب الآلي والذكاء الصناعي، يشغل رئيس قسم الحاسب الآلي بجامعة لويزيانا الأمريكية، كانت أبحاثه الأساس في إنتاج الـ إى بود.
 - ٥- العالم المصري أحمد زويل، المصنف رقم واحد عالمياً في مجال الكيمياء والفيزياء، حاصل على جائزة نوبل في الكيمياء وجائزة لورانس وعضو

الأكاديمية الأمريكية للعلوم وأستاذ الكيمياء بمعهد كاليفورنيا للتكنولوجيا، صاحب اكتشاف أصغر وحدة للزمن الفامتو ثانية والتي تعادل ثانية على ١٠ مليار سنة، أبحاثه أسهمت في فهم أدق وأوسع للكيمياء وبخاصة التفاعلات الكيميائية وأسباب حدوثها بل وتصويرها أثناء حدوثها، وفهم منطق سلوكها.

٦- دكتور مصطفى السيد، أستاذ الكيمياء بجامعة جورجيا للتكنولوجيا الحاصل على وسام العلوم الأمريكي ومرشح لجائزة نوبل للطب عن إسهاماته الواضحة في مجال مكافحة أمراض السرطان باستخدام تكنولوجيا حبيبات الذهب النانومترية.

٧- دكتور محمد النشائي، فيزيائي ومهندس صاحب نظرية القوى الأساسية الموحدة التي تعالج إخفاقات النظرية النسبية لأينشتين وتدمج ميكانيكا الكم وميكانيكا الأجسام الكلاسيكية في نظرية واحدة ولأول مرة في التاريخ البشري، مرشح لجائزة نوبل للفيزياء خاصة بعد الاكتشافات التجريبية الأخيرة والتي أيدت نظريته وبخاصة بعد اكتشاف أثر التيكونات وهي الأجسام التي تسير بسرعة أكثر من سرعة الضوء بمعمل سيرن للأبحاث في أوروبا.

٨- دكتور عصام حجي، جيولوجي مصري وعالم بوكالة ناسا للفضاء مدير معهد الأقمار والكواكب التابع للوكالة.

٩- دكتور فاروق الباز، رئيس وحدة أبحاث الفضاء بجامعة واشنطن، أحد أعضاء فريق أبولو والمسئول عن تحديد أنسب مناطق هبوط أول كبسولة فضائية تحمل بشراً على سطح القمر.

١٠- دكتور سمير بانوب، أبرز علماء العالم في مجال التنمية الصحية والإدارة والتخطيط الطبي، أحد واضعي أسس نظام الرئيس الأمريكي باراك أوباما للرعاية الصحية، كتب له الرئيس الأمريكي (شكراً لك بسببك أصبح لكل أمريكي غطاء للتأمين الصحي لك كل الاحترام).

١١- دكتور هاني مصطفى، أحد أهم علماء العالم في تكنولوجيا محركات الطائرات، منسق الأبحاث الهندسية بين وكالة ناسا للفضاء وشركة برات اند ويتني لصناعة الطائرات الأمريكية العملاقة.

- ١٢- دكتور شريف الصفتي، أستاذ الكيمياء بجامعة واسيدا اليابانية، مرشح لجائزة نوبل في الكيمياء عن أبحاثه في استخدام النانوتكنولوجيا في تنقية المياه المشعة.
- ١٣- دكتور رضوان علام، المصنف الثالث عالمياً في مجال تكنولوجيا الفيزياء الكونية، أستاذ زائر للعديد للجامعات العالمية، له أبحاث رائدة في مجال تنقية المياه بواسطة الطحالب.
- ١٤- دكتور حسن عارف، أستاذ الميكانيكا وهندسة المعادن بجامعة فيرجينيا للتكنولوجيا والجامعة التقنية بالدانمارك، له أبحاث القيمة في مجال الفوضى ال Advaction.
- ١٥- دكتور عبد المنعم الجنائني، فيزيائي مصري، وهو رئيس وحدة أبحاث الطاقة الذرية بشركة وستنجهوس الأمريكية العملاقة،
- ١٦- الدكتور عصام معروف، عالم الفضاء المصري بوكالة ناسا ونائب عميد كلية الهندسة للابحاث بجامعة سان جوزيه بولاية كاليفورنيا.
- ١٧- الدكتور مصطفى إبراهيم مصطفى، عالم الرياضيات والمشهور بلقب نيوتن المصري، استاذ بمعهد علوم الرياضيات بجامعة كامبردج، متخصص في علم التشفير وتأمين الاتصالات وبخاصة عبر الاقمار الصناعية من الاختراق.
- ١٨- الدكتور علي الشافعي أستاذ هندسة الاهتزازات بكلية الهندسة جامعة القاهرة والحاصل على جائزة الابتكار الأولى بأفريقيا متفوقا على ٢٥٠٠ عالم أفريقي عام ٢٠١٦ عن أبحاثه في اختراع كراسي محاور ذكية، استعان به سلاح الجو الأمريكي في علاج بعض المشكلات بمحركات الطائرات.
- ١٩- الجراح المصري مجدي يعقوب، أحد أهم جراحي القلب بالقرن العشرين، أجرى أكثر من ٢٠ ألف عملية قلب ناجحة، حاصل على لقب سير من ملكة إنجلترا بقانون خاص حيث إنه رفض التنازل عن جنسيته المصرية كشرط لنيل هذا اللقب البريطاني الرفيع، كما أنه حاصل على وسام قلادة النيل عن إسهاماته القيمة في تقدم البشرية وتفوقه،
- ٢٠- دكتور محمد ذهني فراج أستاذ القلب بمستشفى ويستمنستر الجامعي بلندن له ابتكاراته في عمليات القلب المفتوح.

- ٢١- دكتور مصطفى هاللي، رئيس قسم المسالك البولية بجامعة ماكجيل الكندية له ابتكارات مهمة ودولية في مجال تخصصه.
- ٢٢- المهندس هاني عازر مصمم ومنفذ أكبر محطة قطارات بالعالم وأوروبا وهي محطة برلين، بلغت تكلفة المحطة ٤ ونصف مليار يورو وله نظرياته في التشييد والبناء بغرض توفير الوقت والتكاليف، كرمته المستشار الألمانية ميركل وعينته مستشارًا بالحكومة الألمانية.
- ٢٣- دكتور جمال عصمت رئيس الاتحاد العالمي للكبد.
- ٢٤- دكتور ياسر عبد الوهاب مدير مركز أبحاث ليستر بإنجلترا.
- ٢٥- الطفل المصري محمود وائل أذكي عقل بالعالم (١٥٥ درجة على مقياس ذكاء جامعة ستانفورد) وهو حاليًا أصغر أستاذ بالجامعة الأمريكية بالقاهرة وله أبحاثه القيمة في علوم شبكات الحاسب.
- ٢٦- وأخيرًا ورغم أنه تم تصفيته بمعرفة مخبرات الدول الكبرى عام ١٩٨٩ ويعتقد أن لإسرائيل ضلعًا فيه إلا أنني لا بد أن أذكر المهندس العبقري المصري عقيد دكتور سعيد سيد بدير، الذي كانت أبحاثه سوف تجعل لمصر السيادة على دول العالم في مجال تكنولوجيا التحكم بالاقمار الصناعية بل وتدميرها أو إعطابها الذي لجا إلى بلده مصر طالبًا للأمان ولم يتصور يومًا كم نحن مخترقين فتمت تصفيته بعد أن رفض أن يسهم بعلمه وعبقريته في نهضة أمة أخرى غير أمته ووطنًا آخر غير وطنه. لا أعلم حتى الآن كيف سمحت ووافقت قيادة القوات المسلحة بإحالة هذا العالم النابه إلى التقاعد، كيف لم توفر له التمويل اللازم لأبحاثه في هذا المجال العلمي المهم.
- هذا قليل من كثير لعقول مصرية نابهة لا يمكن حصرها، من حسن الحظ أن بمصر دائمًا وطنيين مخلصين ولكن أحلامهم وطموحهم دائمًا تتبدد على صخرة التخلف الحكومي والإدارة السياسية المصرية، عدد مراكز الأبحاث وتنوعها هو كنز أسسه وأخرجه إلى النور الوطنين والشرفاء من أبناء هذا الشعب المتفرد يوم كانوا مسئولين بالوزارات والجامعات والأكاديميات، هذا الكنز وطاقاته الهائلة هو نتيجة مبادرات فردية وليس جهدًا حكوميًا منظمًا، هذه الثروة

والبنية الأساسية تنتظر لحظة يدرك فيه متخذ القرار ومخطط الدولة أن بداية نهضة مصر الحقيقية تبدأ من الإصلاح الحقيقي والشامل للتعليم في مصر والبحث العلمي وتبدأ بدعم تلك المراكز البحثية ودعم ورعاية منتسبيها، الواقع أن مصر تتأخر في سباقها الإقليمي وسط الأمم، لقد جاء ترتيب السعودية أفضل من مصر في عدد الأبحاث العلمية المنشورة، لقد أصبحنا اليوم نقارن مصر ببعض دول الخليج وليس إسرائيل ولا تركيا ولا إيران ولا أي دولة أوروبية أو آسيوية، أخشى وبعد عقد آخر من سوء الإدارة السياسية المصرية أن نقارن أنفسنا بإحدى جمهوريات الموز.

لقد تأخرت مصر كثيراً في علوم الذرة ودورة الوقود النووي وتخصيب اليورانيوم وتكنولوجيا البلازما وأبحاث الأمان النووي والسلامة الإشعاعية والنانوتكنولوجي وعلوم الفضاء وأبحاث الذكاء الصناعي والهندسة الوراثية والبيوتكنولوجي وأبحاث العلاج بالخلايا الجذعية، كما تأخرت في علوم الميتالورجي وبطاريات الطاقة والمواد بصفة عامة وتكنولوجيا المحركات الصاروخية والتربينات والمضخات والريبتوات، علينا توجيه أبحاثنا وبكثافة نحو الأبحاث التطبيقية لإنتاج سلالات من الحبوب عالية الإنتاجية قليلة الحاجة إلى المياه كما علينا توجيه أبحاثنا إلى أبحاث استصلاح الأراضي الصحراوية والقاحلة، أيضاً علينا استنباط تكنولوجيات محلية لإدارة المخلفات وتطوير أساليب الري ومقاومة الأمراض المتوطنة وتنقية المياه الجوفية، علينا توجيه أبحاثنا في تكنولوجيا التسليح الفوق صوتية وإنشاء ودعم قدرات جيشنا الإلكتروني وإمداده بالنوابغ العلمية والعقلية (إيران وفي سبيل إنشاء جيشها الإلكتروني أعلنت عن مسابقة وطنية بين شبابها لهذا الغرض واستطاعت جذب أكثر من ١٠ آلاف شاب وشابة ممن يتقنون هذا المجال ولديهم مواهب وقدرات خاصة فيه)، كما علينا توجيه أبحاثنا وقدراتنا العلمية نحو تكنولوجيا التصوير الفضائي والاستشعار عن بعد الضرورية في البحث عن الثروات الطبيعية وأيضاً الاستخدامات العسكرية، علينا تصميم البرامج والمبادرات لتفريخ مئات الآلاف من العلماء والخبراء وتوفير الموارد المالية والمعملية لاستغلال مواهبهم في تحقيق نمو حقيقي في مخرجات البحث العلمي في مصر وربطه بحاجات المصانع

والشركات والوزارات وعلى رأسها الدفاع والخارجية وتطوير مجتمعنا ليكون مجتمعاً معرفياً يتقدمه أبنائه العلماء، كما يجب إعادة تصميم القوانين واللوائح التي تحكم العمل بجمع الجهات التي تشرف على التعليم والبحث العلمي، يجب أن تكون الجامعات المصرية شعلة من التنافس الحقيقي الجاد بين منتسبيها وأن يكون النبوغ العلمي مقياساً للترقى، كل يوم تتأخر فيه الحكومة المصرية عن علاج مشكلة التعليم والبحث العلمي في مصر يزداد باقى منافسيها الإقليميين قوة وتقدم وتزداد مصر ضعفاً وتدهوراً، لا يمكن أن نصرح أن القدرات البشرية المصرية يحسن استغلالها أو تمثل قوة ذات ثقل جيد في عناصر قوتها الشاملة. أن معدن هذا الشعب الأصيل النادر يتوهج وقت الشدائد وينتظم في تفرّد لمواجهة التهديدات وقت الحروب ولكننا هنا نتحدث عن القدرات البشرية وقت السلم ومستوى إضافتها إلى عناصر القدرة الشاملة هنا نتحدث عن التفوق العلمى، مصر اليوم تكاد تعاني حقيقة من ضعف مستوى الخريجين من منظومة التعليم وندرة الخبراء والمهويين بعد تسرب الأكفاء منهم إلى خارج الوطن بحثاً عن بيئة أفضل وحياة مناسبة تنمو معها مواهبهم وتلاءم معها عقولهم النابغة، الميزة التنافسية التي كنا نشدق بها خلال حقبة التسعينيات وحتى فترة قريبة عن توافر الأيدى العاملة المدربة والكفاءات في كل المجالات أصبحت عبارة إنشائية لا تمت للواقع بصلة، اليوم تعلم جميع الشركات الأجنبية العاملة في مصر وأيضاً المحلية أن عليها أما الاستعانة بعمالة من جنوب شرق آسيا أكثر تدريباً وأفضل تعليماً وأسهل قيادة أو تصميم برامج تدريبية طويلة ومكلفة لإعادة تأهيل العمالة الوطنية التي تولدها أنظمة تعليم فاشلة ومتخلفة، لقد اختبرت بنفسى مستوى خريجي الطب والهندسة والتجارة من الجامعات الهندية والباكستانية أوائل تسعينيات القرن الماضى كانت هناك فجوة بيننا كمصريين وبين أولئك الهنود والباكستانيين لصالحنا، ثم كان لى أيضاً نفس التجربة في العام ٢٠٠٥ أي بعد ١٥ عاماً حيث زادت الفجوة واتسعت بدرجة كبيرة لصالح مخرجات الجامعات الهندية والباكستانية بتلك المجالات وغيرها وأصبحت العمالة القادمة من تلك الدول بمختلف درجات تعليمها ومهاراتها أفضل بكثير من العمالة المصرية وأكثر احترافية، لقد أصبحت الشهادات العلمية التي تمنحها الجامعات المصرية محل

شك وعدم تقدير واعتراف الدول الإقليمية وخصوصًا بالخليج، ناهيك عن الدول الأجنبية بأوروبا وآسيا وأمريكا، هناك الكثير من العمل لرفع جودة القدرات البشرية المصرية ونحتاج إلى كثير من الإخلاص لتحقيق استغلال حقيقي للموارد البشرية المتاحة، وهي ضخمة وتحتاج إلى برامج تطوير علمية وغير تقليدية، الموارد البشرية والعقلية المصرية هي أعظم الموارد التي تمتلكها مصر، وهي القاطرة الوحيدة لتحقيق تقدم جوهري حقيقي وإنجاز تحول استراتيجي في مسار الدولة المصرية.

الموارد الاقتصادية (القوة الاقتصادية)

○ مقدمة

في التقارير الصادرة عن المنتدى الاقتصادي العالمي ٢٠١٤ تصدرت مصر الترتيب ١١٩ على مستوى العالم كترتيب دولي عام بالمؤشر الإجمالي للتنافسية العالمية، الترتيب صدمة ومنتدني جدًا ولا يليق بمكانة ولا إمكانيات مصر، في هذا المؤشر يتم الاعتماد على ١٢ ركيزة هي ما تحدد مكانة الدولة وسط دول العالم كدولة قادرة على المنافسة في المجالات كافة وعلى رأسها الاقتصاد، مصر ١١٩ من ١٦٠ دولة حسب تقرير ٢٠١٤-٢٠١٥.

الركائز التي يعتمد عليها المؤشر في تقييمه للدول هي:-

- ١- ليبرالية المؤسسات أي الديمقراطية والشفافية في اتخاذ القرارات داخل مؤسسات الدولة.
- ٢- استقلال القضاء أي استقلاله إداريًا وماليًا واقتصار دور وزير العدل في التنسيق بين السلطة القضائية والتنفيذية وتحسين كفاءة الاتصال بين السلطتين.
- ٣- كفاية وكفاءة البنية التحتية.
- ٤- ارتفاع مستوى خدمات الصحة والتعليم الأساسي.
- ٥- مستوى التعليم الجامعي.
- ٦- انتظام سوق السلع وقلة الاحتكارات.
- ٧- ثراء سوق العمل.

- ٨- مرونة سوق المال.
- ٩- التطور التكنولوجي.
- ١٠- حجم السوق.
- ١١- تطور الأعمال.
- ١٢- الابتكار.

الجدول التالي يعطي ترتيبًا تفصيليًا لمصر داخل المؤشر في أكثر من ٢٠ مؤشرًا فرعياً لبيان مدى التديني العام للدولة.

ترتيب الدولة المصرية في مؤشرات التنافسية العالمية ٢٠١٤-٢٠١٥		
الترتيب ضمن دولة ١٦٠	المؤشر	مسلسل
١١٧	حماية المستثمر	١
١٢٥	الجودة العامة للبنية التحتية	٢
١٢٢	الادخار المحلي	٣
١٢١	جودة توفير الكهرباء (انتظامها)	٤
١٢٤	جودة خدمات البحث العلمي والتدريب	٥
١٢٩	الخدمات المالية	٦
١٢٩	سهولة الاقتراض	٧
١٣١	حصة الشركات المحلية في قنوات التوزيع العالمية	٨
١٢١	عوائق التجارة الداخلية والخارجية	٩
١٠٨	قدرة الدولة على اجتذاب المواهب	١٠
٩٥	التعاون بين العامل واصحاب العمل	١١
١٤٣	الإرهاب	١٢
١٣٧	العنف والجريمة	١٣

١٣٠	إهدار الإنفاق العام	١٤
١٤٢	عجز الموازنة العامة	١٥
١٢٥	الدين العام	١٦
١٣٤	عدم الاعتماد على الإدارة الاحترافية	١٧
١٣١	عدم ربط الإنتاج بالأجر	١٨
١٣٩	انخفاض مشاركة الإناث	١٩
١٣٣	التعاون بين الجامعات والصناعة في البحث العلمي	٢٠
١٣٣	تدنى إنفاق الشركات على البحث والتطوير	٢١
١٣٥	انخفاض جودة مؤسسات البحث العلمي	٢٢
١١٩	المؤشر الإجمالي العام للدولة المصرية	٢٣

مما هو جدير بالذكر أن الترتيب العام لإسرائيل على نفس المؤشر ٢٢ وللسعودية ٢٥ وتركيا ٤٤، وإيران غير موجودة نظرا لقلّة البيانات وندرة المعلومات التي يحتاجها التقرير لكي يحصي ترتيبها العام.

مصر ليست دولة نفطية غنية تمتلك احتياطات ضخمة مؤكدة من النفط والغاز، ولكنها غنية فاحشة الثراء في موارد أخرى تعدينية وخدمية بالإضافة إلى مواردها البشرية المتاحة والمتوقعة وايضا موقعها الجغرافي العبقري وسط أهم الممرات العالمية، هناك دراسات تقوم بها أجهزة المخابرات في الدول الكبرى والمنظمات الدولية والشركات متعددة الجنسيات الكبرى بغرض تحديد حجم الثروات الطبيعية مثل البترول والغاز والمعادن والغابات بالدول المختلفة، هذه التقارير تعطى تصورا عن حجم التمويل المتوقع لخطط التنمية وحجم توافر رؤوس الأموال المطلوبة بعيدا عن الأداء الحكومي سلبا أو إيجابا، وبالتالي تعطى هذه التقارير تصورا عن مناطق النمو المتوقع حول العالم بناء على توافر الثروة المطلوبة والتمويل المناسب للتنمية والتحديث، الجدول التالي يعطى صورة تقريبية عن حجم الثروات لدى أهم ٢٠ دولة بالعالم تمتلك احتياطات من الثروات الطبيعية المؤكدة وأهمها النفط والغاز (التقرير إعداد شركة بريتش بتروليم العملاقة ٢٠١٣).

حجم الثروة المؤكدة من النفط والغاز تقرير شركة بريتش بتروليم ٢٠١٣			
حجم الثروة بالمليار دولار	الترتيب العالمي	البلد	مسلسل
٤٠٠٠٠	١	روسيا الاتحادية	١
٣٥٠٠٠	٢	الجمهورية الإسلامية الإيرانية	٢
٣٤٠٠٠	٣	فنزويلا	٣
٣٣٠٠٠	٤	المملكة السعودية	٤
٢٩٠٠٠	٥	الولايات المتحدة الأمريكية	٥
٢٠٠٠٠	٦	كندا	٦
١٨٠٠٠	٧	جمهورية العراق	٧
١٦٠٠٠	٨	قطر	٨
١٤٠٠٠	٩	الإمارات العربية المتحدة	٩
١٣٠٠٠	١٠	جمهورية الصين	١٠
١٢٠٠٠	١١	الكويت	١١
١٠٠٠٠	١٢	تركمانيستان	١٢
٩٠٠٠	١٣	استراليا	١٣
٧٠٠٠	١٤	نيجيريا	١٤
٦٨٠٠	١٥	كازاخستان	١٥
٦٥٠٠	١٦	الهند	١٦
٦٠٠٠	١٧	ليبيا	١٧
٤٠٠٠	١٨	الجزائر	١٨
١٠٣٠٠٠		إجمالي حجم الثروة بالدول العربية	
١٥١٨٠٠		إجمالي حجم الثروة بالدول الإسلامية	
أسعار البترول والغاز حسب متوسط ٢٠١٣			

مصر تتوسط أهم وأغنى الدول التي تملك ثروات طبيعية، أسواق تلك الدول ومواردها المالية يجب أن تكون حافزاً لمصر على وضع خطط طموحة للاستفادة القصوى من تلك الموارد، لاحظ أن هناك دولتين ملاصقتين لمصر وردت بهذا التقرير هما السعودية بإجمالى ثروة طبيعية ٣٣٠٠٠ مليار دولار وليبيا بثروة طبيعية ٦٠٠٠ مليار دولار، أرقاماً هائلة تعنى معيماً لا ينضب من رءوس الأموال الأجنبية الضرورية لتغيير وجه الحياة فوق أرض مصر، كما تعنى أسواقاً متنامية وطلباً لا نهائياً على المنتجات التي تصنع بمصر. تعنى ميزة تنافسية لموقع مصر أن يكون منصة Hub للشركات والمؤسسات الدولية التي تمثل أسواق تلك الدولتين وغيرها أهمية استراتيجية لها، مصر من أقرب الدول التي تستطيع الاستفادة جيداً من القدرات الاقتصادية السعودية والليبية والعراقية والقطرية والكويتية والجزائرية، في الجدول السابق كانت مؤشرات عن ثروات مؤكدة في باطن الأرض، أما الجدول التالي فيوضح حجم الأموال المتاحة بالصناديق الاستثمارية للدول العربية وجاهزة للاستثمار في أي مكان يتوافر فيه الشروط الضرورية المعروفة للبيئات الاستثمارية المناسبة.

حجم الصناديق السيادية لأهم الدول العربية ٢٠١٤		
مسلسل	الدولة	الحجم بالمليار دولار
١	المملكة العربية السعودية	٧٥٠
٢	الإمارات	٧٠٠
٣	الكويت	٥٩٠
٤	قطر	٤٥٠
٥	الجزائر	١٧٠
٦	ليبيا	١٠٠
٧	العراق	٦٠
	الإجمالى	٢٨٢٠

تلك الدول مجتمعة تمتلك صناديق سيادية يستثمر فيها فائض ثروتها البترولية في مشروعات بمئات المليارات من الدولارات بجميع دول العالم نصيب مصر فيها لا يذكر، قطر من أسرع وأهم الدول التي تستثمر مئات المليارات من الدولارات بالعالم، نصيب مصر منها لأشياء، قطر والامارات من اكثر الدول استثمارا في إيران وفي كافة دول العالم بينما استثماراتهم في مصر ونتيجة عدم وجود ضمانات حقيقية تحمي استثماراتهم فليس لديهم الا ارقاما متواضعة، قطر تستثمر في مساحات زراعية شاسعة باستراليا تعادل مساحة لبنان، سابقا ذكرنا ان استثمارات الامارات في ايران فتبلغ ٣٠ مليار دولار بينما في مصر فالارقام مخجلة ولا داعى لذكرها، يجب التعامل مع كل من السعودية وليبيا وباقي دول الخليج بالإضافة إلى السودان كاننا بلدًا واحدًا وشعبًا واحدًا تحكمهم تشريعات وقوانين متقاربة ويكون التخطيط الاستراتيجي متقاربًا ومتناغمًا ومتطابقًا، الثروة السعودية والليبية وباقي دول الخليج والموارد السودانية الضخمة قادرة على تحويل الجميع إلى قوة عظمى عالمية وليس إقليمية، حاليا الإدارة السعودية على المستوى الاقتصادي أكثر نضجًا واحترافية من الإدارة الاقتصادية المصرية، بقدر سرعة تطور الإدارة المصرية بقدر سرعة التكامل المصري السعودي وتسريع التكامل المصري الخليجي والليبي، إذا ما أضفنا إليه السودان لتغيرت موازين القوى في الشرق الأوسط وإفريقيا، نلاحظ أيضًا أن ليبيا ضمن أهم عشرين دولة بالعالم من حيث امتلاك الموارد الطبيعية بثروة تقدر بـ ٦٠٠٠ مليار دولار أي ١٨ مرة حجم الناتج المحلي الإجمالى لمصر حسب نتائج ٢٠١٤، ليبيا هي الجارة لمصر من ناحية الغرب، هل يمكن لمصر أن تستفيد من الثروة الضخمة لدى ليبيا لتحقيق نمو اقتصادى ضخم بالبلدين يحقق مصلحة البلدين؟ لو كانت الحكومات الإسرائيلية أو الإيرانية أو التركية هي الجارة لليبيا لحدث الآتي:-

- ١- تحركت الخارجية تجوب عواصم العالم تشرح كارثة وجود أكثر من مليون مواطن يعملون فيها ومن واجبها حمايتهم من الجماعات الإرهابية التي تسيطر عليها وعلى رأسهم تنظيم الدولة داعش، ولطلبت دعم الدول الكبرى لاستصدار قرار دولى يسمح لها بالتدخل العسكرى لحماية مواطنيها.
- ٢- نشطت أجهزة المخابرات الحربية والعامة على الأرض لجمع المعلومات الدقيقة عن جميع الميليشيات المسلحة وقاداتها الميدانيين والسياسيين ولكان

لدى صناع القرار السياسى والعسكرى المعلومات الكافية عن إعدادها وأماكن تجمعاتها ومصادر تسليحها وتمويلها وخطوط إمدادها وأهم قياداتها وتكتيكاتها .

٣- لكانت القيادة السياسية قد كلفت القيادة العسكرية بوضع خطة تدخل عسكرى سريعة أهدافها الآتى :-

١- إضعاف جميع الفصائل المسلحة وإخماد أسلحتهم الرئيسية .

٢- إنشاء ممرات برية وبحرية آمنة لعودة المواطنين الليبيين .

٣- السيطرة على منابع النفط والغاز بشرق ليبيا .

٤- وضع خريطة دقيقة عن مراكز القيادة والسيطرة لجميع الفصائل المسلحة على الأرض .

٥- فرض حصار بري وبحري وجوي على كامل حدود الدولة لمنع وصول المساعدات العسكرية والمالية والأفراد إلى تلك الميلشيات .

لقد كان الاقتصاد المصري على موعد لنمو حقيقى وضخم في حقبة الخمسينيات والستينيات، لو تبيننا النموذج الألمانى أو الفرنسى أو حتى الإسرائيلى لكان وضعنا الاقتصادى مختلف كلياً ولكننا ضمن أهم عشرين اقتصاداً عالمياً ومنذ عقدين على الأقل، في فترة الثمانينيات من القرن الماضى كانت رؤوس الأموال بهونج كونج تبحث عن ملاذات آمنة استعداداً للحظة رجوع هونج كونج إلى الدولة الأم الصين مئات المليارات كانت تنتظر أين تتوجه يومها كانت الصين كما نحن اليوم مكبلة بما يجعل الاستثمار فيها ضرباً من الجنون وكان أصحاب رؤوس الأموال تدرس وتفاضل بين أكثر الأماكن جذباً للاستثمارات وثقة لدى المستثمرين، ذهب الخبراء ورجال الأعمال وبعض السياسين إلى الرئيس المصري والجنرال السابق حسنى مبارك يتحدثون معه عن الإمكانيات الضخمة لمعدن القناة وكيف أن موقع تلك المدن والتي يمر خلالها أهم ممر ملاحى عالمى وهو قناة السويس يجعلها هي البديل المناسب لهونج كونج وغيرها من مليارديرات العالم وصناديق الاستثمار الحكومية والخاصة التي تبحث عن فرص استثمار وتنمية، كانت بور سعيد على رأس تلك المدن الملائمة لتكون هونج كونج الشرق، أو سنغافورة البحر المتوسط، كالعادة لم يستوعب الجنرال

السابق ومستشاروه الأمنيين الفرصة وذهب عقله الأمني وأيده في ذلك مستشاروه النمطيون إلى أن تلك الدعوات والأفكار مقدمة لكى تخترق إسرائيل ورؤوس الأموال اليهودية الدولة وتسيطر على منطقة القناة الاستراتيجية وأن تلك الدعوات هي دعوات استعمارية ومؤامرة للنيل من مصر واستقرارها واستقلالها، رفض الجنرال الفكرة فذهب الجميع إلى الإمارات وتحديداً إمارة دبي وفى أقل من ٢٥ عامًا تحولت دبي من صحراء جرداء إلى واحة من الحدائق والرقى والتقدم ومحط أنظار العالم وحلم ملايين من البشر وملجأ لمئات المليارات من الدولارات، أيهما أهم اليوم منطقة جبل على بدبي أم بورسعيد؟ من كان أكثر ميزة وتنافسية بورسعيد أم جبل على؟، أيهم أكثر مقومات سياحية وبيئية وسكانية وجغرافية؟ بعد سقوط الاتحاد السوفييتى في بداية تسعينات القرن الماضى تأكد للجميع فشل النماذج الشيوعية والاشتراكية والمركزية في الحكم، ثبت للجميع أن الأنظمة السياسية الليبرالية والاقتصاد الحر الداعم للمهارات العقلية والفردية هي أنظمة ستقود العالم لعقود عديدة قادمة رغم عيوب الرأسمالية والليبرالية الغربية إلا أنهم في الإجمالى أكثر إيجابية من النظريات الشيوعية والاشتراكية الاقتصادية والسياسية، ظهرت وانتشرت نظريات المميزات التنافسية والتي تجعل من اقتصاد المعرفة هو من يقود تطور الأمم وليس اقتصاد الثروات الطبيعية، نال مايكل بوتر نوبل في الاقتصاد بفضل نظريته الـ Copitative Edges أصبحت الإنتاجية وليس عوامل الإنتاج هي كلمة السر في التقدم الاقتصادي أن ما حققته شركة مثل ميكروسوفت للنتائج المحلى الأمريكى وبسبب المهارات العقلية لمؤسسيها وموظفيها يساوى دخلاً سنوياً يساوى قدر البترول الذي تستخرجه السعودية في عام، لم تعد الثروة مركزة في الموارد الطبيعية بالمناجم والمزارع والحقول أو المميزات النسبية بل أصبحت الثروة في الموارد العقلية والتقنية بالمعامل ومراكز الأبحاث، استغرق الجنرال الذي كان يحكم مصر عقد الثمانينيات كله حتى يستوعب أهمية تنمية القطاع الخاص وإتاحة الفرصة للمواهب الإدارية والعقلية بالقطاع الخاص لكى تسهم في تقدم الوطن وتنميته، عشر سنوات كانت كافية لانطلاق طاقات ضخمة وجذب عشرات المليارات للاستثمار وتحقيق تنمية حقيقية للوطن، اليوم باتت دول مثل الامارات وتركيا وإسرائيل والسعودية وايران

وقطر والمغرب والجزائر أكثر جذبًا للاستثمارات من مصر، اليوم تتحدث الحكومة المصرية إلى دول العالم تطلب استثماراتها ومستثمريها المحليين يهربون؟ تستخدم نظامها القضائي كله في محاربة خصومها السياسيين؟، معدلات الادخار المحلية^(١) في مصر لا تكفى لتحقيق معدلات نمو كافية للسيطرة على البطالة ضمن معدلات آمنة لسلامة المجتمع وفي نفس الوقت يتحقق نموًا كافيًا من أجل الحفاظ على وضع مصر الإقليمي الذي تستحقه وسط الدول الإقليمية الكبرى، مصر بوضعها الجغرافي ومناخها الرائع وحجم سوقها الضخم ومواردها الطبيعية والبشرية مؤهلة لجذب عشرات المليارات من الدولارات كاستثمار دولي مباشر سنويًا، تخلف الإدارة الحكومية وعدم كفاءة كوادر الدولة والنفوذ غير الطبيعي للجهات الأمنية وادائها غير المنضبط وتخلف القوانين الاقتصادية وغياب العدالة الناجزة واستقلال القضاء وحجم الفساد الملحوظ وشموله كافة أركان الدولة جميعها أسباب تمنع تدفق تلك الأموال الضرورية لهضة الدولة وتقدمها وإصلاح أحوال الناس، راجع الجدول في ص ٤٦ يوضح تطور الاقتصاد وعدد السكان خلال ٣٥ سنة ماضية لكى يستطيع القارئ تقييم أداء الحكم بتلك الدول وإدراك تطور القدرات الاقتصادية خلال أكثر من ٣ عقود.

الاقتصاد المصري يحتل قمة اقتصاديات شمال إفريقيا بإجمالى ناتج محلي إجمالى قدره ٣٠٠ مليار دولار تقريبًا حسب إحصائيات ٢٠١٤، يبلغ حجم الصادرات ٢٦ مليار دولار (تمثل الصادرات البترولية ٤٨% منها والسلع تامة الصنع ٣٧% والنصف مصنعة ٩% والمواد الخام ٦%) أهم الصادرات: وقود الطائرات والزيوت المعدنية والذهب والأحجار الكريمة والأسمدة والأسمنت والحديد الزهر والغزول القطنية والصناعية والجلود والخضر والفاكهة والأعشاب والنباتات الطبية) بينما الواردات ٦٠ مليار دولار أهمها الوقود كالبنزين والسولار ويمثل ١٩%، والسلع الوسيطة كالحديد والألياف الصناعية والأخشاب وتمثل نسبة ٣٠% والسلع الاستهلاكية وأهمها سيارات الركوب والمنسوجات والقمح والأعلاف والزيوت والسكر وتمثل نسبة ٢٢% والسلع الرأسمالية وتمثل ١٥%

(١) معدلات الادخال المحلي في مصر حسب غالب التقارير الدولية من ١١-١٤٪ من الناتج المحلي الإجمالي بينما في دول آسيا يتجاوز ٣٠٪ لهذا تحتاج مصر إلى تشجيع الاستثمارات الخارجية.

وأهمها المحولات والمولدات ومعدات المصانع وعربات السكك الحديدية والحاسبات، والمواد الخام وتمثل ١٤% وأهمها البترول والغاز، أهم الدول المصدرة إلى مصر الدول العربية (٢٨% من إجمالي الواردات) والاتحاد الأوروبي (٢٨%) و دول شرق آسيا (٢١%) بينما أهم الدول المستوردة من مصر الاتحاد الأوروبي (٣٨%) والدول العربية (٢١%) ودول جنوب وشرق آسيا وأهمها الهند وكوريا الجنوبية والصين (١٤%)، يبلغ الدين الخارجى ٤٥ مليار دولار في نهاية ٢٠١٤ (ارتفع بنهاية ٢٠١٧ الى ٧٥ مليار) ويمثل ١٥% من الناتج المحلى وتمثل ألمانيا والسعودية أهم الدول الدائنة لمصر والدين المحلى حوالي ٢١٠ مليار دولار، ويمثل ٧٥% من الناتج المحلى أي أن إجمالي الدين العام المصري ٢٨٥ مليار دولار أي تقريباً يساوى حجم الناتج المحلى المصري وهو رقم ضخم إذا ما قارناه بالدين التركى الذي يقدر بـ ٥٨٨ مليار دولار أي ٧٥% من الناتج المحلى الإجمالى، يبلغ معدل التضخم السنوى ١٠% تقريباً حسب تقارير البنك المركزى المصري ٢٠١٤ (تعدى التضخم نسبة الـ ٣٠% عام ٢٠١٧) وهو رقم يتعرض لانتقادات محلية ودولية عديدة بسبب خليط المنتجات التي يتكون منها مؤشر التضخم وأوزانه النسبية، والواقع أن معدل التضخم الحقيقى الحالي في مصر يبلغ على أقل تقدير ٣٠% وفى تقارير أخرى ٤٥% سنوياً، بلغ حجم الاستثمارات الأجنبية بمصر ٤.١ مليار دولار (٢٠١٤) استقطب قطاع البترول نسبة ٧٢% منه بينما نصيب الصناعة ٢% والباقي توجه إلى قطاعات الخدمات والزراعة، تتمتع مصر بمقومات اقتصادية ضخمة وموارد طبيعية وفيرة لو أحسن استغلالها لكانت ضمن أهم دول العالم والإقليم، تمتلك مصر سواحل بحرية على البحرين الأحمر والأبيض المتوسط طولها ٢٠٠٠ كم كما يوجد بها ١٠ بحيرات طبيعية ضخمة أهمها بحيرة المنزلة والبرلس وقارون، والبردويل بالإضافة إلى أكبر بحيرة صناعية بالعالم وهى بحيرة ناصر، وقناة السويس التي يمر بها حوالي ١٢% من حجم التجارة العالمية، بصفة عامة تملك مصر موارد وإمكانيات ضخمة في جميع القطاعات الاقتصادية الزراعة والصناعة والتعدين والخدمات (التجارة والسياحة والنقل البحرى والبرى والجوى والتشييد

والبناء والخدمات البنكية)، سوف نستعرضها فيما يلي:

الزراعة والثروة السمكية والحيوانية

يعمل بالقطاع الزراعي حوالي ٣٠% من قوة العمل كما يسهم القطاع بـ ١٥% من الناتج المحلي الإجمالي، تبلغ المساحة المزروعة بمصر ٩ ملايين فدان، أما المساحة المحصولية فتبلغ ١٥ مليون فدان تقريباً، يوجد بمصر أكبر وأعقد شبكات ري وصرف زراعي بالعالم تبلغ أطوالها حوالي ٦٠ ألف كم وتشمل ١٣% من إجمالي المساحة الزراعية،

يمثل الجدول التالي نسبة الاكتفاء الذاتي المصري من المنتجات الزراعية

الأساسية ٢٠١٤:-

الاكتفاء الذاتي من المحاصيل في مصر		
مسلسل	المحصول	نسبة الاكتفاء الذاتي %
١	القمح	٥٠.٠
٢	الذرة	٥١.٠
٣	الأرز	٩٨.٠
٤	العدس	٢.٢
٥	زيت الطعام	٢٠.٠
٦	الفول	٤٠.٠
٧	السكر	٥٠.٠
٨	اللحوم والألبان	٨٠.٠
٩	الخضر والفاكهة	١٠٠.٠
١٠	الشعير	١٠٠.٠
١١	محاصيل الأعلاف بصفة عامة	٧٠.٠

في إبريل ٢٠١٤ نظمت محافظة القاهرة حلقة نقاش لمناقشة مشكلات مصر وطرق حلها، في تلك الحلقة تحدث الدكتور العالم المصري عادل يحيى رئيس مجلس علوم الفضاء بأكاديمية البحث العلمي قائلاً أن الأراضي الصالحة للسكن بمصر تبلغ ٢٤% من مساحتها (حوالي ٦٢ مليون فدان) أي أن مصر تستطيع استيعاب أكثر من ٢٤٠ مليون نسمة يمكن توطين ٣٢ مليون نسمة منهم بالساحل الشمالي وفوراً ومثلهم بشبه جزيرة سيناء (لاحظ في الجدول التالي أن مساحة ألمانيا ثلث مساحة مصر وعدد سكانها ٨٢ مليون نسمة بينما ناتجها القومي أكثر من عشرة أضعاف الناتج القومي الإجمالي لمصر، حسب المنطق والمساحة وعدد السكان كان يجب أن تكون مصر في نفس القدرة الاقتصادية لألمانيا^(١) وللأسف هذا لم يتحقق، الفرق بين مصر وألمانيا أن لدى ألمانيا إدارة حكومية رشيدة بينما لدى مصر ادارة حكومية ليست على المستوى المطلوب لمواجهة واقعنا ومشاكلنا لاحظ أيضاً تناسب مساحة إسرائيل وعدد سكانها ودخلها القومي مع عدد سكان ألمانيا ومساحتها وناتجها القومي تقريباً ١ إلى ١٠ أي أن جودة الإدارة الإسرائيلية في إدارة مواردها البشرية والطبيعية لا تختلف كثيراً عن جودة وكفاءة الإدارة والمواطنين الألمان رغم حروبها ومشاكلها الامنية والسياسية والعسكرية مع غالب جيرانها).

دراسة مقارنة لأهم دول العالم من حيث الموارد

دراسة مقارنة بين أهم دول العالم من حيث عدد السكان والناتج المحلي الإجمالي وعدد السكان والمساحة					
الترتيب العالمي	المساحة كم مربع	عدد السكان بالمليون	الناتج المحلي الإجمالي بالمليار دولار ٢٠١٤	الدولة	مسلسل
٣	٣٧٧.٨٣٥	١٢٧.٠٠	٤.٦٠٠.٠٠	اليابان	١

(١) على سبيل المثال صادرات أسبانيا من المواد الغذائية ٢٢ مليار يورو منها ٤,٥ مليار يورو أسماك وقشريات، تقرير غرفة التجارة بالإسكندرية ٢٠١٢.

٤	٣٥٧.٠٠٠	٨١.٠٠	٣.٨٥٠.٠٠٠	ألمانيا	٢
٥	٢٤٤.٨٢٠	٦٥.٠٠	٢.٩٠٠.٠٠٠	إنجلترا	٣
٦	٥٤٧.٠٣٠	٦٤.٥٠	٢.٨٠٠.٠٠٠	فرنسا	٤
٨	٣٠١.٢٣٠	٦٠.٠٠	٢.١٥٠.٠٠٠	إيطاليا	٥
١٣	٩٨.٥٠٠	٥١.٠٠	١.٤١٠.٠٠٠	كوريا الجنوبية	٦
١٤	٥٠٤.٠٠٠	٤٦.٥٠	١.٤٠٦.٠٠٠	إسبانيا	٧
٣٥	٣٣٠.٠٠٠	٣١.٠٠	٣٢٦.٠٠٠	ماليزيا	٨
١٨	٧٨٠.٥٨٠	٨٠.٠٠	٨٠٠.٠٠٠	تركيا	٩
٣٨	١.٠٥٠.٠٠٠	٨٩.٠٠	٣٠١.٠٠٠	مصر	١٠
٣٧	٢٢.٠٠٠	٨.٠٠٠	٣٠٥.٠٠٠	إسرائيل	١١

في نفس المؤتمر ذكر العالم المصري وخبير المياه دكتور نبيل المراغى أن الأراضي الخصبة الصالحة للزراعة بمصر من ١٥ مليوناً إلى ٢٠ مليون فدان تتركز غالبها في شمال سيناء والساحل الشمالي وشرق العوينات وتوشكى ومحافظه الوادى الجديد ومحافظه المنيا (يزرع حالياً حوالي ٩ ملايين فدان حسب تقرير وزارة الزراعة المصرية في أكتوبر ٢٠١٤)، في نفس العام وتحديداً في ديسمبر ألقى العالم المصري فاروق الباز محاضرة بجامعة القاهرة مؤكداً الأرقام السابقة وشارحاً أن حصة مصر من مياه النيل حوالي ٥٥ مليار متر مكعب يضاف لهم ١ مليار متر مكعب من مياه الأمطار و٦.٥ مليار متر مكعب من المياه الجوفية السطحية و١ مليار متر مكعب من المياه الجوفية العميقة بالصحراء الغربية و٥ مليارات متر مكعب من مياه الصرف الزراعى، بهذا تكون حصة مصر من المياه حوالي ٦٨ مليار متر مكعب سنوياً ٨٤% منها تذهب للزراعة و٨% للصناعة و٥% لمياه الشرب و٣% لأغراض الملاحة النيلية، لو أحسن استغلال تلك الثروة الضخمة وإدارتها لما كان لدى مصر أي مشكلة بالمياه منبهاً أن إسرائيل تعيد تدوير مصادر المياه المحدودة لديها ٧ مرات أي أن كل متر مكعب تستفيد منه وتعيد تدويره وكأنه ٧ أمتار مكعبة، لو كان لدى أم الدنيا نفس الخبرات

والعلماء والقوانين التي تحكم عمل الجهات التي تدير مصادر المياه بإسرائيل لتضاعفت ثروتها من المياه إلى حوالي ٤٨٠ مليار متر مكعب ولكننا قادرين على تصدير المياه إلى الدول المجاورة ومن بينها السعودية وإسرائيل وليبيا.

ونحن نتحدث عن الزراعة في مصر لا يمكن أن لا نتحدث عن فقدان مصر أكثر من مليون وثلاثمائة ألف فدان من أحصب الأراضي الزراعية منذ يوليو ١٩٥٢ نتيجة البناء العشوائي فوق الأرض الزراعية تحت سمع وبصر وتواطؤ الجهات الحكومية، لا يمكن أن نتهم من قام بهذا من جموع المصريين بالخيانة وعدم الوطنية بل من يمكن اتهامه بهذا هو من تخلى عن دوره كمستول حكومي في التخطيط العمراني للمدن والقرى المصرية وتوفير أماكن ذات مرافق مناسبة لكي تستوعب الزيادة السكانية الطبيعية لإخواننا بالريف. ونحن نتحدث عن الزراعة في مصر نتحدث عن نزيف مستمر ومتزايد في مساحة الأراضي الزراعية الخصبة القديمة، نتحدث عن عدم إمكانية استخدام الأساليب الحديثة في الزراعة وبعثرة المحاصيل نتيجة تفتيت الملكيات الزراعية، نتحدث عن الإسراف الشديد في استخدام المياه وسوء توزيعها، نتحدث عن ضعف كفاءة العامل الزراعي وهجرته إلى المدن هرباً من سوء الخدمات بالريف وانعدامها أصلاً في مناطق واسعة، نتكلم عن تضارب السياسات الزراعية وتغيرها المستمر وعدم كفاءة تمويل الدورة الزراعية والفقْد غير الطبيعي في الإنتاج نتيجة سوء التخزين والتوزيع الذي يصل إلى ٢٧% من حجم الإنتاج بالإضافة إلى منافسة المنتجات الزراعية المستوردة وفوضى مستلزمات الإنتاج التي تغرق الأسواق بتقاوى وأسمدة ومبيدات مجهولة المصدر تدمر الأرض الزراعية والعامل الذي يتعامل معها. نتحدث عن عدم استخدام العلم والتكنولوجيا الحديثة في الزراعة المصرية وأن غالب الزراعات تعتمد على نفس الأساليب الزراعية التي كان المصريون القدماء يستخدمونها بلا تغيير يذكر ونفس السلالات، وأخيراً ضعف قطاع التصنيع الزراعي أدى إلى ضعف الإنتاج الزراعي وهجرة المزارعين حقولهم بحثاً عن مصادر للرزق أكثر ربحية وتنظيماً، لم تعد الزراعة بمصر من المجالات الجاذبة للاستثمار، ما زالت وزارة الزراعة والري المصرية تصدر التقارير الرسمية ومنظمات المجتمع المدني في أعلى الوزارات فساداً مالياً وإدارياً.

رغم المشكلات الكثيرة السابقة والتي توضح أن الاقتصاد الزراعى المصري يحكمه عديمى الخبرة والكفاءة ويعانى كغيره من قطاعات الدولة من فساد الإدارة وسوء التخطيط إلا أن حجم الصادرات المصرية الزراعية ونتيجة لجهود الافراد وشركات القطاع الخاص ورغم المعوقات الحكومية الكثيرة بلغت ٤.٦ مليار دولار عام ٢٠١٥ (٢٠% من حجم الصادرات السلعية) وتمثل أهم الصادرات العنب والفرولة والموالح والبطاطس والبصل والطماطم والفاصوليا الخضراء، تشحن تلك المنتجات إلى عواصم كل من السعودية وروسيا والعراق والإمارات والكويت وإنجلترا وهولندا وإيطاليا، تستورد مصر واردات زراعية بقيمة ٨ مليارات دولار تقريباً أي أن الفجوة بين الاستيراد والتصدير تبلغ حوالي ٤ مليارات دولار تقريباً. من سافر الى دول العالم ولديه خبرة أو علم في تمييز اللحوم الجيدة والاسماك والخضر والفاكهة لادرك يقينا ان افضل سلالات الجاموس وانواع الاسماك والخضر والفاكهة على مستوى العالم موجودة في مصر تنتظر من يستغل هذا الكنز الهائل الغير معلوم لدى الحكومة المصرية وحتى الآن.

○ الثروة السمكية والحיוانية

يبلغ إنتاج مصر من الأسماك بكل أنواعها ١.٧ مليون طن تنتج منها مزارع الأسماك مليون وثلاثمائة ألف طن تقريباً (تقرير الهيئة العامة لتنمية الثروة السمكية)، تستورد مصر ما يقرب من ٣٠٠ ألف طن لتغطية الفجوة بين الإنتاج والاستهلاك حسب إحصاءات ٢٠١٤، تبلغ مساحة المصايد السمكية المصرية المتاحة حوالي ١٥ مليون فدان تتوزع بين مصايد البحر الأحمر التي تبلغ مساحتها ٤.٥ مليون فدان والأبيض المتوسط ٧ ملايين فدان والبحيرات مثل البردويل ١٦٥ ألف فدان وملاحات بور فؤاد ٢٥ ألف فدان والبحيرات المرة ٧٦ ألف فدان وبحيرة قارون ٥٥ ألف فدان والبرلس ١٣٠ ألف فدان والمنزلة ٣٠ ألف فدان وأدكو ١٧ ألف فدان ومربوط ١٦ ألف فدان وبحيرة ناصر ١.٢ مليون فدان ومنخفض وادى الريان بالفيوم بالإضافة إلى وادى النيل وفروعه وترعه ومصارفه ومساحته ١٧٨ ألف فدان، يأتي غالب الإنتاج السمكى لمصر من المزارع السمكية وليس المصائد الطبيعية من هنا يتضح أن المصايد البحرية بالبحرين الأبيض والمتوسط لا تسهم في حجم الإنتاج الكلى من الأسماك بمصر إلا بقدر

بسيط لا يذكر ومن هنا يأتي دور الدولة في استغلال هذا المورد الطبيعي المهم والتشجيع على الاستثمار فيه وأيضًا يمكن أن تكون بحيرة ناصر مركزًا عالميًا لإنتاج أرقى أنواع الأسماك النيلية وتصديرها للخارج،

أهم الأسماك في مصر الدنيس والقاروص، والبورى والطوبار، والبلطى واللوت، وموسى والبياض وقشر البياض والشعابين والقرموط والجمبرى والوقار.

يمكن لمصر وبسهولة سد الفجوة بين الاستهلاك والإنتاج، الإمكانات المائية تسمح بهذا إلا أن ملف الثروة السمكية تحكمه البيروقراطية المصرية العتيقة بلوائحها وإجراءاتها وأيضًا فسادها، الموارد المائية المصرية تحتوى على أعظم بحيرات العالم وأكثرها تنوعًا ونقاءً، الموارد المائية المصرية كفيلة لكى يكون الإنتاج السمكى مصدرًا من مصادر الدخل المهمة للاقتصاد بدلًا من أن يكون عبئًا عليه، حجم الصادرات المصرية ١٥ ألف طن سنويًا بقيمة لا تتجاوز الـ ٥٠ مليون دولار بينما الواردات تبلغ تقريبًا الـ ٤٥٠ مليون دولار سنويًا، فقط المطلوب تسليم ملف الثروة السمكية لمعاهد الأبحاث بالجامعات وتدريب الملاك والعاملين بهذا القطاع أساليب الصيد والاستزراع السمكى الحديثة، هذا الملف ملف الثروة السمكية لمصر هو نموذج لغياب دور الحكومة في توجيه الموارد والاستثمارات نحو هذا القطاع الحيوى والمهم، كما أن غياب أهل العلم والاختصاص بدوائر صنع القرار بهذا الملف أدى إلى زيادة الفجوة بين الإنتاج والاستهلاك وأن تصبح مصر دولة مستوردة بدلًا من أن تكون مصدرة ومنتجة، مناخ مصر الرائع وجودة مياهها النسبية وخلوها في معظم المناطق من التلوث يجعلها قادرة على إنتاج أهم وأفخر أنواع الأسماك والقشريات بالعالم، بصفة عامة تبلغ نسبة الاكتفاء الذاتى لمصر من الثروة السمكية ٧٥%.

○ الثروة الحيوانية

١٩ مليون رأس ماشية تمثل ثروة مصر من الماشية (تقرير قطاع الثروة الحيوانية والداجنة بوزارة الزراعة المصرية ٢٠١٤).

موزعة كالآتي:-

- ٢.٦ مليون رأس أبقار بلدية.

- ٢ مليون رأس أبقار خليط.

- ١٨٠.٠٠٠ رأس أبقار أجنبية .
 - ٤ ملايين رأس جاموس .
 - ٥.٦ مليون رأس غنم .
 - ٤.١٥ مليون رأس ماعز .
 - ٢٠٠ ألف رأس جمل .
- تنتج مصر أيضًا مليون طن ألبان ومليون طن لحوم بيضاء (تنتجهم ١٥ ألف مزرعة) و٧ مليارات بيضة مائدة، بصفة عامة يبلغ الاكتفاء الذاتي من اللحوم الحمراء نسبة ٧٥% حيث يمثل الإنتاج ٧٥٠ ألف طن بينما الاستهلاك مليون طن تقريبًا .

- تعاني الثروة الحيوانية بمصر من :-
- غياب الرقابة البيطرية والحكومية .
- سوء التخزين والتداول .
- عشوائية توزيع المزارع وعدم وجود سياسات واضحة لتشجيع الاستثمار بتلك الصناعة .
- ارتفاع أسعار العلف نتيجة سياسات احتكارية لا تكافحها الحكومة حيث تبلغ نسبة الاكتفاء الذاتي من الأعلاف ٣٠% والباقي يستورده عدد محدود من رجال الأعمال والشركات .

كان يمكن لمصر لو كانت تمتلك الإدارة الرشيدة أن تكون سلة غذاء العالم كما كانت بالماضي، كان يمكن أن يكون التصنيع الزراعي والغذائي أحد محركات الاقتصاد الكبرى كان يمكن أن يكون لدينا عشرات الشركات الدولية تماثل في الحجم شركة نسلة العالمية السويسرية^(١)، وبدلاً من تصدير المنتجات الزراعية المصرية كمواد خام كان من الأولى أن تصدر مصنعة ذات قيمة مضافة عدة مرات تدعم الناتج المحلي الإجمالي، كان يمكن للجاموس المصري بطعمه الرائع أن يكون أحد العلامات التجارية العالمية مثل البراند الاسترالي أنجوس بيف، كان يمكن للوقار وقشر البياض والدينيس والقاروص المصري أن يكونوا

(١) التي يبلغ حجم مبيعاتها السنوية ١٣٠ مليار دولار وتملك أصولاً ١٥٠ مليار دولار .

على موائد الأغنياء بأوروبا وأمريكا وكل دول العالم، كان يمكن للمربات المصرية والفاكهة الكمبوت والعسل الأسود والطحينة وعسل النحل والخضراوات والفاكهة المصرية أن تكون بنداً مستديماً على موائد شعوب عديدة في أوروبا وآسيا وأمريكا وإفريقيا، كما كان يمكن للقطن المصري والحريير والصناعات النسيجية أن يكونا مصدرًا للعمالات الأجنبية لا يقل عن دخل السياحة أو قناة السويس، كالعادة مصر بلد الفرص الضائعة.

○ الصناعة والتعدين

يسهم القطاع الصناعي والتعدين في مصر بـ ٣٠% من حجم الاقتصاد، وهو قطاع فيه قدر جيد من التنوع حيث يتميز في الصناعات الغزلية والنسيجية والأغذية والسيارات ومركبات النقل الثقيل وصناعة الطاقة والمصنوعات الخشبية والأجهزة المنزلية، يمثل القطاع الحكومي نسبة ٢٠% والقطاع الخاص ٨٠%، ولكنه يفتقد إلى المحتوى التكنولوجي العالى.

بلغت الصادرات المصرية في ٢٠١٤ ٢٦ مليار دولار معظمها مواد غذائية وبتروكيماويات ومواد بناء ومنسوجات^(١)، بينما بلغت الواردات ٦٦ مليار دولار أكثر من ثلثها سلع هندسية صناعية، أهم أسواق الصادرات المصرية دول الخليج ثم الاتحاد الأوروبي ثم الولايات المتحدة.

الموقع الجغرافى لمصر في وسط قارات العالم والسوق الضخم والقوة الشرائية للطبقة المتوسطة واعتدال المناخ طوال العام وسواحلها المتميزة وآثارها الرائعة جميعها عناصر تشجع على الاستثمار الصناعى والزراعى والخدمى في مصر وكان من المفروض أن تمثل تلك العوامل المهمة قوة جذب هائلة لاستثمارات خارجية تستطيع تغيير هيكل الاقتصاد المصري وتحسن من الناتج المحلى الإجمالى إلا أن هذا لم يحدث نتيجة سياسات حكومية طاردة للاستثمارات بل ومشجعة على تهريب رؤوس الأموال المحلية إلى خارج البلاد، (في تقرير لاتحاد المصارف العربية يونيه ٢٠١١ قدر حجم رؤوس الأموال التي تهرب خارج مصر بـ ٥٠٠ مليون دولار أسبوعياً أي ما يقارب الـ ٢٠ مليار دولار

(١) لاحظ صادرات إسرائيل ٦٠ مليار ٤٤% منها منتجات عالية التكنولوجيا.

سنويًا أي تقريبًا ٣% من الناتج المحلي الإجمالى الرسمى مضافًا إليه الناتج المحلى غير الرسمى والذى يقدر أيضًا بنفس قيمة الناتج المحلى الرسمى)، حجم الأموال المهربة والمتسربة من الاقتصاد لو أعيد استثمارها مرة أخرى داخل قطاعات الاقتصاد المختلفة لتغير وجه الاقتصاد ولتضاعفت معدلات النمو السنوية.

كيفية أهم مشكلات الصناعة المصرية

تعاني الصناعة المصرية مثل غيرها من قطاعات الدولة من المشكلات

التالية:-

- ١- تقادم القوانين والسياسات والأنظمة التي تؤثر في الصناعة مثل قوانين الضرائب والجمارك والاستثمار والعقود والمناقصات.
- ٢- الطابع الرأسمالى الذي يميز غالب القطاع الصناعى المصرى حيث تتميز المشروعات بضخامة رؤوس الأموال وتدنى معدلات التوظيف.
- ٣- انخفاض المحتوى التكنولوجى.
- ٤- التشغيل الجزئى للطاقات الصناعية الأمر الذى يؤثر على تنافسيتها وفرص نموها.
- ٥- تضخم الهيكل الإدارى وتقادم أنظمة الإنتاج والعمل.
- ٦- التغيير المستمر فى السياسات العامة المصرية وتأرجحها بين دعم الصادرات والمشروعات الصغيرة إلى إلغاء الدعم أو تخفيضه.
- ٧- غياب التنسيق بين القطاعات الاقتصادية المختلفة وبخاصة القطاعين الصناعى والزراعى الأمر الذى ترتب عليه استيراد مصر أكثر من ثلثى حاجياتها الاقتصادية من السلع والمنتجات وتصنيع الثلث الباقى محليًا.
- ٨- ضعف مخرجات التعليم الصناعى المصرى وعدم ربطه باحتياجات سوق العمل.
- ٩- التلوث البيئى وعدم التزام المصانع بالحفاظ على البيئة.
- ١٠- التركيز الجغرافى للصناعات حيث يستحوذ إقليم القاهرة الكبرى على أكثر من ٥٠% من المؤسسات الصناعية الكبرى.

١١- ضعف مصادر تمويل وتشجيع المشروعات الصناعية وبخاصة الصناعات المصدرة وكثيفة العمالة.

١٢- تواضع مساهمة الاستثمارات الأجنبية في خطط التنمية الصناعية نتيجة سوء السياسات والإدارة الحكومية وغياب الشفافية في أعمال الحكومة والبيروقراطية التي تحكم مفاصل الدولة وتبعية قطاعات واسعة من القضاء المصري للسلطة التنفيذية وغياب مبدأ استقلال القضاء وارتفاع تكاليف الاستثمار نتيجة ارتفاع تكلفة الأراضي الصناعية حيث تبلغ تكلفة متر الأرض الصناعية بمصر ١١٠ دولارات بينما المتوسط العالمي ١١ دولاراً.

١٣- سيطرة الدولة على النقابات والاتحادات العمالية ساهم في وجود ما يشبه حالة الرخاوة بالقطاعات الصناعية ككل وادى الى عدم وجود منظمات حقيقية تحافظ على حيوية تلك القطاعات وضمان نموها وتنافسيتها.

لا جدال في أهمية التنمية الصناعية لمستقبل مصر، رغم تراجع نسبة مساهمة قطاع الصناعة في الناتج المحلى الإجمالى للدول المتقدمة لصالح قطاعات خدمية أخرى إلا أن القطاع الصناعى في الدول الناشئة ومنها مصر سيبقى قطاعاً حيوياً ومهماً من القطاعات الرئيسية الاقتصادية يسهم برصيد ضخم في خطط مواجهة ارتفاع نسب البطالة ويخدم باقى القطاعات الاقتصادية الأخرى بالدولة ويمدها باحتياجاتها من السلع والخامات ويضمن نموها وتأمين عوامل تقدمها كما أن القطاع الصناعى يسهم بقدر كبير في السيطرة على فجوة التجارة (الفرق بين الصادرات والواردات) وبالتالي توفير العملات الأجنبية وعلاج عجز الموازنات، كما أن قطاع الصناعة هو من أهم الممولين لمراكز الأبحاث وهو بحكم تنوعه حاضنة للأفكار والابتكار التكنولوجى بمجالات كثيرة مختلفة.

من المجالات الواعدة والمبشرة للاستثمار بالقطاع الصناعى المصرى :-

- صناعة الألومنيوم والحديد والنحاس .
- صناعة الذهب والأحجار الكريمة .
- مواد البناء .
- البتروكيماويات والأسمدة .
- الطيران .

- السيارات .
- التصنيع الزراعى .
- معدات الطاقة .
- مواد البناء وبخاصة الرخام والجرانيت والحجر الجيرى والرمال البيضاء .
- الأثاث والصناعات اليدوية .
- الصناعات الإلكترونية .
- الصناعات العسكرية .

١٤٤ عيوب منظومة الصناعة المصرية

في دراسة للدكتورة عبلة عبد اللطيف أستاذة الاقتصاد بالجامعة الأمريكية بالقاهرة تناولت فيها السياسات الصناعية المصرية ذكرت أن مصر حالياً تتذلل الأمم في مؤشرات القدرة على إنتاج وإدارة سياسات صناعية حديثة ومتطورة وأن جميع مؤشرات التنافسية التي تصدرها الأمم المتحدة وصندوق النقد والبنك الدولى جميعها تضع ترتيب مصر في المراكز الأخيرة فيما يخص القدرات التنافسية للدولة في المجال الصناعى تقريباً المرتبة ٨٧ ضمن ١٢٨ دولة، موضحة العيوب الواضحة التالية في منظومة الصناعة المصرية:-

- ١- ضعف القدرة الاستراتيجية للدولة وقدرة الدولة للاستجابة السريعة للمعوقات التي تواجه القطاع الصناعى .
- ٢- تواضع القدرة على الوصول إلى إجماع على السياسات الاقتصادية ومنها السياسات التي تحكم عمل قطاع الصناعة .
- ٣- غياب الشفافية عند وضع أو تعديل التشريعات الاقتصادية ومشاركة قطاع الأعمال ومنظّماته والغرف الصناعية .
- ٤- عدم توافق قانون العقود والمناقصات المصري مع قوانين العقود والمناقصات الدولية الفيديك .
- ٥- إهدار الموارد والإنفاق العام وسوء تحديد الأولويات واستثمار عشرات المليارات في مشاريع بدون دراسات جدوى دقيقة أو بدون دراسات جدوى أصلاً .

- ٦- غياب مجهود حقيقي للسيطرة على الفساد ومحاربه .
 ٧- غياب استقلال القضاء .
 ٨- انتشار المحسوبية بين الموظفين الحكوميين وشيوع حالة من الفلتان والاهمال الادارى في ظل قوانين عمل لا تضمن اى نوع من انواع الثواب المجزى أو العقاب الرادع .

✍️ التعدين

- تمتلك مصر احتياطات اقتصادية مؤكدة من المعادن التالية :-
- ١- اليورانيوم بالصحراء الشرقية وسيناء ومناجم الفوسفات بالوادي الجديد ويبلغ حجم احتياطاته ٥٠ ألف طن .
 ٢- الفوسفات ويوجد بالصحراء الغربية والصحراء الشرقية ووادي النيل ويبلغ حجم احتياطاته ٢ مليار طن .
 ٣- الحديد ويتركز في شرق أسوان والواحات البحرية وجنوب القصير بالصحراء الشرقية وتبلغ احتياطاته مليار طن .
 ٤- المنجنيز ويوجد بوسط سيناء وبالصحراء الشرقية ويبلغ حجم احتياطاته ١٦٠ مليون طن .
 ٥- الكاولين ويوجد بسيناء وتبلغ احتياطاته ٢٠٠ مليون طن .
 ٦- التيتانيوم وتبلغ احتياطاته ٦٠ مليون طن وتتركز في الصحراء الشرقية .
 ٧- الرمال البيضاء فائقة النقاء وتوجد بوسط سيناء في منطقة أبو زنيمة باحتياطيات تقدر بـ ٢٠ مليار طن .
 ٨- الذهب وتتركز غالب مناجمه بالصحراء الشرقية وتبلغ احتياطياته حوالي ٣٠ مليون أوقية .
 ٩- الفحم وتتركز احتياطياته بسيناء وتقدر بـ ٢١ مليون طن .
 ١٠- بالإضافة إلى العديد من المعادن غير المؤكدة احتياطاتها حتى الآن وهي قيد الدراسة ولكنها تتواجد بكميات اقتصادية مثل الرصاص والزنك والفضة والكروم والنحاس والقصدير والتنجستن والجبس والكبريت والفلسبار والتلك والرمل السوداء أحجار البناء مثل الرخام والجرانيت بالإضافة إلى

الحجر الجيري والباريت والجبس وجميعها تتركز بالصحراء الشرقية ووسط سيناء.

١١- البترول والغاز حيث تمتلك مصر حديثاً رابع أكبر بئر غاز بالعالم وهو البئر ظهر بالمياه العميقة لمصر بمنطقة امتياز شروق وتقدر احتياطياته بـ ٣٠ ألف مليار متر مكعب^(١) كما تمتلك إجمالاً احتياطيات مؤكدة من الغاز الطبيعي تبلغ ٨٠ ألف مليار متر مكعب، تكفي هذه الاحتياطيات لتغطية الاستهلاك المصري لمدة ٣٠ سنة تقريباً بفرض استهلاك يومي يعادل ٧ ونصف مليار قدم مكعب يومياً (تنتج مصر حالياً ٥ مليارات قدم مكعب يومياً)، كما تعتبر منطقة المياه العميقة لمصر قبالة دلتا نهر النيل ثانی أهم مناطق احتياطيات الغاز الطبيعي بالعالم بعد منطقة خليج المكسيك حسب دراسات الشركات النفطية الكبرى، يبلغ إنتاج مصر اليومي من البترول حوالي ٧٠٠ ألف برميل بينما الاستهلاك يقارب المليون لهذا فإن مصر تستورد ما يقدر بـ ٣٠٠ ألف برميل يومياً، احتياطيات مصر المؤكدة من البترول تبلغ ١٠ مليارات برميل، من المتوقع خلال العامين القادمين أن تتحول مصر إلى دولة من أهم دول العالم في إنتاج النفط والغاز بعد انتهاء أعمال الحفر والتنقيب لـ ٦٥ اتفاقية أبرمتها الحكومة مع عدد كبير من الشركات الدولية خلال عامي ٢٠١٤-٢٠١٥. أيضاً الحديث عن الثروات التعدينية المصرية حديث الفرص الضائعة والموارد المهجرة، توجد منطقة بوسط سيناء هي منطقة أبو زنيمة التي تعد من أغنى مناطق مصر التعدينية، تحتوي على كميات ضخمة من الرمال البيضاء (الرمل الزجاجي) كما ذكرنا سابقاً درجة نقاء الرمال المصرية لا يوجد مثلها بالعالم حيث تصل لـ ٩٨% بينما في باقي دول العالم لا تتجاوز ٦٧%، تصدر مصر حوالي مليون ونصف المليون طن سنوياً بسعر الطن خام بـ ٢٠ دولار إلى إيطاليا وتركيا التي تقوم باستخلاص شوائبه (٢%) بعمليات غربلة وغسيل بسيطة وتبيع الطن إلى الصين وأوروبا وأمريكا بـ ٨٠ دولار التي تستخدمه بدورها في

(١) بئر البترول الإسرائيلي المكتشف حديثاً أيضاً قريباً من المنطقة تقدر احتياطياته بـ ١٠ آلاف مليار متر مكعب

صناعة الإلكترونيات وتحوله إلى خلايا شمسية وعدسات تستخدم في الأقمار الصناعية والتطبيقات العسكرية ويوردات الحواسيب والهواتف الذكية وتبيع الطن منه بـ ٢٠ ألف دولار.!!!

✍️ قطاع الخدمات

حسب تقارير الحكومة الاقتصادية المقصود بقطاع الخدمات هو التشييد والبناء - السياحة - النقل والتخزين - الاتصالات - تجارة الجملة والتجزئة - البنوك وما في حكمها كالبورصة وشركات الأموال، وللأسف لم يشمل التقرير قطاعاً مهماً وهو قطاع السينما والإنتاج الفني والثقافي المرئي والمسموع والمقروء، مصر تملك ثانياً أقدم صناعة سينما بالعالم بعد هوليدود، مصر كانت في يوم ما تتفوق على السينما الهندية والفرنسية والإنجليزية والإيطالية، كنا في أوائل خمسينيات القرن الماضي نملك أكثر من ٣٥٠ دار عرض سينمائي وقت كان عدد سكاننا لا يزيد على ٢٠ مليون نسمة أما اليوم وعدد سكاننا ٩٠ مليون فلا نملك إلا ١٠٠ دار عرض سينمائي فقط، وكانت مصر تنتج أكثر من ٦٠ فيلمًا في السنة واليوم لا يزيد عدد الأفلام عن ١٠، كالعادة تخلت الدولة والبنوك عن تشجيع وتنمية وتطوير هذا القطاع الحيوي والمهم اقتصادياً وثقافياً وأصبحنا اليوم وكالمعتاد نلهث حتى نلحق اليوم بالإنتاج الفني والثقافي الخليجي ويغزونا الإنتاج الفني التركي والهندي وقريباً الإيراني. سوف نتكلم بالتفصيل عن هذا القطاع حين نتكلم عن القوة الناعمة لمصر.

يستحوذ قطاع الخدمات على نسبة أكثر من ٥٠% من الناتج المحلي الإجمالي (٢٠١٤)، يبلغ معدل نموه السنوي ٥.٣% بينما معدل النمو الكلي ٢% تقريباً (تقرير البنك المركزي المصري ٢٠١٤) يستحوذ قطاع الخدمات بالاقتصاد المصري على ٦٠% من قوة العمل المصرية و٥٨% من حجم الاستثمارات الأجنبية المباشرة باستثناء الاستثمارات النفطية ويصدر نحو ٤٨% من حجم الصادرات المصرية.

حسب تقارير الـ UNCTAD فإن قطاع الخدمات المصري له مميزات تنافسية عالمية مقارنة بباقي دول المنطقة الرئيسية، ويمكن لهذا القطاع أن يتطور

وأن يكون قاطرة الانطلاق والتقدم للاقتصاد المصري، بخاصة قطاعات السياحة والتشييد والبناء والنقل والتخزين والاتصالات. وأضيف أن قطاع البنوك والتجارة وصناعة السينما والإنتاج الثقافي لا يقلون في الأهمية والمميزات التنافسية المصرية عن تلك القطاعات التي تخصصها التقارير الدولية، حيث من وجهة نظري يمكن أن تكون مصر سويسرا الشرق، وملاً آمناً لرؤوس الأموال العربية والإقليمية والدولية، يمكن لقطاع البنوك أن يكون جاذباً لمئات المليارات من الودائع والاستثمارات بشرط تغيير سياسات وأساليب الحكم تغيراً جذرياً، كما يمكن أن تكون مصر منصة للتجارة العالمية إلى إفريقيا، لو أنشأت الحكومة المصرية شبكة حديثة وقوية من الخطوط البرية والجوية والسكك الحديدية وقامت بربطها بشبكة طرق السودان بعد تطويرها لحدثت طفرة هائلة في حجم التجارة الإفريقية والعالمين طريق مصر التي تقع في مركزها وقلبها، أحلم على المستوى الشخصي بقطار سريع يقطع المسافة بين القاهرة والخرطوم في أقل من ٥ ساعات حاملاً الخير لكلا الشعبين وناقلاً سلع وبضائع العالم إلى الخرطوم ومنها إلى شرق وغرب وجنوب القارة السمراء والعكس، كما أن مصر تمتلك جيشاً من المبدعين والمواهب الفنية يستطيع أن يعيد إلى مصر لقب هوليد الشرق وأن تكون صناعة السينما والمسرح من أهم محركات الاقتصاد ومن أهم مصادر التوظيف.

فيما يلي بعض التفصيل لأهم القطاعات الواعدة باقتصاد الخدمات المصري.

كيفية قطاع البناء والتشييد

حسب تقارير الـ UNCTAD فإن قطاع التشييد والبناء المصري يحظى بمميزات تنافسية نسبية رائعة تتجاوز على مؤشراتته ١.٨٥ درجة، وهى درجة مرتفعة تعد مؤشراً على درجة تنافسيته وقدرته على التوسع والنمو داخلياً وخارجياً بالحاضر والمستقبل، كما يعد المؤشر انعكاساً لقدرة القطاع على اجتذاب رؤوس الأموال العربية والأجنبية، الكتلة السكانية الضخمة والقوة الشرائية الجيدة وتوافر مواد البناء والأيدى العاملة جميعها محركات قوية تضمن استدامة نمو هذا الجزء

الحيوى والمهم من الاقتصاد، البنية التشريعية والتي تتيح تملك الأجانب والعرب الأراضي والوحدات وفرت تمويلاً جيداً للمشروعات طيلة أكثر من ٢٠ عاماً سابقة، كما أن قانون التمويل العقارى الذي يمول حتى ٩٠% من قيمة العقار نشط السوق وأعطاه زخمًا ومرونة، جاذبية قطاع التشييد والبناء المصري دفع عددًا لا بأس به من شركات البناء العربية للاستثمار في مصر، إلا أن مستوى الاستثمار لا يرضينى مقارنة بما يمكن أن يتحقق بشرط أن يلتزم الحكم في مصر بأسس وقواعد حكم الدول الحديثة، أهم مناطق التوسع الواعدة في هذا القطاع هي مناطق، سواحل البحر الأحمر، الساحل الشمالى، سيناء، الظهير الصحراوى للمدن وخصوصًا مدن الصعيد، مدن القناة ويضاف لهم إقليم القاهرة الكبرى (القاهرة - الجيزة - القليوبية - ٦ أكتوبر - العبور - الشروق - التجمعات).

لو قدر للوطن بقيادة واعية تستطيع قيادة هذا القطاع فإن حجم رؤوس أموال شركات المقاولات المحلية والعربية العاملة بالسوق وعددها وحجم معداتها لن يكون كافيًا، سوف نحتاج إلى أربعة أضعاف حجم الشركات الموجودة حاليًا عددًا وموظفين ومعدات وأموالًا، نحن نتحدث عن آلاف المناقصات والمشروعات والبرامج التي من المفترض أن تنفذ وبسرعة لتغيير وجه الحياة على أرض مصر اجتماعيًا واقتصاديًا وبيئيًا، للدلالة على حجم المشروعات المتوقعة في أحد الملفات المهمة للوطن والمواطنين أنه ومثلاً عدد المستشفيات الحكومية والجامعية والتابعة للمعاهد والوزارات في مصر يبلغ حوالي ٧٥٠ مستشفى تقريبًا يضاف لهم ١٠٠٠ مستشفى خاصة لو افترضنا جدلاً أن الله ﷻ قد من علينا بحكم حديث فإن أولويات هذا الحكم مراجعة الشروط الصحية لد ١٧٥٠ مستشفى وإعادة تأهيلها في برنامج سريع يسمح فيه بتمويل البنوك لهذا البرنامج العاجل والضرورى للارتقاء بمستوى المستشفيات في مصر للمستوى العالمى، للقارئ أن يتخيل عدد شركات المقاولات المطلوبة لإنجاز هذا البرنامج، طب لو علم القارئ أن عدد الأسرة المتوافر بتلك المستشفيات ٢ سرير لكل ألف مواطن بينما العدد المناسب الدولي ٤ أسرة لكل ألف، إذا نحن بحاجة إلى برنامج آخر ضخم لبناء ١٧٠٠ مستشفى جديد على الأقل في فترة زمنية وجيزة

يضاف إلى برنامج إعادة التأهيل للمستشفيات الموجودة، للقارئ أن يتخيل حجم رؤوس الأموال الأجنبية والمحلية التي يمكن أن تجد في قطاع الخدمات الصحية المصري قطاعاً واعداً واستثماراً مضموناً في سوق الطلب أكثر فيه من العرض، للقارئ أن يتخيل عدد شركات المقاولات المطلوبة لتنفيذ تلك الخطة العاجلة؟ هذا في قطاع واحد، نفس السيناريو سيتكرر في قطاعات الطرق والكبارى والإنفاق والتعليم والإسكان والزراعة والصناعة والسياحة، والتعليم الري ومياه الشرب والصرف والتصنيع الحربي، نحن نتحدث عن وطن يعاد بناؤه من جديد على أسس حديثة ومنظمة وفي حاجة ماسة وعاجلة إلى الإنقاذ، يحتاج قطاع التشييد والبناء إلى تطوير بعض التشريعات القائمة واستحداث تشريعات جديدة بغرض التحكم في منظومة البيع والشراء وإبرام العقود بأنواعها وحماية المستهلك من جشع وعدم أمانة عدد غير قليل من عديمي الذمم والضمير الذين أصبحوا من أركان القطاع، يجب تعظيم دور الرقابة والمحاسبة للغرف التجارية والصناعية، يجب تعظيم دور النقابات وإعطائها الصلاحيات لعلاج العشوائية وعدم الاكتراث بأصول الصناعة والمواصفات في أعمال غالب المهن والحرف والصناعات، يجب أن يكون القانون رادعاً وسريعاً في محاسبة الغشاشين والنصابين والمدلسين والجشعين، هناك آلاف القضايا بالمحاكم كان يمكن أن تنقلص إلى عشرات لو أحس وشعر من يعمل بالقطاع أن يد القانون طابطة وسريعة وحازمة وقوية.

✍️ السياحة

عدد السياح حول العالم بلغ حسب تقرير منظمة السياحة العالمية الصادر في ٢٠١٤ ١.١٣ مليار سائح حصة مصر منهم أقل من ١% رغم أن مصر بلا مبالغة دولة سياحية لا منافس لها بالعالم تملك مقومات سياحية فريدة للأنواع الثمانية من أنواع السياحة، هل من المنطق لدولة تملأ أكثر من ثلث آثار العالم أن يكون نصيبها من السياحة ١%، دولة مكاو بجنوب الصين مساحتها لا تزيد عن ٣٠ كم مربع يزورها سنوياً ١٤.٥ مليون سائح ويبلغ دخلها من السياحة ٥١ مليار دولار (تقرير منظمة السياحة العالمية ٢٠١٤).

الجدول التالي يوضح أهم دول العالم في مجال السياحة ويعطي للقارئ
تصورًا لحال هذا القطاع تحت الإدارة الحكومية المصرية:

ترتيب أهم دول العالم وإقليم الشرق الأوسط سياحيًا حسب تقرير منظمة السياحة العالمية UNWTO ٢٠١٤.			
مسلسل	الدولة	عدد السياح بالمليون	عائدات السياحة مليار دولار
١	فرنسا	٨٤	٥٦
٢	الولايات المتحدة	٧٥	١٧٧
٣	إسبانيا	٦٥	٦٥
٤	الصين	٥٦	٦٠
٥	إيطاليا	٤٩	٤٦
٦	تركيا	٤٠	٣٥
٧	ألمانيا	٣٣	٤٤
٨	بريطانيا	٢٩	٤٥
٩	روسيا	٢٩	
١٠	المكسيك	٢٩	
١١	هونج كونج	٢٨	٣٩
١٢	ماليزيا	٢٧	
١٣	تايلاند	٢٤	٣٨
١٤	كندا	١٦.٥	
١٥	السعودية	١٥	٢٠
١٦	مكاو	١٤.٥	٥١
١٧	كوريا الجنوبية	١٤.٢	

	١٣.٤	اليابان	١٨
٢٥	١٣	الإمارات العربية	١٩
	١٢	سنغافورة	٢٠
٥	١٠.٣	المغرب	٢١
	١٠	تايوان	٢٢
١٠	٩,٦	مصر	٢٣
	٩,٤	إندونيسيا	٢٤
٢	٦	تونس	٢٥
٢	٤	ايران	٢٦
٤.٥	٤	الأردن	٢٧
٥.٥	٤	إسرائيل	٢٨
٨	٢.٨	قطر	٢٩

السياحة صناعة مثل أي صناعة لها أصول للصناعة ولها تقاليد وأعرافها، مستوى الصناعة في مصر مقارنة بمستواها في الدول المحترفة في مجال السياحة يماثل تمامًا مستوى ورشة حدادة بإحدى المناطق الشعبية ومصنع إلكترونيات بوادي السيليكون في أمريكا، وللتقريب أيضًا عليك أيها القارئ أن تذهب إلى منطقة الأهرام التي تشمل أهم أثر بالعالم وترى حجم العشوائية والغياب التام لأبسط أصول الصناعة في التعامل مع السائحين وستجد نفسك تحت ابتزاز البلطجية وأصحاب الخيول والجمال ومفتشى الآثار، سوف تجد نفسك محاطًا بمجموعة من اللصوص المتخفين في زى أصحاب الحرف ومقدمي الخدمات وسط تواطؤ كامل من مختلف جهات الدولة العاملة بتلك المنطقة من شرطة المرافق إلى شرطة الآثار، سوف تتفاجأ بحجم القاذورات وغياب حتى دورات المياه الآدمية، سوف تتفاجأ بأنه لا يوجد مسئول واحد مهتم بوزارة الآثار أو وزارة الداخلية واضعًا نفسه مكان السائح متخيلًا خط سيره من فندقه وحتى انتهاء زيارته لأحد أهم مواقع التراث العالمي حسب تصنيف اليونسكو، منذ أن

تطئ قدم السائح أرض مصر فهو عرضة للابتزاز من سائقي التاكسي اللئيم بالمطار حتى موظفي الفنادق ومروراً بالموظفين الحكوميين العاملين بالمناطق الآثرية والعاملين بالمحلات التجارية المنظومة جميعها يتحكم فيها الفاسدون وعديمي الذمم وسط غياب تام لمبدأ الثواب والعقاب وسيادة القانون، رحلة السائح إلى مصر رحلة مشقة وعذاب وليس ترفيه واستجمام، ما يحدث في المناطق السياحية بمصر لم أشاهده باى منطقة سياحية بالعالم حيث تهتم جميع الدول بتلك المناطق بداية من تخطيطها ونظافتها ومرافقتها وتوفير كافة سبل الأمن والراحة للزائرين والوافدين، لقد شاهدت بالسعودية أحد المزارات السياحية التي لا تساوى شيئاً مقارنة بآثارنا في مصر، المزار عبارة عن بناء حجري من الطين والحجر حججه لا يتعدى متراً في مترين لا يتعدى عمره أكثر من ٢٠٠ عام كتب عليه وصف لأحد الأحداث المهمة بتلك الفترة موضوع بطريقة رائعة محاط بسياج أنيق مثبت بالقرب منه وصف لأهميته وحوله خدمات ومرشد سياحي يشرح الأثر بأناقة وتدريب راقٍ، بينما الأمن يتحرك بسيارته حول الأثر يبسر وهدوء ودون أن يشعر به السائحون.

لاحظ مستوى تقدم تركيا كعدد سائحين ودخل، أيضاً لاحظ عدد السائحين وعوائدهم بمنطقة ماكاو التي لا تزيد مساحتها على ٣٠ كم مربع (تمثل ١٥% من مساحة محافظة القاهرة) وتقع جنوب الصين، أيضاً لاحظ عدد سائحي قطر ودخلها اللئيم بيقارب دخل مصر دليل على استهدافهم شرائح الطبقات الثرية والمتوسطة ذات الإنفاق العالي ما الذي تملكه قطر ولا تملكه مصر؟ ما الذي تملكه تركيا ولا تملكه مصر؟؟؟؟، أيضاً لاحظ عدد سائحي المغرب المتفوق على عدد زائري مصر وفي النهاية عدد سائحي الإمارات والسعودية، ما الذي ينقص مصر لكي تكون دولة سياحية متقدمة.

لاحظ أيضاً عزيزي القارئ أن دخل فرنسا السنوي من السياحة يعادل نصف دخل السعودية من عائدات النفط والغاز كما أن قطاع السياحة يدر عوائد للولايات المتحدة يساوي تقريباً نفس العوائد السنوية من النفط والغاز السعودية، تستطيع السياحة أن تحقق ما يتفوق على أهم الموارد الطبيعية.

هل تعلم عزيزي القارئ ماذا يعني أن يصل عدد السياح إلى مصر إلى ٣٠ مليون سائح بعوائد متوسطة ٣٠ مليار دولار؟ تحقيق هذا الهدف سهل ويسير ومصر تملك من الإمكانيات ما يؤهلها لتحقيقه في فترة زمنية قصيرة بشرط تغيير العقلية الحاكمة وتطوير الإدارة التي تشرف على هذا القطاع المهم، وبشرط تنحية الفاسدين وأصحاب المصالح وبشرط إعادة هيكلة وزارة الداخلية وأحد قطاعاتها المهمة شرطة المرافق وشرطة السياحة.

في يونيو ٢٠١٦ تقرر تشكيل مجلس أعلى للسياحة في مصر برئاسة رئيس الجمهورية ومجلس أعلى آخر برئاسة رئيس الجمهورية لتشجيع الاستثمار المحلي والأجنبي والغرض تشجيع النمو بكلتا القطاعين المهمين، لقد استغرق الحكم في مصر عامين لكي يدرك أهمية القطاعين ولكن تشكيلة هذين المجلسين وطريقة اختيار اعضاؤه أكدت لى أننا نحتاج إلى مائة عام حتى يدرك ويستوعب المسؤولون طرق تنمية وتطوير كلا المجالين المهمين للاقتصاد المصري المنكوب بإدارة حكومية متخلفة منذ أكثر من ٦٠ عامًا.

الحديث عن قطاع السياحة في مصر حديث شجون كعادتنا عند الحديث عن أي أمر يخص الوطن، هو حديث الفرص الضائعة والموارد المهترئة لصالح حفنة من عديمي الوطنية والكفاءة والضمير، وسط غياب حكومي كامل وتواطؤ بعض منتسبيها بغرض تحقيق مصالح شخصية ضيقة ولو على حساب الوطن.

مصر بلد سياحي من الطراز الأول، لا يوجد نوع من أنواع السياحة إلا وتملك مصر مقوماته التي تجعلها تفوق عالمياً وإقليمياً، لا توجد بقعة واحدة على أرض مصر لا يمكنها أن تكون منطقة سياحية متميزة في عدة مجالات سياحية وليس مجالاً واحداً، أنواع السياحة ثمانية هي:-

- ١- السياحة البيئية.
- ٢- السياحة الدينية.
- ٣- السياحة الترفيهية.
- ٤- السياحة الثقافية.
- ٥- سياحة المهرجانات.
- ٦- سياحة المؤتمرات.

٧- السياحة العلاجية .

٨- السياحة الرياضية .

السؤال الآن ما هو نوع السياحة التي لا تتواجد بمصر ولا تملك فيه مقومات تنافسية عالمية بل تملك التفوق والريادة؟ الإجابة لا يوجد. فصل آخر من فصول الإهمال الحكومي المصري لقطاع السياحة، هو عدد المواقع الأثرية المصرية المسجلة لدى منظمة اليونسكو كمواقع تراث عالمي تلتزم حكومات العالم برعايتها وتنميتها وتطويرها وضمان سلامتها والإنفاق عليها، عدد مواقع مصر ٧ مواقع بينما المغرب ٩ مواقع خلاف ١٢ أخرى تحت التسجيل بالقائمة الاسترشادية للجنة مواقع التراث العالمي التابعة لليونسكو، أيضًا عدد مواقع التراث العالمي بإيطاليا ٤٨ موقعًا السؤال ما الذي تملكه إيطاليا والمغرب ولا تملكه مصر؟

ترجع أهمية التسجيل بمواقع التراث العالمي إلى أسباب تسويقية تدعم خطط التسويق العالمي للدول كما أن التسجيل باليونسكو يكفل الدعم المادي والتقني الإلزامي من جميع دول العالم من أجل الحفاظ على تلك المواقع وما تحويه من كنوز أثرية أو طبيعية وهو أمر يصب في صالح الدولة المالكة لتلك المواقع^(١).

حين أستمع إلى أركان الحكم الحالي لمصر تتحدث عن قلة الموارد ومن قبلهم الجنرال المصري السابق حسنى مبارك وهى تبرر سوء الإدارة والخدمات التي تقدم للمواطنين أضحك كثيرًا، وأتعجب وكأنهم لا يقرأون وإذا قرأوا لا يفهمون وإذا فهموا لا يعملون، قال ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا السابق والسياسى الداهية (أمبراطوريات المستقبل هي أمبراطوريات العقل) وهو محق تمامًا، لم تكن يومًا الموارد المالية أو الطبيعية المحدودة عائقًا للتقدم لا قديمًا ولا حديثًا، ماذا كان يملك المسلمون الأوائل من الثروة حتى يغزون

(١) من أجل هذا كانت من ضمن أهداف الخطة ٢٠٣٠ السعودية مضاعفة عدد الأماكن الأثرية المسجلة لدى لجنة مواقع التراث العالمي باليونسكو من أجل أسباب تسويقية تساعد فى تحقيق مستهدف المملكة من عدد السائحين وأيضًا الحصول على الخبرات الدولية من أجل تطوير تلك المناطق وضمان سلامتها .

العالم ويؤسسون لواحدة من أعظم الحضارات الإنسانية وليجاوبنا أحدهم عن كيف تقدمت اليابان وقد خرجت من الحرب العالمية الثانية وليس فيها مصنع واحد صالح وأكثر من ٩٠% من مدنها قد دمرت بالكامل بمراقفها، ومثلها ألمانيا وباقي دول أوروبا، كيف تقدمت ماليزيا وسنغافورة وكوريا الجنوبية وهونج كونج وماكاو، وجميعها دولاً لا تملك من الموارد مثل ما تملك مصر، في تقرير للهيئة العامة للاستعلامات المصرية في سبتمبر ٢٠١٤ بعنوان نظرة على الاقتصاد المصري ورد بالتقرير وهو يصف وضع الاقتصاد قبل ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ حيث ورد الآتي:-

رغم النجاحات التنموية في الخطة الخمسية ٢٠٠٧-٢٠١٢ إلا أن استمرار ارتفاع أسعار السلع والخدمات وازدياد معدلات الفقر والامية والبطالة وانتشار العشوائيات، وتدنى مستوى الخدمات الصحية والتعليمية والمرافق العامة مثل النقل والمواصلات والصرف الصحي والمياه الصحية وتفشى الفساد والمحسوبية والاحتكار التي باتت واضحة في عمليات تخصيص الأراضي ومنح قروض البنوك والتضييق في الحريات العامة وجمود الحياة السياسية وسط جهود عملية لتورث الحكم جميعها أسهمت في عدم شعور المواطن بالنتائج الإيجابية التي تحققت في تلك الخطة وساعد على ذلك أكثر الزيادة السكانية، ومن أجل هذا قامت ثورة يناير ٢٠١١.

السؤال وقد شهد شاهد من أهلها هل تحقق أي تقدم يذكر في اتجاه علاج أي من المشكلات السابقة؟

ما سبق كانت نتائج لخطايا دمرت الاقتصاد المصري طيلة الـ ٦٠ عامًا السابقة، أهمها:-

١- السياسات المراهقة والتي انتهجها جمال عبد الناصر ومن تبعوه والتي كان من ضمنها التأميم والتصادم مع الدول الكبرى ومنازعتها في مناطق النفوذ التقليدية والتورط في سباق تسلح مع إسرائيل والتأسيس لأنظمة ديكتاتورية في الحكم معلوم مساوئها وسلبياتها والتفريط في غطاء العملة المصرية واحتياطياتها من الذهب ثم أخيراً الانسياق إلى حرب غير مبررة بالكونغو ثم باليمن ثم مع إسرائيل لم تكن يوماً تتفق مع ميثاق الأمم المتحدة

ولا القوانين الدولية وما نتج عنها من هزيمة في يونيه ١٩٦٧ وما تلاها من توجيه كامل موارد الدولة نحو استعواض ما فقده الجيش من معدات وعتاد وكان قدره ٩٠% من قدرات الجيش وعتاده قبل الحرب، لقد خلفت حربى ١٩٦٧ و١٩٧٣ خسائر عسكرية واقتصادية ضخمة مازلنا نعانى منها حتى اليوم وانشغال الحكم عن المشكلات الاقتصادية وتوجهه إلى ملفات أمنية وعسكرية أخرى استغرقت كامل جهده وتركيزه وموارده المالية.

٢- تخطت السياسات العامة للدولة وجودها عن القيم الديمقراطية والشفافية في الحكم واتباع طرق وأساليب ديكتاتورية في معالجة الشؤون السياسية والاقتصادية للدولة وغياب أهل العلم من مراكز صنع القرار المهمة وعدم اتباع الأساليب العلمية في إدارة مرافق وأركان الدولة، كما تلاعبت الدولة بمنظومة القضاء وأهدرت مبدأ استقلاله الأمر الذي تسبب في فقد مئات المليارات من الاستثمارات المحلية والأجنبية المباشرة وهروبها إلى دول إقليمية أخرى أكثر ديمقراطية وشفافية في إدارة شؤون الحكم.

٣- برنامج الخصخصة وما صاحبه من فساد إدارى ومالى والذى تم إدارته في اتجاه البيع وتوجيه حصيلة البيع في سد عجز الموازنة دون إعادة ضخها في أدوات إنتاجية تسهم في النمو الاقتصادي^(١).

٤- غياب الإدارة الحكومية الرشيدة لقطاع السياحة وتأثره بضعف وفساد الجهاز الإدارى للدولة وما صاحبه من شيوع ممارسات سلبية تضعف من جاذبية مصر كواجهة سياحية متميزة وتتناقض مع أبسط أصول الصناعة في صناعة مهمة كصناعة السياحة، الأمر الذي أفقد مصر مميزات التنافسية والنسبية في هذا المجال المهم وتسبب في تدهور مركز مصر السياحى العالمى لصالح دول إقليمية أخرى وعلى رأسها الإمارات وقطر والمغرب وإسرائيل وتركيا.

٥- غياب الدعم الحكومى الواجب لقطاع الصناعة وغياب التخطيط السليم والتشريعات الواجبة لضمان نموه وانتظام عمله الأمر الذي تسبب لتعثر أكثر

(١) برنامج الخصخصة بدأ مع حكومة الدكتور عاطف عبيد التي تشكلت في عام ١٩٩٩ حيث تم بيع ما يزيد على ٥٠% من شركات القطاع العام المصري وانتهى عام ٢٠١١ ببيع ١٧٢ شركة كان حصيلة بيعها ٤٠ مليار جنيه.

من ٧٠٠٠ آلاف مصنع وفقد ٢٥٠ ألف وظيفة وزيادة فاتورة السلع تامة الصنع المستوردة من الخارج.

٦- تذبذب سعر صرف العملات الأجنبية أمام الدولار والسياسات النقدية المتغيرة والتي أسهمت في هروب رؤوس الأموال إلى الخارج وتوقف الاستثمارات الخارجية بسبب عدم القدرة على عمل دراسات الجدوى طويلة المدى في ظل قرارات حكومية سريعة وغير محسوبة وبلا أي قدر من الشفافية.

٧- تدهور القطاع الزراعي وارتفاع تكاليف الإنتاج من أسمدة وبذور ومبيدات وجمع ونقل وتخزين وتفنت الملكيات الزراعية وانتشار التقاوى والمبيدات المغشوشة وغياب منظومات متقدمة لتداول وتخزين الحاصلات الزراعية وغياب الرقابة الحكومية على كامل قطاعات القطاع جميعها أدت إلى هدر أكثر من ٣٠% من الإنتاج الزراعي وهروب الفلاحين والمزارعين إلى مجالات عمل أخرى أكثر ربحية وأقل مجهودًا.

قطاع البنوك والبورصة

يبلغ عدد البنوك العاملة بمصر سواء الحكومية أو الأجنبية حوالي ٤٠ بنكًا، إجمالي أصولها ٢٤٩٠ مليار جنيه مصري (٢٠١٤) حوالي ٢٥ مليار دولار، الحقيقة أن القطاع المصرفي المصري قطاع أسسه قوية والبنك المركزي المصري له ولاية كاملة عليه، تطبق البنوك المصرية بازل ٢ ومخطط أن يتم تطبيق بازل ٣ في نهاية ٢٠١٧، رؤوس أموال المودعين بالبنوك المصرية مضمونة بواسطة الحكومة، والنظام المصرفي المصري لم يتأثر كثيرًا بأزمة الديون العالمية عام ٢٠٠٨ بسبب تلك السياسة المهمة والتي أرى أنها حكيمة، أما البورصة المصرية فأرأس مالها السوقي يبلغ حوالي ٣٩٠ مليار جنيه مصري أي حوالي ٥٥ مليار دولار بأسعار صرف الدولار ٢٠١٤^(١)، يمكن زيادة نشاط البورصة وجاذبيتها للاستثمار بتعديلات بسيطة في آلية عملها وسلطات وصلاحيات مجلس إدارة البورصة وهيئة الرقابة المالية، تستطيع مصر أن تكون سويسرا الشرق وان تكون

(١) لاحظ رأس مال السوق في البورصة السعودية حوالي ٤٤٠ مليار دولار والبرازيلية ١٢٠ مليار.

البورصة المصرية اكبر واهم بورصات المنطقة وأن تكون ملاذًا آمنًا لمئات المليارات من الدولارات تذهب إلى دول إقليمية أخرى مثل قطر والإمارات والمغرب أقل جاذبية وإمكانيات من مصر بشرط أن يغير نظام الحكم من استراتيجياته وسياساته وأن يطبق الاسس الديمقراطية في الحكم، طبعًا لاحظ القارئ تواضع حجم أصول البنوك المصرية مقارنة بباقي الدول الإقليمية الأخرى وتواضع حجم أصول الشركات المدرجة بالبورصة.

رؤى ركائز الإصلاح الاقتصادي في مصر

أخيرًا يبقى الاقتصاد المصري الموازي طوق النجاة لهذا الوطن المنكوب بسوء إدارة حكامه، حيث يقدر حجم الاقتصاد المصري غير الرسمي بما قيمته ٢٢٠٠ مليار جنيه أو ٢٢٠ مليار دولار حسب تقديرات اتحاد الصناعات المصري ويضم ٤٧ ألف مصنع غير مرخص و١٢٠٠ سوق عشوائية وللجملة والتجزئة منتشرة بجميع أنحاء الجمهورية ويعمل بها أكثر من ٨ ملايين عامل يستحق عنهم ضرائب تقدر بـ ٣٠٠ مليار جنيه مصرى، كما أن جهاز مشروعات الخدمة الوطنية التابع لوزارة الدفاع وما يملكه من استثمارات تقدر بعشرات المليارات قادر على تمويل خزينة الدولة بما يلزم لإعادة تنشيط الاقتصاد في الاتجاه الصحيح وتمويل برامج التحول السياسي والاقتصادى، مجرد دمج هذا الاقتصاد في القنوات المعروفة للاقتصاد الرسمي كفيل بتغيير واقع مصر الاقتصادى، فقط يحتاج هذا الاقتصاد إلى إدارة حكومية رشيدة وتغيير جذرى في القوانين والتشريعات الحكومية وبخاصة الضريبية والجمركية، إدماج هذا الاقتصاد الخفى الذي لا تعلم عنه الحكومة ولا البرلمان شيئًا إلا ما يذكر في الدراسات الأكاديمية كفيل برفع الناتج المحلى الإجمالى المصري لأكثر من ٦٠٠ مليار دولار ودخولها تلقائيًا إلى نادى أهم عشرين اقتصادًا بالعالم في فترة قصيرة، هذا الاقتصاد الخفى كفيل بتحقيق عوائد حكومية من حصيلة الضرائب كفيفة بتغيير اقتصادى سريع وملحوظ يساعد في التنمية الاقتصادية الشاملة وسد جزء كبير من الديون الخارجية والداخلية، ودعم باقى عناصر قوتنا الشاملة ويمثل نقلة استراتيجية في ميزان وضعنا الإقليمى والعالمى.

أيضاً وفي دراسة للخبير الاقتصادي فرناندو دي سوتو مؤسس ورئيس معهد الحرية والديموقراطية في بيرو ذكر في معرض تحليله للاقتصاد المصري كأحد الاقتصاديات النامية أن بمصر ٢٥ مليون عقار المسجل منها ١٠% فقط، قيمتها السوقية ٣٠٠ مليار دولار، مستحق عليها عوائد للدولة لا تقل عن ١% أي حوالي ٥٠ مليار جنيه تضيع سنوياً على خزينة الدولة المصرية.

مصر ليست دولة فقيرة الموارد ولا محدودة الإمكانيات ولكنها فقيرة إلى المواهب الإدارية الحكومية ومحدودة في تولي الشرفاء والوطنيين المسئولية.

اليوم تواجه مصر حسب تصريحات التنفيذيين الحكوميين وضعاً اقتصادياً خطيراً الأمر الذي دفع الحكومة إلى الالتجاء إلى صندوق النقد الدولي لطلب قرض ١٢ مليار دولار على ٣ سنوات لدعم الاقتصاد وسعر صرف العملة المحلية، الحقيقة أنه كان علينا قبل الالتجاء إلى صندوق النقد وجميعنا نعلم التكاليف الاجتماعية الباهظة لشروطه أن نطبق الأسس العلمية التالية الثابتة والتي لا ترتبط بمكان أو زمان لجذب الاستثمارات الأجنبية وإصلاح الاقتصاد الكلي:-

- ١- يستجيب الأفراد والمؤسسات داخل منظومات الاقتصاد إلى الحوافز وليس الأوامر العسكرية.

- ٢- حل علاج عجز الموازنة يقضى بترشيد الإنفاق الحكومي (بجميع القطاعات وأولها الأجهزة السيادية والأمنية) وتشجيع الصادرات وتحفيز المصدرين وحماية الصناعات المحلية ذات الجودة المرتفعة.

- ٣- الاقتصاد يعتمد على الاستقرار السياسى والأنظمة الديموقراطية تضمن اقتصاداً قوياً ونمواً مستديماً وتظل الأنظمة الليبرالية أكفأ بمراحل في معالجة المشكلات الاقتصادية من الأنظمة الديكتاتورية المركزية.

- ٤- سيطرة الدولة أو الجيش على قطاعات واسعة من الاقتصاد أمراً سهلاً وقد يحقق بعض النجاحات على المدى القصير أما بعد ذلك وساعة التأكد من فشل تلك السياسة سيكون التراجع عنها أمراً صعباً ومكلفاً ومؤلماً؛ بل طارداً للاستثمارات المحلية والأجنبية.

- ٥- فرض سعر صرف غير واقعى للعملة المحلية أمام العملات الأجنبية في ظل غياب احتياطي مناسب وعجزاً سلبياً في ميزان المدفوعات سياسة مدمرة

للاقتصاد ستؤدي إلى ارتفاع التضخم ومنع تدفق الاستثمارات الأجنبية وتوقف الاستثمارات المحلية الأمر الذي يضعف النمو ويقود إلى ازدياد معدلات البطالة وتوقف عجلة الإنتاج وغلق المصانع والدخول إلى مرحلة الانهيار الاقتصادي.

٦- لا يمكن جذب مستثمرين أجنبى دون وجود قاعدة قوية من المستثمرين المحليين وتشجيعهم، من المألوف أن يدخل المستثمرون الأجنبى فى شركات مع أقرانهم المحليين ماذا سيقول المستثمرون المحليين لنظرائهم الأجنبى عن أماكن استثمار فوائضهم المالية وأرباحهم ورؤيتهم المستقبلية، وبماذا سيردون على ما تقوم به الحكومة من تأميم لأصول أفراد تزعم أنهم منتمون لجماعة الإخوان؟ وبماذا سيجابون عن استثمارات الجيش والحكومة فى مزارع الأسماك ومصانع المواد الغذائية والحديد والأسمت!!!!

٧- يعتمد معدلات استثمار الأجنبى على مدى ثقتهم فى البلد الذى يستثمرون فيه ومدى ارتياحهم لاحترام هذا البلد للحقوق الأساسية للمواطنين والحريات العامة والخاصة، هذه الثقة وهذا الارتياح لن يتأتى إلا بضمان وجود سلطة قضائية مستقلة وقوانين حديثة محترمة وسلطة تنفيذية تؤمن بمبدأ الشفافية فى أعمالها وتقبل بمبدأ المحاسبة أمام الشعب ونوابه فهل يمارس الحكم فى مصر اليوم تلك الممارسات الديمقراطية؟

٨- الاستثمار فى البنية التحتية أمر عظيم بشرط أن تكون لخدمة عوامل الإنتاج وخدمة التصدير وخلق فرص عمل، أما إنشاء شبكة من الطرق تؤدى إلى الأماكن كما يحدث الآن فهذا أمر لم نره بالعلم وغير مسبوq.

٩- هذا أفضل وقت لإنعاش الاقتصاد فأسعار البترول منخفضة أى أن تكلفة فاتورة الاستيراد منخفضة كما أن أسعار الفائدة العالمية منخفضة أى أن تكلفة الاقتراض ستكون أقل ما يمكن ورؤوس الأموال تبحث عن أماكن مناسبة للاستثمار بشرط أن تجد بيئة منخفضة المخاطر السياسية والاقتصادية تركز على قوانين حديثة وإدارة حكيمة.

فهل قامت الحكومة بتنفيذ الثوابت العلمية السابقة قبل اللجوء إلى صندوق

في ٦٣ صفحة كارثية أظهر تقرير هيومان رايتس ووتش لعام ٢٠١٧ تواطؤ أجهزة الأمن المصرية والنيابات العامة في استخدام تعذيب ممنهج لآلاف المحتجزين على ذم قضايا سياسية وأمنية، منظمة هيومان رايتس ووتش منظمة حقوقية دولية معروفة ولها وزنها ومصداقيتها، ترد وزارة الخارجية المصرية باتهامها باتهامات لا يمكن أن تخرج من مؤسسة تدار بأسلوب علمي وتعلم جيداً كيف تخاطب المنظمات الدولية، هل نحلم يوماً وهذا واقعا بنهضة اقتصادية وتطور في أي مجال؟

القوة الجيوستراتيجية (الجغرافيا)



(صورة لمصر وأهم المدن بالدلتا والصعيد وسيناء)

ترتيب مصر هو الثلاثون بين دول العالم من حيث المساحة والتي تقدر تقريباً بمليون كم مربع، موقع مصر العبقري وسط العالم وتحكمها في أهم طرق المواصلات الدولية جعل من موقعها قوة جيوستراتيجية جبارة، مساحة مصر وعمقها يضمن لها وقت الحرب توازناً استراتيجياً ولكن على المخطط الاستراتيجي المصري أن يضع في اعتباره التحديات التالية:-

- ١- إن من يسيطر على مضيق باب المندب ومضيق جبل طارق يستطيع تهديد الأمن القومي المصري الأمر الذي يجعل من امتلاك مصر قدرات بحرية عالمية متفوقة ومتميزة واجباً وليس اختياراً.

٢- إن ٨٥% من إيرادات نهر النيل والموارد المائية المصرية تأتي من هضبة الحبشة وبهذا أصبح التفوق العسكري المصري جنوبًا وحتى خط عرض ٣ شمالًا واجبًا وليس ترفًا.

تلك حقائق حكمت عقل وتخطيط جميع حكام مصر منذ الفراعنة، امتلاك مصر لقدرات بحرية متميزة كان دائمًا في أولويات الحكم في مصر كما أن السيطرة على منابع النيل والقدرة على الولوج للسلس والسريع إلى الحبشة كانت من الأولويات الاستراتيجية للعسكرية المصرية طيلة تاريخها القديم والحديث.

القوة العسكرية

خاضت مصر أكثر من ٩٠٠ معركة حربية طيلة تاريخها المكتوب منذ عصر الفراعنة لم تهزم إلا في ١٢ فقط، العسكرية المصرية أقدم وأعرق عسكرية في التاريخ مثل ما كانت الدولة المصرية أقدم دولة في التاريخ، لن أقف كثيرًا أمام تاريخ العسكرية المصرية ولكن سوف أسرد للقارئ مقدمة بسيطة ومهمة عن الجيش المصري في العصر الحديث من منطلق حكمة الزعيم البريطاني ونستون تشرشل حيث يقول أدرس التاريخ فهناك تكون أسرار الحكم، بدأت أول نواة للجيش المصري الحقيقي بالعصر الحديث بقرار محمد علي باشا بإنشاء أول مدرسة حربية مصرية حديثة في مدينة أسوان عام ١٨٢٠ وبالتوازي مع هذا بدا في إنشاء المصانع الحربية بالقلعة لإمداد جيشه الوليد بالمهمات والأسلحة والذخائر، اختار محمد علي سليمان باشا الفرنسي للإشراف على بناء أول جيش مصري نظامي متبعًا في تنظيمه أسس وتنظيم الجيش الفرنسي بل وأحكامه وقوانينه العسكرية، عام ١٨٣١ وصل تعداد الجيش ٧٠ ألف جندي وضابط تحت قيادة إبراهيم باشا ابنه النابه الذي أعاد إحياء تكتيكات وأساليب الحرب الخاطفة والسريعة والتي أنشأها ووضع أسسها وطبقها في حروبه وفتوحات الإسلام الأولى القائد المسلم العبقري الفذ خالد بن الوليد رضي الله عنه، برع إبراهيم باشا في استخدام سلاح الفرسان وهو الأمر الذي طوره القادة الألمان في افتتاحية الحرب العالمية الثانية وعرف بالحرب الخاطفة باستخدام سلاح المدرعات، كانت مدينة بنى عدى عاصمة محافظة أسيوط المركز الرئيسي لتجنيد الجيش الوليد وقاعدة تدريبه الأمر الذي ساعد على تطور الجيش حتى وصل عام ١٨٣٣ إلى ٢٠٠ ألف مقاتل وفي

عام ١٨٣٩ إلى ٢٥٠ ألف مقاتل، في عام ١٨٢٥ أنشئت مدرسة الدراسات العليا العسكرية لتخريج قادة الجيش وأركان الحرب، في عام ١٨٣١ أنشئت مدرسة المدفعية، ثم تلاها في ١٨٣١ أيضًا إنشاء مدرسة السوارى لتخريج ضباط سلاح الفرسان، في عام ١٨٣٥ أنشئت مدرسة الطب والمستشفى العسكرى، في عام ١٨٤٤ أنشئت مدرسة الهندسة العسكرية، في عام ١٨٤٣ زار المرشال والنبيل الفرنسى لوى دو مارمون قائد القوات الفرنسية بحرب القرم وعضو الأكاديمية الفرنسية للعلوم بذلك الوقت ترسانة القلعة وقال عنها (أن معامل القلعة تضارع أفضل معامل الأسلحة في فرنسا من حيث الأحكام والجودة والتدبير)، كان من إمكانيات ترسانة القلعة وباقى المصانع الحربية بعموم مصر أن تنتج ٤ مدافع عيار ٨ رطل شهريًا وعشرات من مدافع الهاون ٨ و ٢٤ بوصة و ٦٥٠ بندقية و ٣٦ ألف طبنجة (من مصنع الحوض المرصود) شهريًا و ١٦ ألف قنطار من البارود.

أنشأ محمد على أيضًا ترسانة بولاق ثم دار الصناعة الكبرى بالإسكندرية لصناعة السفن الحربية، كما أنشأ مصانع الغزل والنسيج والجوخ لتغذية الجيش بما يحتاجه من مهمات وأيضًا أنشأ ورشا للحداثة ببولاق ومصنعًا للحبال والطرابيش ومعامل لسبك الحديد والنحاس والصابون وديغ الجلود وجميعها لخدمة جيشه الوليد،

فى حديث مشهور بين محمد على باشا والأمير الألماني يوكلر موسكو وكان مستشارًا عسكريًا له قال موجهًا كلامه إليه (يجب أن تغلب على صعاب الشدائد، أشعر بأننى مرتبط بهذا الوطن فهو قدرى، لن أعرف طعم الراحة إلا أن أبعث هذه البلاد التي ظهرت لى طفلاً صغيراً وحيداً معدماً استسلم لنوم عميق مئات السنين، سأكون له كل شيء سأكون أباه وأمه وخادمه وسيده ومعلمه وقاضيه، كثيراً ما فكرت وأنا متكئ على وسادتى سائلاً نفسى هل أستطيع أن أقوم على أمره فأكسوه وأعلمه حتى يشب طفلاً رائعاً جميلاً، أتمنى أن يحقق الله أحلامى وآمالى فهذا الطفل وهذا الشعب يستحق الكثير أكثر من ما نحلم ونتصور ونريد) حقًا إن هذه الأرض وهذا الشعب العظيم يستحق الكثير، تلك كانت مقدمة ضرورية تنشط عقل القارئ وتجعله يعيش حلمًا أرادته مصر الحديثة وباعث نهضتها.

- أهم الحروب التي شارك فيها الجيش المصري الحديث :-
- حرب الشام بين محمد علي والدولة العثمانية (١٨٣١-١٨٣٩).
 - حملة السودان (١٨٢٠-١٨٣٩).
 - حملة اليونان (١٨٢٠-١٨٢٧).
 - حملة الحجاز (١٨١٦-١٨٢٠).
 - حرب القرم (١٨٥٣).
 - حرب المكسيك (١٨٦٣-١٨٦٧).
 - حرب الحبشة (١٨٦٨-١٨٧٦).
 - حرب فلسطين ١٩٤٨.
 - حرب العدوان الثلاثي ١٩٥٦.
 - حرب يونيو ١٩٦٧.
 - حرب أكتوبر ١٩٧٣.
 - حرب الخليج الأولى ١٩٩٠.

حين نتحدث عن القدرات العسكرية لمصر يبدأ الحديث عن بعض العناصر الإيجابية في عناصر قوتنا الشاملة وبعض الإنجازات التي لا بد أن نفتخر بها كامة، كما أن كثيرين لا يعلمون أن لمصر صفة حليف رئيسي لحلف شمال الأطلسي الناتو منذ ١٩٨٩، وهو وضع يتيح لنا التعاون العسكري والاستخباراتي مع الـ ٢٦ دولة العضوة بالحلف^(١) وقبل أن نتناول القدرات الكمية للجيش المصري وعناصر تفوقه أحب أن أذكر واقعة لها دلالتها ومغزاها، وهي المناورة بدر ١٩٩٦، كثيرين لا يعلمون شيئاً عنها رغم أهميتها ودلالاتها.

○ المناورة بدر ١٩٩٦

١- تم تنفيذ المناورة في يوم الأحد ٢٢ سبتمبر ١٩٩٦.

(١) حلف شمال الأطلسي يتكون من بلجيكا - كندا - الدانمارك - فرنسا - ايسلندا - إيطاليا - لوكسمبورج - هولندا - النرويج - البرتغال - إنجلترا - أمريكا - اليونان - تركيا - ألمانيا - إسبانيا - تشيكوسلوفاكيا - المجر - بولندا - بلغاريا - استونيا - لاتفيا - رومانيا - سلوفاكيا - ألبانيا - كرواتيا.

- ٢- كانت هذه المناورة أكبر مناورة في تاريخ الجيش المصري كله حتى وقتها .
- ٣- شملت المناورة كافة وحدات الجيش الرئيسية وأهمها الجيشين الثاني والثالث الميداني .
- ٤- أعلن أن مدة المناورة ١٠ أيام وأن الاتجاه الرئيسي للمناورة هو الجنوب .
- ٥- استعدت أقمار التجسس الأمريكية والإسرائيلية لمراقبة المناورات الأضخم في تاريخ الجيش كما وفد إلى مصر العديد من المراقبين والخبراء العسكريين من دول العالم لمشاهدة المناورة .
- ٦- فجأة وبدون أي إنذار ومع افتتاحية المناورة أصدر المشير حسين طنطاوي وزير الدفاع القائد العام للقوات المسلحة أمراً بتغييرالاتجاه الرئيسي للمناورة من الجنوب إلى الشرق وعبور قناة السويس حتى وسط سيناء لصد هجوم مفاجئ لقوات معادية، مع إعطاء قادة الوحدات الفرعية حرية الحركة والقرار في إطار الخطة والأهداف الرئيسية التي تم تبليغها للقادة الميدانيين سابقاً في الظرف مغلقة .
- ٧- في أقل من ١١ دقيقة استجابة جميع وحدات الجيش للأمر .
- ٨- في أقل من ٦ ساعات كان أكثر من ٦٠% من قوات الجيش المصري بكامل أسلحته ومعداته وصلت إلى وسط سيناء واحتلت خط المضائق مختترقة اتفاقية كامب ديفيد التي تحدد تواجد عدد قليل جداً من القوات والأسلحة فيما يطلق عليه منطقة A التي تمتد من الضفة الشرقية للقناة حتى خط الممرات الجدي ومتلا .
- ٩- ذهل المراقبون الدوليون وأمريكا والغرب من ردة فعل القوات المصرية واستجابتها المنضبطة القياسية لتغيير الاتجاه الاستراتيجي المعلن للمناورة وسيطرة وجراة القيادة العسكرية للجيش .
- ١٠- أسقط في يد المخابرات الإسرائيلية والأمريكية المفجأة في تغيير اتجاه المناورة وفشلهم الاستخباراتي في جمع المعلومات عنها وذكرهم هذا بفشلهم المماثل في حرب أكتوبر ١٩٧٣ حيث بدأت الحرب بمناورة أيضاً معلنة اسمها ١٠ رمضان تحولت إلى حرب شاملة انتهت بانتصار مصر وتلاها مفاوضات السلام التي أثمرت عن عودة كامل ترابها، اعترض رئيس

وزراء إسرائيل ننتياهو وكانت تلك فترته الأولى كرئيس وزراء وأرسل خطابات تنتقد المناورة إلى كل من الأمم المتحدة ومصر وأمريكا وعدد من الدول الغربية.

١١- كان من نتيجة المفاجأة والأرقام القياسية التي تحققت بالمناورة أن قام البتاجون بعمل ١٠ دراسات تتناول بالتحليل العميق والتفصيلي أداء الجيش المصري في أكبر مناورة في تاريخه.

١٢- أظهرت المناورة مدى جاهزية وقدرة الجيش المصري على الوصول إلى وسط سيناء بقوات ضخمة وتسليح مناسب متجاوزاً المناطق (أ) المنصوص عليها باتفاقية كامب ديفيد وقدرته على الانتشار بكامل سيناء وتهديد إسرائيل متى أراد.

١٣- ظهرت الدبابات الروسية، T-55 / T-62 - A3 بعد تطويرها بالمصانع الحربية المصرية وهي تسير جنباً إلى جنب تسابق الدبابات الأمريكية الأحدث والأسرع بالعالم IM-1A كما ظهرت العربات المدرعة فهد ووليد المصرية وهي تسير جنباً إلى جنب العربات المدرعة الأمريكية M-113 دون أي فارق.

١٤- ظهرت الطائرات الروسية الميج -٢١ وهي تطير بعد التعديلات المصرية محملة بصواريخ غربية من طراز سايدويندر جنباً إلى جنب مع الطائرات الغربية ميراج ٢٠٠٠ والأف ١٦ والأف ٤ الفانتوم بعد تطويرها أيضاً بواسطة المصانع الحربية المصرية.

١٥- قامت طائرات الإنذار المبكر الأواكس الأمريكية التي تمتلك منها مصر حوالي ١٠ طائرات باستطلاع سماء مسرح عمليات المناورة وظهرت الطائرات الروسية اليوشن ١٨ والانتينوف وقد طورتها الصناعات الحربية المصرية وهي تلقى بأفراد قوات المظلات المصرية المسلحة بمظلات حديثة متطورة وتجهيزات غاية في التقدم وظهروا بمستوى تدريب راقٍ.

١٦- ظهر وسط القوات البرية التي عبرت قناة السويس نظام الدفاع الجوي المصري سينا ٢٣ والمحمول على العربة المدرعة الأمريكية M113 والمزود بأنظمة رؤية ليلية ومجسات ليزر ومدفعان ٢٣ مم ومدمج به أنظمة عين

الصقر إنتاج مصري (تطوير للصاروخ الروسى سام -٧) وله رادار مستقل لحماية القوات البرية والمدربات من القوات الجوية المعادية التي تطير على ارتفاعات منخفضة^(١).

١٧- أيضًا ظهرت بالمناورة أنظمة الدفاع الجوي متوسطة المدى طير الصباح وأمون المصرية والتي تعد تطويرًا للأنظمة الروسية سام -٢.

١٨- شاركت القوات البحرية المصرية في تأمين الجانب الأيسر للقوات المصرية، وانتشرت أكثر من ٧٠ قطعة بحرية في انتظام وتشكيل رائع.

١٩- بات واضحًا بانتهاء المناورة أن القدرات الهجومية للقوات المصرية (التي من المفترض تقيدها وإضعافها) أكبر بكثير عما كان يعلمه ويأمله الجانب الإسرائيلي والدول الغربية الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة وأن مصر استفادت كثيرًا خلال الأعوام التي تلت توقيع اتفاقية السلام في تطوير قدراتها العسكرية كمًّا ونوعًا. كما بدا واضحًا الفشل الاستخباراتي الإسرائيلي والأمريكى الغربى.

أيضًا من أهم إنجازات مصر العسكرية أيضًا خلال الفترة التي تلت حرب أكتوبر ١٩٧٣.

٢٠- ما تميزت به الوحدات المصرية من كفاءة خلال حرب تحرير الكويت (أغسطس ١٩٩٠ - فبراير ١٩٩١) وبخاصة إنجازات وحدات سلاح المهندسين المصري في فتح الثغرات في الموانع التي شكلها جيش البعث العراقى لمنع اجتياح الكويت برًا وتحريرها واستخدامها لمنظومة فتح الثغرات جهاد ١- تصنيع وابتكار الصناعات الحربية المصرية، اشتركت مصر بقوات برية حوالي ٤٠ ألف جندي (الفرقة الرابعة مدرعات والثالثة

(١) عانت مصر كثيرًا من افتقادها لمثل تلك المنظومات المتحركة للدفاع الجوي خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣، حيث سحب الاتحاد السوفييتي بطاريات صواريخه المتحركة قصيرة المدى مع مستشاريه العسكريين الذين تقرر عودتهم إلى بلادهم بقرار من الرئيس المصري أنور السادات، نتيجة غياب هذه القدرات الرئيسية في منظومة الدفاع الجوي المصري كان قرار القيادة العسكرية المصرية بعبور قناة السويس حتى عمق ١٢-١٥ كم فقط وهو مدى تغطية منظومات الدفاع الجوي المصري الثابتة للقوات التي عبرت القناة.

مشاة ميكانيكي ومجموعة صاعقة بالإضافة إلى وحدات دعم لوجيستي)، لا توجد معلومات كثيرة عن أداء الوحدات المصرية، حيث ركز الفريق خالد بن سلطان قائد قوات التحالف العربي في مذكراته على دور القوات السعودية في تحرير الكويت كما ركز الجنرال الأمريكي شوارزكوف في مذكراته أيضاً على أداء القوات الأمريكية، لكن من الأمور التي أحب أن يعلمها القارئ عن تلك الحرب الآتي:-

- إن قوات الصاعقة المصرية والمظلات وصلت إلى المملكة السعودية قبل أي قوات عربية أو أجنبية أخرى لتأمين المناطق الحيوية الرئيسية شرق المملكة. وهذا يوضح ارتباط الأمن القومي المصري بأمن الخليج بصورة لا تحتاج إلى أي إثبات أو حديث.
- إن فرق الصاعقة المصرية وطوال فترة الحرب قامت بعمليات استطلاع قتالية أمام الوحدات العراقية المواجهة لها بغرض جمع المعلومات وشملت عمليات أسر لجنود وضباط عراقيين. بينما كانت عمليات القوات الأخرى بالتحالف تتضمن استطلاع دون اشتباك أو قتال.
- إن مع بدء العمليات البرية كانت الوحدات المصرية أكثر وحدات التحالف نظاماً والتزاماً بالخطة لدرجة أن كفاءة الوحدات وتدريبها العالی مكنها من الوصول إلى تخوم الكويت العاصمة قبل باقي قوات التحالف ولولا اعتبارات سياسية فإنها كانت ستكون أول قوات تدخل العاصمة الكويتية واكتفت الوحدات المصرية بالسيطرة على مطار الكويت والانتظار حتى وصول الوحدات السعودية والكويتية المشتركة والدخول معاً إلى العاصمة بناء على طلب الأمير خالد بن سلطان.
- إن منظومات الدفاع الجوي المصرية المتحركة والمرافقة لوحداتنا المقاتلة (الشيلكا) روسية الصنع تطوير مصري استطاعت رصد الطائرة الأمريكية المعروفة بالشبح F-117 الأمر الذي أزعج القيادة الأمريكية وفي نفس الوقت قامت قيادة هيئة العمليات بالجيش المصري بقيادة اللواء بذلك الوقت ووزير الدفاع لاحقاً المشير حسين طنطاوي بسحب تلك الوحدات حتى لا يتم كشف طريقة عمل وسائل دفاعنا الجوي وتكتيكاته وبالتالي تقديم معلومات مجانية

حساسة للعدو الإسرائيلي وبخاصة التعديلات المصرية التي زادت من مداه وقدرته على التعامل ورصد أرقى المقاتلات بالعالم.

- كتب الفريق خالد بن سلطان في مذكراته أن المشير طنطاوي (اللواء بذلك الوقت) قد اقترح مساهمة سلاح الجو المصري بالحرب إلا أنه شكره على هذا وصرح أن القوات الجوية السعودية والغربية أكثر من كافية، بعد بداية الحرب وبعد ما شاهد من كفاءة القوات البرية المصرية تمنى لو كان يمكنه تدارك الأمر وإشراك سلاح الجو المصري المعروف بكفاءة طياريه إلى جانب زملائهم الطيارين السعوديين لأخذ الخبرة وتعلم المهارات.

١- في عام ٢٠٠٣ قام سلاح الجو المصري باستطلاع مفاعل ديمونة باستخدام الطائرات بدون طيار وقام بتصويره وأيضًا قاعدة تخزين الصواريخ الباليستية أرض أرض من طراز أريحا.

٢- في أكتوبر ٢٠١٣ استطاعت وحدات الدفاع الجوي المصري إسقاط أقوى وأحدث طائرات التجسس بدون طيار الأمريكية من طراز أفينغر والتي تسير بسرعة ٤٦٠ ميلاً في الساعة (بينما غالب طائرات التجسس الأخرى بالعالم تطير بسرعات أقل من ٢٤٠ ميلاً بالساعة).

٣- مصر عضو فاعل ومهم في معظم قوات حفظ السلام التي تنشرها الأمم المتحدة بمناطق الاضطرابات بالعالم (١٦ منطقة) ومشهودًا لها بالنظام والكفاءة والتدريب العالي.

تلك كانت مقدمة ضرورية لكي يتهيأ القارئ لاستعراض القدرات الكمية والنوعية للجيش المصري.

○ القدرات الكمية للجيش المصري ٢٠١٤

هناك خطأ يقع فيه معظم من يتناول القدرات الكمية والتقنية للجيش المصري وهو ميزانية التسليح، حيث وطبقًا لتقرير جلوبال فاير ٢٠١٤ فإن ميزانية الجيش المصري لا تتعدى ٤.٤ مليار دولار وهو رقم متواضع للغاية نكاد نجزم أنه لا يمكن أن يكون صحيحًا في ظل ضخامة الجيش المصري ومستوى تسليحه وتدريبه، نعتقد حسب ما ورد في تقارير استخباراتية عديدة أن ميزانية الجيش

المصري ما بين ١١-١٤ مليار دولار شاملة المساعدات الأمريكية العسكرية والتي تبلغ ١.٤ مليار دولار، منها ٣-٤ مليار دولار أجور ومعاشات ومصاريف إدارية والباقي ميزانيات تطوير وبحوث وتسليح لجميع أفرع الجيش، أيضًا مما يدعو للفخر ما يرد بالتقارير الغربية عن لجنة مشتريات السلاح بالجيش المصري ووصفها بأنها من أقل لجان السلاح فسادًا بالعالم.

○ الدفاع الجوي المصري

في عام ٢٠٠٥ و٢٠٠٨ صنف نظام الدفاع الجوي المصري كأقوى وأعقد نظام دفاع جوى بالعالم حسب ما ورد بتقارير حلف الناتو، يحتوى على جميع منظومات الدفاع الجوي طويلة ومتوسطة وقصيرة المدى الثابتة والمتحركة.

في العام ٢٠١٤ صنف نظام الدفاع الجوي المصري الرابع عالمياً^(١).

تشمل ترسانة صواريخ الدفاع الجوي المصري المنظومات التالية:-

- الصواريخ بعيدة المدى باتريوت ١٠٤ الأمريكية.
- الصواريخ متوسطة المدى بوك واحد وبوك أم اثنين الروسية بنسختها سام ١١ وسام ١٧.
- الصواريخ متوسطة المدى سام ٣- الروسية، (يوجد نسخة مصرية من هذا النوع تسمى نيشورا -٢)
- الصواريخ متوسطة المدى طائر الصباح المصرية والمعدلة من النسخة الروسية سام -٢.
- الصواريخ متوسطة المدى طراز سام ٦- الروسية.
- الصواريخ متوسطة المدى هوك الأمريكية.
- النظام قصير المدى تورا ١- وتورا ٢- الروسي.
- الصواريخ أمون متوسطة وقصيرة المدى المصرية.

(١) السبب الرئيسي لهذا الترتيب المتقدم خلافاً للأسباب التقنية والكمية إن غالب الدول الغربية المتقدمة وحلف الناتو تعتمد على سلاح الجو في الدفاع الجوي وليس أنظمة الصواريخ (أرض - جو) ونحن نعتقد أن هذا التوجه غير حكيم وأن العقيدة المصرية في هذا المجال هي الأكثر حكمة والأقل كلفة.

- الصواريخ قصيرة المدى كروتال الفرنسية.
- منظومة الصواريخ قصيرة المدى سام ٩ الروسية والمعروفة باستريلا ١.
- الصواريخ قصيرة المدى شاباريل الأمريكية.
- الصواريخ المحمولة على الكتف سام ٧- الروسية والمعروفة باستريلا ٢، وقد طورتها مصر تحت اسم عين الصقر.
- الصواريخ المحمولة على الكتف استيجر قصيرة المدى الأمريكية.
- الصواريخ قصيرة المدى سام ١٨ الروسية والمحمولة على الكتف.
- المدفعية المضادة للطائرات ذاتية الحركة طراز ZSU-75/23 الروسية الشيلكا.
- المدفعية المضادة للطائرات ذاتية الحركة طراز M 53/95 التشيكي.
- المدفعية المضادة للطائرات ذاتية الحركة طراز M 163 الأمريكي.
- المدفعية المقطورة المضادة للطائرات طراز نيل ٢٣ إنتاج مصرى.
- المدفعية المقطورة المضادة للطائرات طراز سينا ٢٣ إنتاج مصرى.
- المدفعية المقطورة المضادة للطائرات طراز ZPU-1 الروسي.
- المدفعية المقطورة المضادة للطائرات طراز KS-30 الروسية.
- الرادار عالى التردد ثنائى الأبعاد طراز P-18 الروسي.
- الرادار السويسرى - المصري سكاى جارد لجميع أصحاب الجوية ولكشف الأهداف المنخفضة.
- الرادار عالى التردد ثلاثى الأبعاد طراز ANMPQ-64 الأمريكي.
- الرادار بعيد المدى طراز PVR-11/9 الروسي.
- الرادار فائق التردد ثلاثى الأبعاد P-40 الروسي.
- الرادار فائق التردد ثلاثى الأبعاد P-15/11/14/12 الروسي.
- الرادار فائق التردد ثلاثى الأبعاد ANTPS-43 الأمريكي.
- الرادار فائق التردد ثلاثى الأبعاد ANTPS-59 الأمريكي.
- الرادار فائق التردد ثلاثى الأبعاد ANTPS-63 الأمريكي - المصري المشترك.
- الرادار الصينى ثلاثى الأبعاد YG-9 A.
- الرادار الثنائى الصينى JLG-43.

- رادار الاستطلاع اللاسلكى Tiger ويصل مداه إلى ٥٠٠ كم .
- في أواخر نوفمبر ٢٠١٤ أعلنت مصر عن إتمام تعاقدتها على شراء منظومة الصواريخ الروسية إس ٣٠٠ بعيدة المدى كما أعلن عن بدء التفاوض لشراء منظومة الصواريخ بعيدة المدى الأحدث إس -٤٠٠ تريومف والمنظومة قصيرة ومتوسطة المدى بانتسير اس -١ الروسية أيضًا .

○ القوات الجوية المصرية

القوات الجوية المصرية واحدة من أقوى أسلحة الجو بالعالم، تلى سلاح الجو الإسرائيلي في الكم والنوع ولكنها تظل منافسًا قويًا عالميًا وإقليميًا يتفوق على سلاح الجو التركي في بعض التقارير العسكرية من حيث القدرات والإمكانات الفردية لطياريه، أهم ما يشمله سلاح الجو المصرى:-

٢٢٨ طائرة إف -١٦ مقاتلة متعددة المهام أمريكية تركية الصنع من الجيل

الرابع .

١٢ طائرة رافال مقاتلة متعددة المهام فرنسية الصنع من الجيل الرابع بلس بلس . (تم التعاقد في ٢٠١٤ على ٢٤ طائرة تورد على دفعات) وسوف تخدم بالسرب الجوي ٣٤ المعروف باسم الذئاب المتوحشة التابع للواء الجوي ٢٠٣ أقوى ألوية سلاح الجو بالجيش المصري وقوته الضاربة .

١٨ طائرة ميراج ٢٠٠٠ مقاتلة متعددة المهام فرنسية .

٨٢ طائرة ميراج ٥ اعتراضية محدثة ومطورة فرنسية الصنع .

٥٦ طائرة ميغ ٢١ مقاتلة متعددة المهام مطورة بمعرفة المصانع الحربية

المصرية روسية الصنع .

٥٧ طائرة شينج دوجا ٧ اعتراضية صينية الصنع .

٣٢ طائرة إف -٤ فانтом قاذفة مطورة أمريكية الصنع .

٦٤ طائرة الفاجيت الفرنسية وتستخدم في التدريب والهجوم الخفيف،

تصنع في مصر .

٥٤ طائرة AMP برازيلية مصرية وتستخدم في التدريب والهجوم الخفيف .

٧٤ طائرة G 115 المانية وتستخدم لأغراض التدريب الابتدائي .

١٢٠ طائرة K-8 هونج دو صينية -مصرية- باكستانية الصنع لأغراض التدريب المتقدم.

٤٧ طائرة L-59 تشيكية الصنع لأغراض التدريب والهجوم الخفيف.

٤٨ طائرة Z 142 تشيكية الصنع لأغراض التدريب الرئيسي المتقدم.

٤٧ طائرة L-59 تشيكية الصنع لأغراض التدريب.

١٢ طائرة انتينوف N-74 روسية أوكرانية لأغراض الشحن العسكري.

١٢ طائرة بيتش كرافت ١٩٠٠ الأمريكية لأغراض الدورية والاستطلاع.

٢٦ طائرة C-130 هركليز أمريكية لأغراض النقل والحرب الإلكترونية

والنصنن والاستطلاع.

٨ طائرة هوك ٢٠٠٠ الأمريكية للإنذار المبكر والاستطلاع.

٢٠ طائرة C-295 إسبانية لأغراض الشحن العسكرية المتوسطة.

٩ طائرة DHC-5 كندية لأغراض النقل العسكري.

٤٧ مروحية AH-64 أباتشى أمريكية هجومية.

٤٧ مروحية UH-60 بلاك هوك الأمريكية الهجومية.

٨٤ مروحية جازيل تصنيع مصري هجومية.

٥١ مروحية MI-17 روسية هجومية.

١٨ مروحية بوينج ٤٧ شنوك أمريكية إيطالية هجومية.

١٣ مروحية SH-2 أمريكية مضادة للغواصات.

٣٥ مروحية KING-SEA مصرية الصنع مضادة للغواصات (تطوير للمروحية

البريطانية HAS-2).

٤٢ مروحية MI-8 روسية هجومية.

٢٣ مروحية كوماندو بريطانية هجومية.

٥٢ طائرة بدون طيار تيليدن ريان أمريكية الصنع.

٤٨ طائرة بدون طيار R 4-50 Y بريطانية الصنع.

٤٠ طائرة بدون طيار كامكوتير نمساوية الصنع.

٤٠ طائرة بدون طيار ASN-209 مصرية الصنع.

- ٢٠ طائرة بدون طيار من طراز قادر مصرية الصنع .
- ٢٠ طائرة بدون طيار من طراز ليان الأرجنتينية - المصرية الصنع .
- ٥٠ طائرة بدون طيار من طراز يارا مصر مصرية الصنع .
- ٢٤ طائرة ميج -٣٥ روسية متعددة المهام (جار توريدهم).
- ٢٤ طائرة سوخوى ٣٥ روسية مقاتلة (جار توريدهم).
- ٤٦ طائرة ميج ٢٩ روسية اعتراضية (جار توريدهم).
- ٦٠ مروحية هجومية MI-28 روسية، (جار توريدهم).
- ٥٠ مروحية هجومية K-52 الروسية للعمل على حاملات المروحيات المصرية الميسترال .

كما تم الاتفاق مع فرنسا لتصنيع الطائرة بدون طيار الحديثة من طراز باترولر بالمصانع الحربية المصرية وهى طائر متقدمة تستطيع البقاء بالجو لمدة ٢٤ ساعة مداها ٥٠٠ كم وتصل لارتفاع حتى ٢٠ ألف قدم، أيضًا يمتلك سلاح الجو المصري ٢٨ قاعدة جوية تنتشر في جميع أنحاء الجمهورية مشكلة شبكة رائعة تجعل من تكرار ما حدث في ١٩٦٧ يوم تدمر ٩٠% من سلاح الجو المصري أمرًا يكاد يكون مستحيلًا (عدد القواعد الجوية الإسرائيلية ١١).

○ القوات البحرية المصرية

- هى أعرق وأكبر وأضخم وأحدث قوات بحرية بالشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وتشمل أكثر من ١٤٠ قطعة على النحو التالى :-
- ٢ حامله مروحيات هجومية من طراز ميسترال الفرنسية . (انضمت إلى القوات البحرية خلال عام ٢٠١٦).
- ٤ غواصة هجومية ألمانية طراز ٢٠٩ . (رغم حادثة وتقدم تلك الغواصة إلا أنها تبقى أقل في التكنولوجيا والإمكانيات من الطراز الألماني دولفين الذي حصلت إسرائيل على ٣ غواصات منه).
- ٤ غواصة روسية طراز روميو .
- ٤ غواصة صينية طراز روميو .
- ٤ غواصة تحت التجديد بالترسانات المصرية .

- ٢ غواصة بريطانية طراز اوبيرون .
- ١ فرقاطة فرنسية طراز فريم .
- ٤ فرقاطة أمريكية طراز أول يفرهازرد .
- ٢ فرقاطة أمريكية طراز نوكس مسلحة بصواريخ هافون -٢ الأمريكية .
- ٢ فرقاطة صينية طراز جياالغهو .
- ٢ فرقاطة روسية طراز كولى .
- ٢ فرقاطة إسبانية طراز ديسكوبيرتا .
- ٤ طرادات شبحية طراز كورفيت جويند إنتاج مصري فرنسي مشترك .
- ٣ سفينة إنزال روسية طراز بولدوسلى .
- ٩ سفينة إنزال روسية طراز فايدرا .
- ٨ سفينة إنزال أمريكية طراز ثعلب البحر .
- ٢٠ زورق صواريخ أمريكية طراز MK-3 امباسدور الهجومى الثقيل من تصميم البحرية المصرية .
- ١ زورق صواريخ روسى طراز مولينا أو البرق وهو من أقوى زوارق الصواريخ بالعالم .
- ٦ زورق صواريخ صينى طراز -٢٢ .
- ٤ زورق صواريخ بريطاني طراز أوسا .
- ٦ زورق صواريخ طراز رمضان إنتاج مصري بريطاني مشترك .
- ٥ زورق صواريخ ألماني طراز تايجر -١٤٨ .
- ٦ زورق صواريخ صينى طراز هوكو .
- ٤ زورق طوربيد صينى طراز شنغهاي -٦٢ .
- ٦ زورق طوربيد صينى طراز شرشن .
- ٨ سفن مضادة للغواصات صينية طراز هيتان -٣٧ .
- ٥ كاسحات ألغام روسية طراز T-43 .
- ٤ كاسحات ألغام روسية طراز يوركا .
- ٣ كاسحات ألغام تصميم مصري وتصنيع أمريكية طراز ذات الصواري .

- ٢ كاسحات ألغام أمريكية طراز أوسبرى .
- ٤ سفينة زرع ألغام روسية طراز تويما .
- ١ سفينة إمداد ألمانية طراز ٧٠١ .
- ١ سفينة ذخيرة ألمانية طراز فيسترفيلد .
- ٨ ناقلات وقود روسية طراز توبليغو .
- ٢ زورق قطر أمريكي طراز ناتيك .
- ١ زورق قطر هولندي طراز دامن .
- ٢٠ زورق دورية أمريكي طراز بيرترام .
- ٢ زورق دورية أمريكي طراز سويقت .
- ٣ زورق دورية تركي طراز MRTTP-20 .

○ القوات البرية المصرية

ويندرج تحتها سلاح المشاة والمدرعات والمدفعية والمهندسين وحرس الحدود .

يبلغ عدد أفراد الجيش المصري النظاميين حوالي ٤٨٠ ألف مقاتل نظامي وحوالي ٥٧٠ ألف مقاتل احتياطي، تتبع مصر سياسة تنويع مصادر السلاح في السنوات الأخيرة وإن كان غالب تسليح الجيش غربى، كما تمتلك مصر قدرات لا بأس بها في مجال التصنيع الحربى، يتلقى جندى المشاة بالقوات المصرية تدريبات قاسية تستمر ١٠ أشهر تقريباً كما يخضع لمشروعات تدريبية متواصلة ولا تنقطع طوال العام، تعتمد مصر في عقيدتها الدفاعية على القوات النظامية وليس الاحتياط .

فيما يلى استعراض لأهم الأسلحة الموجودة بحوزة القوات البرية المصرية .

○ الدبابات ومركبات المشاة القتالية وناقلات الجند المدرعة

١٥٠٠ دبابة A1 - M1 ابرامز أمريكية تصنيع مصري بنسبة ٩٠% . (تتفوق تلك الدبابة عن نظيرتها الإسرائيلية الميركافا بمدفعها الألمانى ١٢٠ مم وقوة

تدريبها وكثافة نيرانها وقدرتها على المناورة والبصمة الحرارية المنخفضة، كما أنها مصممة للعمل في ظروف الحرب النووية والكيميائية والبيولوجية وأيضًا سرعتها التي تبلغ ٧٠ كم/س بينما الميركافا -٤ أحدث نسخ الميركافا فاقصى سرعة لها ٥٥ كم/س).

٢٠٠٠ دبابة A 2 & A 3 - M 60 باتون أمريكية ألمانية.

٦٠٠ دبابة T-62 روسية بتعديلات مصرية.

٥٠٠ دبابة رمسيس -٢ مصرية.

٣٥٠ دبابة T-55 روسية بتعديلات مصرية.

١٠٠ دبابة T-80 روسية.

٣٠٠ مدرعة مضادة للدبابات طراز YPR-765 نرويجي - أمريكي. مسلحة

بصواريخ تاو

٥٢ مدرعة مضادة للدبابات طراز A 3-M-90 أمريكية.

١٨٠ مدرعة برمائية طراز K-61 روسية.

٣٥٠ مدرعة برمائية طراز PTS الروسية.

٤٠٠٠ ناقلة جند مدرعة من طراز هامفي أمريكية تصنيع محلي مصري.

٢٥٠٠ ناقلة جند مدرعة طراز M-113A 1&A2 برادلي أمريكية. (تنتج مصر

نسخة مصرية طراز EIFV).

٥٠٠ ناقلة جند مدرعة طراز M-114 أمريكية.

٣٥٠ ناقلة جند مدرعة طراز M 1043 أمريكية.

١٠٠٠ ناقلة جند مدرعة بإطارات من طراز قادر ٣٢٠ ألماني مصرية.

٧٠٠ ناقلة جند مدرعة بإطارات من طراز قادر ١٢٠ تيجر إيطالي - مصري.

٧٠٠ ناقلة جند مدرعة طراز REVA-5 جنوب إفريقيا.

٧٠٠ ناقلة جند مدرعة بإطارات طراز فهد- ٢٨٠ مصرية.

٦٥٠ ناقلة جند مدرعة بإطارات طراز وليد مصرية، يوجد أيضًا طراز لزرع

الألغام من تلك الناقلة.

٢٠٠ ناقلة جند مدرعة مجنزرة طراز PTR-40 الروسية.

- ٢٠٠ ناقله جند مدرعة مجنزرة طراز PTR-50 الروسية .
- ٢٢٠ ناقله جند مدرعة طراز PTR-60 الروسية .
- ٢٠٠ ناقله جند مدرعة بإطارات طراز PTR-152 الروسية .
- ٢٦٠ ناقله جند مدرعة بإطارات طراز PMR-600 الإسبانية .
- ٢٥٠ ناقله جند مدرعة مجنزرة طراز OT-62 البولندية .
- ٣٠٠ ناقله جند مدرعة بإطارات طراز OT-64 البولندية .
- ٣٠٠ عربة استطلاع مدرعة طراز 2-PRDM روسية .
- ١٢٠ عربة استطلاع أمامية من طراز M-981 .
- ٢٠٠ عربة استطلاع مدرعة طراز كوماندو V-180 أمريكية .
- ٢٠٠ عربة استطلاع مدرعة طراز RG-32 - M جنوب إفريقيا .
- ١١٠٠ مركبة مشاة قتالية ودعم ميداني وقيادة طراز M-1058 أمريكية بلجيكية .
- ١٠٠٠ مركبة مشاة قتالية طراز YPR - SI - FV أمريكية مصرية .
- ٧٠٠ مركبة مشاة قتالية طراز فهد -٢٨٠ مصرية وتستخدم أيضًا لزرع الألغام .
- ٢٥٠ مركبة مشاة قتالية طراز PMP-1 أمريكية .
- ٣٠٠ عربة دعم ميداني وقيادة طراز M-577 أمريكية .
- ٣٠٠ عربة دعم ميداني طراز M-548 أمريكية .
- ٢٥٠ عربة دعم ميداني طراز M-992 أمريكية .
- ٢١٠ عربة دعم لوجيستي طراز M-984 أمريكية .
- ١٠٠ عربة دعم لوجيستي طراز M-728 أمريكية .
- ٥٠ عربة دعم لوجيستي طراز M-578 أمريكية .
- ٨٠ عربة دعم لوجيستي طراز M-579 أمريكية .
- ٥٠ عربة دعم لوجيستي طراز PT-54 روسية .
- ٥٠ عربة دعم لوجيستي طراز MDK - 2M الروسية .
- ١٢٦ عربة دعم لوجيستي طراز M-88 - I 2 أمريكي مصري .

١٢٥ عربية دعم لوجيستي طراز فهد مصرية.

٣٦ عربية دعم لوجيستي طراز 2-PZM أوكرانيا.

عدد ضخيم غير محدد من سيارات الإسعاف والدعم اللوجيستي رباعية الدفع من طراز جيب، قادر وبيجاسو وهامفى وفاب ١١١٨ و M 1 / M 274 / MTVR / GIZ 66.

عدد غير محدد من سيارات الدعم اللوجيستي 6X6 من طراز ZIL 157 / M 939 / M 54 / M 35 / URIL 4320 / URIL 375 / ZIL 131.

عدد غير محدد من سيارات الدعم اللوجيستي 8X8 من طراز ZIL 135 / M 977 / MTVR / MIZ 543.

عدد محدد من سيارات الدعم اللوجيستي 10X10 من طراز PLS

○ الأسلحة الخفيفة ومضادات الدروع

- المسدس النصف إلى ١٩ مم طراز حلوان - ٩٢٠ صناعة مصرية - إيطالية.
- الرشاش 5-MP الألمانى الصنع.
- الرشاش UMP الألمانى الصنع.
- البندقية الهجومية 47-AKA كلاشنكوف صناعة مصرية - روسية وهى تعد البندقية القياسية الرئيسية للفرد المقاتل بتشكيلات المشاة. (تنتج مصر النسخة باسم المعادى - مصر وتصدرها إلى دول عديدة إفريقية بعد عمل تعديلات جوهرية عليها).
- المدفع الرشاش RPD صناعة مصرية - روسية.
- المدفع الرشاش الخفيف FN صناعة مصرية - بلجيكية.
- المدفع الرشاش متعدد الأغراض MAG-FN صناعة مصرية - بلجيكية.
- المدفع الرشاش المتوسط 43-SG صناعة مصرية - روسية.
- المدفع الرشاش الثقيل NSV الروسى.
- المدفع الرشاش الثقيل HB2M الأمريكى.

- بندقية القنص PSG الألمانية.
- بندقية القنص دراجنوف الروسية.
- بندقية القنص M 40 A 3 الأمريكية.
- قاذف القنابل MK -19 مصري - أمريكي.
- قاذف القنابل المعادى مصري - أمريكي.
- قاذف القنابل M -79 الأمريكي.
- قواذف الهاون M 38 / M 160.
- البندقية عديمة الارتداد مضادة للدروع SPG الروسية.
- البندقية عديمة الارتداد مضادة للدروع 11-P/10-P الروسية.
- المدفع عديم الارتداد BM 21 / BM 11.
- القاذف مضاد للدروع RPG 7/26 مصري الصناعة.
- القاذف مضاد للدروع LOM -72 الأمريكي.
- القاذف مضاد للدروع MILAN -2 الفرنسي.
- القاذف مضاد للدروع FIRE-SWING المصري البريطاني.
- القاذف مضاد للدروع تاو AGM -71 المصري الأمريكي.
- القاذف مضاد للدروع هيلفاير AGM 114 الأمريكي.
- القاذف الموجه مضاد للدروع AT -01 الروسي.
- القاذف الموجه المضاد للدروع كونكورس S -113 الروسي.
- القاذف الموجه المضاد للدروع كورنت ATGM الروسي.
- القاذف الموجه المضاد للدروع HG -8 المصري - الصيني.
- المدافع الآلية الثقيلة من طراز 1 ZPV، 2 / KPV / DSHK / HP M 2.
- المدافع بمقطورة طراز M 31 / M 37 / M 1938.
- المدافع ذاتية الحركة من طراز 3A109M / 2A109M / 109M.
- انظمة فتح الثغرات في حقول الألغام من طراز ناثيرا ١ و ٢ وجهاد وفتح.

○ أنظمة الجسور البرمائية

يوجد لدى الجيش أنظمة عديدة غربية وشرقية من الجسور البرمائية

أهمها: -

TPP - PRG - PMP - PMM 2 - KMM - TMM - M 60 - MT 55 - MTU 20 - M 104 - PMKT 50 - PMK 130 - PMK 150

بصفة عامة تعتبر وحدات مشاة الجيش المصري شاملة مدفعيته ودباباته ومعدات أفراد المشاة من أحدث الوحدات بالعالم ومعظم وحدات القوات البرية المصرية آلية وممكنة سريعة، وهي بهذا أصبحت أكثر كفاءة وقدرة على الحركة وأماناً مما كانت عليه في حرب ١٩٧٣^(١).

○ قوات الصاعقة المصرية

لا يمكن أن نغفل الحديث عن القوات الخاصة المصرية ونحن نتحدث ونسرد الإمكانيات العسكرية للجيش، حيث تعتمد مصر على تلك القوات وتدمجها في جميع معاركها العسكرية وبكثافة، تذكر تقارير عديدة قوات الصاعقة المصرية على أنها الأقوى تدريباً وجاهزية عالمياً وتقف في نفس مستوى تدريب وتسليح القوات الخاصة الهندية وقوات دلتا الأمريكية والميتكال الإسرائيلية، أثناء حرب الاستنزاف بين مصر وإسرائيل طلبت إسرائيل رسمياً من الأمم المتحدة الضغط على مصر من أجل تحجيم عمليات القوات الخاصة المصرية بحجة أنها غير آدمية من فرط شراستها وقوة أفرادها الأمر الذي بث الرعب بين الوحدات الإسرائيلية بذلك الوقت، تحاول الولايات المتحدة الحصول على خدمات قادتها ومدربيها المتقاعدين لتدريب القوات الأمريكية إلا أن طلبها يقابل دائماً بالرفض من القيادة العامة للقوات المسلحة، غير معلوم عددها بدقة ولكن تذكر في التقارير الاستخباراتية على أنها في حدود ٤٠-٥٠ ألف مقاتل، يرجع تسمية القوات الخاصة المصرية بالصاعقة نسبة إلى قوات الصاعقة التي شكلها القائد

(١) أحد أسباب ارتفاع خسائر الجيش المصري من الأفراد خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ هو انخفاض عدد وحدات المشاة الميكانيكية الأمر الذي كان يسهل على ألوية المدرعات الإسرائيلية والمشاة الميكانيكية تطويقها من الأجناب وضربها بسهولة محدثة خسائر بشرية ضخمة بين صفوفها، كانت خسائر الجانب الإسرائيلي في تلك الحرب على الجبهة المصرية ١٠ آلاف جندي بينما الجانب المصري ١٥ ألفاً.

المصري العظيم رمسيس الثانى وكانت مهامها شبيهة بالمهام المفترضة للقوات الخاصة المصرية التي أنشئت بناءً عليها، تأسست وحدات الصاعقة المصرية على يد الفريق جلال هريدى عام ١٩٥٥، وتقع مدرسة الصاعقة ومقرات تدريبها بمدينة أنشاص بمحافظة الشرقية، يتم اختيار أفراد وحدات الصاعقة المصرية بناء على مقاييس بدنية ونفسية وعقلية خاصة، يجرى جميع المرشحين للخدمة داخل وحدات الصاعقة من رتبهم مهما كانت، ويكون الجميع برتبة فدائى .

مدة فرقة الصاعقة ٩ أشهر (٣٦ أسبوعاً) تشمل الآتى :-

- ١- التدريب على اكتساب اللياقة البدنية وقوة التحمل واجتياز الموانع بكل أنواعها والجري لمسافات طويلة تصل إلى ٣٠ كم في وضح النهار أو بالليل وتسلق الجبال واختراق الغابات والمزارع.
- ٢- التدريب على التكيف والتعايش في ظروف بيئية صعبة حيث يتضمن تدريب فرد الصاعقة المصرية التواجد بالصحراء لمدة ٥ أيام لا يملك إلا خنجرًا عليه بواسطته اصطيد طعامه والبحث عن مصادر مياهه والتعامل مع الضواري والحيوانات المفترسة وكل هذا مع أخذ القليل من الراحة أو النوم وأهم شيء التخفى.
- ٣- مهارات الهجوم والتعامل مع مختلف التهديدات المحتملة سواء أفراد أو دبابات أو طائرات أو ضواري ولفترات طويلة والعمل خلف خطوط الإعداء وفى عمقه.
- ٤- التدريب على القفز من ارتفاعات شاهقة (١٠-١٥ مترًا) والسباحة لمسافات طويلة واستخدام القوارب بكل أنواعها.
- ٥- التدريب على إتقان فنون القتال المتلاحم مثل المصارعة والملاكمة والجودو والوينج تشان والكونغفو واستخدام كافة أنواع الأسلحة البيضاء بمهارات عالية يتعلم فيها كيفية القتل السريع أو الإصابات المشتة للحركة والأسر واستخلاص المعلومات.
- ٦- التدريب على الغطس بكل أنواعه الهجومى والدفاعى والتصرف أوقات الطوارئ والإسعافات الأولية.

- ٧- الرماية والقنص بكل أنواعها الثابتة والمتحركة وعمل الفخاخ والكمائن للمدركات والعربات والأفراد واستخدام الأسلحة المضادة للمدركات والطائرات منخفضة الارتفاع والمروحيات ومهاجمة الأهداف البرية والساحلية والبحرية وفتح الثغرات بحقول الألغام.
- ٨- التدريب على طرق الملاحة الحديثة وفي نفس الوقت إتقان الملاحة التقليدية باستخدام النجوم.
- في نهاية الفرقة يكون فرد الصاعقة المصرية مؤهلاً للعمل بكفاءة بجميع مساح العمليات برًا وجوًا وبحرًا، ليلاً أو نهارًا، وفي أقصى أنواع البيئات ضراوة وتوحشًا.

بيان الوحدات الخاصة بالجيش المصري

- يندرج تحت قوات الصاعقة المصرية الوحدات التخصصية التالية :-
- ١- الوحدة العقرب وهى أكثر الوحدات سرية بالجيش المصري والعالم، المطلعين على مهامها وتدريباتها الخاصة ومستوى تسليحها داخل قيادة الجيش عددًا محدودًا جدًّا، وغير مسموح بالنشر عنها كما أن مهامها وأهدافها تظل في نطاق السرية الفائقة.
- ٢- الوحدة حورس وهى متخصصة لحماية الرئيس المصري وتتبع رئاسة الجمهورية وأيضًا يوجد عدد قليل جدًّا مطلع على تنظيمها وتدريباتها وتسليحها داخل قيادة الجيش.
- ٣- الوحدة ٧٧٧ وهى متخصصة في مكافحة الإرهاب وقد كان قرار إنشاؤها كفرع من فروع الصاعقة المصرية نتيجة ظهور الحاجة إلى وحدة ذات تدريب مميز للتعامل مع العمليات الإرهابية بعد الخسائر الكبيرة في الأرواح والمعدات التي حدثت أثناء تعامل قوات الصاعقة المصرية مع الإرهابيين بمطار لارنكا في الجانب اليونانى من جزيرة قبرص بسبعينيات القرن الماضى.
- ٤- الوحدة ٩٩٩ وهى أكثر عددًا واتساعًا لمسرح عملياتها من الوحدة ٧٧٧ تماثل الوحدة ميتكال بجيش الدفاع الإسرائيلى ولها مهامها وقت السلم في

حماية الأمن القومي بمفهومه الشامل، تشبه مهام تلك الوحدة المهام التي توكل إلى فريق المهام المستحيلة بسلسلة الأفلام الأمريكية Mission Impossible .

- ٥- وحدات الضفادع البشرية والصاعقة البحرية والأخطبوط وجميعها تختص بالعمليات الفدائية ضد الوحدات البحرية والساحلية.
- ٦- وحدات المظلات وهي وحدات صاعقة يتم إبرارها في عمق العدو بواسطة الإسقاط الجوي بالمظلات.
- ٧- كتائب الضبع الأسود وهي وحدات صاعقة خاصة بقوات الدفاع الجوي وتختص بتأمين وحدات وبطاريات الدفاع الجوي ولها تدريبات متخصصة في الحرب النووية والبيولوجية والكيميائية.
- ٨- الوحدة ٣٣٣ وهي وحدات صاعقة تتبع وزارة الداخلية وقت السلم وتنخرط تحت قيادة قوات الصاعقة وقت الحرب وهي وحدة متخصصة في مكافحة المجرمين المتحصنين بالجبال والمناطق شديدة الخطورة والوعورة.

ك أبرز العمليات المشرفة لوحدة الصاعقة المصرية

الحديث عن عمليات الصاعقة المصرية يحتاج إلى عشرات الصفحات التي تجعل كل واحد فينا يتوسم بارقة أمل في مستقبل يليق بهذا الشعب العظيم وبنائه النادرين الوطنيين، لم يات تصنيف تلك الوحدات كأحد أفضل الوحدات بالعالم من فراغ أو من قبيل الصدفة بل بناء على بطولات معجزة وأرقام قياسية لم يبلغها أحد وبلغها أبناؤها .

○ معركة شدوان

في فجر ٢٢ يناير عام ١٩٧٠ قامت إسرائيل بعملية إبرار جوى وبحرى لاحتلال جزيرة شدوان المصرية التي تبعد عن مدينة الغردقة ٣٥ كم وتقع قبل مدخل خليج السويس، الجزيرة مساحتها ٧٠ كم مربع ومهجورة من السكان إلا أن لها أهمية استراتيجية لقربها من مدينة الغردقة ومعنوية حيث إن سقوطها يمثل مزيداً من نزيف الأراضى التي خسرتها مصر كما يمكن من خلالها تهديد السفن القادمة إلى ميناء السويس، هاجمت إسرائيل الجزيرة بكتيبة مظلات (حوالى

١٠٠٠ جندي) بينما كانت القوات المصرية المدافعة عن الجزيرة سرية صاعقة (١٠٠ جندي)هاجمت إسرائيل القوات المصرية برًا وجوًا وبحرًا ولمدة ٣٦ ساعة متواصلة ولكنها في النهاية أعلنت هزيمتها وفشلها في احتلال الجزيرة وجاء على لسان رئيس أركانها بذلك الوقت حاييم بارليف إن الجنود المصريين متمسكون بالأرض ويقاثلون بضراوة غير طبيعية شبرًا شبرًا ولم يتمكن من تحقيق أي تقدم فوق الجزيرة وبلغت خسائرنا في الأفراد والمعدات معدلات مرتفعة الأمر الذي جعلني أصدر الأمر بإلغاء العملية والانسحاب لقد بدا لنا الأمر وكأننا كنا نحارب أشباحًا أو مرده، مما هو جدير بالذكر أن قائد القوات المصرية بتلك المنطقة وعموم منطقة البحر الأحمر بذلك الوقت كان الفريق أول سعد الدين الشاذلي رحمة الله عليه.

○ معركة جنوب الإسماعيلية (جبل مريم)

في صباح يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ تقدم الجنرال الإسرائيلي إيريل شارون بقوة مؤلفة من لواءين مدرعات ولواء مشاة مظلات نحو جنوب مدينة الإسماعيلية لاحتلالها وقطع طريق الإمدادات الرئيسي للجيش الثاني كله واستكمال تطويق الجيشين الثاني والثالث وتحقيق إنجاز تاريخي يكاد أن يتحقق خاصة وأن كل التقارير تؤكد خلو غرب القناة من أية ألوية مدرعات كما أن القوة المدافعة عن المدينة قليلة العدد والعدة، إلا أن حظه العاثر أوقعه أمام مجموعة صاعقة مصرية بقيادة اللواء أسامة إبراهيم (قائد المجموعة ١٣٩ صاعقة وعددها ١٠٠٠ جندي فقط وكان برتبة رائد في ذلك الوقت) الذي أذله وأوقف تقدمه ولمدة ٤ أيام وكبده خسائر ضخمة في الأفراد والآليات (حوالي ٢٠٠ قتيل و٢٧ دبابة)، تدرس تلك المعركة بالكليات والمدارس العسكرية العليا حيث ضربت الصاعقة المصرية وأبطالها المغاوير بطولات معجزة غير مسبوقة في مواجهة ألوية مدرعة وقوات مظلات ذات تدريب متقدم تفوقهم تسليحًا وعددًا، أيضًا قوات الصاعقة قوات مدربة على أعمال الهجوم وليس الدفاع كما أنها وبتسليحها الخفيف أوقفت تقدم ألوية دبابات ثقيلة ولأول مرة بالتاريخ، مجرد تغيير تكتيكاتها وتحولها إلى الدفاع وبنجاح هو إنجاز آخر يفخر به أعضاء تلك المجموعة، كما أن القرارات التكتيكية التي اتخذها الرائد أسامة قائد مجموعة الصاعقة واللواء عبد المنعم

خليل قائد الجيش الثانى والعميد بذلك الوقت أركان حرب عبد الحليم أبو غزالة قائد مدفعية الجيش الثانى كانت صائبة وصحيحة بل وعبقريّة، فشل هجوم شارون على الإسماعيلية الذي استغرق ٤ أيام وفقد عددًا كبيرًا من جنوده وآلياته وتحطم حلمه وهو يقود ٣ ألوية على صحرة قوات الصاعقة المصرية والتي لم يتجاوز حجمها ١٠٠٠ فرد مقاتل مسلح بتسليح خفيف، تسمى تلك المعركة في كتب العسكرية بالمهمة المستحيلة.

○ الرائد محمد الصفدى

هو أحد معلمى مدرسة الصاعقة المصرية، صدق المشير حسين طنطاوى عام ١٩٩٩ على بقاءه بالخدمة العسكرية وتحديدًا بقوات الصاعقة مدى الحياة ذاكراً في قراره (قوات الصاعقة بدون الصفدى لا تكون صاعقة) فماذا فعل هذا البطل لينال هذا الشرف وهذه المكانة والمنزلة؟ في أثناء حرب الاستنزاف تم أسر بطلنا الصفدى بواسطة القوات الإسرائيلية أثناء عمله خلف خطوطهم، أثناء ترحيله بعد أسره قام بقتل حراسه والهرب إلى الضفة الغربية للقناة والتحق بوحده مرة أخرى، حسب القانون الدولى واتفاقية جنيف إذا تم أسره مرة أخرى فيحق لإسرائيل قتله، وعليه فإن المتبع في مثل تلك الحالات أن يلتحق بطلنا بمهام أخرى غير الاشتباك المباشر مع العدو إلا أنه رفض، مرة أخرى وأثناء حرب الاستنزاف أيضًا تم أسره وتمكن أيضًا من الهرب بعد أن قتل حراسه أثناء ترحيله إلى موقع آخر وعاد إلى وحدته، أصر البطل على القتال إلا أنه احتاج في تلك المرة أن يأخذ اعتماد قائد وحدات القوات الخاصة العميد بذلك الوقت نبيل شكرى فوافق وعاد إلى القتال والمواجهات مرة أخرى، أثناء حرب أكتوبر وتحديدًا ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ تم أسر بطلنا للمرة الثالثة واقتيد للاستجواب وأثناء ترحيله وهو على متن طائرة هليكوبتر برفقة اثنين من أفراد الصاعقة المصرية تم أسرهم أيضًا قام بكسر القيود الحديدية وقتل حراسه وأسر قائد الطائرة ومساعدته وقام بتحويل مسار الطائرة إلى أحد المطارات الحربية المصرية والعودة سالمًا بصحبة زملائه الأسرى، سجل بطلنا بهذا التاريخ المشرف بطولات لا يمكن أن تحدث إلا بواسطة أبناء هذا الوطن وتلك الأرض، أي قوة وأى طاقة يمتلكها هذا البطل النادر؟ إنها حب وطنه وبلاده حب مصر.

○ الربان اللواء نبيل محمود عبد الوهاب

هو أحد الضفادع البشرية المصرية التي سجلت اسمها من نور وسط أبطال الضفادع البشرية بالعالم، محققًا إنجازًا لم يحققه شخص آخر حتى اليوم، في نوفمبر عام ١٩٦٩ تم تكليفه وزميله الشهيد الرقيب فوزى البرقوقي بالسباحة والغوص إلى ميناء إيلات الإسرائيلي والإغارة عليه وتدمير أكبر قدر من الوحدات المتواجدة فيه، غطس البطلان حاملان ألغامًا ومهمات تنفيذ العملية متجهان إلى الهدف، قام البطلان بتلغيم الأهداف أثناء التأكد من عملهما قبل المغادرة والابتعاد عن الأهداف حدث أن تعطلت معدات التنفس الخاصة بالشهيد البرقوقي وحدث ما يعرف بتسمم الأكسجين لدى الغطاسين، كان على الرقيب البرقوقي أن يصعد إلى سطح الماء للحفاظ على حياته والتنفس بحرية طبيعيًا معرضًا زميله والعملية للخطر أو الفشل، استمر شهيدنا تحت الماء وساعده الربان نبيل عبد الوهاب في الابتعاد عن الميناء وتم تفجير الأهداف ولكن كان الموت أسرع إلى الشهيد البرقوقي واستشهد وهو يشاهد مع زميله ألسنة اللهب تندلع بالميناء لم يتخل الربان نبيل محمود عن زميله فقرر بطلنا حمل زميله الشهيد مسافة ١٦ كم إلى ساحل الأردن غاطسًا ضاربًا رقما قياسيًا عالميًا في قوة التحمل والجلد والمسئولية، حين سأل لماذا أصررت على أن تحمل زميلك كل تلك المسافة وما تحملته من جهد وألم لا يمكن للأشخاص العاديين تحمله، قال لا يمكن أن أتركه للعدو يدعى انه قتله كما أن التضحية التي قام بها زميلي تتضاءل أمامها بطولتي وتضحيتي وكان هذا أقل ما أقوم به لشهيد وصديق وزميل أن أعود به ليدفن بتراب وطنه.

✍ القدرات الصاروخية الباليستية للجيش المصري

المعلومات المتوافرة عن القدرات الصاروخية الاستراتيجية المصرية قليلة، إلا أننا نستطيع أن نؤكد أن مصر لديها الخبرات والإمكانيات والتكنولوجية الكافية لكي يكون لديها برنامج صواريخ بالستية متقدم، أعتقد أن السرية المحاطة بالقدرات الاستراتيجية المصرية سياسة مصرية ثابتة بغرض تحقيق مبدأ المفاجأة مع العدو في أي حرب قادمة تمامًا مثل ما حدث في المناورة بدر ١٩٩٦ حيث

ظهر مدى تقدم القوات المسلحة وكفاءة القادة وتطور الأسلحة والمعدات، هناك تبادل للخبرات بين مصر وكوريا الشمالية وباكستان والصين في مجال التصنيع العسكري المشترك وبالتأكيد لدى مصر ما هو قيم ومفيد حتى يكون لديها مثل تلك الشراكات، هناك نجاحات مصرية بارزة في تطوير منظومات صواريخ الدفاع الجوي العاملة لديها سواء الشرقية أو الغربية، الأمر الذي يؤكد ما ذهبنا إليه من امتلاك مصر قدرات متقدمة في صناعة الصواريخ بأنواعها وعلى رأسها الاستراتيجية، أيضًا من القيود التي تجعل مصر تحافظ على سرية إمكانياتها الصاروخية معاهدة MTRC التي وقعتها معظم الدول الكبرى المصدرة للأسلحة عام ١٩٩٢ والتي تهدف إلى السيطرة على تكنولوجيا صناعة الصواريخ الباليستية وضمان الأمن والسلم العالمي، حسب ما اتفق عليه مصنعو الأسلحة الكبار بالعالم يمنع نقل أية تكنولوجيا أو معدات تطور إمكانيات مصر أو غيرها من الدول لإنتاج الصواريخ لمدى أكبر من ٣٠٠ كم ورأس حربي زنة أكبر من ٥٠٠ كجم، بصفة عامة وحسب ما يرد دائمًا بالتقارير الاستراتيجية الأمريكية فإن من المؤكد امتلاك مصر قدرات تصنيعية متقدمة لإنتاج الصواريخ الباليستية حتى مدى ١٣٠٠ كم.

كما أنه من المعلوم أن مصر من أكبر ١٠ دول بالعالم امتلاكًا لقوذف الصواريخ أرض - أرض الميدانية التكتيكية المهمة، أبو برنامج الصواريخ المصري وللحقيقة هو المشير الراحل محمد عبد الحليم أبو غزالة، برنامج الصواريخ المصري في عهد جمال عبد الناصر كان تليفزيونيًا أكثر منه برنامج صواريخ عملي ومتقدم، كانت جميع تجارب الصواريخ الظافر والقاهر قد باءت بالفشل، مستوى دقة الصواريخ كان ٤٥٠ مترًا وهورقم ضخمة وكبير كما أن مستويات التحكم في الصاروخ بعد إطلاقه معدومة، وللحقيقة أيضًا وللتاريخ فإن الصناعات الحربية المصرية تحولت على يد المشير أبو غزالة من صناعات بسيطة تنتج أسلحة وذخائر خفيفة إلى صناعات متطورة قادرة على إنتاج الصواريخ والدبابات والطائرات والمدافع الثقيلة وانظمة راجمات الصواريخ والرادارات وغيرها من الأسلحة المهمة ذات التكنولوجيات المتقدمة. كما أنها قادرة على تطوير العديد من الأسلحة الغربية والشرقية وعمل العمرات الدورية لغالب أسلحة الجيش وتصنيع غالب قطع الغيار المطلوبة.

أيضًا مصر الدولة الرائدة بالعالم في تحويل الصواريخ أرض - جو إلى أرض - أرض وتبعها في ذلك الصين والولايات المتحدة، حيث طورت الصين عائلة الصواريخ الروسية سام أرض - جو إلى صواريخ أرض - أرض في عائلة اسمتها SS، أما أمريكا فقد طورت صواريخها أرض - جو وأنتجت العائلة ميلرز. تحتوي ترسانة مصر العسكرية من الصواريخ الباليستية حسب التقارير العسكرية (غير المؤكدة)

٥٠ صاروخًا نودونج الذي يبلغ مداه ١٣٠٠-١٥٠٠ كم ويصنع بالاشتراك مع كوريا الشمالية.

عدد غير معروف من الصاروخ البدر ٢٠٠٠ وهو نسخة مصرية خالصة من الصاروخ الأرجنتيني كوندور -٢ ويصل مداه إلى ٢٠٠٠ كم^(١).

عدد غير محدد من الصاروخ السوفييتي سي - سكود ويصل مداه إلى ٥٠٠ كم، وقد طورته مصر وزادت من دقته لتصل إلى ٥٠ مترًا حول دائرة الهدف كما زادت من تطوير وسائل توجيهه.

حوالي ٣٠٠ من الصاروخ المصري T-PROJECT وهو تطوير للصاروخ السوفييتي سكود - بي وتم بالاشتراك مع كوريا الشمالية حيث تمت زيادة مدى الصاروخ ليصل حتى ٤٥٠ كم وزيادة دقته.

عدد غير معروف من الصواريخ الصينية M-9 والتي يصل مداها إلى ٦٠٠ كم وهو مشابه للصاروخ الباكستاني حتف، وهي صواريخ تعمل بالوقود الصلب.

عدد غير معروف من الصواريخ الصينية M-11 والتي يصل مداها إلى ٣٠٠ كم. ١٠٠ صاروخ سكود - بي مداه ٣٠٠ كم.

٣٦٠ صاروخ تكتيكي طراز صقر - ٨٠ مداه ٨٠ كم، وهي صواريخ أكثر تقدمًا من نظيرتها الغربية.

٣٥٠ صاروخ فروج - ٧ (الضفدع) ويصل مداه إلى ٧٠ كم.

(١) كانت تلك الصواريخ السبب الرئيسي في إقالة المشير عبد الحليم أبو غزالة عام ١٩٨٩ بناء على طلب الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب وكان وقتها مدى الصاروخ ٨٠٠ كم.

كـ قدرات أسلحة الدمار الشامل المصرية

من الطبيعي أن يكون البرنامج النووي المصري سريعاً وكذا البرامج الكيميائية والبيولوجية، تلك بديهيات تشابه سلوك القيادة الإسرائيلية التي تعتمد استراتيجية الغموض والشك تجاه تلك القدرات الاستراتيجية،

معظم من يتناول القدرات النووية المصرية يستند في تحليلاته إلى الوثيقة الأمريكية التي تحمل الرقم الأمني EO-13526 3.3 (C) 13526.5 - 25 Years & 3 (B). مصنفة سري للغاية مؤرخة في ٣٠ أكتوبر ١٩٧٣.

تتكون الوثيقة من ٧ ورقات سلمتها المخابرات المركزية الأمريكية إلى لجنة الارشيف الوطني الفيدرالي للحفاظ، في ٢٨ أغسطس ٢٠١٢ سقطت السرية عن الوثيقة وسمحت السلطات الأمريكية بنشرها بعد طمس أسماء عملائها بكل من مصر وروسيا في ذلك الوقت. ذكر في الوثيقة المعلومات التالية:-

١- أرسل مصدر الوثيقة (الجاسوس المصري الذي يعمل لصالح الـ CIA) يؤكد وجود منصات صواريخ سكود الباليستية داخل موقعين بالقاهرة، كما يؤكد مصدر الوثيقة أن مصر حصلت على أسلحة نووية سوفيتية محدودة أدخلها السوفييت بالمخالفة للاتفاقات الدولية وتفاهاتها مع الولايات المتحدة بشأن توازنات القوى بالشرق الأوسط.

٢- أكد المصدر أن تلك الأسلحة ومنصات إطلاقها والصواريخ مخزنة في منطقة محاطة بتحصينات قوية تقع على بعد ١٠ كم جنوب القاهرة وتعرف بكهوف طرة.

٣- أكد المصدر جاهزية مصر لاستخدام تلك الرؤوس التي تبلغ قوتها التدميرية ٢٠٠ كيلوطن.

٤- في هامش الوثيقة يوجد هامش جانبي بشأن معلومات رصدها عميلين آخرين للـ CIA في أحد الموانئ السوفيتية يؤكدان أبحار سفينة الشحن الروسية الأسرع بين قطع الأسطول السوفيتي (ميزدوريخنيك) وهي تحمل رؤوساً نووية صغيرة من بحر البلطيق مروراً بمضيق البوسفور التركي في اتجاه

البحر الأبيض المتوسط وحتى ميناء الإسكندرية الذي وصلته في ٢٠ أكتوبر ١٩٧٣.

٥- ورد أيضًا بالوثيقة تقرير جاسوس روسي للـ CIA يفيد تدريب ضباط مصريين في أغسطس ١٩٧٣ على إطلاق الصواريخ سكود المحملة برؤوس أسلحة دمار شامل نووية وكيميائية وبيولوجية.

٦- ورد أيضًا بالوثيقة أنه اعتبارًا من يوم ١٤ أكتوبر طلب الجنرال المصري بذلك الوقت وقائد سلاح الجو حسنى مبارك وبالبحاح شديد على الجنرال رئيس المخابرات الخارجية بالـ KGP إلكسندر سخاروفسكى تزويد مصر بالأسلحة النووية.

٧- بارك الزعيم الروسي ليونيد بريجنيف الطلب المصري لسببين، الأول: مساعدة الجنرال المصري في كسب ثقة الرئيس السادات (كانت المخابرات السوفيتية تعتقد أنها نجحت في تجنيد حسنى مبارك للعمل لصالحها وكان اسمه الرمزي الابن البار) وبالتالي زيادة نفوذه السياسى والعسكرى، والثانى: أن شبكة الأقمار الصناعية التجسسية السوفيتية التقطت رسالة مشفرة من اللواء الإسرائيلى آريل شارون الذى قام بفتح الثغرة بين الجيشين الثانى والثالث بحرب أكتوبر ٧٣ يطلب من قيادته فى تل أبيب الإذن بدخول القاهرة، الأمر الذى بدت له حاجة مصر إلى إحداث توازن استراتيجى ومنع إسرائيل وخلفها الولايات المتحدة من تدمير الجيش المصرى وأسلحته السوفيتية ومنع توسع الثغرة ووصول قوات آريل شارون إلى مشارف القاهرة. إلى هنا تنتهى الوثيقة.

السؤال خلافاً لما ورد بتلك الوثيقة عن قدرات مصر النووية والتي قد يكون امتلاك مصر لها صحيحاً أو خاطئاً، هل مصر قادرة على إنتاج الأسلحة النووية، الإجابة تأتي من إجابات الأسئلة التالية:-

- ١- هل تملك مصر بنية تحتية نووية؟
- ٢- هل تملك مصر مكونات القنبلة النووية؟
- ٣- هل أجرت مصر تجارب نووية وما وضع الاتفاقات الدولية التي وقعت عليها؟

الإجابة على السؤال الأول نعم مصر لديها مرافق نووية وبنية تحتية نووية جيدة، مصر لديها مناجم يورانيوم بسيناء والصحراء الغربية، مصر لديها منشأة الطحن التجريبي لإنتاج الكعكة الصفراء وبدأت الإنتاج عام ١٩٩٠ ولا ينشر الكثير عن تلك المنشأة، أيضًا لدى مصر معمل الكيمياء النووية وهو لتخزين اليورانيوم ومعالجته، أيضًا أنشأت مصر معمل أبحاث الوقود النووي وأنشأته بمساعدة ألمانيا وبدء العمل فيه عام ١٩٩٨، أيضًا لدى مصر مصنع للوقود النووي وهو المنشأة الأكثر تعقيدًا وجدلاً في مصر حيث تملك تلك المنشأة إمكانيات دورة الوقود النووي كاملة وهو ينتج وقود المفاعل المصري الثاني الذي اشترته من الأرجنتين بقدرة ٢٢ ميجاوات ويعتمد على اليورانيوم سداسي الفلوريد بنسبة تخصيب حتى ٢٠%، المفاعل الأرجنتيني وهو قادر على إنتاج ٦ كجرامات من البلوتينيوم سنويًا (قنبلة نووية صغيرة سنويًا) منشأة الفيزياء النووية بقدرة ٢٠ ميجا إلكترون فولت وتم استيرادها من روسيا عام ١٩٩١ ويتم فيها تدريب الطلاب وإنتاج النظائر المشعة التي تستخدمها مصر في مجالات الطب والزراعة، تعديل بسيط في تلك المنشأة لزيادة قدرتها حتى ٢٥ ميجا إلكترون فولت يسمح لها بإنتاج البلوتينيوم اللازم لإنتاج الأسلحة النووية، أيضًا تمتلك مصر منشأة معروفة في تقارير الوكالة الدولية للطاقة الذرية باسم HPP ويوجد بهذه المنشأة خلايا ساخنة مخصصة لإنتاج البلوتينيوم، رفضت مصر الاعتراف بها بحجة أنها غير مكتملة إلا أن الوكالة تؤكد غير ذلك.

أيضًا وأخيرًا تمتلك مصر المنشأة المعروفة لدى وكالة الطاقة الذرية بـ HLWMC وهي لها القدرة على إنتاج البلوتينيوم والنظائر المشعة وبدأت الإنتاج في ٢٠٠٠ وبها خلايا ساخنة، مصر تؤكد أنها تستخدم لإنتاج النظائر المشعة لأغراض الطب والزراعة ولكنها يمكن أن تستخدم لإنتاج البلوتينيوم اللازم لإنتاج الأسلحة النووية.

أما السؤال الثاني فالإجابة بنعم، مصر بالتأكيد تمتلك مكونات صناعة القنابل النووية، للأسباب التالية :-

- كوريا الشمالية والصين وباكستان والهند وجميعها دول نووية لها علاقات ممتازة مع الحكومة المصرية، إمكانية الحصول على تلك المكونات بسيطة

- وغير صعبة علاوة على أن الوقود النووي إلا وهو البلوتونيوم فالمؤكد أنه موجود في مكان ما داخل المنشآت النووية المصرية.
- الإمكانيات التصنيعية الحربية في مصر والبنية المخبرانية تؤهلها للتعامل مع مثل تلك الأمور.
 - العلماء المصريون بالداخل والخارج لهم من قنوات الاتصال مع أهم موردى أجزاء القنبلة النووية ومعاملها ما يجعل من عملية نقل التكنولوجيا والمكونات أمراً معقداً ولكن ليس مستحيلاً.
- أما السؤال الثالث فهو بشأن التجارب النووية، فقد رفضت مصر التوقيع على اتفاقية منع إجراء التجارب النووية، كما رفضت التوقيع على اتفاقية إفريقيا خالية من السلاح النووي، أيضاً ترفض مصر التوقيع على البروتوكول الإضافي للوكالة الدولية للطاقة الذرية الذي يسمح بالتفتيش المفاجئ على المرافق النووية ويتعداه إلى التفتيش على مراكز الأبحاث والجامعات، أيضاً رفضت مصر التوقيع على اتفاقية منع انتشار الأسلحة البيولوجية فقد وقعتها مصر عام ١٩٧٢ دون التصديق عليها.
- أيضاً ليس سرا امتلاك مصر للأسلحة الكيميائية والبيولوجية، بناءً على المعطيات التالية:-
- استخدم الجيش المصري بحرب اليمن في أوائل الستينيات من القرن الماضي الأسلحة الكيميائية مما أدى إلى وفاة ١٤٠٠ شخص في شمال اليمن، وكان ذلك باستخدام غازات الفوسيجين والخردل وغاز الأعصاب.
 - في فبراير ١٩٧٢ وخلال حديث صحفي للرئيس السادات أجاب على سؤال بشأن إمكانية استخدام إسرائيل للأسلحة الكيماوية والبيولوجية وكيف سيكون رد فعل القيادة المصرية فرد بحسم أن مصر سترد بنفس السلاح.
 - امدت مصر العراق بـ ١٣٠٠ طن من غاز الأعصاب و٢٠٠ طن من غاز سيانيد الهيدروجين أثناء الحرب العراقية الإيرانية.
 - في عام ٢٠٠٤ نشرت جامعة بارا إيلان الإسرائيلية الدينية دراسة تؤكد امتلاك مصر مخزونات ضخمة من غاز الأعصاب والساارين والخردل وغاز VX بناءً على تقارير استخبارية.

- في عام ٢٠٠٤ أيضاً رصدت بريطانيا شحنات ضخمة من المكونات الأولية والتي تستخدم لصناعة الأسلحة الكيميائية كانت في طريقها إلى مصر وأيضاً شحنات تشمل ملابس واقية ومعدات كشف الحرب الكيميائية واقية واقية.
- غالب مناورات الجيش المصري تتضمن تدريبات على مواجهة الحرب الكيميائية أو البيولوجية بل هناك ومن ضمن إدارات القوات البرية إدارة الحرب الكيميائية.
- أيضاً لدى مصر مخزونات من الفيروسات

. RVF - ENCEPHALITIS - MYCOTOXIN

- في عام ٢٠٠٩ استطاعت مصر إنتاج مصل مكافحة انفلونزا الطيور وهو دليل على امتلاك مصر مرافقاً بيولوجية متطورة، يدعمها أن مصر أحد الدول المتقدمة في مجال الهندسة الوراثية والتي تمتلك وزارة الزراعة المصرية خبرات عالية فيه يدعمها بنية تحتية متقدمة استوردتها خصيصاً من ألمانيا عام ٩٧ وبلغت قيمتها بذلك الوقت ٥٠ مليون دولار.
- أهم المرافق الكيميائية والبيولوجية المصرية.
- مصنع ١٨ (أبو زعبل للكيمائيات والمبيدات)
- معامل وزارة الدفاع المصرية.
- المركز القومي للبحوث.
- شركة النصر لصناعة الكيمائيات.
- المركز القومي للهندسة الوراثية (لهذا المركز سمعة عالمية ممتازة وله دورية محترمة تسمى African Biotechnology).
- المعامل المركزية للبحوث الزراعية.

📖 القدرات الإلكترونية للجيش المصري

نحن هنا لن نتحدث عن إدارة الحرب الإلكترونية بالجيش والتي تأسست عام ١٩٦٨ نظراً لحاجة الجيش الماسة لاستطلاع ترددات رادارات العدو ومراكز السيطرة والقيادة وتوجيه المقاتلات والشوشرة عليها والتأثير السلبي على أنظمة الطائرات وصواريخ الدفاع الجوي، فتلك صورة من صور الحرب الإلكترونية

التقليدية والتي تهتم بالاستطلاع الرادارى واللاسلكى والإعاقة الرادارية واللاسلكية وقت الحرب، ولكن سوف نتناول قدرات الجيش على شن حروباً إلكترونية باستخدام الإنترنت وقت السلم والحرب لمهاجمة مواقع حساسة واستراتيجية للعدو تشل حركتها وتوقفها عن العمل فتؤثر على قدراته الحربية، لا توجد تقارير رسمية تتحدث عن وحدات عسكرية مصرية تملك تلك القدرات ولكن هناك وحدة غير رسمية تطلق على نفسها الجيش المصري الإلكتروني يشرف عليها كما هو وارد بالموقع الرائد خالد أبو بكر، من ابرز عملياته:-

- ١- فى أواخر عام ٢٠١٥ وتحديداً في ديسمبر اخترق الجيش موقع سد المهضة الإثيوبى وكتب شعار الجيش المصري (النسر) موقعاً بجملته لن نترككم تمنعون عنا الماء ننتظر اللحظة المناسبة.
- ٢- فى مارس من عام ٢٠١٤ قام الجيش بالتشويش على برنامج الإعلامى الساخر باسم يوسف.
- ٣- فى يونيو ٢٠١٤ نجح الجيش في التشويش على قناة الشرعية المناهضة للرئيس السيسي.
- ٤- فى نوفمبر ٢٠١٤ قام الجيش باختراق موقع وزارة الاتصالات الإسرائيلية.
- ٥- فى نوفمبر ٢٠١٤ تم اختراق موقع المخابرات التركية ووضع صورة الرئيس عبد الفتاح السيسي بدلاً من صورة الزعيم التركى كمال أتاتورك محدثاً دماراً لأكثر من ٦٠% من بيانات الموقع.
- ٦- فى ديسمبر ٢٠١٤ تم اختراق موقع المخابرات القطرية ونسخ ملفات مهمة للحكومة القطرية.
- ٧- فى نوفمبر ٢٠١٥ نفى الجيش ما تردد عن مسئولية فرنسا عن قصف الطيران الفرنسى لمدرسة عراقية بالموصل و وفاة ٢٨ تلميذاً رغم إدانة العديد من دول العالم لهذا القصف الذي تبين عدم مسئولية فرنسا عنه لاحقاً.
- ٨- فى إبريل ٢٠١٥ نجح الجيش في استعادة صفحة جريدة تحيا مصر الإلكترونية التي تم اختراقها بواسطة تنظيم الدولة (داعش) وفى ديسمبر ٢٠١٥ نجح الجيش في اختراق موقع ما يعرف بولاية سيناء التابع لتنظيم الدولة وتعطيله عدة ساعات.

بالتأكيد تلك القدرات لا ترتقى إلى القدرات المذكورة والتي بينها سابقًا للوحدات الإيرانية والإسرائيلية، لم يعد ترفًا امتلاك الجيوش النظامية وحدات حرب إلكترونية متخصصة في حروب الإنترنت وتختلف في هيكلها التنظيمي ومهارات منتسبيها وتدريباتهم عن الوحدات التقليدية في الحروب الإلكترونية الكلاسيكية التي تتركز مهامها في التصنت والتشويش والمعدات العسكرية أثناء المواجهات.

التصنيع العسكري المصري

تعتبر الصناعات الحربية المصرية من أضخم الصناعات بمنطقة الشرق الأوسط بعد تركيا وإسرائيل وإيران. تمتلك مصر عشرات المصانع ومراكز البحوث العسكرية (حوالي ٣٢ مصنعًا ومركزًا بحثيًا)، تنتج الصناعات المصرية الدبابات والصواريخ المضادة للدبابات والطائرات والطوربيدات والصواريخ البحرية والطوربيدات ومدافع الهاوترز وقذائف الهاون والصواريخ أرض أرض الباليستية والتكتيكية والرؤوس الحربية كما تنتج الطائرات بدون طيار وطائرات التدريب المتقدمة والقطع البحرية حتى قدرة ٣٨ ألف طن، وأجهزة الاتصالات والرؤية وحوالي ٩٠% من الذخائر التي يحتاجها الجيش، تتعاون مصر في إنتاج الأسلحة والمهمات والذخائر مع كل من الولايات المتحدة، روسيا، إنجلترا، إسبانيا، ألمانيا، الصين، البرازيل، فرنسا، كوريا الشمالية، جنوب إفريقيا، وباكستان وتركيا، وجنوب إفريقيا، وأوكرانيا.

يكفي للدلالة على تقدم الصناعات الحربية المصرية فوزها عام ٢٠٠٩ بجائزة أفضل تصميم Motherboard على مستوى العالم.

أهم مرافق الصناعات العسكرية المصرية:-

- ١- مصنع أبو زعبل للصناعات الهندسية.
- ٢- مصنع المعصرة للصناعات الهندسية.
- ٣- مصنع المعادى للصناعات الهندسية.
- ٤- مصنع حلوان للصناعات الهندسية.
- ٥- مصنع حلوان للأجهزة المعدنية.
- ٦- شركة بنها للصناعات الإلكترونية.

- ٧- شركة حلوان للمسبوكات .
- ٨- مصنع الطائرات .
- ٩- مصنع الإلكترونيات .
- ١٠- مصنع قادر للصناعات المتطورة .
- ١١- مصنع سيماف .
- ١٢- مصنع السماد العضوى .
- ١٣- الشركة العربية البريطانية للمحركات .
- ١٤- الشركة العربية البريطانية للسيارات .
- ١٥- شركة حلوان للألات والمعدات .
- ١٦- شركة حلوان لمحركات الديزل .
- ١٧- شركة شبرا للصناعات الهندسية .
- ١٨- شركة أبو زعبل للكيموايات المتخصصة .
- ١٩- قها للصناعات الكيماوية .
- ٢٠- هليوبوليس للصناعات الكيماوية .
- ٢١- شركة حلوان للصناعات غير الحديدية .
- ٢٢- مصنع المحركات .
- ٢٣- مصنع صقر للصناعات المتطورة .
- ٢٤- مصنع حلوان للصناعات المتطورة .
- ٢٥- الشركة العربية البريطانية للمروحيات .
- ٢٦- الشركة العربية للصناعات الديناميكية .
- ٢٧- مصنع أخشاب أبو زعبل .
- ٢٨- مركز بحوث الطيران .
- ٢٩- مركز أبحاث نظم المعلومات والحاسب .
- ٣٠- المعهد العلمى للتكنولوجيا المتقدمة .
- ٣١- المدرسة الفنية للتعليم المزدوج .

- ٣٢- مركز التميز العلمى والتكنولوجى .
- من أهم الأسلحة التي تنتجها الصناعات الحربية المصرية بالمصانع الحربية والهيئة العربية للتصنيع :-
- ناقلة الجند المدرعة من عائلة فهد.
 - عربات نقل الجند من عائلة وليد.
 - ناقلات الجند المدرعة قادر .
 - سيارات الجيب J-8.
 - الدبابات الأحدث بالعالم A 1 - M 1 .
 - الدبابة المصرية رمسيس -٢.
 - الطائرات الافاجيت الهجومية الخفيفة والتدريب المتقدمة .
 - المروحيات الغازيل .
 - طائرة التدريب K-8 .
 - الطائرة بدون طيار يارارا .
 - طائرات تدريب الدفاع الجوي قادر -١-٢.
 - الطائرة بدون طيار ASN-209 .
 - الصواريخ الباليستية من عائلة سكود - سي وبدر .
 - راجمات الصواريخ من عائلة الصقر .
 - المدافع من طراز سيناء .
 - منظومات الدفاع الجوي عين الصقر .
 - منظومات صواريخ الدفاع الجوي سيناء .
 - المسدسات من عائلة حلوان وP-228 / P-226 .
 - البنادق عديمة الارتداد طراز P-10 / SPG-9 / P-11 .
 - بنادق القنص طراز PSG/M40I3/M-21 .
 - الرشاشات من عائلات بورسعيد -٩ مم وMP-5 / UMP-9 .
 - بنادق الكلاشينكوف .

- البنادق من عائلة المعادى و-4 / M -16 / M -47 / AMK / AK .
 - القواذف من عائلة ال RPG .
 - القواذف المضادة للدبابات من عائلة 79 -72 .M
 - الصاروخ ساجر .
 - الصاروخ سوينج فاير .
 - الصواريخ سام ٢- وسام ١٨- .
 - أنظمة الصواريخ البحرية أمون .
 - إنتاج أجزاء المحركات للطائرات بافلو سي تى ٦٤ والسى -١٣٠ والميراج ٢٠٠٠ والمروحيات كوماندو والى مي -٨ .
 - القنابل الارتجاجية مثل القعقاع ٥٠٠ .
 - أنظمة توجيه الصواريخ والمعدات الإلكترونية للقيادة والسيطرة وأجهزة الحاسب .
- تولى مصر عناية فائقة بتطوير قدراتها التصنيعية في مجال أنظمة الصواريخ المضادة للدبابات والمضادة للطائرات قصيرة ومتوسطة المدى، وقد صرح وزير الدفاع المصري السابق المشير حسين طنطاوى أن العقيدة العسكرية المصرية تدرك أهمية الأسلحة المضادة للدروع وللطائرات وسط تشكيلات القوات المسلحة في تأمين تلك القوات أثناء تحركها وضمان تحقيقها مهامها والفوز في أي مواجهات مستقبلية .

كـ الأجهزة الاستخباراتية المصرية

- دائمًا ما تذكر التقارير الغربية والمصرية التي تتناول الأجهزة الأمنية المصرية الثلاث أجهزة تقليدية وهي :-
- المخابرات العامة .
 - المخابرات الحربية (إدارة المخابرات الحربية والاستطلاع) .
 - الأمن الوطني .
- إلا أن هناك جهازًا أمنيًا آخر يتمتع بصلاحيات واسعة وإمكانيات استخباراتية عالية تساوى الإمكانيات المتاحة للأجهزة السابقة ولا يرد اسمه بالتقارير ألا وهو

جهاز هيئة الرقابة الإدارية التابع لرئيس الوزراء سابقًا ورتاسة الجمهورية حاليًا وسوف نستعرض فيما يلي الأجهزة الأربعة ونطاقات أعمالها .

○ إدارة المخابرات الحربية والاستطلاع (المخابرات العسكرية)

تتبع الإدارة وزير الدفاع المصري مباشرة، ويتبعها الأجهزة الفرعية

التالية :-

- جهاز الأمن الحربى .

- جهاز الاستطلاع .

- جهاز المخابرات البحرية .

أول من ترأس المخابرات العسكرية المصرية بعد ثورة ١٩٥٢ هو زكريا محيي الدين نائب رئيس الجمهورية السابق وهو من أدار البلاد أثناء تنحي جمال عبد الناصر عن السلطة بعد هزيمة ١٩٦٧ ، مهام المخابرات العامة تتلخص في الآتي :-

- متابعة القضايا التي تختص بالأمن القومي .

- متابعة وقراءة واستطلاع تحركات العدو وجمع المعلومات عن تشكيلاته واستعداداته وقت السلم والحرب .

- مسح مساح العمليات ميدانيًا وجغرافيًا ومطابقتها مع الخرائط العسكرية التفصيلية وتقديم تلك المعلومات إلى القيادة العسكرية والسياسية لتقدير الموقف على الأرض .

- تنسق المخابرات الحربية أعمال الشرطة العسكرية لضمان حماية المؤسسات العسكرية والوحدات والمباني بغرض ضمان سلامتها وتأمين أمنها أفرادًا ومستندات ووثائق .

- التأكد من ضمان ولاء الأفراد والقادة ومراقبة تصرفاتهم وأنشطتهم .

- تتقاطع المهام العسكرية لإدارة المخابرات مع المهام الداخلية ومنها متابعة التيارات السياسية وأنشطتها ومدى تاثر قيادات الجيش وأفراده بتلك التيارات والعمل على التدخل عند الضرورة .

مما سبق يتضح الدور المهم الذي تلعبه الاستخبارات الحربية في رسم

سياسات الدولة وتأمين استعدادها لمواجهة أية حروب مستقبلية وضمان تماسك الجبهة الداخلية والوضع الاستراتيجي العام.

يتم اختيار ضباط الإدارة بعناية من خريجي الكليات العسكرية الذين يتمتعون بالذكاء والمهارات العقلية الجيدة وقوة التحمل والدقة في الأعمال وسرعة البديهة والتصرف تحت ضغط، لا توجد معلومات كثيرة عن أعمال المخابرات الحربية المصرية وقت السلم ووقت الحرب ومما يجب ذكره من إنجازات فتلك واضحة في صفقات التسليح التي تتم بناء على معلومات الاستخبارات الحربية بشأن قدرات العدو وخططه وهي تتميز بالكفاءة الفنية والاقتصاد في التكلفة في آن واحد، أما ما يؤخذ على المخابرات الحربية في الأوني الأخيرة هو اختراق المنظمات الإرهابية كالقاعدة وداعش أمن شمال سيناء وعملياتهم المؤثرة والناجحة ضد وحدات الجيش هناك، كل عملية يقوم بها تنظيم الدولة أو القاعدة تمثل اختراقاً أمنياً واضحاً وفشلاً استخبارياً بين، من الطبيعي أن تنتشر وحدات الاستخبارات الحربية في كافة مناطق شمال سيناء ترصد دبة النمل عددًا وتسليحًا وتدريبًا وإمدادًا، كان عليها تأمين الوحدات العسكرية بالأكمنة المخفية والظاهرة قبل وبعد الوحدات، كان الواجب على الاستخبارات الحربية اختراق قيادة تلك المنظمات الإرهابية وتكوين شبكة أذار مبكر ضد أي عملية تستهدف أبناءنا، أين قدراتنا على التصنت والدخول على اتصالات زعماء تلك الجماعات بالداخل والخارج؟ أين فرق جمع المعلومات تنتشر على الأرض لتعلم مصادر الإمداد بالأفراد والأسلحة والتمويل؟ أين الطائرات بدون طيار تتدخل وتستهدف مواكب أفراد وقادة تلك التنظيمات؟ الخلل الأمني الحادث حاليًا بسيناء هو نتيجة فشل استخباراتي يسأل عنه اللواء أركان حرب مراد موافي الذي تولى المخابرات العسكرية (٢٠٠٤-٢٠١٠) واللواء أركان حرب عبد الفتاح السيسي الذي تولى بعده في الفترة من (٢٠١٠-٢٠١٢) ثم اللواء أركان حرب محمود حجازي (٢٠١٢-٢٠١٤) السؤال كيف ومتى دخلت الجماعات الإرهابية إلى سيناء بمعداتها وأسلحتها ومهماتهما؟ أين أفراد المخابرات وعملياتها الميدانيين؟ نلاحظ أيضًا تغييرًا يكاد يكون متعمدًا لدور شيوخ القبائل في المواجهات الأمنية الحاصلة حاليًا بسيناء، موقف شيوخ القبائل وبعيدًا عن

الإنشاء والكلام غير الحقيقي يصرح بغضبهم وأن هناك حالة من عدم الرضا والاحتقان بينهم وبين قادة الوحدات العسكرية المصرية وأيضًا قادة وحدات المخابرات العسكرية، شيوخ القبائل في سيناء هم كلمة السر في حفظ الأمن ومنع تهريب الأفراد والأسلحة والمخدرات أو على الأقل التحكم في تلك العمليات، في عام ١٩٩٧ ارتكب الرئيس المصري المخلوع حسنى مبارك خطأً استراتيجيًا كبيرًا حيث حول المخصصات المالية التي كانت تدرج سنويًا بميزانية الدولة بغرض تنمية سيناء إلى تمويل النفقات الباهظة لمشروع توشكى المشكوك في جدواه الاقتصادية، خفض مخصصات التنمية في سيناء خلق مظالم اقتصادية واجتماعية واسعة تحملتها القبائل في سيناء، الأمر الذي أضعف سلطة زعماء وشيوخ القبائل على أفرادهم فلجأت قطاعات واسعة من شباب تلك القبائل إلى التهريب لتوفير الدخل والموارد المالية الضرورية لمعيشتهم، لهذا توسعت عمليات تهريب السلاح والمخدرات والإرهابيين والسلع والمواد البترولية، يتفق مع هذا التحليل أيهود يعارى محلل شئون الشرق الأوسط بالتلفزيون الإسرائيلي والدكتورة سحر عزيز الأستاذ المساعد للقانون بجامعة تكساس، بل تزيد دكتورته سحر أن نظام مبارك حرم سيناء من الموارد المالية الضرورية لتمويل الخدمات والحاجات الأساسية للقبائل مما اضطرها للعمل في مرافقة عصابات التهريب وحراستها عبر دروب سيناء الوعرة الأمر الذي كان رد فعله عنيفًا من قبل السلطات الأمنية واعتبرت بدو سيناء وقبائلها مجرمين وخارجين عن القانون ففرضت عليهم العقوبات الجماعية والاعتقالات العشوائية مما ساعد على نمو مشاعر الغضب والعداء بين غالب شباب تلك القبائل والأجهزة الأمنية العاملة على أرض سيناء ووجود حالة من الاحتقان الأمر الذي حول سيناء إلى مرتع لتسع منظمات إرهابية على رأسها مجلس شورى المجاهدين في بيت المقدس والتوحيد والجهاد وأنصار بيت المقدس وأنصار الجهاد وتنظيم الدولة داعش (يقدر عدد العناصر الإرهابية بشمال سيناء أكثر من ١٠ آلاف عنصر مدرب تدريبيًا عاليًا ومجهزًا ومسلحًا بتجهيزات حديثة متقدمة وتقف داعمة لهم أجهزة مخابرات دولية تقدم لهم المال والسلاح والمعلومات الاستخبارية والأفراد) بالإضافة إلى عشرات من عصابات التهريب وقوافلها، نرى أن ضبط الأمن بشمال سيناء يحتاج

إلى تكامل بين العمل الأمني والتنمية الاقتصادية والاجتماعية، وافقت إسرائيل على دخول ٧ كتائب مصرية تمت زيادتها إلى ١٠ مزودة بعقاد حربي ثقيل وطائرات أباتشي وطائرات بدون طيار إلى مناطق انتشار الجماعات الإرهابية في جنوب رفح وجبل الحلال وجنوب العريش والشيخ زويد وهذا جيد ولكنه يستحيل أن يكون كافيًا دون اكتساب ولاء أفراد وشيوخ القبائل وإزالة أسباب الاحتقان الموجودة حاليًا، وتشجيع البدو على الانخراط في القنوات الشرعية بمشروعات التنمية التي تضمن لهم حياة كريمة، كما يجب توفير الخدمات الاجتماعية المناسبة لهم من مساكن لائقة إلى خدمات تعليمية وصحية ومياه شرب وصرف صحي وأندية رياضية، تكلفه الاعتماد على الحلول الأمنية فقط باهظة وغير مضمونة النتائج بل نرى أنه يستحيل معها منع قوافل التهريب وحفظ الأمن وحماية الوطن من الارهابيين، بينما انخراط القبائل في مشروعات تنمية تكفل لهم حياة كريمة وتطوير مناطق تجمعاتهم وإزالة المظالم المتراكمة منذ عقود جميعها أمور ضرورية من أجل استعادة السيطرة على سيناء مرة أخرى خاصة وأن نزع سلاح القبائل أو تنظيمه أو دمجهم داخل منظومة أمن سيناء سيقود إلى امتلاك منظومة محكمة لضمان أمن سيناء ومنع عمليات التهريب وحماية أمننا القومي.

من المآخذ أيضًا على أعمال المخابرات الحربية هو الخلل الأمني الواضح بليبيا على حدودنا الغربية، تصرف الجيش والحكومة والمخابرات كتصرف النعامة التي تدفن رأسها بالرمال عند وجود الخطر بينما كان من الضروري والواجب أن تنتشر عناصر وعملاء المخابرات الحربية بمختلف أنحاء ليبيا تجمع المعلومات وتخترق التنظيمات المسلحة وتمثل شبكة من الإنذار المبكر يحمي مصالحنا بدولة جارة وشقيقة على حدودنا الغربية، جميع التقارير والتحليلات تؤكد تحويل تنظيم الدولة داعش أجزاء كبيرة من قواته في العراق وسوريا إلى ليبيا حيث مسرح العمليات يساعدهم على الحركة بحرية والتخفي وحيث الموارد الطبيعية (آبار النفط) متوفرة وسهل السيطرة عليها، ماذا فعلت مخابراتنا الحربية لمواجهة هذا التسلسل والتغلغل، ما هي خطط أجهزة المخابرات الحربية لمواجهة هذا الخطر الأمني الجدي؟ هل مصر مستعدة لمحاربة الإرهاب على جبهتين في آن واحد؟ هل لدينا الإمكانيات والتدريب الكافي لكي نتعاطى مع تهديدات متعددة وجديدة

على أكثر من جبهة لم تواجهها مصر طيلة تاريخها القديم والحديث كله؟ الإجابة لا نعلم ولكن الحقيقة التي يجب أن نعلمها أن حجم التهديدات ضخمة وحجم العمل المطلوب هائل ويحتاج إلى رجال من نوع خاص وعقول موهوبة ذات قدرات تحليلية راقية، يتقاسم الحكم في ليبيا على الأرض ١١ جماعة مسلحة لا توجد أية مؤشرات على أن لمصر يدًا طولى أو اختراق أو نفوذ أو تأثير على تلك الجماعات بينما نلاحظ هذا في النفوذ التركي والقطري على تلك التنظيمات.

أيضًا نعيب على المخابرات العسكرية عدم وجودها الفاعل بمناطق منابع النيل، كان يجب على عملائنا الميدانيين أن ينقلوا لنا لحظة بلحظة وبالصور تطورات العمل بسد النهضة منذ أن كان فكرة في عقل القيادات السياسية الإثيوبية، كان يجب إمداد المفاوضين المصريين بالوثائق التي تجعل الإثيوبيين يدركون أنهم يتفاوضون مع دولة كبيرة لديها من الإمكانيات العسكرية والاستخبارية ما يجبرهم على التفاوض بجدية والالتفات إلى مطالب المفاوضين المصريين ومخاوفهم، عمومًا لدينا في الأونة الأخيرة تحفظات كثيرة على أداء المخابرات العسكرية المصرية تتعلق أيضًا بتغلب اهتماماتها على ملاحقة الضباط والجنود المشكوك في ولائهم داخل وحدات الجيش وإداراته وتوجيه غالب إمكانياتها لضمان تحقيقها هذا الواجب وإهمال واجبات كثيرة أهم وأعظم شأنًا، الأمر الذي أثر كثيرًا على الوضع التكتيكي لوحداثنا العاملة بسيناء والمنطقة الغربية على حدود ليبيا كما أثر على وضعنا الاستراتيجي أمام إثيوبيا وباقي الدول الإفريقية المتحالفة معها وإسرائيل، كما أنه تلاحظ لنا غياب عملائنا الميدانيين بمناطق الصراعات الإقليمية في جنوب لبنان والعراق وسوريا واليمن والسودان، أتمنى أن أكون مخطئًا أو غير دقيق ولكن هذا ما أراه ولا يغيب عن عيني خير.

المخابرات العامة المصرية

تأسست عام ١٩٥٤ بغرض مكافحة أعمال التجسس وجمع المعلومات العسكرية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية عن الأعداء الخارجيين المحتملين وحماية الأمن الداخلي، لهذا فإن دور المخابرات العامة يتقاطع مع الأدوار التي تؤديها الأجهزة الأمنية الأخرى، في السنوات الأخيرة لعبت المخابرات العامة

دورًا مهمًا في توجيه السياسة الخارجية والتحكم في علاقات مصر مع محيطها الإقليمي والعالمي، حيث تدير المخابرات العامة بالكامل علاقات مصر مع إسرائيل وفلسطين وإيران وقطر وتركيا والولايات المتحدة وروسيا وإثيوبيا والصومال والسودان وكوريا الشمالية، في تقارير إقليمية وعالمية يرد تأكيدًا على نفوذ كبير للمخابرات العامة في رسم السياسات الداخلية والخارجية للدولة، حيث تمثل تقارير المخابرات حجر الزاوية للترشح للمناصب المهمة بالدولة كما تحتفظ المخابرات العامة بعلاقات جيدة مع غالب أصحاب شبكات الإعلام وأهم رجال المال والأعمال وأبرز المثقفين والإعلاميين والفنانين والرياضيين والناقدن بالثقافات العمالية والمهنية والنشطاء السياسيين ومنهم رؤساء الأحزاب. الانطلاقة الحقيقية لجهاز المخابرات العامة المصري كانت في عهد صلاح نصر الذي تولى مسئولية الجهاز اعتبارًا من عام ١٩٥٧ وحتى ١٩٦٧، حيث شكل الجهاز بناء على أسس علمية ومنهجية تشابه أنظمة المخابرات في إسرائيل وروسيا وأمريكا، وأنشأ مبنى المخابرات الرئيسي الحالي بحدائق القبة وأسس شركة النصر للاستيراد والتصدير بغرض تمويل عملياته، وفي نفس الوقت تكون ستارًا لعملائه، كما أسس لمكتبة المخابرات وهي مكتبة ضخمة تتضمن أهم الكتب والمراجع في علوم كثيرة لخدمة الضباط والعاملين بالجهاز كما تقوم المكتبة بترجمات للدراسات المهمة وإصدارات الكتب التي ترى إدارة المخابرات أهميتها وقيمتها للعمل الاستخباراتي، ومعامل لتصنيع أجهزة التجسس وابتكار أدوات غير معروفة لجمع المعلومات والتصنت تميزت بالتقدم والحرفية العالية.

يقول لارى غوودسن أستاذ دراسات الشرق الأوسط بكلية الحرب الأمريكية أن جهاز المخابرات العامة المصري ومنذ يومه الأول مكلف بمتابعة النشاط السياسي وبخاصة المعارضين لنظام الحكم وسياساته، يوجد تنسيق كبير بين المخابرات العامة والمخابرات الحربية والأمن الوطني، هذا التنسيق بدأ في أعقاب هزيمة ٦٧ والتي كان من أهم أسبابها غياب التنسيق وتبادل المعلومات وتنقيحها بين أجهزة المخابرات المختلفة وعليه ومنذ ذلك التاريخ يتم تقديم تقارير مشتركة وموحدة إلى القيادات السياسية والعسكرية شاملة أهم القضايا الخارجية والداخلية وتتضمن تقدير مواقفها وسيناريوهات احتمالاتها، كما أنه

طبعي أن يكون غالب قادة المخابرات العامة من أصحاب الخلفيات العسكرية وتحديداً من قادة المخابرات الحربية، طبعاً هناك العديد من قصص النجاح للمخابرات العامة المصرية ليس هنا مجال ذكرها فهي معلومة للعامة وتناولتها أعمال فنية عديدة ولكن غالب التقارير الدولية تصنف جهاز المخابرات العامة المصرية بأنه ضمن الأجهزة الأكفاء على مستوى العالم.

جهاز الأمن الوطني (أمن الدولة سابقاً)

هو البديل الذي أنشأته ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ليحل محل البوليس السياسي في عهد الملكية، يختص بمتابعة ملفات السياسيين والأحزاب والتيارات السياسية سواء الموالية للحكم أو المناهضة له، وطبعاً على رأس اهتمامات الجهاز ونطاقات عمله الجماعات الإسلامية السياسية أو الدعوية، يتم اختيار أفراد الجهاز من الإدارات المختلفة بوزارة الداخلية وبخاصة إدارة المباحث العامة والجنائية ويوافق عليهم وزير الداخلية شخصياً، كما يتمتع أفراد الجهاز بامتيازات مادية ومعنوية أعلى بكثير من أقرانهم بالإدارات الأخرى بالوزارة، يسيطر جهاز الأمن الوطني سيطرة تامة على جميع وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة وهو من يقوم بتسويق رموز السياسة والفن والثقافة والأدب والرياضة والكتاب والأكاديميين، كما أن للجهاز نفوذاً ضخماً ومؤثراً داخل النظام القضائي والغرف التجارية والصناعية والنفقات المهنية والعمالية وبالجامعات، كما أن للجهاز تنسيقاً كاملاً ومباشراً مع أهم رؤساء الجهات الحكومية وقادة شركات القطاع العام وأهم رجال الأعمال، للجهاز تاريخ سيئ للتنكيل بالمعارضين لنظام الحكم والسياسيين الذين يمثلون تهديداً له قبل وبعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، منذ إنشاء الجهاز ومنذ يومه الأول وغالب تقارير منظمات حقوق الإنسان والمجتمع المدني تصف سلوك الجهاز بغير الآدمي عند التعامل مع المعارضين كما أن الاعتقالات التعسفية تتم بلا أي ضوابط وحالات التعذيب مثبته وموثقة وأصبحت محل انتقادات محلية ودولية واسعة، لا يمكن لعاقل أن يطالب بإلغاء جهاز الأمن الوطني ولكن لا يمكن لعاقل أن يسمح بأى تجاوزات تمس الحريات العامة والحريات الشخصية التي كفلها الدستور والقانون، شيوع القيم التعسفية وعدم احترام القانون وسط منتسبي الجهاز أصبح ظاهرة سلبية تؤثر في الداخل

والخارج، على صورتنا كدولة حيث إن الصلاحيات الواسعة التي يتمتع بها ضباط ومنتسبو الجهاز لا يقابلها أي حساب أو عقاب في حالة حدوث أي تجاوزات، الأمر الذي روج لسمعة غير طيبة للجهاز وحوله من أداة لبث الطمأنينة لدى المواطنين لحماية الأمن الداخلي بمفهومه الشامل إلى أداة رعب تنكل بها الحكومة بالمعارضين وتؤثر في النظام السياسي ككل، جزء من أسباب هشاشة نظامنا السياسي هو ضعف الأحزاب والسبب الرئيسي لضعف الأحزاب هو الملاحظات الأمنية العشوائية وغير المسئولة لممارسي العمل السياسي وبخاصة المعارضين، والتضييق على أنشطة الأحزاب ومصادر تمويلها وكأن ممارسة السياسة تهدد للأمن القومي بينما الحقيقة خلاف ذلك، ولدت الممارسات الراسخة منذ عشرات السنين لجهاز أمن الدولة سابقًا والأمن الوطني حاليًا فراغًا سياسيًا هائلًا أفقد الوطن احتياجاته الضرورية من طبقة السياسيين ورؤساء الأحزاب النابهين الموهوبين، تلك الطبقة هامة وضرورية لتقدمه ونهوضه وصار السؤال الذي نسأله لأنفسنا كل يوم من البديل الذي يصلح ليحل محل القيادة السياسية الحالية للدولة فنبحث ونلتفت يمينًا ويسارًا فلا نجد وننسى أن سبب فراغنا السياسي وغياب الحياة السياسية الصحية السليمة هي نتيجة التقاليد البالية والعقائد المنحرفة وأساليب العمل والمفاهيم الخاطئة التي تحكم عمل الجهاز منذ تكوينه في خمسينات القرن الماضي، البداية الحقيقية لأي إصلاح سياسي تبدأ من تغيير أساليب العمل والسياسات والقيم والمبادئ التي تحكم عمل هذا الجهاز الأمني الرقابي المهم.

هيئة الرقابة الادارية

لا يعلم الكثيرون عن هذا الجهاز الرقابي والأمنى الخطير، كثيرون يسقطون الكلمة الأخيرة من وصفه وهي الإدارية على الأعمال الإدارية والحقيقة غير هذا تمامًا، هيئة الرقابة الإدارية أقوى جهاز رقابي أمنى بمصر، ويكفى للدلالة على أهميته أن هذا الجهاز ومنذ إنشائه عام ١٩٦٤ تولى إدارته أعضاء نافذون بالأجهزة الأمنية وبخاصة الجيش، للجهاز وأعضائه ومنتسبيه ولاية كاملة على كافة أعمال الدولة بوزراتها وهيئاتها وقطاعها العام والجمعيات العمومية للشركات المساهمة على اعتبار أن الشركات المساهمة سواء الخاصة أو العامة مال عام

وأيضًا الجهات السيادية شاملة رئاسة الجمهورية دون استثناء عدا مؤسسات الجيش والجهات التابعة له، كما أن رتب ودرجات منتسبيه هي نفس الرتب والدرجات العسكرية، أما أعضاؤه وموظفوه فيتم انتقاؤهم غالبًا من الوحدات الأمنية بالجيش والشرطة والمخابرات العامة. شروط الانتساب لهذا الجهاز الأمني الخطير تتفوق على شروط الانتساب إلى أي جهاز أمني آخر، يتبع الجهاز رئاسة الجمهورية ومجلس الوزراء ورئيسه يكون بدرجة وزير.

القدرات الفضائية المصرية.

للأسف لا تملك مصر وكالة فضاء مصرية نشيطة كما هو الحال بدول الإقليم المنافسة الرئيسية إيران - تركيا - إسرائيل، الامارات رغم أن مصر بدأت برنامجًا لصناعة الصواريخ الاستراتيجية بداية من عام ١٩٦٠ ويمكن اعتبار هذا البرنامج أحد مكونات مشروع الفضاء المصري إلا أن فشل هذا البرنامج وتوقفه تقريبًا بسبب هزيمة ١٩٦٧ ثم القيود الدولية على تكنولوجيا الصواريخ بعيدة المدى وتكنولوجيا الفضاء والاستشعار عن بعد وقبل كل شيء غياب الإرادة السياسية المصرية فقد تأخر برنامج الفضاء المصري كثيرًا، آخر أحلام القيادة المصرية الحالية هو إنشاء وكالة الفضاء المصرية بحلول عام ٢٠٢٠ كما صرح بذلك دكتور علاء النهري مدير الهيئة المصرية للاستشعار عن بعد في حديث صحفي أواخر ديسمبر عام ٢٠١٤، وقد تحقق في أغسطس ٢٠١٦ دون أن يعلن عن أهداف أو برنامج كامل ودون الإعلان عن ميزانيات أو هيكل تنظيمي.

في عام ١٩٩٨ تم إنشاء مجلس علوم وتقنية الفضاء التابع لأكاديمية البحث العلمي وفي نفس العام تم إقرار الأهداف القومية لبرنامج الفضاء المصري، منذ العام ١٩٩٨ وحتى الآن أطلقت مصر سلسلة الأقمار التالية بالتعاون مع أوكرانيا وروسيا وفرنسا وبريطانيا وإيطاليا.

- ١- القمر نايل سات ١٠١ وهو قمر بغرض الاتصالات وهو حاليًا خارج الخدمة وتم إطلاقه عام ١٩٩٨.
- ٢- القمر نايل سات ١٠٢ وهو قمر بغرض الاتصالات وتم إطلاقه عام ٢٠٠٠.
- ٣- القمر نايل سات ١٠٣ وهو أيضًا بغرض الاتصالات وقد قامت مصر بشرائه من المجموعة الأوروبية عام ٢٠٠٥ وكان يطلق عليه سابقًا إتلانتيك -٤.

- ٤- القمر نايل سات ٢٠١ وأطلق عام ٢٠١٠ وهو من أقمار الجيل الثاني المخصصة للاتصالات الرقمية والإنترنت وخدمات التلفزيون والراديو، يغطي القمر شمال إفريقيا والشرق الأوسط وجنوب أوروبا.
- تملك سلسلة أقمار نايل سات ما يبلغ ٧٠٠ قناة وتغطي جميع دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وجنوب أوروبا وتديرها الشركة المصرية للأقمار الصناعية.
- ٥- القمر إيجيبت سات -١ وهو ميكروستلايت، يحلق على مدار حوالي ٦٦٨ كم فوق سطح الأرض ووزنه حوالي ١٠٠ كجم، هو تصنيع أوكراني مصري مشترك، مصمم لأغراض التصوير الفضائي والاستشعار عن بعد، أطلق عام ٢٠٠٧، يمتلك القمر قدرات يمكن استخدامها لأغراض التجسس حيث اشترك أكثر من ٦٠ عالمًا مصريًا في جميع مراحل تصميمه وإنتاجه واختباره، يستخدم تكنولوجيا الاستشعار عن بعد متعدد الأطياف وكاميرا بدقة تمييز ٨ أمتار، نشر معهد فيشر الإسرائيلي لدراسات الجو والفضاء الاستراتيجي أن القمر المصري يستطيع التجسس على كامل مساحة إسرائيل بدقة عالية وتمييز كبير، فقدت مصر القمر عام ٢٠١٠ ويسود اعتقاد أن إسرائيل المتقدمة في مجال تكنولوجيا استخدام موجات الميكرويف في الاستخدامات العسكرية قد اطلقت تلك الموجات على القمر المصري فأحرقت لوحاته الإلكترونية وإزاحته عن مداره بضع سنتيمترات الأمر الذي أفقده مداره نحو الفضاء الخارجي، كما تقول رواية أخرى أن فريق عمل التحكم في القمر المصري لم يتلق التدريب الكافي على تشغيله الأمر الذي تسبب في فقدانه، عمومًا كلا الاحتمالين واردان.
- ٦- القمر الصناعي المصري إيجيبت سات -٢ وهو شبيه للقمر إيجيبت سات -١ وأطلقته مصر عام ٢٠١٤ وهو نتاج تعاون مصري روسي مشترك وتم إنتاج حوالي ٦٠% من مكونات القمر في مصر.
- ٧- القمر ديزرت سات -١ وهو إنتاج مصري - إيطالي ويستخدم لأغراض التخطيط العمراني ومتابعة ظاهرة التصحر وحركة الكثبان الرملية وتآكل الشواطئ والتعدى على المساحات الزراعية، يحلق القمر في مداره فوق سطح الأرض بـ ٦٢٠ كم وأطلق عام ٢٠٠٧.

بصفة عامة وكالعادة تمتلك مصر موارد بشرية تصلح لتكون نواة جيدة لبرنامج فضائي متقدم ولكن كالعادة الافتقاد إلى الإرادة السياسية تضعف من إمكانية استغلال تلك الموارد البشرية لبناء برنامج مصري متميز يضمن لمصر مكانة دولية وإقليمية رائدة.

التوازن الاستراتيجي بين مصر وإسرائيل

لا يمكن أن ننتهي من سرد القدرات العسكرية المصرية وسابقاً الإسرائيلية ولا نتحدث عن الصراع المصري الإسرائيلي، صحيح أن هناك معاهدة سلام بين البلدين ولكن صحيحاً أيضاً أنهما بلدان كبيران بينهما تنافس على الريادة الإقليمية والنفوذ، وأنهما سيظلان مهددان بالدخول في حرب بينهما بسبب الاحتلال الإسرائيلي لحدود ١٩٦٧ وأهمها مدينة القدس، كما ان هناك هوس ديني بحق إسرائيل في ارض سيناء وهو الامر الذي يمكن ان يغذى وبسرعة وبسهولة اندلاع حربا بين البلدين، كما أن مصر بوصفها دولة المواجهة الأكبر مع إسرائيل تمثل درعاً لكامل دول المنطقة التي لا تحتفظ بعلاقات مع دولة إسرائيل ولا تعترف بها، الجيش الإسرائيلي يتدرب وأهم مسرح عملياته الجبهة الجنوبية، والجيش المصري يتدرب والجبهة الشرقية أهم مسرح عملياته، أيضاً لا يمكن الحكم على نتيجة أي حرب مستقبلية بين دولتين بناء على القدرات الكمية أو الفنية للأسلحة التي يملكها البلدان، فتلك مقارنات تكتيكية قصيرة المدى في تأثيرها ونتائجها، أما الأهم فهي المقارنات الاستراتيجية، من هذا المنطلق فإننا نسرد للقارئ أهم نقاط القوة والضعف الاستراتيجية لكلا البلدين: -

نقاط القوة الاستراتيجية المصرية

- ١- عدد السكان.
- ٢- المساحة والموقع الجغرافي.
- ٣- القدرة على تحمل الحرب لفترات طويلة كما أن عدد السكان يضمن تعويض الخسائر البشرية الكبيرة والضحمة.
- ٤- تراكم الخبرات العسكرية بين القيادات العليا والوسطى بالجيش وتميز تلك القيادات بالكفاءة والتدريب، أيضاً مستوى الانضباط العسكري للمجندين

- المصريين وشجاعتهم وجلدهم (يمكن مراجعة مقالات وكتابات د/ انتونى كوردسман الخبير الأمني والاستراتيجى بجامعة جورج تاون).
- ٥- امتلاك قدرات ضخمة من الأسلحة الكيميائية والبيولوجية وأدوات إيصالها إلى أهم مراكز اقتصادية وعسكرية لدى الطرف الآخر.
- ٦- قاعدة صناعات حربية جيدة، ليست متطورة أو تتميز بإنتاج الأسلحة ذات التكنولوجيا العالية ولكنها متنوعة وتضمن سداً جزءاً كبيراً من احتياجات الجيش من الذخائر وقطع غيار الأسلحة والأسلحة الخفيفة خلال المواجهات.
- ٧- توزع المناطق الصناعية والاقتصادية على مساحات واسعة تصعب من صعوبة اصابتها في اية مواجهات مستقبلية.

نقاط الضعف الاستراتيجية المصرية

- ١- السد العالى وإمكانية ضربه (في حرب أكتوبر تحسبت القيادة المصرية لهذا الأمر وقامت بإعداد مفيض توشكى لكى يتحمل مثل هذا العمل واستيعاب جزء من القدر الهائل من المياه المخزنة خلف السد).
- ٢- ضعف أنظمة الدولة ورخاوتها مثل النظام السياسى والاقتصادى والاجتماعى والصحى والتعليمى وانتشار الفساد والبيروقراطية في أروقة الجهاز الإدارى للدولة وفساد القوانين وعدم كفايتها.
- ٣- تدخل الأجهزة الأمنية في القرارات السياسية والاقتصادية وشيوع القيم غير الديمقراطية داخل مؤسساتها مع تمتعها بسجل سيئ في مجال حقوق الإنسان واحترام الدستور والقانون والحريات العامة للمواطنين.
- ٤- افتقاد الشفافية عند اتخاذ القرارات الحكومية وعدم دراستها الدراسة الكافية وطرحها على المنظمات والهيئات البحثية المعنية وال نقابات والغرف التجارية والصناعية.
- ٥- نتيجة أخطاء في السياسات العامة التي مارستها الحكومات المصرية المتوالية فقد تأثرت المؤشرات العامة لقدرات الدولة الرئيسية وأصبحت الفقر والجهل والمرض والتضخم وانخفاض سعر العملة الوطنية وهروب رؤوس الاموال وارتفاع معدلات البطالة والأمية والتسرب من التعليم وعجز الموازنة وتراجع الإنتاج الزراعى والصناعى انخفاض مستوى جودة

المواطنين بصفة عامة جميعها تمثل قنابل موقوته تهدد الأمن الداخلى وتماسك الجبهة الداخلية وتمثل عوامل سلبية خطيرة تضعف من اداء الدولة وقت المواجهة وقدرة المجتمع على دعم الجيش باللوجستيات.

٦- ضعف البرنامج الفضائي المصري وافتقاده لأقمار التجسس المتقدمة بخاصة بعد فقد القمر المصري ايجبيت سات -١ عام ٢٠١٠. كما أن وكالة الفضاء المصرية التي أقرها مجلس الوزراء المصري أثناء طباعة هذا الكتاب في منتصف ٢٠١٦ غير محددة الأهداف ولا البرامج الزمنية ولا حتى الميزانيات.

٧- نقص الأسلحة الهجومية وتغليب الطابع الدفاعى لغالب أسلحة الجيش وصناعاته الحربية الأمر الذي يجب علاجه مستقبلاً لضمان أمن قومى أكثر تأميناً وأشمل حماية.

٨- الافتقاد إلى منظومة رسمية قوية لتأمين الفضاء الإلكتروني على غرار الوحدات الرسمية في كل من إيران واسرائيل وتركيا.

نقاط القوة الاستراتيجية لدولة إسرائيل

١- القدرات النووية والكيميائية والبيولوجية.

٢- امتلاك الدولة برنامجاً فضائياً متقدماً وأقماراً للتجسس عالية الدقة من سلسلة أفق.

٣- الصناعات الحربية المتطورة وذات التكنولوجيا العالية والمتقدمة.

٤- العلاقات الدولية المتميزة مع الدول الكبرى وأهمها الولايات المتحدة يتيح لها تعويض خسائرها العسكرية والتضييق على العدو في سرعة الاستجابة لطلبات تسليحه.

٥- التدريب الجيد لجميع وحدات الجيش والكفاءة العالية والخبرة التي تميز قياداته العليا والوسطى.

٦- نضوج الأنظمة الكلية للدولة ومثانة أعرافها وتقاليدها ورسوخ القيم الديموقراطية في جميع أعمال الحكومة.

٧- الاقتصاد المتطور وارتفاع الصناعات ذات التكنولوجيا العالية في مكوناته.

٨- القدرات البالغة التقدم بالفضاء الإلكتروني .

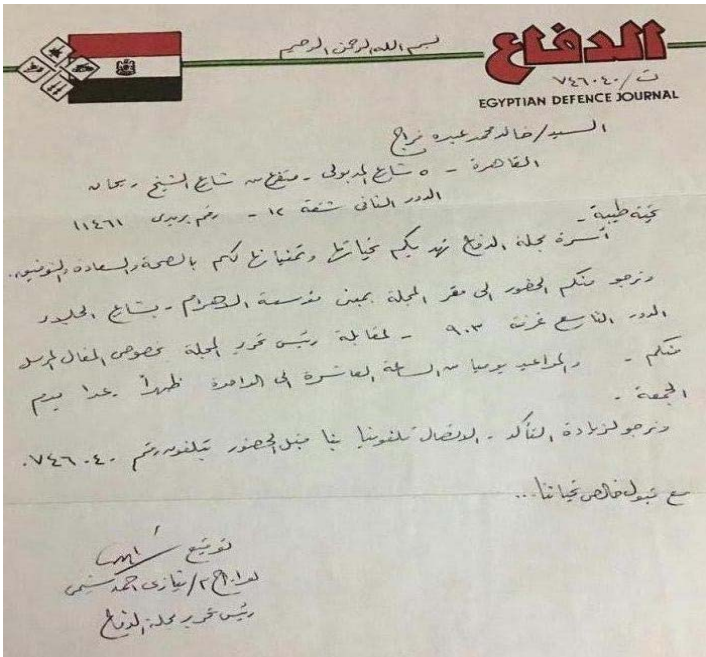
نقاط الضعف الاستراتيجية لدولة إسرائيل

- ١- العمق الاستراتيجي المحدود (لهذا السبب فإن عقيدة الجيش الإسرائيلي هي الهجوم وليس الدفاع).
- ٢- قلة عدد السكان الأمر الذي يضعف قدرة إسرائيل على تحمل خسائر بشرية ضخمة .
- ٣- عدم القدرة على تحمل الحرب لفترات طويلة بسبب أن العمود الفقري لقوات الجيش هم قوات الاحتياطى مما يؤدي إلى شلل تام للحياة الاقتصادية طيلة فترة الحرب وشبه شلل تام بمرافق الدولة المدنية .
- ٤- مفاعل ديمونة ومفاعل ناحل سوريك .
- ٥- المشكلة الفلسطينية والمقاومة الفلسطينية، وحدثاً المقاومة اللبنانية ممثلة في حزب الله بجنوب لبنان، (لهذا أؤيد وجود حد أدنى من التنسيق الأمني المصري الإيراني كبديل عن المصري السوري الذي تضرر كثيراً نتيجة الحرب الأهلية الحاصلة حالياً ومنذ ٢٠١١).
- ٦- تركيز النشاط الصناعى والاقتصادى بمنطقة وسط إسرائيل التي يسهل قصفها جواً وبحراً وبالصواريخ أرض - أرض .

نظرية الأمن القومي المصري والاستراتيجية العسكرية المصرية والسياسات العامة للدولة

في فبراير عام ١٩٩١ وأثناء القصف الجوي المكثف لقوات التحالف الدولية التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية على العراق كافتتاحية لحرب تحرير الكويت التي غزاها الرئيس العراقي صدام حسين في أغسطس من عام ١٩٩٠، كنت قد أنهيت دراسة لى تتعلق بمسودة لنظرية أمن قومي لمصر كانت ضرورية وتمثل جزءاً مهماً من دراسة شاملة للإجابة على سؤال بسيط سألته لنفسى منذ أن كنت صغيراً بالمرحلة الابتدائية وهو ما الذي ينقص مصر لتكون كما كانت دائماً أمة عظيمة تسود الأمم؟، كنت وقتها طالباً بالسنة الثالثة بكلية الهندسة

جامعة القاهرة، أرسلت النظرية في صورة مقال إلى مجلة الدفاع الشهيرة بذلك الوقت وكانت تصدرها بصفة شهرية مؤسسة الأهرام وتحظى بانتشار محلي وإقليمي واسع وأوشكت إدارة المجلة على نشره مذبلاً بمقدمة لرئيس تحريرها بذلك الوقت اللواء أركان حرب مهندس نيازي أحمد الشيمي إلا أن المخبرات الحربية منعت نشر المقال وتقديرًا منها لشخصي فقد تلقيت مكافأة مالية مع رجاء بعدم نشر تلك المقالة لحساسيتها وخطورتها على أمن مصر القومي وخطاب شكر بخط يد اللواء نيازي شخصياً وقد حافظت على الاتفاق، اليوم أنقل للقارئ نفس المقال الذي كتب في عام ١٩٩١ لكي يعلم كم كان الرئيس السابق حسنى مبارك ونظام حكمه مقصرين في حق مصر، كما سيعلم القارئ كيف كان يمكن أن يكون وضع مصر الإقليمي لو كانت القيادة السياسية قد انتبهت وطبقت ما ورد بالنظرية.



صورة من خطاب رئاسة تحرير مجلة الدفاع بشأن المقال

مقدمة للتعريف بالنظرية.

نظرية الأمن لأي قومية أو جماعة أو وطن هي تلك القواعد والأسس التي تصوغ كيفية صيانة وتحقيق الأمن المادي والمعنوي ضد عدو ما محتمل قد يسعى حاضراً أو مستقبلاً إلى تهديد أو ابتزاز هذه القومية أو الجماعة أو الوطن أو احتلاله ومحاولة محو وجوده أو طمس ذاتيته، من هذا المنطلق وهذا التعريف نستطيع التحدث عن بنود نظرية الأمن القومي المصري وهي بنود كانت إلى عهد قريب بديهيات في عقول سياسيينا يتحركون من خلالها ويعملون من منطلق قناعتهم المطلقة بصحتها وحتميتها التحرك من خلالها لضمان الأمن المادي والمعنوي لشعبنا، اليوم وغداً نستطيع أن نقول إن هذه البديهيات والعقائد قد ثبتت ورسخت فيما يمكن أن يكون نظرية ثابتة ذات منطوق وبنود أثبتت الأحداث السابقة والتهديدات المحتملة حتميتها، وقبل أن نتناول نظريتنا كما نراها وتأثيرها على الاستراتيجية العسكرية المستقبلية لجيشنا يجب أن نوضح أننا نعيش في ظل ظروف ومتغيرات هائلة تحدث في جميع أنحاء عالمنا بدا يتمخض عنها ما يعرف بالنظام العالمي الجديد، هذا النظام الذي نرى تأثيره السلبي على استقلالنا وحریتنا في تقرير عقیدتنا الاستراتيجية القتالية المستقبلية والواجبة لضمان تحقق نظرية أمننا القومي، النظام العالمي الجديد وكما بدأت تبلور ديناميكياته اليوم خلال أزمة الغزو العراقي للكويت سيمثل عامل مقاومة في طريق تحقيق نظريتنا في الأمن، عائقاً لا قبل لنا به ولا مهرب لنا منه سوى بالتحايل والالتفاف والتمويه، النظام العالمي الجديد في ظل القانون الحالي لمنظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن وفي ظل التفاوت الشاسع والكبير بين الأمم في القدرات العسكرية والاقتصادية لا يمكن إلا أن يكون أداة قانونية منظمة للسيطرة الفعالة من قبل الدول الكبرى على الدول الصغرى الأقل تقدماً وتوجيهها نحو تحقيق مصالحها القومية خلال عقود قادمة أي تحقيق استقلال منقوص لتلك الدول ولدول عديدة أخرى تحقيق استقلال صوري لا يساوي أكثر من ثمن الأوراق التي كتب عليها ما يسمى وثيقة الاستقلال وقطعة قماش تسمى العلم، لهذا فمن الضروري ونحن نرسم استراتيجيات وأسس الدفاع عن أمننا القومي أن نستخدم غير التقليدية في التفكير والعبقرية في الفهم والتنفيذ.

✍ بنود نظرية الأمن القومي المصري كما نراها:-

- ١- لا يجب السماح بوجود أية قوة إقليمية كبرى أكثر منا قوة من الخليج شرقاً وحتى المحيط غرباً ومن جنوب أوروبا شمالاً وحتى آخر نقطة بحدود السودان الجنوبية وهذا نطاق يشمل ما يجوز أن نطلق عليه مجالنا الحيوى إضافة لتركيا وإيران. (لاحظ وكأننا نقرأ الغيب ونتوقع التنافس بيننا وبين تركيا وإيران بالإضافة إلى التنافس التقليدى مع إسرائيل وأتوقع مستقبلاً تنافساً بيننا وبين اليونان وإيطاليا وإسبانيا وفرنسا للحصول على الموارد والارض والاسواق والقوة البشرية).
- ٢- ضرورة تأمين الدور العالمى لقناة السويس ضد أي عدوان يستهدف التأثيرعليها كأحد أهم الممرات الملاحية العالمية، تزيد من ثقلنا العالمى وتخدم اقتصادنا القومى، وهو ما يعنى الاحتفاظ بقوات بحرية متفوقة لها تواجد قوى ومؤثر بكل من البحرين الأبيض المتوسط والأحمر تضمن حرية الملاحة بهما وتأمين كل من مضيقى جبل طارق وباب المندب ومجموعة الجزر حوله.
- ٣- ضرورة التحسب من التغلغل الغربى الرأسمالى والصهيوئى فى بلادنا كنتيجة حتمية لضرورات تبيننا اقتصاد السوق والقيم الغربية فى أساليب الحكم والسياسة والاتجاه الدولى لتوحيد الكثير من القوانين وفرض تطبيقها على جميع الدول الأعضاء بالأمم المتحدة، وهو الأمر الذى يستدعى اتخاذ احتياطات كثيرة لضمان أمننا الاقتصادى والاجتماعى بل والثقافى ضد موجات عارمة من قواعد العولمة التى تحوى الكثير من القيم والمبادئ التى تتعارض فى كثير من أصحاب مع قيمنا ومبادئنا وأخلاقنا بل وديننا.
- ٤- حتمية امتلاك آلة إعلامية ضخمة تضمن لنا التغلغل المؤثر بالشرق فى مجالنا الحيوى والغرب بالدول الغربية الفاعلة والمؤثرة عسكرياً واقتصادياً، تدافع عن مصالحنا وتقاوم بكفاءة وذكاء محاولات إضعاف دورنا الإقليمى والعالمى وتضمن لنا مكانة متميزة وثقلاً كبيراً داخل ما يدعى النظام العالمى الجديد (لاحظ وكأن هذه المقالة ذهبت إلى المخطط الإسرائيلى

- فأوحى بها إلى حكومة قطر التي تبنتها وأنشأت بناء عليها قناة الجزيرة الشهيرة عام ١٩٩٦ وتلتها حكومة الرياض فأنشأت قناة العربية بعدها بعام).
 ٥- ضرورة مقاومة أي طرح عالمي لعقد سياسية أو تاريخية أو دينية تسيء إلى علاقاتنا ودول العالم شرقاً وغرباً وعلى الأخص دول الإقليم الكبرى (لاحظ أن هذا تقريباً ملخص نظرية الصفر مشكلات التي صاغها داوود أوغلو وزير خارجية تركيا ورئيس وزرائها كعقيدة تحكم عمل وزارة الخارجية التركية عند بداية التأسيس لانطلاقة تركيا أثناء الفترات الأولى لحكم أردوغان بداية من عام ٢٠٠٢).
- ٦- ضرورة الحرص على بناء روابط اقتصادية وسياسية وعسكرية فوق العادة مع كل من الصين واليابان والهند (لاحظ وكأنا نقرأ تنامي قدرات تلك الدول وللأسف لم نأخذ المبادرة وسبقتنا إيران وتركيا في الاستفادة من تلك الدول وبخاصة الصين في بناء قدراتها الاقتصادية والعلمية والعسكرية كما بينا سابقاً كما ان علاقات اسرائيل بالهند علاقات غير عادية واكثر من ممتازة).
 ٧- ضرورة السعى الدائم لتثبيت زعامة مصر على كامل قارة إفريقيا وهي زعامة تضمن لنا نفوذاً للسيطرة على أسواق نحن نحتاجها لتسويق منتجاتنا والحصول على المواد الخام الأولية لنهضتنا (لاحظ أن هذا وكما بينا سابقاً ما تفعله إسرائيل وإيران وتركيا في إفريقيا حيث يتنافسون لنيل النفوذ والحظوة لدى الحكومات الافريقية بغرض اقتناص عقود المشاريع وفرص التصدير).
- ٨- الأمن القومي المصري يفقد معناه وأساس وجوده دون قدرات اقتصادية تمول قدراته العسكرية وتنفذ نظريتنا في تحقيق الأمن (وكأنا نحذر من تدهور اقتصادنا وأثره على عناصر قوتنا الشاملة).
- ٩- لا يمكن تحقيق قدراتنا الاقتصادية المطلوبة إلا من خلال نظم متطورة للحكم تتحلى بالشفافية وتؤمن بتداول السلطة والفصل بين السلطات واستقلال القضاء وتحديث عمل الأجهزة الأمنية وعلى رأسها جهاز الشرطة بغرض حماية جبهتنا الداخلية (وكأنا نطالب عام ٩١ بما خرج الشعب يطالب به في ٢٥ يناير ٢٠١١).

- ١٠- في ظل البعد الديموجرافي المستقبلي لمصر وازدياد الحاجة إلى زيادة مصادر المياه وتأمينها فيجب ضمان النفوذ الكامل والسيطرة الدائمة على حكومات كل من إثيوبيا والسودان سواء بالدبلوماسية أو التهديد باستخدام القوة العسكرية المفرطة في حال تهديد تدفق مواردنا المائية بمعدلات تتناسب مع خططنا الطموحة في التنمية، الأمر الذي يحتم علينا امتلاك قواعد عسكرية قريبة من منابع النيل تدافع عن مواردنا المائية وقت التهديد وتسهل لنا التدخل الحاسم والسريع عند الضرورة (وكأننا نقرأ الغيب وكأننا نشعر بنوايا إثيوبيا الخبيثة) كما يجب من اليوم استغلال مواردنا المائية بطرق علمية حديثة تضمن إعادة تدويرها أكثر من مرة.
- ١١- التكامل العربي ضرورة وليس ترفاً لضمان أمننا القومي، مصر العظمى باقتصادها وقوتها السياسية والعسكرية قادرة على ضمان تحقيق هذا الحلم لهذا فإننا وفي سبيل تحقيقه يجب إنشاء قواعد عسكرية مصرية ثابتة بجميع الدول العربية وبخاصة على الخليج العربي حيث إيران وسوريا والعراق حيث تركيا، (تم استبدال قواعدها بقواعد غربية أمريكية في السعودية وقطر والبحرين والكويت والعراق وفرنسية بالإمارات في أعقاب حرب الخليج بينما كانت القواعد المصرية هي الأفضل والأكرم والأكثر أماناً وقيمة حقيقية مضافة).
- ١٢- حتى يأتي الوقت الذي نستطيع فيه التعامل مع إسرائيل من مستوى التفوق فإن التعاون الكامل معها هو من الحكمة والذكاء وهو تعاون لا نرى أي فرصة لتلافيه على المدى القصير والمتوسط كما يمكن استغلاله للتقليل من قبضة النظام العالمي الجديد يسمح لنا معاً بقدر من حرية الحركة والمرونة لصالح تحقيق أمننا القومي في المساحات التي تتقاطع فيها مصالحنا (تركيا تطبق هذا البند بحذافيره ودون تعديل في صياغة علاقتها مع إسرائيل).
- ١٣- ضرورة مقاومة التغلغل التركي والإيراني والإسرائيلي في أي نقطة داخل مجالنا الحيوي وبخاصة دول الخليج وأهم دول قارة إفريقيا، (وكأننا نقرأ المستقبل وها هي تلك الدول تتصارع وبشراسة على النفوذ والزعامة الإقليمية بتلك الدول).

الاستراتيجية والتكتيك

اليوم نرى تباطؤًا متمعدًا من قبل الدول العظمى في اندفاعها نحو التسليح واتجاه وتركيز محسوب نحو حشد طاقاتها التكنولوجية والعلمية والاقتصادية لكي تتبؤا مكان الصدارة في الدفاع عن مصالحها القومية والحيوية فإن هذا لا يعنى تراجع لمكانة القدرات العسكرية كأحد أهم أدوات تحقيق بنود نظرية الأمن لأي دولة، ولما كانت الاستراتيجية تعريفًا هي طريق نحو هدف فإن هدفنا هو تحقيق الأمن القومي المصري المحكوم بالثلاثة عشرة مبدأ السابقة أما الطريق نحو الهدف فهو القدرات القادمة مجتمعة سيبلنا نحو الهدف.

١- النظام السياسى الكفاء بمكوناته (أحزاب قوية لها مساحات واسعة من الحرية-نظام قضائى متطور ومستقل-سلطة تشريعية عالية الحس الوطني وغنية بالأكفاء-دستور متقدم يحافظ على الحريات الأساسية للمواطنين ويحقق توازنًا بين السلطات)

٢- القدرة العسكرية القادرة السريعة والقوية والناجذة.

٣- الاقتصاد المتطور والمتنوع العالى التكنولوجيا الذي تدعمه الجامعات ومراكز الأبحاث. (إسرائيل تطبق هذا منذ منتصف التسعينيات بنفس فترة كتابة المقال وكان نسخة منه قد ذهبت مباشرة إليها، الإمارات وتركيا والسعودية ومنذ عشر سنوات يخططون لما يعرف باقتصاد المعرفة الذي تقوده الجامعات ومراكز الأبحاث).

٤- البعد الديموجرافى المستغل (استغلال عدد السكان في إمداد خطط التنمية بالموارد البشرية والمواهب العقلية، وخلق السوق الذي يضمن جذب استثمارات أجنبية وتحفيز الاستثمارات المحلية وضمان النمو المستديم).

السؤال الآن كيف تكون القدرة العسكرية طريقنا نحو الهدف، ما عقيدتها وما تكتيكاتها ووسائلها؟

بالأمس وحتى اليوم ونتيجة تفاهات الدول الكبرى وبعد توقف معظم مشروعاتنا لإنتاج الأسلحة التي تضمن أمننا القومي في أعقاب هزيمة ١٩٦٧ كان الخيار الاستراتيجى لعقيدتنا العسكرية هو الردع الدفاعى، وساعد أو فرض هذا

الخيار معاهدة السلام بيننا وبين إسرائيل أيضًا ساعد النظام العالمي الجديد المفروض على دول العالم اليوم في جعل هذه العقيدة خيارًا وحيدًا يكاد يكون مفروضًا علينا وتحديداً لضمان أمن إسرائيل، ولكن المدقق في بنود نظرية أمننا القومي السابقة يدرك القارئ وللوهلة الأولى حاجتنا الحتمية لامتلاك أسلحة هجومية وقدرات ردع استراتيجية، ليس بغرض مسرح صراعنا المتوقع مع إسرائيل فإسرائيل ليست هي مصدر تهديد أمننا القومي الرئيسي الوحيد بل أكاد أزعم أنها أقل مسارح عملياتنا تعقيداً، مجرد فرقتي مظلات وصاعقة قادرة على تحويل الحياة فوق أرض إسرائيل إلى جحيم لا يطاق مجرد فرض حصار بحرى وانزال لضفادع بشرية في غربها الأوسط كفيل بتقسيم إسرائيل ومهاجمة عمقها الاستراتيجى وتدمير مراكز تعبئة الاحتياطى وأهم مناطقها الصناعية والعلمية ونقل المعركة الى عمق الدولة، إسرائيل بمساحتها وعدد سكانها ليست هي العدو الرئيسي الأول بل العدو الرئيسي المستقبلى الأول هو إثيوبيا ثم يليها إسرائيل كمتنافسين لنا على النفوذ إقليمياً ثم الدول الاستعمارية الكبرى ولها أطماعها التاريخية المعروفة في بلادنا وشرواتنا الطبيعية والتي تنتظر اللحظات المناسبة لنقض ميثاق الأمم المتحدة وإعادة اقتسام الموارد والأرض في العالم، لو لم نكن مستعدين لكل تلك المخاطر فسيكون يومها قد فرطنا في أعلى الأمانات وأعظم المسؤوليات، من اجل هذا تبرز حاجتنا الماسة إلى امتلاك قدر كبير من الأسلحة الهجومية واعتناق استراتيجية الردع بالهجوم سبيلاً أمثل لتأمين بنود نظريتنا في الأمن القومى، بالأمس راهنا على التزام خط واضح نحو الدعوة إلى السلام بكافة مناطق مجالنا الحيوى وراهنا على شبكة من العلاقات الإقليمية والعالمية لضمان أمننا القومي بالإضافة إلى قدراتنا الدفاعية في الردع، إلا أن حرب الخليج وما واكبها من أحداث فرضت علينا وأثبتت أن امتلاكنا لقدرات هجومية مميزة ومتطورة هو الخيار الأكثر عملية وضمناً وفاعلية نحو تأمين أمن شعبنا ودولتنا، لنا أن نتصور امتلاكنا تلك القدرات وما كان يمكن أن نمارسه من ضغوط على كثير من الدول لإجبارها على اتخاذ مواقف تتسق مع أهدافنا وتتلاءم مع نظريتنا في الأمن، امتلاكنا لقدرات هجومية عسكرية كان كفيلاً بعدم تحويل الحرب العراقية الكويتية إلى حرب دولية ومشكلة عالمية تستدعى جيوش الدول

الاستعمارية وتضع المنطقة بكاملها في مصير مجهول، امتلاكنا لقدرات هجومية متفوقة وفاعلة كانت كفيلة بردع صدام وإجباره على قبول حلول وسط، امتلاكنا لقواعد عسكرية بالكويت والسعودية كان كفيلاً بمنع حدوث اجتياح الكويت أصلاً، كما أن امتلاكنا للقدرات الهجومية الفاعلة كفيل بمحاصرة نفوذ القوى الإقليمية الأخرى في كامل مجالنا الحيوى وخصوصاً إفريقيا، أما إثيوبيا فالعداء بيننا تاريخى وتضارب مصالحنا واضح منذ عهد الخديو إسماعيل، محاولات إثيوبيا في فرض نفوذها إلى السودان والصومال وأريتريا وكينيا وزيمبابوى ومالى ومحاصرة نفوذنا هناك ومحاولاتها بناء السدود بغرض التأثير على تدفق المياه وحصتنا التاريخية في مياه النيل جميعها عوامل تجعلنا منتبهين ومستعدين لأي خطوات متوقعة وملهورة من الجانب الإثيوبى الذي يبعد عنا الآلاف من الكيلو مترات الأمر الذي يجعل من امتلاكنا قدرات بحرية متميزة كحاملات الطائرات والصواريخ الباليستية أرض أرض طويلة المدى وطائرات التزود بالوقود وقواعد عسكرية بجنوب السودان أمراً حتمياً وواجباً وليس ترفاً أو محض كلام إنشائى نظرى ليس له أساس، هناك خلل استراتيجى هائل أثبتته حرب الكويت، بعد انتهاء الحرب أتوقع رغبات جامحة من حكان إيران وتركيا لزيادة نفوذهم الإقليمي الأمر الذي سيجعل دول الخليج في موقف لا تحسد عليه وهنا يجب علينا طرح إقامة قواعد عسكرية مصرية ثابتة بتلك الدول نتقاسم تكاليفها وتضمن لنا مشروعية امتلاكنا الأسلحة الهجومية والدفاعية التي نحتاجها لضمان أمننا القومي وفى نفس الوقت انتشار كافٍ يضمن أمننا وأمنهم، كما أن امتلاك مكونات الأسلحة النووية وتكنولوجيا تصنيعها أصبحت واجباً وليس خياراً، كل ما سبق يجب أن يتم في هدوء وسرية قدر الإمكان، الفترة الابتدائية لتغيير عقيدتنا الدفاعية المفروضة علينا من قبل الدول الكبرى إلى عقيدتنا الهجومية الواجبة فترة بالغة الصعوبة محفوفة بالمخاطر مليئة بالتضحيات ولكن الله معنا فليس أمامنا سبيل آخر، حجم المخاطر والتهديدات المستقبلية هو من فرض علينا هذا، موقعنا وطموحات شعبنا فرضت على القيادات السياسية والعسكرية تحمل تبعات تحدى القوى الكبرى وفى بعض الحالات التصارع معها وهذا متوقع، البديل عن كل ما سبق أنى أخشى أن يأتى علينا اليوم الذي لا نملك فيه ما يردع أعداءنا وأن نكون في وضع الضعيف

المفعول به وليس القوى الفاعل، مصر العظمى هدف ومسئولية لا يضطلع بها الا الكبار والموهوبون من الرجال ومصر بأبنائها قادرة وفاعلة فقط تطلب الإرادة السياسية من زعمائها. كتبه خالد محمد فراج الطالب بالفرقة الثالثة هندسة القاهرة قسم ميكانيكا، القاهرة ٨ فبراير ١٩٩١. انتهى

ما سبق نفذته القيادة الإيرانية، تحدث العالم لكى تمتلك قدراتها العسكرية الاستراتيجية الهجومية، نافست الدول الكبرى ولها قواعدها في لبنان والعراق وسوريا وحديتاً في فلسطين، تحملت حصاراً سياسياً واقتصادياً لمنعها من امتلاك القدرات النووية، ذهبت شرقاً وغرباً تطلب العلم والتكنولوجيا والمساعدة في طريقها الشاق، نسجت تحالفات قوية مع كل الدول التي تقف معها في نفس الخندق وتتحدى الدول الكبرى في طريقها لامتلاك قدرات استراتيجية متفوقة، تحالفت مع الصين كما طالبنا سابقاً، وروسيا وكوريا الشمالية وفنزويلا، استقطبت العلماء من دول أوروبا الشرقية بعد تفكك الاتحاد السوفيتى ودعمت عملائها ووفرت لهم الدعم المادي والمعنوي، قامت القيادة بواجبها ودعمها الشعب، لقد بينا ونحن نتحدث عن إيران كم كانت القيادة عبقرية وكم ضحى الشعب، أما مصر فقد اختار زعماءها وقادتها السياسيون والعسكريون خياراً غير مفهوم فلا هم اختاروا صداقة الغرب المشروطة بقيود وخطوط حمراء فاستفادوا منها وحققوا لنا قدرًا من التقدم الاقتصادى والعلمى نعوض به ضعفنا العسكرى والخلل الاستراتيجى الضخم لصالح دول الإقليم الأخرى الرئيسية ولا هم تخلوا عن تلك الصداقة وعملوا بحرية وفق ما تمليه مصالح دولتهم العليا ودعموا برامج استراتيجية من أجل تحقيق الردع والأمن للدولة، أفهم أن ألمانيا واليابان أصبحتا قوة عظمى اقتصادياً وعلمياً واجتماعياً وسياسياً وساعدتهم في ذلك الولايات المتحدة بشرط تخليهم عن امتلاك جيش قوى، أما ما لا أفهمه فهو أن صداقتنا مع الغرب والدول الكبرى وتخلينا عن حماية أمننا القومي لم تكن لقاء شيء وكان ثمنه باهظاً أننا اليوم عراة، قد يكون لدينا جيش قوى ولكن في ظروف معينة وبقدرات محدودة التأثير عملياً لا تكفى لحماية أمننا القومي المهدد في باب المندب وجبل طارق ومنابع النبل في إثيوبيا وليبيا بل وفى سيناء، هل يمكن للقارئ أن يقارن بين تصرفات قادة إيران وإنجازاتهم وتصرفات قادتنا وإنجازاتهم

رغم أن الظروف الإقليمية والعالمية والتحديات تكاد تكون واحدة، ورغم أن حاجات مصر إلى القدرات العسكرية الاستراتيجية أكثر إلحاحًا وأهمية، ورغم أن قدرة مصر على المناورة والتفاوض مع الدول الكبرى بفضل موقعها وإمكانياتها وعدد سكانها ومكانتها وسط العالم العربي والإسلامي أكثر مرونةً وحظًا.

بصفة عامة يمكن بجهد بسيط وتكاليف في متناول القدرات المالية المصرية أن تعالج مصر الفجوات الواضحة في القدرات الاستراتيجية بينها وبين دول الإقليم الرئيسية، تحتاج مصر إلى تطوير الصناعات الحربية لزيادة محتوى التكنولوجيا العالية ودفع برنامجها الصاروخي بالستى، امتلاك مصر لقدرات تصنيعية متميزة في مجال صناعة الصواريخ يساهم في زيادة قدرات الردع الاستراتيجية للدولة كما يساهم في تسريع إنجازاتها في برنامجها الفضائي، أيضًا على الحكومة في مصر إعادة هيكلة الجيش بكامل أسلحته بحيث يكون قادرًا على إدارة العمليات الحربية على أكثر من جبهة والتخلي عن مزاحمة شركات القطاع الخاص والعام في المشروعات والخدمات المدنية، كما على الجيش في ضوء عملية الهيكلة التخلي عن الامتيازات الممنوحة لأفراده ومحاولة الارتقاء بمستوى الخدمات العامة ككل لجموع الشعب دون تمييز، كما أن عمليات الهيكلة يجب أن تتضمن إلغاء ولاية القضاء العسكري على المدنيين وبسط ولاية القضاء المدني على العسكريين خارج وحداتهم، كما أن امتلاك مصر لحاملات الطائرات وزيادة نسبة الأسلحة الهجومية بتشكيلات الجيش أصبح ضرورة وليس ترفًا، أيضًا على مصر زيادة أعداد القوات الخاصة المصرية نتيجة زيادة تهديدات المنظمات الإرهابية والتي تحتاج إلى تدريبات وتسليح خاص يختلف عن تدريبات وتسليح الوحدات النظامية، أيضًا من الأمور المهمة والعاجلة ضرورة زيادة عدد المقبولين بالكلية الفنية العسكرية واجتذاب خريجي الجامعات النابهيين بمختلف المجالات العلمية والهندسية وتدريبهم ثم إدماجهم بالجيش، تعظيم قاعدة الباحثين والعلماء النابهيين داخل المراكز البحثية ومعامل الجيش صار واجبًا وليس ترفًا كما أن زيادة ميزانية البحوث العلمية وتوجيهها لصالح إنتاج وتطوير الأسلحة الهجومية الاستراتيجية أصبحت ضرورة ماسة وعاجلة.

القوة السياسية والقوة الناعمة

يقول المفكر المصري دكتور أحمد محمد عوف ١٩٣٦-٢٠٠٧ (هل يمكن ليد مغلولة أن تصفق؟ هل يمكن لشعب مغيب أن ينهض؟ هل يمكن لبطون خاوية وأيد مرتعشة وعقول موجهة أن تبني وتبدع؟ هل يمكن للعبيد أن تدافع عن الأوطان وتستبسل؟).

يقول أيضًا عالم الاجتماع دكتور عبد الوهاب المسيري ١٩٣٨-٢٠٠٨ (عندما يدرك الناس أن الدولة تدار لحساب نخبة وليس أمة يصبح الفرد غير قادر على التضحية وينصرف لبحث عن مصلحته الشخصية).

كما هي عادتنا عند الحديث عن النظام السياسي للدولة فاننا نسرد للقارئ كما سبق مكونات النظام، اما في حالة مصر فنظام الحكم فيها على الاوراق ديموقراطى جمهورى ولكن تنفيذيا وعمليا ديكتاتورى جمهورى يتمتع فيه رئيس الدولة بصلاحيات ملكية مطلقة تنفذها باقى مؤسسات الدولة بما فيها المؤسسات التشريعية والقضائية. على مدار ما يناهز ال ٦٤ عامًا تعاقب على الجمهورية المصرية الرؤساء التاليين:-

- ١- محمد نجيب (جاء به الجيش وخلعه الجيش وقام جمال عبد الناصر بسجنه دون محاكمات والتكبير به).
- ٢- جمال عبد الناصر (بكباشى، نصب نفسه رئيسا للبلاد ولم يترك الحكم الا بعد ان حمل على الاعناق الى مثواه الاخير).
- ٣- محمد انور السادات (خلف جمال عبد الناصر في الحكم وايضا لم يترك السلطة الا محمولاً على الاعناق الى مثواه الاخير).
- ٤- د/ صوفى أبو طالب (رئيس الجمهورية المؤقت وخلف الرئيس انور السادات لفترة مؤقتة حسب نص دستور ١٩٧١ لحين اجراء استفتاء على تولية محمد حسنى مبارك)
- ٥- محمد حسنى مبارك (تم خلعه من الحكم بالقوة بعد تدخل الجيش وبعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١).
- ٦- المجلس العسكرى (تولى حكم مصر بعد اقالة حسنى مبارك لفترة مؤقتة لحين انتخاب رئيس للدولة).

- ٧- دكتور محمد مرسى (اول رئيس دولة مدنى منتخب في انتخابات حرة بها اكثر من مرشح في تاريخ الجمهورية، مسجون حاليا في عدة قضايا كفيلة بان يقضى باقى حياته بالسجن).
- ٨- المستشار عدلى منصور (نصبه الجيش بعد خلع رئيس الجمهورية محمد مرسى كرئيس مؤقت).
- ٩- عبد الفتاح السيسي (وزير الدفاع في حكومة الدكتور مرسى وهو من قاد حركة الجيش وخلعه في يونيه ٢٠١٣ ورئيس الدولة منذ ٢٠١٤ ويؤيده الجيش وباقى مؤسسات الدولة الامنية والسيادية).
- هل لخص الدكتور عوف والدكتور عبد الوهاب حال وطننا المنكوب بديكتاتورية قيئة منذ أكثر من ٦٠ عامًا، هل أدرك القارئ كيف تولد الديكتاتورية العملاء والخونة، كيف تدفع الديكتاتورية الشعب إلى سلوكيات انتهازية وأناية غير مسبوقة، في التجربة القادمة إثبات عملى لما قد تولده السلطات والصلاحيات المطلقة من كوارث ومأساة، تفسر ما آل اليه حال دولتنا وشعبنا من انهيار وضعف وتخلف.

تجربة سجن ستانفورد

تلك تجربة تعرف بتجربة سجن ستانفورد تمت بناء على طلب البحرية الأمريكية وبتمويل منها بغرض فهم أعمق لسلوك العاملين والمحكومين بالسجون بصفة عامة وسجون البحرية بصفة خاصة وفهم معالم القوة (السلطة) وطريقة تصرفها والسيطرة عليها، قاد التجربة عالم النفس المعروف فيليب زيمباردو بالاشتراك مع طلبته بالكلية وغالبهم من النابهين وبعض المتطوعين عددهم ٢٤ متطوعًا، تم تقسيم المشتركين بالتجربة إلى مجموعتين الأولى تقوم بدور المساجين والأخرى بدور السجنانيين، وإمعانًا في واقعية التجربة اعتبر أحد السرايب بالجامعة هو السجن، تم شراء بعض الهراوات كأسلحة دفاعية للسجنانيين، وجعل السجنانيين يلبسون زى الشرطة التي اختاروها بأنفسهم من أحد المتاجر وبدأت التجربة باقتياد المساجين بمعرفة زملائهم السجنانيين من بيوتهم

بالأصناف، كانت قواعد اللعبة أنه لا قواعد تحكم عمل السجانين ولا حقوق للمساجين وترك للجميع حرية التصرف حسب أخلاقه وما تربى عليه، تم اختيار عناصر التجربة بناء على اختبارات نفسية تضمن التوازن النفسى لجميع المشاركين بالتجربة، لم تستمر التجربة كثيراً كانت نتيجة التجربة كارثية لقد تحول السجانون المفترض أنهم أصحاب نفسياً وبدنياً وعلى قدر من التعليم والأخلاق إلى إهانة زملائهم بل وتعذيبهم بصور ووسائل غير آدمية وسادية، استغرقت التجربة من ١٤-٢٠ أغسطس ١٩٧١ وتم إلغاؤها بعد أن تعرضت لانتقادات كثيرة رغم نتائجها وجاءت القاعدة الذهبية بكل مراجع علم النفس أن السلطة المطلقة تخرج أسوأ ما في النفس البشرية، هل لنا أن ندرك ويدرك غالب شعبنا أننا ومنذ حركة الجيش في يوليو ١٩٥٢ ضحية تجربة ستانفورد استبدلنا الحكم الملكى الديكتاتورى بحكم عسكري ديكتاتورى أكثر قمعاً مازال وحتى اليوم جاسماً على جسد وطن مريض أعياه افتقاد قاداته للموهبة والعلم وحسن التفكير والتدبير، لقد اعتقد قادة انقلاب ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ومن تلاهم من الحكام أن الديمقراطية لا تصلح لحكم مصر وأن الحياة الحزبية ليست مناسبة لحياة سياسية سليمة بل آمنوا وعن يقين أن الديكتاتورية هي أسلوب الحكم الامثل، لدرجة أن الزعيم الثانى لثورة يوليو محمد أنو السادات كان يفتخر دوماً بأنه كبير العائلة وليس رئيساً يخطئ ويصيب ويمكن محاسبته وعزله، وعاد بنا عشرات القرون إلى ما قبل العصور الوسطى حيث حكم شيوخ القبائل وزعماء الحرب، لم يحترم الحكم في مصر يوماً شعبها ولم يؤمن لعظمتها وتفرداها بين الأمم، لقد وصلت مراهقة حكام مصر في ستينيات القرن الماضى أن أنشأوا ومولوا ما يعرف بالتنظيم الطليعى السرى وهو تنظيم سرى مواز لسلطات الدولة انتشر أعضاؤه بكل أركانها وعمل بمثابة حكومة سرية تحكم فعلياً من وراء الستار وتحركها أجهزة أمنية وحفنة من أهل الثقة المرتبطة برأس الدولة في ذلك، تم التنكيل بكل من رفض الانخراط في تشكيلات هذا التنظيم وكان يتم انتقاء قيادات الدولة ووزرائها من أعضائه بحجة أنهم هم الوطنيون الشرفاء اهل الثقة والولاء وعداهم نكرات ليسوا

اهل للترقى أو خدمة النظام، هدف التنظيم الذي اعتقد انه مازال يؤثر في مصر حتى اليوم هو تجنيد العناصر الصالحة للقيادة وتنظيم جهودها وقدرتها على تحريك الجماهير^(١).

اصدر جمال عبد الناصر اوامره المباشرة الى جميع الوزراء برعاية هذا التنظيم والاشراف عليه داخل كل وزارة، كان التنظيم اداة تجسس هائلة تضمن لعبد الناصر التحوط من انقلاب الجيش بقيادة عبد الحكيم عامر عليه، كما كان التنظيم اداة هائلة من ادوات جمع المعلومات تضمن السيطرة الفعلية للحاكم على اجهزة الدولة ومنها كان يتم اختيار المسؤولين التنفيذيين ممن ثبت ولاؤهم وقدرتهم الميدانية في جمع المعلومات والايقاع بالمعارضين أو أصحاب الرأي^(٢)، من اعلام التنظيم الطليعى السرى محمود امين العالم - احمد فتحى سرور - عبد الغفار شكر - رفعت المحجوب - صفوت الشريف - على الدين هلال - حسن أبو باشا - فاروق حسنى - مصطفى الفقى - حسين كامل بهاء الدين وغيرهم ممن لا يتسع المقام لذكره، بهذا انتشر في أركان الدولة ومفاصلها كل أناني واستبعد كل شريف رفيع القيم والشرف والأخلاق وبهذا قد يزول عن القارئ علامات الاستفهام بشأن تولى عشرات بل مئات الشخصيات دون المستوى للوظائف العليا والهامة للدولة، كانت مذبحه القضاة المعروفة سنة ١٩٦٩ تتويجاً لاستكمال أحكام سيطرت التنظيم السرى على مفاصل الدولة، ما زالت بقايا هذا الفكر وما يشبه هذا التنظيم تنتشر بأركان الحكم وحتى اليوم، بصفة عامة لقد أسس عبد الناصر ومن تلوه نظاماً للحكم أصبحت فيه أجهزته وسلطاته وصية على الشعب وليست خادمة له، أصبحت الأجهزة الأمنية

(١) انظر ميكانيزم إدارة الدولة المصرية الاستعدادات لما يطلق عليه ثورة يونيه ٢٠١٣، حيث تحركت الأجهزة السيادية بتوجيه الإعلام لتضخيم السلبيات والتقليل من اى ايجابيات واثارة المواطنين ضد الحكم وايضا توجيهه متمسكي التنظيم داخل قطاعات الدولة لاختلاق الازمات والاضرابات لتحقيق حالة من الميوعة تؤلب المواطنين ضد حكم اول رئيس مصري منتخب.

(٢) كتاب عبد الناصر والتنظيم الطليعى السرى للدكتور حمادة حسنى الصادر في ٢٠٠٨ مكتبة بيروت، أيضاً كتاب مذكرات وزير العدل المستشار عصام حسونه الذي كان وزيرا للعدل في عهد جمال عبد الناصر خلال الفترة ١٩٦٥-١٩٦٨ وعارض بشدة وجود مثل هذا التنظيم بالمؤسسات القضائية.

ومؤسسات الدولة تعمل من منطلق العلوية وتنظر إلى الشعب بدونية، تحت يافطة الأمن القومي أصبحت ثقافة الحكم وأجهزته الأمنية ثقافة الأوصياء الأولياء وباقي عامة الشعب هم الموصى عليهم القصر، وبدلاً من أن تقوم الحكومة بجمع الضرائب واستغلال الموارد لتحقيق تحسين الظروف المعيشية للمواطنين وضمان تقدم الوطن وارتقائه أصبح الحكم يجبي الضرائب ويستغل الموارد بغرض ضمان تمويل أهداف الأجهزة الأمنية في السيطرة على الحكم وأصبحت الميزانيات العامة للدولة توضع على أساس تلبية احتياجات المؤسسات الأمنية كاملة والجماعات التي تدور في فلكها ثم ما يتبقى يتم توجيهه واقتسامه على الحاجات الأساسية لباقي عامة الشعب وهذا أمر عجيب لا يستحقه شعبنا العظيم، وبدلاً من أن يكون العمل العام شرفاً لخدمة المواطنين أصبح سبوبة ومصدراً للثراء وللسلطة والنفوذ وضمان عدم الملاحقات القانونية وفي حالات كثيرة أصبح العمل العام وسيلة هامة تضمن اختراق القانون دون عقاب أو مسائلة، ومع سوء الإدارة الحكومية وفي ظل ديكتاتورية الحكم يتم إهدار جزء كبير من موارد الدولة بينما لا يبقى الكثير الذي يذهب غالبه كمرتبات وتجهيزات ومعدات وأسلحة للأجهزة الأمنية ونتيجة لهذا فإن مستوى الخدمات العامة التي تقدمها الحكومات المتعاقبة للمواطنين في تدهور مستمر وسيستمر.

كيف التنظيم السري الطليعي

أحب أن أذكر بعض التفاصيل عن التنظيم السري الطليعي الذي أنشأه جمال عبد الناصر حتى يعلم القارئ كيف كانت تدار مصر سياسياً ويستطيع إسقاطه على كافة مناحي الحياة بها اقتصادياً واجتماعياً وأمنياً، ويدرك معنى الدولة العميقة التي ذكرنا أنها بتركيا ويواجهها أردوغان وحزبه كما أنها موجودة ونافذة أيضاً بالجزائر.

يروى المستشار الجليل يحيى الرفاعي شيخ القضاة ورئيس نادى القضاة الفخرى (١٩٣١-٢٠١٠) ومؤسس تيار استقلال القضاء قصة فرض التنظيم الطليعي السري على القضاة وكان شاهداً على تلك المهزلة والتي انتهت بما يعرف بمذبحة القضاة.

كان المستشار الجليل سكرتير عام نادى القضاة ونجح عام ١٩٦٩ بقائمة أمام قائمة من القضاة سيئى السمعة المعروفين بأنهم من أعضاء التنظيم الطليعى السرى مما أغضب جمال عبد الناصر، يقول رحمة الله عليه شيخنا الجليل (في عام ١٩٤٣ صدر القانون رقم ٦٦ الذي يضمن استقلال القضاة في عهد حكومة الوفد برئاسة مصطفى النحاس باشا، كان استقلال القضاة بذلك الوقت حقيقياً ولا ولاية لأحد عليهم واستكمالاً لتأسيس نظام قضائى يضاهاى أرقى الأنظمة القضائية بالعالم أمر الملك فاروق عام ١٩٤٦ بإنشاء مجلس الدولة المصري بنفس أسس ومهام ودور مجلس الدولة الفرنسى ليكون مختصاً بالفصل بين الحكومة والملك والأفراد والجهات الحاكمة بالدولة ومن صلاحياته إلغاء القرارات الملكية أو الحكومية الصادرة والتعويض عنها أو تأييدها، عين السنهورى باشا رئيساً لمجلس الدولة سنة ١٩٤٩ وكان يمثل أحد أعمدة ثلاثة يقوم عليها النظام القضائى المصري (المحكمة الدستورية العليا - محكمة النقض - مجلس الدولة أو ما يعرف أيضاً بالمحكمة الإدارية والإدارية العليا)، منذ ثورة ١٩٥٢ وبعد أن تفرد جمال عبد الناصر بالحكم بدأ الصدام مع أهم رموز القضاء المصري الدكتور عبد الرزاق السنهورى باشا حيث ألغى مجلس الدولة برئاسته قرارات عديدة لعبد الناصر شخصياً من منطلق أن عبد الناصر يمثل الحكومة ومجلس الدولة هو الحكم بين المواطنين والحكومة، هذا الوضع أغضب الديكتاتور جمال عبد الناصر، وصل الخلاف على قيادة البلاد بين محمد نجيب وعبد الناصر الى مرحلة خطيرة حيث كان سلاح الفرسان ومحمد نجيب من المؤيدين إلى عودة الحياة السياسية البرلمانية مع وضع سقف زمنى لعودة الضباط إلى ثكناتهم، بينما كان عبد الناصر وغالب مجلس قيادة الثورة النهمين للحكم لهم رأى اخر، في مارس عام ١٩٥٤ خرجت مظاهرات ضخمة (اكتشف فيما بعد أنها من تنظيم وتمويل جمال عبد الناصر بالاشتراك مع المخابرات الحربية) تطالب بإلغاء الأحزاب وتنصيب جمال عبد الناصر رئيساً وتهتف للديكتاتورية كان من أحد أهداف تلك المظاهرات اقتحام مبنى مجلس الدولة وإهانة عبد الرزاق السنهورى باشا شخصياً وقد تم هذا، استغل جمال عبد الناصر تلك المظاهرات وقام بإعادة تشكيل مجلس الدولة طبعاً بدون السنهورى باشا وأصدر قانوناً جديداً

لتنظيمه وفق رؤيته كديكتاتور لا يرى ضرورة لاقسام الصلاحيات مع أي سلطة أو جهة أخرى بالدولة، استمر تصادم جمال عبد الناصر والسلطة القضائية ومحاولته السيطرة عليها بعد أن أتم سيطرته على السلطات التنفيذية والتشريعية، بعد هزيمة ٦٧ أصبح الحكم أكثر حساسية ضد منتقديه، في نفس الوقت وتحت الضغط انخرط بعض أعضاء السلطة القضائية في التنظيم الطليعي، كانوا في بادئ الأمر حفنة معدودة على الأصابع وكانوا يكتبون التقارير عن زملائهم وما يدور داخل نادى القضاة ومجالس القضاة الخاصة، في نفس الوقت كان جمال عبد الناصر يضغط على المستشار عصام حسونة وزير العدل بذلك الوقت ليشكل تنظيمًا سرّيًا كفرع للتنظيم الطليعي داخل منظومة القضاء يكون مواليًا للدولة وكان الوزير غير مقتنع بهذا الرأي لتعارضه مع أخلاق القضاة، تجاوز عبد الناصر وزيره للعدل وكلف وزيره للدخالية شعراوى جمعه بتشكيل هذا التنظيم، وبالفعل نجح في تشكيل نواة للتنظيم السرى داخل الأسرة القضائية من بعض القضاة أقارب تنفيذيين نافذين كبارًا بالدولة، لم يستمر المستشار عصام حسونة وتم تغييره وتعيين المستشار محمد نصير وزيرًا للعدل الذي بدأ في تنفيذ رغبة عبد الناصر وتجنيد القضاة داخل التنظيم الطليعي، بالتوازي مع ذلك تم تشكيل لجنة داخل رئاسة الجمهورية لتحديد أسماء القضاة المتعاونين مع الحكومة والأسماء الأخرى التي ترفض هذا التعاون وتم تكليف دكتور جمال العطيفى وكان من المقربين لجمال عبد الناصر وبعض أعضاء مجلس قيادة الثورة ولكبار رجال الحكم بذلك الوقت (وضع دستور ١٩٧١ لاحقًا) بأعداد مجموعة من القرارات الجمهورية باعتبارها قرارات سيادية فوق القانون والدستور تضمن إعفاء القضاة المستقلين من مناصبهم وحل مجلس إدارة نادى القضاة وتعيين مجلس آخر من المؤيدين للحكومة والأعضاء بالتنظيم السرى الطليعي، أسفرت تلك القرارات عن إلغاء القانون ٦٦ لسنة ١٩٤٣ وعزل أكثر من ٢٠٠ قاضى غالبهم من محكمة النقض أعلى سلطة قضائية بالبلاد، من الأمور الطريفة التي تذكر عن تلك المذبحة أن قاضيًا ممن شملهم قرارات العزل كان متزوجًا من ألمانية وحين أخبرها بقرار عزله لم تصدقه ولم تتخيل أن قاضيًا في بلد كمصر يمكن عزله واتهمته بأنه كذب عليها وأنه أصلاً ليس قاضيًا بل يمتهن عملاً آخر، تلى ذلك سلب مجلس القضاء

الأعلى العديد من اختصاصاته الإدارية والمالية ونقلها إلى وزير المالية ووزير العدل وتم التفتير المالى على السلطة القضائية لكسر شوكتها وهيبتها وليتخلى القضاة عن استقلالهم وقد كان .

علق على صبرى وهو من أبرز معاونين لجمال عبد الناصر بذلك الوقت وشغل مناصب مهمة عديدة منها رئاسة المخابرات العامة ورئاسة مجلس الوزراء ومساعداً لرئيس الجمهورية على مذبحه القضاة قائلاً أن البلاد يجب أن تتقدم بلا معوقات لذلك فقد منحنا القانون إجازة . مساعد رئيس الجمهورية يرى أن استقلال القضاء يعوق تقدم الدولة ويجب إعطاء القانون إجازة؟

العدل أساس الملك والسياسة هي التربة التي تنمو فيها باقى عناصر قوة الدولة الشاملة، بقدر ما تكون تلك التربة صحية وعفوية ومليئة بالموهب والكفاءات بقدر ما انعكس ذلك على تقدم ونمو باقى قطاعات الدولة، وبقدر ما يكون النظام القضائى مستقلاً بقدر ما نضمن السلام الاجتماعى والتقدم الاقتصادى وانتظام العمل السياسى وباقى سلطات الدولة، لم يكن عبد الناصر الأب الروحى المؤسس لغالب السياسات والأنظمة التي تحكم مصر اليوم يمتلك من الخبرة والذكاء والعلم ما يكفى لأدراك الحقائق السابقة رغم أنها من أساسيات نظم الحكم والسياسات العامة للدول والأمم، في جمهوريات الموز وما شابهها إذا زادت نفقات العسس والجند فيزيدون الضرائب والمكوس، إذا ساءت الأوضاع الاقتصادية وزادت الأدوات الأوضاع الاجتماعية سوءاً نتيجة جهلهم بأساليب إدارة الدول نسبو إخفاقاتهم وفشلهم إلى نظريات مؤامرات الداخل وأطماع الاستعمار وأسباب أخرى بالية أصبحت من التاريخ، إذا تمللم الناس من سوء الأوضاع وتدهورها زادوا من عدد السجون والمعتقلات واطلقوا الأجهزة الأمنية تجمع العاطل على الباطل وتزج بهم في السجون، اذا انتصروا جمعوا مزيداً من الضرائب والمكوس بحجة الحفاظ على جاهزية العسس والجند وشراء السلاح وإذا انهزموا جمعوا أيضاً مزيداً من الضرائب والمكوس لرفع كفاءة العسس والجند وأيضاً شراء السلاح، في جمهوريات الموز يعين القضاة من أبناء ومعارف الطبقة الحاكمة، في جمهوريات الموز يستخدم النظام القضائى كله لضمان فساد الحكم وحماية أعضائه والتكليل بمعارضيه ومنافسيه، في جمهوريات

الموز يفوز الحاكم بنسبة ٩٩,٩% ويجلس على كرسى الحكم ولا يغادره إلا وهو محمول على الأعناق إلى مثواه الأخير، في جمهوريات الموز كل شيء معكوس وكل منطق منقوص، في جمهوريات الموز تعتبر الحكومات سفك دماء المعارضين حفاظ على اللحمة الوطنية وتوحيداً للجبهة الوطنية، الانهيار الاقتصادي تقدم وازدهار، الأحزاب والنقابات المستقلة شقاً للصف وتدميراً للوحدة الوطنية، اعتقال المعارضين والتنكيل بهم تربية واجبة، غياب الخدمات وتدننى مستوى التعليم والصحة ظاهرة اجتماعية بسبب أخلاق الشعب المتدنية وسلوكياتهم الرخيصة، شكوى الشعب من البطالة والفقر دلع، الفساد ظاهرة صحية والفاسدون وطنيون شرفاء طالما يتعاونون مع الأجهزة الامنية، العسكرية لها ثمن وامتيازات، والجهات الأمنية ليس لصلاحياتها حد أو لمخصصاتها سقوف، مجلس النواب ديكور والمجلس العسكرى عصابة ونادى لتقاسم النفوذ ولا مانع من اكتناز الثروات، في جمهوريات الموز يلتحف الجلادون بعباءة الامن القومي يبررون بها اجرامهم وخطاياهم، الوطني عميل وخائن، المنافق صديق وعزيز، الكذاب صادق، العالم جاهل، الأنانى كريم، المتخلف رئيس حكومة أو رئيس دولة، في جمهوريات الموز الدولة عظمى والواقع قزمة.

لقد تخلصنا من حكم أسرة ملكية يشوبها شبهات الفساد فهل تخلصنا من الفساد؟ في مؤتمر العدالة الأول والأخير الذي نظمه حكم الرئيس المخلوع مبارك عام ١٩٨٣ وقف شيخ القضاة المستشار الثائر يحيى الرفاعى مخاطباً مبارك قائلاً (قانون الطوارئ هو مفتاح لكل فساد حتى أحكام القضاء التي تصدر في ظله تكون خاضعة للتصديق أو الإلغاء أو التعديل وليس لها أي احترام أصلاً) لقد كان القاضى الجليل منصفاً ومحققاً، أحد أسباب ضعف وزارة الداخلية هو أن جميع أفرادها ضباطاً وجنوداً لا يستطيعون العمل إلا في ظل قوانين استثنائية كقانون الطوارئ من تخرجوا في بداية عهد حسنى مبارك هم اليوم قيادات الوزارة، لم يزاول أحد بوزارة الداخلية مهام عمله يوماً واحداً بدون هيمنة وشيوع إجراءات قانون الطوارئ، هل من المنطقى أن نضمن سلامة إدارتهم للوزارة ولأدوارها المهمة والحساسة في ظل قوانين عادية لم يزاولوها يوماً ولم يعملوا في نطاقها ساعة بالليل أو بالنهار؟ هل يمكنهم مواجهة التحديات الامنية والتطورات الهائلة التي اصبحت متاحة لدى الجماعات المسلحة؟

لقد بدأت خلافاً لما هو متبع سابقاً ونحن ناقش القوة السياسية للدول الإقليمية الأخرى بتلك المقدمة الطويلة حتى يدرك القارئ السبب الرئيسي لتدهور عناصر قوتنا الشاملة كما هو واضح سابقاً الا وهو الديكتاتورية العسكرية والتدخل غير الصحي أو الغير محمود للأجهزة الأمنية في القرارات السياسية والاقتصادية، وغياب العدل وعدم استقلال القضاة، يجب أن نفرق بين وجود رجال شرفاء بأركان الدولة وبين فساد الأنظمة نفسها وعدم كفاءتها كما بينت تجربة سجن ستانفورد حيث إن الصلاحيات المطلقة داخل النظام أفرزت كوارث سلوكية وجرائم صدرت عن أشخاص عاقلين أسوياء، هناك فرق بين فساد النظام القضائي وبين وجود بعض القضاة الشرفاء والوطنيين، هناك فرق بين فساد المؤسسة العسكرية ووجود وطنيين وقادة وطنيين وعظماء بين أركانها هناك فرق بين فساد النظام المرتبط مالياً وإدارياً وتنظيمياً بالجهات الأمنية والتنفيذية وبين نزاهة بعض الشرفاء بتلك الأنظمة ووطنيتهم وكفاءتهم، من يجادل في فساد جميع مؤسسات الحكم اليوم بمصر عليه أن يبرر لنا واقعنا وحالنا القاسي والمزرى رغم وفرة الموارد وكفاية الإمكانيات وتعدد الفرص وعبقرية الموقع وعظم التاريخ والحضارة. ومن يراهن على غدٍ أفضل في ظل تلك المؤسسات والسياسات هو كمن يراهن على فرس أعياه المرض وأقعده إعراضه.

في تركيا وإسرائيل وإيران ديموقراطية حقيقية، صحيح للأجهزة الأمنية والجيش بتلك الدول دخل ودور مهم في صياغة السياسات العامة وحماية الامن القومي ضد عبث اعداء الداخل والخارج وهذا طبيعي بل وواجب، ولكن تحت الادارة المباشرة لنواب الشعب ودون تسلط أو ارهاب، أيضاً دور تلك الأجهزة ليس هو الدور الوحيد ولا لأرائها الفصل ولا لمؤسساتها القرار الأول والأخير، فالقرارات والسياسات تأخذ في الاعتبار جميع الأوجه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية بحيث لا يتخطى اعتباراً على الآخر لهذا تخرج القرارات صحيحة وفي صالح جميع عناصر القوة الشاملة كما أن الديموقراطية تسمح للكفاءات والعقول النابهة والمواهب والعلماء أن يكون لهم دورهم الرئيسي في صياغة وبلورة السياسات العامة والاستراتيجيات والخطط والبرامج، بالدول الديموقراطية مثل اسرائيل وتركيا وايران هناك توازناً صحياً بين السلطات، كما ان

جميع اعمال المؤسسات الامنية تخضع لمراقبة ومحاسبة البرلمان الممثل الحقيقي للشعب مصدر الشرعيات^(١). أما السعودية فالحكم ملكى مطلق يدعمه موارد اقتصادية طائلة اما الأمور الاقتصادية والأمنية والاجتماعية فالقرار الأول والأخير للتكنوقراط والخبراء النابهين وغالبهم أجنبى يتمتعون بقدر عالٍ من الخبرة والعلم والموهبة بجانب السعوديين الذين تلقوا تعليمًا رفيعًا سواء من داخل العائلة المالكة أو من عامة الشعب، لهذا فغالب القرارات الحكومية قرارات رشيدة تدعمها وهذا هو الأهم الثروات المالية الضخمة التي توفرها عائدات النفط والغاز الكفيلة بعلاج أية سياسات خاطئة تثبت بالتجربة وتحتاج إلى التعديل والتصحيح وتعادل أية سلبيات تنتج عن ديكتاتورية السياسة وفسادها، لهذا ستجد أن للحكم في الدول الأربعة المنافسة لنا بالمنطقة إنجازاته السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية والعلمية أما مصر فأثناء دراستى لها لم أجد للحكم فيها إلا ديكتاتورية سوداء من أسوأ وأبشع الأنظمة الديكتاتورية الماكرة بالتاريخ الحديث وليس للحكم فيها أية إنجازات اللهم تبديد الموارد وإضاعة الفرص ووأد للمواهب وسجن للكفاءات وتهجير النوابع والعلماء وتوزيع الثروة والنفوذ على الأقارب والأصدقاء وأعضاء الجهات الأمنية والقضائية وبخاصة اعضاء التنظيم السرى الطليعى، لم يكن للحكم الديكتاتورى المصرى أن يستمر عشرات السنين لولا السيطرة التامة على النظام القضائى المصرى بالكامل وتفرغ استقلاليتته وإحكام سيطرة الأجهزة الأمنية على أركانه، كم كنت أتمنى أن يتسع المجال لكى أوضح للقارئ علاقات المسئولين التنفيذيين منذ ثورة ٥٢ وحتى اليوم وآلية ترشيحهم واختيارهم وكيف كان الفساد في عهد جمال عبد الناصر للركب ولكن لأن الإعلام لم يكن أكثر من أخبار يومية يكتبها عملاء وجنود المخابرات وأمن الدولة لم يكن هناك من يجروء على التلويح أو ذكر أي من وقائع الفساد التي كانت مفضوحة ومعلومة للجميع بذلك الوقت، ستجد غالبية التنفيذيين الكبار من عائلات ترجع إلى أحد الضباط الأحرار وبخاصة أعضاء مجلس قيادة الثورة

(١) في الدول الحديثة تعمل مراكز الشرطة كملاحي أمنة لكل صاحب حاجة وأقسام الشرطة في خدمة الشعب، بينما وصل الأمر في بلادنا أن أصبح المواطنين يتجنبون الاستعانة بأفراد الشرطة خوفاً من فساد معلوم أو تجاوز أصبح عادة.

أو أصدقاء حميمين لأي من أعضاء المجلس أو من عائلات قضائية أو دينية أو عسكرية أو تنفيذية أثبتت ولاء سابقًا للحكم فكفل هذا الولاء للأبناء والأحفاد شهادة الترقى والنفوذ داخل الجهاز الإداري للدولة، لم يكن للنظام الديكتاتوري أن يستمر لولا حجم الفساد المالي غير المسبوق والذي يتم بلا أدنى خوف من عقاب أو أى ملاحقات قضائية داخل المؤسسات الأمنية والجيش والشرطة والقضاء وباقي أركان أجهزة الدولة.

سليبات النظام القضائي المصري

في دراسة للدكتور عادل عمر شريف رئيس هيئة المفوضين بالمحكمة الدستورية العليا بمصر بالاشتراك مع د/ ناثن براون أستاذ العلوم السياسية والشئون الدولية بجامعة جورج واشنطن لصالح برنامج إدارة الحكم في العالم العربي التابع لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي ورد الآتي بشأن سليات النظام القضائي المصري ومدى استقلاليته.

أهمية استقلال القضاء

- ١- حماية حقوق المواطنين تعتمد على وجود سلطة قضائية مستقلة.
- ١- استقلال القضاء ضمان الاستقرار السياسي.
- ٣- استقلال القضاء عنصر هام وحاسم في تحقيق اقتصاديات قوية وسليمة.

سليات النظام القضائي المصري والتي تمنع استقلاليته

- ١- يخول القانون رقم ٤٦ لسنة ١٩٧٢ في شأن السلطة القضائية لوزير العدل سلطة الإشراف على أداء قضاة المحاكم المدنية والجنائية والعادية وله دورًا في الإجراءات التأديبية التي تتخذ ضد القضاة بما في ذلك حق إقامة الدعاوى التأديبية وتنفيذ إجراءات العزل.
- ٢- يخول القانون رقم ٧٥ لسنة ١٩٦٣ في شأن هيئة قضايا الدولة لوزير العدل حق التحكم في التعيينات والترقيات والندب والنقل.
- ٣- رغم النص الدستوري على عدم جواز عزل القضاة إلا أن اللوائح التنفيذية الواردة في المادة ٩٣ من قانون السلطة القضائية فقد نصت على حق وزير

العدل في الإشراف على جميع المحاكم والقضاة وأيضاً حسب نص الفقرة ٤ من المادة ٩٤ فإن لوزير العدل حق إنذار القضاة ورؤساء المحاكم الابتدائية ويتم إجراء إقامة الدعوة التأديبية بناءً على طلب وزير العدل ويتولى الوزير مسئولية تنفيذ قرارات العزل.

٤- سيطرة وزير العدل على الإجراءات التأديبية في المحاكم العادية وهيئة النيابة الإدارية وهيئة قضايا الدولة أمر لا جدال فيه.

الفساد في مصر

للفساد في مصر قصة وجذور، قبل أن نتناول الفساد في مصر كأحد الظواهر التي تميز الحياة فوق أرض مصر، أحب أن أذكر للقارئ المؤسسات التي من المفروض أنها تحارب الفساد في مصر:-

- ١- هيئة الرقابة الادارية (أهم جهاز رقابة عامة في مصر وأكثرها سلطة ونفوذاً).
- ٢- أجهزة الرقابة التخصصية.
- ٢-١ الجهاز المركزي للحسابات.

هو من أقوى الأجهزة الرقابية بمصر، له حق الرقابة المالية بشقيها المحاسبي والقانوني كما له حق الرقابة على الأداء ومتابعة تنفيذ الخطط، وله حق الرقابة القانونية على القرارات الصادرة بشأن المخالفات المالية، تمتد ولاية الجهاز المركزي للمحاسبات إلى جميع مكونات الجهاز الإداري للدولة شاملاً الهيئات الحكومية والقطاع العام بشركاته والنقابات العمالية والمهنية والأحزاب السياسية والمؤسسات الصحفية والشركات المساهمة (يناقش حالياً مشروعاً لسحب بعض اختصاصاته وإسنادها إلى النيابة الإدارية وسط معارضة شرسة من بعض أعضاء مجلس النواب).

٢-٢ أجهزة وزارة المالية الرقابية وهي أفرع وزارة المالية بالهيكل الإداري للدولة وتتركز مهامهم الرئيسية في ضمان الإنفاق الحكومي ضمن البنود المعتمدة بالموازنة العامة للدولة (المراقبين الماليين بالأجهزة الحكومية).

٢-٣ الجهاز المركزي للتنظيم والإدارة، وهي عادة تختص بمتابعة واقتراح التشريعات أو اللوائح التي تضمن الإنفاق الحكومي على بند الأجور كما

ورد بالموازنة العامة للدولة ومراقبة إدارات شئون العاملين بالدولة بكامل اختصاصاتها.

٢-٤- هيئة النيابة الإدارية، وتختص بالتحقيق في المخالفات المالية والإدارية التي ترد من الجهات الرقابية بالدولة أو الجهات الحكومية أو الأفراد وإحالة المتهمين فيها إلى القضاء.

٢-٥- إدارة الكسب غير المشروع، وقد تأسست عام ١٩٧٥ ويخضع لسلطاتها جميع العاملين بالدول بداية من رئيس الدولة وحتى أصغر موظف بالجهاز الإداري. تخضع الإدارة لوزير العدل ويشكل هيكلها التنظيمي وفق القانون من أعضاء محاكم النقض والمحاكم الأخرى.

٢-٦- الإدارة العامة لمكافحة جرائم الأموال العامة التابعة لوزارة الداخلية. وهي تتولى محاربة جرائم التزيف - التزوير - تقليد أختام ومستندات الدولة والعملات - استغلال النفوذ - الاختلاس - تسهيل الاستيلاء على المال العام - الاتجار بالعملة بغرض الإضرار بالاقتصاد - تهريب العملات والمشغولات الثمينة - غسيل الأموال.

٢-٧- وحدة مكافحة غسيل الأموال التابعة للبنك المركزي. وتتبع محافظ البنك المركزي ولها صلاحيات تفقد الحسابات المشكوك فيها والولوج إلى الحسابات الشخصية لعملاء البنوك وفق إجراءات معينة.

٢-٨- الهيئة المصرية العامة للرقابة المالية غير المصرفية. وهي تختص بالرقابة المالية والفنية والإدارية على جميع شركات التأمين العامة والخاصة بمصر وكذلك الرقابة على عمليات سوق المال (البورصات بمختلف أنواعها) بالإضافة إلى شركات التمويل العقاري.

٣- اللجنة الوطنية التنسيقية لمكافحة الفساد. أنشئت عام ٢٠١٠ بقرار من رئاسة الوزراء وعدلت قرار الإنشاء عام ٢٠١٤، يرأس اللجنة رئيس الوزراء وتتكون من وزير العدل - وزير التنمية المحلية - رئيس الرقابة الإدارية - رئيس النيابة الإدارية - ممثل عن المخابرات العامة - ممثل عن وزارة الخارجية - ممثل عن وزارة الداخلية - ممثل عن الجهاز المركزي للمحاسبات - ممثل عن وحدة مكافحة غسيل الأموال بالبنك المركزي -

ممثل عن النيابة العامة، تختص اللجنة باتخاذ الإجراءات الواجبة لتنفيذ التزامات مصر بالاتفاقات الدولية التي وقعتها لمكافحة الإرهاب مع كل من الأمم المتحدة والجهات العالمية والإقليمية الأخرى، أيضًا صياغة رؤية مصر بشأن إجراءات مكافحة الفساد بالمحافل الدولية، إجراء التقييم الدوري للتشريعات والقرارات ذات الصلة بمكافحة الفساد وبيان كفاءتها وكفاءتها.

أيضًا أحب أن يعلم القارئ أن مصر موقعة على عدة اتفاقات دولية لمكافحة الفساد أهمها :-

- ١- اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد UNCAC .
- ٢- اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة UNTOC .
- ٣- الاتفاقية العربية لمكافحة الفساد .
- ٤- اتفاقية اتحاد هيئات مكافحة الفساد بالدول الإفريقية .
- ٥- الشبكة العربية لتعزيز النزاهة والشفافية ومكافحة الفساد بالبلاد العربية .

كما أسردنا وعرضنا سابقًا لا تفتقد مصر إلى الهيئات أو المؤسسات التي تحارب الفساد ولا تفتقر تلك الهيئات إلى الصلاحيات التشريعية التي تضمن قيامها بواجباتها على الوجه الأكمل، السؤال البسيط الذي قد يشغل بال القارئ الآن إذا كان الأمر كذلك فمن أين أتى كل هذا الفساد الذي وصل للركب على حد وصف زكريا عزمى رئيس ديوان الرئيس السابق حسنى مبارك؟ كيف وصل الفساد الرسمى كما ورد بتقارير الجهاز المركزى للمحاسبات إلى ٦٠٠ مليار جنيه في أربع سنوات وكانت سببًا في غضب القيادة السياسية على المستشار هشام جبنية رئيس الجهاز وسجنه؟ الإجابة معروفة إنها الدولة العميقة التي أسسها جمال عبد الناصر ومازالت تحكم مفاصل الدولة حتى اليوم تقاوم أي مساس لامتيازاتها القانونية والمادية والمعنوية، هي الدولة العميقة وأعضاؤها النافذون والذين يقاومون أي اتجاه لفتح الملفات أو تشديد القوانين أو فتح التحقيقات، إنها الدولة العميقة بنافذيها أفنعوا رأس الدولة بسجن من كشف الفساد وجاهر بحجمه بحجة إضراره بالأمن القومى، هل يستطيع أحد أن يحسب التكلفة السياسية والاقتصادية لسجن من جاهر بحجم الفساد بمصر حتى ولو كان مبالغًا فيه؟ وتكلفة عدم سجنه؟

الهيكـل التـنظيـمـي للدولـة

لن أتحدث عن الدولة المصرية بمؤسساتها فهى في نهاية المطاف يمكن اختزالها في مؤسسة واحدة يمكن أن نطلق عليها مؤسسة الأجهزة الأمنية حيث يهيمن مسئولى المخابرات والقضاء والشرطة والجيش على مفاصل الدولة ويتمتع أفرادها ومنتسبيها بحصانات وسلطات غير محدودة، لا يوجد نظام سياسي واقعى عملى بل نصوص قانونية ومؤسسات عاطلة عن ممارسة أدوارها القانونية بسبب ممارسات الأجهزة الأمنية التي تحول بين ممارسة تلك المؤسسات لأدوارها، في مصر أكثر من ٨٠ حزباً (الهيئة العامة للاستعلامات) تعتمد السلطات الحاكمة في مصر أن تصدر التصاريح بإقامتها حتى تضمن عدم وجود أحزاب قوية ذات وجود بالشارع وأن ينقسم الشارع السياسى إلى شراذم صغيرة يسهل التلاعب بها بل وتوظيفها من أجل بقاء النظام الحاكم وعدم تغييره، في البرلمان المصري ١٥ حزباً وبينما في الدول ذات الأنظمة السياسية الحقيقية لا يجوز أن يتجاوز عددها ٤ احزاب داخل البرلمان، وتضع قيوداً على دخول الأحزاب إلى البرلمان حتى تضمن تأثيراً قوياً وحياء برلمانية سياسية سليمة، المدقق لرؤساء الأحزاب المصرية والسير الذاتية لهم لن تجدهم إلا رجال أعمال مرتبطين بعلاقات اقتصادية وأمنية متشعبة مع أجهزة الدولة أو سياسيين اتخذوا من السياسة مهنة وحرفة ومصدراً للرزق يتكسبون من ورائها ومن أجل هذا تكون المواقف والآراء في جانب من يدفع أكثر مالياً ومعنوياً، أو ضباطاً سابقين بالأجهزة الأمنية لهم أهدافهم وأدوارهم التي لا تخفى عن عين متابع أو خبير، اليوم في مصر لا يوجد سياسيون بالمعنى العلمى إلا عدد يعد على أصابع اليد غالبهم إما بمساكلهم امتنعوا عن ممارسة العمل العام احتراماً لأنفسهم وتاريخهم وأخلاقهم أو خارج البلاد هرباً من سلطات ظالمة وحكم أمنى متسلط يعتبر كل معارض خائناً عدواً عميلاً أو بالسجون، في مصر هيكـل لدولة كامل بمؤسساتها ووزاراتها ودستورها وقوانين وسلطات ثلاث مثل أي دولة حديثة أخرى ولكن الدولة ليست في هيكـلها التنظيمى بل في ممارسات النافذين بهذا الهيكـل وقيادته العليا، أرقى الدول يمكن أن تكون كأحد جمهوريات الموز إذا ما تسلل إلى سدة الحكم من لا يحترم القانون ولا يؤمن بحق الشعب في اختيار من يحكمه ويخطط لمستقبله،

دستور ٢٠١٤ حصن منصب وزير الدفاع لمدة ٨ سنوات في سابقة لم تحدث في تاريخ الدول الكبيرة وأقرها الشعب.

✍️ علاقة مؤسسات الدولة وسلطاتها وتوازناتها

لقد بينا سابقًا أن الدولة العميقة تحكم مصر، شبكة معقدة من المصالح الداخلية والخارجية تحافظ على تلك الدولة وتتحكم في قراراتها وسياساتها، في خضم انتخابات عام ٢٠١٠ صرح السياسي والتكنوقراط المصري مصطفى الفقىسكرتير الرئيس مبارك للمعلومات أن رئيس مصر يجب أن يحوز رضا أمريكا وإسرائيل دلالة على النفوذ الهائل لتلك الدولتين في مراكز صنع القرار بالمؤسسات السيادية المصرية، جميع رؤساء مصر منذ قيام الجمهورية حكموها بأسلوب الفراعين، حيث كان الفرعون هو كل شيء هو جميع السلطات وعلى من سواه أن يمثّل لإرادته، لهذا فإن مصر تعاني وحتى اليوم من تغول السلطة التنفيذية وعلى رأسها رئيس الدولة وسيطرتها شبه الكاملة على باقى السلطات القضائية والتشريعية وباقى مؤسسات المجتمع كالنقابات والإعلام وغرف التجارة والصناعة ومنظمات المجتمع المدنى المهمة مثل جهاز حماية المستهلك (برأسه أحد لواءات الجيش السابقين لواء عاطف يعقوب) والمجلس القومي لحقوق الإنسان الذي يرأسه أحد أبناء التنظيم الطليعى السرى ووزير إعلام جمال عبد الناصر عام ١٩٦٦ محمد فائق.

لهذا لا يوجد ما يشبه التوازن بين السلطات بالدولة المصرية بل الدولة هي سلطة واحدة يعمل من خلالها باقى السلطات وتحت مظلتها ويدها القوية.

✍️ كفاءة وكفاية وحدائة القوانين السياسية والجنائية

طبعًا بعد أن بينا كيف تدار الدولة المصرية وبعد تصريح الرئيس المصري ووصفه الدولة بأنها شبه دولة في بداية عام ٢٠١٦ فاننا نستطيع وبكل ضمير أن نؤكد على تخلف كافة القوانين التي تحكم الحياة فوق أرض مصر وعدم كفاءتها وكفايتها ومنها الدستور - قانون ممارسة الحياة السياسية الأحزاب - الانتخابات - قانون التظاهر - قانون الإجراءات الجنائية - قانون أصحاب الشخصية - القانون الجنائى - القانون المدنى - قانون الاستثمار - قانون العمل - قانون العقود والمناقصات - قانون الجمارك - القانون التجارى - مكافحة الفساد إلخ).

كما أن كفاءة الأحزاب وقوتها المادية والمعنوية ومستوى تمثيلها للإرادة الوطنية أصبحت تساوى تقريباً صفرًا، انظر شكل البرلمان الحالي لا تستطيع أن تجد قوة سياسية معلومة الاتجاهات والقيم ولكن ستجد أغلبية جميعها ترتبط بطريقة ما بأركان السلطة الحاكمة بالبلاد وتأتمر بأمرها ولا تجرؤ على الخروج عن طاعتها المطلقة.

✍️ الثقافة السياسية لجموع المواطنين ونسبة مشاركتهم في الحياة السياسية.

في ١٥ يناير ٢٠١٤ كتب المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات الذي يرأسه السياسي الفلسطيني عزمى بشارة متحدًا عن دستور ٢٠١٤ ودستور ثورة ٢٥ يناير الذي يعرف بدستور ٢٠١٢

دستور ٢٠١٤ الدولة العميقة تكتب دستورها، وهو محق بعد انقلاب ٣٠ يونيو ٢٠١٣ وبعد التأكد من أن الدولة العميقة كانت هي من نظم للوصول إلى لحظة الانقلاب وهي من حشد المواطنين بالميادين والشوارع وهي من صنع الاختناقات في السلع الأساسية والوقود والكهرباء في خلال فترة حكم الرئيس المنتخب مرسى وهي من خطط لأكبر الحملات الإعلامية حتى تسيطر على ما أفرزته ثورة ٢٥ يناير لا يمكن إلا أن نتأكد من عزوف غالب الناخبين عن المشاركة في أية استحقاقات انتخابية صورية قادمة يعلم نتيجتها مسبقاً بعد عودة أركان الدولة العميقة أقوى مما كانت.

✍️ القوة الثقافية

○ السينما

السينما المصرية والإنتاج الفني والثقافي المصري كنز مدفون لم يستغل بعد، السينما هي الفن السابع وهي ضمن الفنون التي تعد من مقاييس تقدم الشعوب وحيوية منظومتها الثقافية، حجم صناعة السينما بالعالم حوالي ٩٠ مليار دولار وتنمو بمعدل ٥% سنويًا، أول عرض سينمائي بالعالم كان في باريس ديسمبر ١٨٩٥، بينما كان أول عرض سينمائي في مصر كان بعد ذلك بشهر في

يناير ١٨٩٦، ذلك دليل على مدى المكانة التي كانت تتمتع بها مصر وكل من مدينتي القاهرة والإسكندرية في ذلك الوقت نتيجة جهود محمد على وابنائها في نهضة مصر الحديثة وإعادة بناؤها على أسس متقدمة بجميع المجالات، السينما المصرية سينما رائدة على مستوى العالم وليس الشرق الأوسط سبقت في بدايتها الأولى هوليبود وبوليبود، أول فيلم مصري كان عام ١٩١٧ وكان صامتًا اسمه الشرف البدوي والثاني بنفس العام اسمه الأزهار الفاتلة بطولة الممثل والمخرج محمد كريم، في بعض المراجع يؤرخ لبدائيات السينما المصرية بتصوير زيارة الخديو عباس حلمي الثاني إلى الإسكندرية وزيارة جامع المرسي أبو العباس في عام ١٩٠٧.

في عام ١٩٢٣ تم إنتاج فيلم آخر اسمه برسوم يبحث عن وظيفة، لبطولة بشارة وكيم، توالى إنتاج الأفلام الصامته حتى عام ١٩٣٢ حيث أنتج أول فيلم مصري ناطق بطولة يوسف وهبي وأمينة رزق باسم أولاد الذوات، في عام ١٩٥٤ كان بمصر ٣٥٤ دار سينما بينما كان عدد سكانها ٢٠ مليون نسمة بينما في عام ٢٠١٤ بلغ عدد السكان ٩٠ مليون نسمة بينما عدد السينمات لا تتجاوز ١٠٠، قبل تأميم صناعة السينما المصرية شهدت الصناعة إنتاج روائع عالمية ومحلية وظهرت بمستوى عالمي من حيث الإنتاج والإخراج وأداء الممثلين وكادر الإضاءة وكتاب السيناريو، كما برز العديد من المخرجين والممثلين ذوي المستوى العالمي كصلاح أبو سيف ويوسف شاهين وهنرى بركات وكمال سليم وحسن الإمام من منا لم ينهر بموهبة على الكسار ونجيب الريحاني ويوسف وهبي وليلي مراد وأنور وجدى وحسين رياض وفاتن حمامة وزكى رستم وعادل أدهم، وفريد شوقي واستيفان روستي ورشدى أباظة وعمر الشريف، وأحمد رمزي وعبد الفتاح القصرى وصلاح منصور ويوسف شاهين، ومحمود مرسي وعبد الله غيث عبد المنعم مدبولي وعبد المنعم ابراهيم وغيرهم، أيضًا في عام ١٩٥٤ بلغ عدد الأفلام التي أنتجتها مصر ٦٠ فيلمًا، بينما في عام ٢٠١٣ بلغ عدد الافلام ٢٥ فيلمًا فقط، أحد أسباب انهيار صناعة السينما والإنتاج الثقافى والفنى المصرى السياسات الحكومية، لقد أمتت الحكومة المصرية في ستينات القرن الماضى السينما فانخفض الإنتاج السينمائى من ٦٠ فيلمًا سنويًا إلى ٤٠،

وانخفضت أيضًا جودة الإنتاج ومستوى الإخراج، في تسعينيات القرن الماضي أوكلت الدولة صناعة السينما إلى وزارة الاستثمار وقطاع الأعمال بينما نصح الخبراء وكبار العاملين بتلك الصناعة بإسنادها إلى وزارة الثقافة أو رفع يد الحكومة عنها، اليوم تنتج الهند ١٠٠٠ فيلم سنويًا وتبيع ٢ مليار تذكرة وتنتج هوليوود وأمريكا ٧٠٠ فيلم وتبيع ٣ مليارات تذكرة، اليوم تؤثر صناعة السينما الأمريكية والهندية على مئات الملايين بالعالم في أسلوب الحياة الملابس والموسيقى واللغة والعادات والتقاليد وأصبح أسلوب المعيشة بتلك الدول موضحة مألوفة لمئات الملايين من البشر، تركيا أردوغان تنافس وبقوة من خلال ٢٠٠٠ دار سينما وحجم إنتاج يبلغ مليار دولار سنويًا وأرباحًا تتجاوز ٢٥٠ مليون دولار، وخطط لى تكون صناعة السينما التركية ضمن أكبر ٥ صناعات على مستوى العالم، الثقافة التركية والمسلسلات التركية أصبحت تجذب عشرات الملايين بالعالم العربي لدرجة أن هناك مجموعات فضائية عربية أصبحت تخصص قنوات متخصصة لعرض الإنتاج التركى فقط وتجد إقبالًا ضخمًا من ملايين المشاهدين، أما إيران فيكفى أن يعلم القارئ أن صناعة السينما الإيرانية فازت بجائزة أوسكار لأحسن فيلم أجنبي عام ٢٠١٢ عن فيلمها (انفصال)، وقريبًا ستغزو المسلسلات الإيرانية وبخاصة التاريخية قنواتنا الفضائية وتؤثر في شبابنا .

أما مصر فنحن اليوم نعيش عصر إنتاج قصص البلطجية والدخان الأزرق حيث تقدم صناعة السينما مزيجًا من ما يحدث داخل أوكار الدعارة والملاهي الليلية وساحات تعاطى وبيع المخدرات على أنه فنًا، بينما يسيطر على الإنتاج حفنة من منخفضى المستوى التعليمى والثقافى والأخلاقى لا يعنيه أمر الصناعة بقدر ما تعينهم الأرباح، هناك أمل في ثورة شاملة تعيد مجد تلك الصناعة العميقة وتبعث تلك القوة الضخمة من ثباتها الإجمارى، التراث الثقافى لتلك الصناعة مازال ينتظر من أبناء مصر ما يبعثه من رقاذه ويهيئ لانطلاقه، يمكن لصناعة السينما والمسرح المصري أن تكون أحد محركات الاقتصاد المصري وأحد مصادر قوتها الناعمة تساعد في نمو نفوذها السياسى والاقتصادى بدول الإقليم .

✍ الأزهر والقراء المصريون وكبار العلماء

ثروة أخرى من ثروات مصر المهتدة، واحد روافد قوتها الناعمة، مجدًا آخر لا يحسن الحكم استغلاله بل يسىء إليه، في يوم من الأيام لم يكن لقيادة دينية بأى دولة إسلامية أي وزن إلا من تعلم بالأزهر الشريف وتخرج منه، كان الأزهر وهو جامع وجامعة قبله المسلمين في كل مكان وعلماؤه بمختلف فروع العلوم الدينية هم المعلمون الرئيسيون المعتمدون بجميع المدارس والجامعات الدينية بالعالم، فتاوى هيئة كبار العلماء قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كانت هي القول الفصل في ما يختلف عليه المسلمون بالعالم أجمع، كان شيخ الجامع الأزهر قبل انقلاب ١٩٥٢ هو الإمام الأكبر لجميع أئمة المسلمين بالعالم، لقد بلغ من قوة الإمام الأكبر وعلو منزلته وسمو شأنه أن آية الله الخميني وغالب آيات الشيعة الحديثين يتفاخرون ويعتزون بفتوى الشيخ الإمام محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر والإمام الأكبر في الفترة من ١٩٥٨ وحتى ١٩٦٣ التي أجاز بها التعبد بالمذهب الشيعي الاثنى عشر واعترف به ضمن المذاهب الإسلامية المعتمدة وكأنه منحهم قبله الحياة وبركة التعبد وشهادة الصلاحية. كالعادة وكأى شيء جميل وهبه الله لمصر بركة جمال عبد الناصر لم تأبى إلا أن تطول الجامع الأزهر وأئمة الكبار وعلماؤه وتحت ستار التطوير والتجديد صدر القانون ١٣١ لسنة ١٩٦١ حضر جلسة إقرار القانون بمجلس الأمة أنور السادات وكمال حسين وكمال رفعت، أثناء مناقشة القانون أبدى الكثيرون اعتراضهم على غالب بنوده لما فيها من انتقاص من هيبة واستقلال شيخ الأزهر وجامعه العريق، تغيب ٤٩% من أعضاء المجلس إما اعتراضًا على القانون أو حرجًا من التصويت ضده فينال غضب سلطة غاشمة لا تعترف بالحوار ولا بالمعارضة أو الرأي الآخر، عندما علت الأصوات وكثر النقد للقانون الذي كان يحتوى بعض الإيجابيات بشأن تنظيم الأزهر وإعادة هيكلة أجهزته إلا أنه ملئ بالسلبيات وبالكوارث والعيوب الجسيمة التي تمنع الموافقة على إقراره وقف أنور السادات مهددًا النواب صائحًا لقد نفذنا ثورة ١٩٥٢ ودسنا بالأقدام على من عارضنا واليوم إما إنفاذ القانون أو سينال من يعارضه نفس مصير من عارض ثورتنا، في النهاية أقر القانون هذا القانون ألغى هيئة كبار العلماء التي كانت تختار شيخ الأزهر وإمام

المسلمين وجعل تعيين شيخ الأزهر ووكيله ورئيس جامعة الأزهر وعمداء كلياته وكافة رؤساء هيئات الأزهر كمجمع البحوث الإسلامية والمجلس الأعلى بالأزهر بقرار من رئيس الجمهورية (أى دمج الأزهر بكامل مؤسساته بالجهاز الإدارى والتنفيذى للدولة) وبهذا أصبح شيخ الأزهر يعين كما يعين أي موظف حكومى كبير بالدولة.

تلك الإجراءات نالت من مكانة الأزهر (انظر كتاب تاريخ الحركات الإسلامية في مصر من إصدار الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان) التي اكتسبها على مر أكثر من ألف عام وأضعفت احترام العالم الإسلامى للمؤسسة الإسلامية العريقة نتيجة السيطرة على موارده المالية التي كان ينفق منها على شيوخه وطلابه، حافظ جمال عبد الناصر ومن تولوا الحكم بعده على الانتقاص من نفوذ وسلطة شيوخ الأزهر واحتوائهم والسيطرة عليهم وفى نفس الوقت الاستفادة منهم للترويج لسياساته ونظام حكمه، في عام ١٩٥٥ ألغى جمال عبد الناصر أيضًا المحاكم الشرعية التي كانت حتى ذلك الوقت تحظى باستقلالية كبيرة وأحكامها فيما يخص قضايا الأحوال الشخصية نال احترامًا كبيرًا بين عموم الشعب وكانت تتبع الأزهر إلى حد كبير بسبب أن قضاة المحاكم الشرعية كانوا من خريجي مدرسة القضاء الشرعى التابعة للجامع الأزهر، قبل حل القضاء الشرعى بيت مجلس قيادة الثورة وتربص بالقضاء الشرعى بسبب أحكام نافذة صدرت بحق عضو مجلس قيادة الثورة صلاح سالم بنفقة لتطبيقه بمدينة الإسكندرية فما كان أن تم تليفق قضية آداب باستخدام إحدى الساقطات لرئيس المحكمة بالإسكندرية الشيخ عبد القادر الفيل صاحبها حملة صحفية لمدة شهرين من يوليو حتى أغسطس تسقط ظلال القضية على القضاء الشرعى كله وتشيطنه وتبرزه وكأنه واجب الحل والإلغاء وقد كان، بعد أن ألغى جمال عبد الناصر المحاكم الشرعية ووضع يده على أوقاف الأزهر سيطر عبد الناصر على أهم مؤسسة دينية بالعالم الإسلامى وقلص نفوذها الدينى إلى حد كبير. بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ ولأن من أهداف الثورة العظيمة إصلاح ما أفسده انقلاب ٢٣ يوليو وما تلاه من رؤساء فقد تم تعديل القانون الأساسى لمؤسسة الجامع الأزهر رقم ١٣١ لسنة ١٩٦١ في عام ٢٠١٢ وعادت هيئة كبار العلماء مرة أخرى هيئة مستقلة

تنتخب الأمام الأكبر ومفتى الجمهورية وأسند للهيئة القول الفصل واليد العليا لكل الشؤون الإسلامية داخل الجمهورية وعاد منصب شيخ الجامع الأزهر وإمام المسلمين محصناً مستقلاً آمناً لا يخشى في الحق لومة لائم وعادت مؤسسة الأزهر الشريف تناقش قضايا المسلمين المهمة وتلعب دورها القديم والمهم في حماية الدين والذود عنه، بعد انقلاب ٢٠١٣ تم تعديل القانون مرة أخرى وسحب من الهيئة هيمنتها على جميع الشأن الإسلامي واقتصر دورها على ترشيح شيخ الجامع الأزهر الإمام الأكبر ومفتى الجمهورية فقط. اليوم يضم الأزهر أكثر من ٣٠ ألف طالب علم من ١٣٤ دولة، هذا العدد الضخم يمثل بذور النفوذ المصري بالمجتمعات في تلك الدول، سوف ياتي يوماً نستطيع فيه استغلال تلك المميزات النسبية لخدمة مواطنينا وشعبنا.

الكنيسة الأرثوذكسية

إحدى مكونات المجتمع المصري المهمة وإحدى أركان الدولة المصرية التي لا يمكن لأي سياسي أن لا يضعها في اعتباره كقوة فاعلة ومؤثرة ورئسية في كل ما يتعلق بالشأن الوطني اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وايضا تمثل قوة ناعمة ضخمة هائلة التأثير في عشرات الملايين من مسيحي العالم لا تقل عن تأثير الأزهر الشريف في محيطه الاسلامي، تستطيع الكنيسة الأرثوذكسية أن تكون عاملاً إيجابياً في تعظيم قوة الدولة المصرية الشاملة وإثرائها وتستطيع أن تكون عامل ضعف ونقطة رخوة في النسيج الوطني.

الكنيسة المصرية أقدم كنائس العالم، بابا الكنيسة لا يقل عن بابا روما منزلة وقامة وقيمة، كما أن شيخ الجامع الأزهر لا يمكن أن يقارن مع أي منصب ديني إسلامي آخر في مشارق الأرض ومغاربها. منصب بابا الإسكندرية لا يمكن أن يقارن مع أي منصب ديني مسيحي آخر وبالكاد يمكن لبابا روما أن يدعى أنه على قدم معه وليس أفضل أو أقدم منه، في فترات الضعف وعصور الظلام والديكتاتوريات التي حكمت مصر تحولت الكنيسة وأتباعها إلى دولة داخل الدولة، أصبح كبار رجال الكنيسة يتحدثون وكأنهم بمصر شعبين شعب الكنيسة وهم أتباع الكنيسة من المسيحيين وشعب آخر وهم المسلمون وغيرهم، وهذا لا يجوز حتى ولو على سبيل الكناية، الشعب هو شعب مصر، شعب واحد

لا تمييز له ولا تقسيم فيه والمسلمون هم شعب الكنيسة أيضًا كما أن المسيحيين هم داخل اهتمام ورعاية شيخ الجامع الأزهر ومساجدنا بيوتهم ومسكنهم، للبابا احترامه وللكنيسة حرمتها ومنعتها وحصانتها ولكن دون تقسيم أو تمييز أو عنصرية دينية، إن ما حدث في أعقاب ثورة ٢٥ يناير وتحكم الجهلاء سياسياً ودينياً في مفاصل الدولة السياسية والإعلامية أسهم في إزعاج قيادات الكنيسة وبالتالي إخواننا المسيحيين وضخم الإعلام من تصريحات جهلاء الدين وضعاف الوطنية والعقل وهو الأمر الذي كان أحد مبررات انقلاب ٣٠ يونيو ٢٠١٣ وأهم أسبابه حماية المجتمع من الحرب الأهلية، الكنائس للأسف تعاني كما المساجد أيضًا وبينما ارتفعت أسوار الكنائس لتعكس واقعاً خليطاً من العزلة والتفوق والانفصال كانت من نتيجته ازدياد في عنصرية بغیضة بين قطاعات عريضة من الأجيال الشابة وتحيزاً واضحاً نحو الالتفاف نحو الكنيسة وقياداتها كبديل منطقي وواقعي عن الالتفاف حول أحزاب وطنية وسياسيين أكفاء لديهم برامج وطنية تسعى لغد أفضل لكل مصر والمصريين، لقد وصل الأمر بالديكتاتورية ونظام الحكم الذي ورثناه عن عبد الناصر أن تجرأ السادات وسجن البابا السابق شنودة في فضيحة محلية وعالمية تعد دليلاً أن الديكتاتورية لا تعرف للناس أقدارهم ولا يوجد لديها خطوط حمراء حتى ولو حدوداً أخلاقية، نستطيع عن طريق الكنيسة القبطية أن نحقق نفوذاً عالمياً بإفريقيا وشرق أوروبا وآسيا والعالم أجمع، نستطيع بواسطة المكانة العالمية لكنيسة الاسكندرية ومؤسسة الأزهر أن نمتلك من القوة الناعمة ما تعجز عن تحقيقه عشرات البعثات الدبلوماسية، على الحكم في مصر أن يعلم أن الديمقراطية هي الأسلوب الأمثل لعلاج أية رخاوة في بنائنا الاجتماعي ونسيجنا الوطني، على المواطنين أن تكون أقسام الشرطة هي ملاذهم الحقيقي وبيوتهم التي يلجأون إليها وقت الشدة وعند الحاجة، من المفيد أن تقوم الكنائس والمساجد بأدوار اجتماعية وتعليمية وأن تقدم مساعداتها الإنسانية ولكن ليس بمعزل عن سلطة الدولة وخارج إطار المواطنة أو تحت مسميات تمييز ديني وطائفي، يجب أن يكون للدولة وجود على الأرض وأن يعلم المواطن أي كان دينه أن وطنه وحكومته موجودة وأن كنيسته أو مسجده يعمل تحت إشرافها ووفق قانون يحكم عمل الجميع دون تمييز وللصالح العام دون طائفية، إن أشد ما

يؤلمني عبارة شعب الكنيسة فهي تحمل بذور تمييز غير مقبول وطائفية لا يمكن قبولها، شيوع قيم الحرية والمساواة والعدالة كفيل بعلاج آثار سلبية عديدة تولدت عن سياسات غبية وقصيرة النظر حكمت سلوك قادتنا طيلة عشرات السنين.

القوة الناعمة

○ الخطة المصرية رؤية ٢٠٣٠

يقول ونستون تشرشل: (لو بدأنا معركة بين الماضي والحاضر فسنجد أننا خسرنا المستقبل).

عام ١٨٠٥ تولى حكم مصر محمد علي باشا الذي استوعب تاريخها وأدرك عظمتها وكان يحلم بمصر العظمى التي تنافس الدولة العثمانية ودول أوروبا الاستعمارية على القوة والتقدم والنمو الازدهار، كان يحلم باسترداد حدود مصر التاريخية منذ عصر تحتمس الثالث ورمسيس الثاني تمتد من شمال سوريا والعراق، مروراً بما يعرف اليوم لبنان والأردن وفلسطين شرقاً، وحتى برقة وبنى غازي وواحة الجغبوب غرباً وتشاد وغندا والسودان وأريتريا وجزء من هضبة الحبشة حيث منابع النيل الأزرق جنوباً، خاض «محمد علي» حروبه ضد الدولة العثمانية التي أذلها ابنه إبراهيم باشا وحقق وهو يشرف بقيادة الجيش المصري بطولات ضخمة في بيلين وقونية ونسيب مكنته في أقل من تسع سنوات من ضم مدينتي كوتاهية واطنة بهضبة الأناضول في قلب ما يعرف اليوم بتركيا إلى مصر بالإضافة إلى الشام كله بالإضافة إلى تكريت والساحل الغربي لما يعرف اليوم بالمملكة العربية السعودية، شاملاً مدينة الوجه وضبا ومكة والمدينة، بالإضافة إلى حدود مصر الغربية والجنوبية التي ذكرناها سابقاً، تلك حدود مصر وتلك أرضها، اليوم وأنا أقارن أحلام القادة الأتراك الواردة في رؤيتهم لتركيا ٢٠٢٣ - ٢٠٥٣ وبين أحلام القادة في مصر ورؤيتهم لمصر ٢٠٣٠ أبكي حزناً وكمداً، حتى في الأحلام، وكالعادة خلط أنصاف القادة وأنصاف الوطنيين وأنصاف المثقفين وأنصاف الموهوبين الذين وضعوا تلك الرؤية بين الخطط العامة للدول كحلم ورؤية وبين الخطط التنفيذية التي تعتمد على الواقع والإمكانات، حين تتحدث إلى أحدهم أن الأحلام بلا سقف وأن رؤى القادة والزعماء لا بد

أن تلهم الأمة لا تجد إلا كل جهل وغباء، حين تتكلم أن مصر كدولة وشعب تستحق أكثر من هذا بكثير لا تجد إلا كل تقريع وتسفيه، سوف أسرد فيما يلي ملخص خطة من يحكم مصر اليوم وطموحاتهم لمصر عام ٢٠٣٠ وأترك للقارئ مقارنتها بذكاء بما ذكرناه وأوردناه سابقًا من خطط مستقبلية لتركيا وإسرائيل وإيران والسعودية ولسوف يدرك كم هم متقدمون وكم نحن مبتلون بالفاشلين.

مبدئيًا نتحدث الرؤية عن ندرة الطاقة والأرض والمياه (الصفحة رقم ٤ بالمقدمة) وهذا غير صحيح مساحة تركيا أقل منا ب ٣٠% وعدد سكانها أقل منا ب ٣٠% أيضًا، ونتاجها القومي قدرنا ب ٣ أضعاف إذاً لسنا نعاني من قلة المساحة، كما أن إسرائيل تدير مواردها المائية ٧ أضعاف يعني لو استطاع الحكم في مصر تدير مواردها المائية مرة واحدة فقط والسيطرة على منظومة المياه بدولتنا المنكوبة بحكامها أصبح نصيب مصر من المياه ١٢٠ مليار متر مكعب وليس ٥٥ أو ٦٠ مليار وبهذا فقياسًا بدول الجوار ذات الحكم الرشيد لسنا نعاني أبدًا من ندرة المياه، كما أن مواردها من الطاقة الشمسية وطاقة الرياح كفيلة بجعلنا دولة مصدرة للطاقة وليس دولة تعاني من نقص فيها كما ورد بالرؤية التي كتبها عديمو الرؤية والموهبة.

أيضًا نتحدث الرؤية وكما ورد بالمقدمة الصفحة ٦ عن أن إعداد الرؤية استغرق عامين بداية من ٢٠١٤ وشارك في إعدادها كافة أجهزة الدولة، وكما بينا للقارئ أن البرامج الاستراتيجية الكبرى للدول ومن فرط أهميتها يضعها خبراء محليون وأجانب وتضم عقولاً ومواهب نادرة مشهود لها بالعبقرية لا أعتقد أنها تتوافر حالياً بالجهاز الإداري للدولة المصرية، إذا كانت إسرائيل وهي دولة وحكومة عصرية متقدمة استعانت في إعداد رؤيتها بخبراء غربيين أجانب فهل يعقل أو يستقيم أن لا تستعين الحكومة المصرية بالمعلوم عنها عدم الكفاءة بخبراء أجانب في تحديد مستقبلها وبلورة أحلامها، ثم إذا كان واضعو الرؤية وكما ورد بالصفحة الخامسة بالمقدمة قد درسوا تجارب دول العالم شرقًا وغربًا وأضافوا لها عددًا من الهيئات الدولية مثل البنك الدولي والأمم المتحدة فلا أعتقد أبدًا أن تلك المشاركات لا تتعدى ذر الرمال بالعيون ومن وضع تلك الرؤية هم بعض انصاف المتعلمين المتعاونين مع الأجهزة الأمنية النافذة بالدولة ليس أكثر، كما

أن ورش العمل التي تحدث عنها أصحاب تلك الرؤية والتي ضمت كما ورد أصحاب المصالح وجماعات المجتمع المدني هي أيضًا لم تخرج عن اجتماعات وورش عمل ضمت في غالبيتها المتعاونين مع أجهزة الدولة الأمنية، حيث وكما هو معلوم غالب منظمات المجتمع المدني ومنها النقابات وغرف التجارة والصناعة تحت المراقبة بل والسيطرة الكاملة من الأجهزة الأمنية يعني الحكومة العاجزة تحاور منظمات عاجزة أيضًا وكلاهما لا يجرؤ على الخروج خارج أطر السياسات الداخلية والخارجية المدمرة والموضوعة بمعرفة الديكتاتور السابق جمال عبد الناصر وسار على نهجه من خلفوه وحتى اليوم.

في بداية الرؤية حدد صانعوها ثلاثة أهداف رئيسة كبرى (من وجهة نظرهم) يجب أن تتحقق بحلول عام ٢٠٣٠ وهي :-

- ١- أن تكون مصر بحلول عام ٢٠٣٠ ذات اقتصاد تنافسي ومتنوع يعتمد على الابتكار والمعرفة
 - ٢- استثمار عبقرية المكان والانسان للارتقاء بجودة حياة المصريين .
 - ٣- أن تكون مصر ضمن افضل ٣٠ دولة على مستوى العالم من حيث متوسطات التنمية الاقتصادية ومكافحة الفساد والتنمية البشرية وتنافسية الأسواق وجودة الحياة .
- لن نتناقش في كلام الإنشاء الكبير الذي تعمل الدولة بكامل أجهزتها عكسه تماما .

وضع أصحاب تلك الرؤية عشرة محاور يجب العمل عليها للوصول إلى الثلاثة أهداف السابقة وهي :-

- ١- محور التنمية الاقتصادية .
- ٢- محور الطاقة .
- ٣- محور الابتكار والبحث العلمي .
- ٤- محور الشفافية وكفاءة المؤسسات الحكومية مكافحة الفساد .
- ٥- محور العدالة الاجتماعية .
- ٦- محور التعليم والتدريب .

٧- محور الصحة .

٨- محور الثقافة .

٩- محور البنية التحتية والعمرانية .

١٠- محور السياسة الداخلية والخارجية والأمن القومي .

أولاً، ترتيب أولويات الحكم لم يتغير منذ ثورة ١٩٥٢، وكأنه لم يكف أكثر من ٦٥ عاماً من الخراب والتراجع في كل شيء لكي يغير من هم بالحكم اليوم أولوياتهم، السياسة الداخلية والخارجية آخر محور من محاور التنمية بينما الاقتصاد على رأس المحاور وأولها وهذا غير صحيح وغير عملي وثبت فشله، لن ننجح في أي محور من المحاور السابقة إلا بالتغيير السياسي والقضائي وتغيير السياسات الداخلية واحترام حقوق المواطن، يستحيل أن نتقدم والحكم لدينا وتحت حجج وهمية منها الأمن القومي ينتهج سياسات قمعية ضد معارضيه ويعتمد الديكتاتورية منهجاً للحكم يغلفه ببعض المؤسسات الديكورية لزوم خداع الداخل والخارج، يستحيل مع القمع والديكتاتورية تحقيق الشفافية وتحسين مؤسسات الحكومة ومكافحة الفساد، هل يمكن لوالد أن يقنع ابنه بالتوقف عن تناول البانجو والترامدول وهو مدمن للهروين؟ في الصفحة الثانية عشرة من المقدمة تحدث واضعو الرؤية عن ما تناولناه سابقاً ولكن من منطلق كلام الإنشاء الذي لم تتقدم الحكومة نحوه بجدية ولا يبدو في الأفق أي نية لكي يتخلى من الحكم عن أنانيتهم في البقاء بالحكم مدى الحياة، في الصفحة الثانية عشر من المقدمة يقر واضعوها أن خطة تمويل الرؤية تعتمد على وجود مؤسسات قوية تحظى بثقة المستثمرين، فهل لدينا مؤسسات قوية تحظى حتى بثقة مستثمرينا المحليين؟!

ثانياً، إذا كان واضعو تلك الرؤية وفي الهدف القومي الثالث يقصدون أن يكون ترتيب الاقتصاد المصري عالمياً في المرتبة ٣٠ في جزء من هدفهم، فالحقيقة أن اقتصادنا الحقيقي اليوم ونحن في عام ٢٠١٦ هو في المرتبة ٣٠ أو أقل لو أضفنا الاقتصاد الرسمي أو الموازي الذي تطرقنا إليه سابقاً، الآن وبعد ١٤ عاماً من اليوم ماذا ستفعل الحكومات المصرية؟ أعتقد أنها ستستفرغ لإصدار قرارات ثم إلغاؤها صباح اليوم التالي، كما حدث بقرار الحكومة بشأن

إلغاء الجمارك على الدواجن المستوردة صباح يوم السبت ٣ ديسمبر ثم قامت
بإلغائه صباح الأحد ٤ ديسمبر ٢٠١٦!

لن أتطرق إلى تفاصيل الرؤية فالحكومة ومن يمسك بتقاليد الوطن وكما
ورد بالرؤية يعلمون جيداً مشكلات وطننا بمختلف المحاور السياسية والاقتصادية
والاجتماعية، بل ولديهم من البيانات والإحصائيات ما يكفي لكي يعلمون جيداً
مدى الكارثة التي نحن فيها اليوم ونسير فيها بالغد وحجم معاناة شعبنا الذي يقبع
أكثر من ربعه تحت خط الفقر، ولكن حين نأتي لتحديد الدواء وخطط العلاج،
والتي بالتأكيد من ضمنها تغيير سياسات الحكم واستبعاد أشخاص بعينهم قابعين
بأركانها تآبى أنانيتهم أن تتغلب على وطنيتهم وأن يكون استبعادهم عن أركان
الحكم ثمناً لنهضة أو بداية للإصلاح، تماماً كما يحدث دائماً ومنذ خمسينات
القرن الماضي يتحدث حكامنا أمام أفراد شعبنا وأمام العالم حديث الوطني
الزاهد بالحكم بينما الأفعال تخبرنا بأشخاص نهمين للسلطة تتضاءل وطنيتهم أمام
أنانيتهم وشغفهم للسلطة والقوة المادية والمعنوية، هل انزعج جمال عبد الناصر
من هول هزيمة ١٩٦٧؟ لا لم يحدث بل استمر على نفس المنهج ونفس
السياسات، ومات وهو على رأس الحكم يسهم بعلمه المحدود وسياساته الخاطئة
في إضعاف الوطن وتبديد موارده، ودعم إنصاف الموهوبين وعملاء الأجهزة
الأمنية لتقلد المناصب الرفيعة بالدولة. في إبريل من عام ١٩٦٨ أعلن الزعيم
الفرنسي شارل ديغول (١٨٩٠-١٩٧٠) مؤسس الجمهورية الفرنسية الخامسة وبطل
استقلالها ومقاومتها للنازية بالحرب العالمية الثانية) استقالته من منصبه كرئيس
للدولة، كان السبب ليس هزيمة فرنسا في حرب، ولا خسارة جيشها ٩٠% من
عتاده واسلحته، ولا ٢٥ مليار دولار خسرها الفرنسيين دمرت اقتصادهم الذي
بنوه في عشرات السنين، ولا فقد ٧% من مساحة فرنسا بل لأن نتيجة الاستفتاء
الذي دعا إليه الفرنسيين لتأييد تحول الدولة إلى لا مركزية الحكم جاءت بتأييد
برنامجه بنسبة أغلبية ضئيلة، فاعتبر هذا مؤشراً على انخفاض شعبيته لدى
الفرنسيين فاحترم نفسه وتاريخه ووطنيته فاستقال مفسحاً المجال لقادة آخرين قد
يكون لديهم تاييدا أكثر بالشارع، هل انزعج السادات وآلمته وطنيته وهو يرى
شوارع العاصمة تغرق بمياه المجاري ويعاني شعبه من أزمات في كل شيء،

وانهيار البنية التحتية، وانتشار الفساد نتيجة سياساته وسياسات من سبقه؟ بالتأكيد لا، ومات وهو قابع بالسلطة، يحكم بمنطق شيوخ القبائل وزعماء العشائر وليس رئيس دولة والأهم رئيس مصر، هل انزعج حسنى مبارك وقد أمضى أكثر من ٣٠ عامًا يتفرج على التقدم العلمي والعسكري والتعليمي والإنجازات القومية الحاصلة بتركيا وإيران وإسرائيل بل والسعودية والإمارات؟ الاجابة لا، ولم يترك الحكم إلا بعد أن تخلى عنه الجيش وانهارت وزارة الداخلية، والأمر نفسه ينطبق عليه. الخلاصة وكالعادة رؤية مصر ٢٠٣٠ ديكور مثلها مثل الديكورات الأخرى، كالبرلمان، والنقابات العمالية، وغرف التجارة، والسلطة القضائية، والدستور المقصود بها تضليل الداخل وخداع الخارج والمحصلة تدهور حاصل بجميع المجالات ومعانات لشعب ودولة كانا يستحقان أفضل من هذا بكثير، ختامًا أذكر للقارئ أن بالصفحة التاسعة من برنامج الرؤية الاقتصادية (الديكور) وضعت الدولة هدفًا أن تكون ضريبة القيمة المضافة ١٠% وبعد أقل ستة أشهر من اعتماد وإعلان الرؤية قدمت نفس الدولة للبرلمان (الديكور) مشروع قانون يصل بالنسبة إلى ١٤% ووافق البرلمان (الديكور) بأغلبية على القانون، وصدق عليه رئيس الدولة ولم يكلف أحد ممن بالحكم نفسه أن يتساءل أليست الرؤية حاكمة لأجهزة الدولة ومنها الحكومة؟ كيف أن نشق برؤية الدولة وقد تغيرت مؤشراتنا وأهدافها ولم يمر على إصدارها ستة أشهر؟ نكتة أليس كذلك؟ ولكن للأسف تلك حقيقة.

مخاطر الأمن القومي المصري

الآن وقد استعرضنا عناصر القوة لأهم دول الإقليم وأصبح لدى القارئ صورة أتمنى أن تكون واضحة عما يجرى بالواقع خارج أوهام إعلام تحت السيطرة وخطب رنانة يلقيها علينا حكامنا، يمكننا أن نختم الجزء الأول من كتابنا بملخص يتناول أهم التحديات والمخاطر التي تواجهنا كامة بمختلف المجالات، وما يمكن أن نسفيه بخارطة الطريق التي يمكن من خلالها التغلب على تحديات واقعنا وتحقيق آمال مستقبلنا والتي سيكون مواجهتها والتغلب عليها تفصيلا موضوع الجزء الثاني من هذا الكتاب.

○ المخاطر العسكرية

في أكتوبر ٢٠١٧ أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية وتبعتها إسرائيل انسحابهم من منظمة الأمم المتحدة للعلوم والثقافة والتربية والمعروفة باليونسكو^(١)، معنى الانسحاب أنهما لم يعودا ملتزمين بالقانون الدولي الذي ينظم علاقات الدول المنضوية تحت لواء تلك المنظمة العالمية، السؤال الآن ماذا لو انسحبت كلا الدولتين أو غيرهما من منظمة الأمم المتحدة نفسها؟ الإجابة سقوط النظام القانوني العالمي الحالي، في تلك اللحظة لن يجد وزير خارجيتنا سامح شكرى ما يصدق به أمام إثيوبيا مثلا وقبلها إسرائيل وحديثا قطر محاضرا عن الشرعية الدولية وميثاق الأمم المتحدة، وغيرها من العبارات الإنشائية التي لم يحترمها دوما إلا الضعفاء، سيسود قانون الغاب، أي أن الدول القوية ستعود كما كانت دولا مستعمرة تسيطر على الدول الضعيفة سعياً وراء الموارد والأسواق وقبل كل شيء الأرض والممرات الاستراتيجية. في مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ وقف زعيم الهند نهرو متهمكا على جمال عبد الناصر وغيره من قادة الدول الإفريقية حديثة الاستقلال بشأن تكرارهم كلمة الاستقلال عشرات المرات في خطبهم، قائلا وموجها حديثه لهم أنتم لم تستقلوا بعد. لقد وقعت الدول الكبرى معكم قصاصة ورق اسموها معاهدة الاستقلال وأعطوكم قطعة قماش اسميتها علمها، بينما الفقر والجهل والمرض يرتع في بلادكم، حين يأتي اليوم الذي تقضون فيه على ذلك الثالوث الذي وطنه فيكم المستعمر متعمدا، يومها وحينئذ فقط يمكن أن تتحدثوا عن الاستقلال. أضحك كثيرا حين أرى الأفلام الدعائية التي تنتجها إدارة الشؤون المعنوية بالقوات المسلحة، وهي تبرز لنا لقطات من تدريبات قوات الصاعقة والمظلات المصرية ومدى جاهزيتها وحفلات التخرج لأولادنا من الكليات العسكرية ويبدو لنا أبنائنا في جهوزية عالية لأداء واجبهم المقدس في الدفاع عن سيادتنا وأمننا وكاننا دولة تعرف كيف تحمي استقلالها، بينما بوتين يتحدث في أكتوبر عام ٢٠١٧ عن استخدام الهندسة الوراثية في نتاج عشرات الألوف من المحاربين بصفات جسمانية وعقلية خارقة منها عدم الشعور

(١) في ديسمبر ٢٠١٧ أعلنت أمريكا أيضًا انسحابها من ميثاق الأمم المتحدة للهجرة لأنه وحسب إعلانها لا يتناسب وبرنامج رئيسها دونالد ترامب.

بالتعب والخوف، التردد، الجوع وغيرها من العلامات البدنية والنفسية التي كانت في الماضي وحتى اليوم تمثل الفروق النسبية التي تميز بها الجيوش، ويؤكد أن هذا الإنجاز بات وشيكا ويطلب ببحث التبعات الأخلاقية والقانونية بل والسياسية المترتبة على هذه الثورة والحقبة الجديدة من تاريخ البشر، قريبا سوف تختفى الميزة النسبية للجندي والضابط المصري أمام باقي أقرناه.

في عام ١٩٧٦ قام رئيس وزراء باكستان ذو الفقار علي بوتو باتخاذ قرار سياسي ببدء البرنامج النووي الباكستاني قائلا لو أكلنا العشب سوف نكمل برنامجنا النووي ونصون استقلالنا، جاء هذا ردا على اتهامات المعارضة له بتبديد موارد البلاد واستحالة تحقيق هذا الإنجاز الوطني الهام في حين تستورد باكستان حينها كل احتياجاتها حتى إبر الحياكة.

أى حديث عن قدرات عسكرية تصون الاستقلال وتحفظ الأمن القومي سيكون غير مجديا بدون قدرات استراتيجية نووية ثابتة ومتحركة، بعد إسقاط القنبلتين النوويتين على هيروشيما وناجازاكي وما تلاهما من استسلام الإمبراطور الياباني، لم تعد للأسلحة التقليدية أي معيار أو قيمة استراتيجية يمكن الاعتماد عليها عند احتساب القدرات الحقيقية للجيوش، منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية أصبح لزاما على الجيوش امتلاك الأسلحة التقليدية كاسلحة تكتيكية لافتتاحيات الحروب وأيضا الأسلحة الاستراتيجية كاسلحة دمار شامل تنتهي بها الحروب وسلاح ردع.

لهذا فإن أكبر تهديد عسكري للأمن القومي المصري هو غياب قدراتنا النووية ووسائل إطلاقها كالصواريخ الاستراتيجية والغواصات، أي ما تكون في مخيلة المخطط العسكري المصري من خطط لمواجهة افتقادنا تلك القدرات سيكون محض محاولات بائسة لن تصمد طويلا في ساحات المعارك الحقيقية. الأسلحة الكيميائية أو البيولوجية لا يمكن أن تحل محل الأسلحة النووية في قوة تدميرها وتأثيرها الطويل، وقد تخلت غالب دول العالم الكبرى عنها ودمرتها طواعية.

أيضا من المخاطر العسكرية هو اتساع الهوة الحالية بيننا وبين أهم دول الإقليم في فرق الحرب الإلكترونية

نحن في حاجة إلى إعداد تلك الفرق وبسرعة، لقد بينا من قبل أن إيران وإسرائيل كم هما متميزين في هذا المجال الاستراتيجي الهام.

أخيراً من المخاطر العسكرية على أمننا القومي هو نسبة تصنيع احتياجاتنا من الأسلحة الثقيلة والاستراتيجية، نحن الآن لدينا نواة جيدة لصناعات حربية عالية المستوى ومتقدمة، ولكننا نحتاج إلى قرار سياسي وبرنامج قومي بخطت زمنية سريعة لتحقيق نسبة تزيد على الـ ٩٠% من احتياجات جيشنا من الأسلحة الرئيسية الثقيلة والتجهيزات.

امتلاك إسرائيل وإيران وتركيا أسلحة نووية وبرامج صاروخية استراتيجية متطورة وبرامج فضائية وأقمار صناعية دقيقة يجعل الهوية بيننا وبينهم كبيرة، وهو أمر يدعو إلى بالغ القلق ومن العار السكوت عليه.

○ المخاطر الاقتصادية

- ١- تواضع الحجم الكلي للاقتصاد مقارنة بالحجم الكلي لاقتصاديات الدول الأخرى المنافسة وخططها المستقبلية لمضاعفة هذه الاقتصاديات، لهذا علينا مراجعة أهدافنا الاقتصادية الواردة في الخطة الاستراتيجية العامة للدولة ٢٠٣٠ آخذين في الاعتبار خطط وأهداف الدول الأخرى.
- ٢- الفجوة التجارية، أي الفرق بين إجمالي الصادرات وإجمالي الواردات، للأسف تلك الفجوة ومنذ عشرات السنين بالسالب، تلجأ الحكومات المتعاقبة إلى الاقتراض واللجوء إلى المساعدات الدولية والتي تقدم أمامها تنازلات سياسية وفي أحيان أخرى عسكرية واقتصادية للدول المانحة، علينا وضع خطط وبرامج لمعالجة هذا الوضع جذريا وخلال فترة زمنية قصيرة.
- ٣- الفجوة الاستثمارية وهي الفرق بين إجمالي رءوس الأموال المطلوبة والضرورية لتحقيق معدلات نمو مناسبة لتخفيض معدلات البطالة، وكبح جماح التضخم وتقليل عجز الموازنة والادخار القومي، وهي فجوة نحتاج فيها إلى تشجيع الاستثمارات الأجنبية، التي من شروط تدفقها لأي بلد.

١- النظام Deciplin . ٢- الأمن Security .

٣- السيطرة على الجريمة Crims Control .

- ٤- حل الخلافات المدنية.
 - ٥- عدم لجوء المواطنين للعنف.
 - ٦- نظام العدالة الجنائية.
 - ٧- فعالية نظام المنشآت العقابية واحية.
 - ٨- نفاذ القانون.
 - ٩- سلوك ضباط الشرطة وتصرفاتهم وفق القانون.
 - ١٠- ضوابط السلطة التنفيذية وشفافية أعمالها ورقابة البرلمان.
 - ١١- الحقوق الأساسية للمواطنين ومدى تحقيق العدالة المدنية.
- تلك حزمة متكاملة حين تتحقق فيمكن عندها أن نتحدث بجدية عن تدفق استثمارات أجنبية حقيقية، أما البديل الآخر فهو الاقتراض وهو ما تفعله الدولة حاليًا وسيدفع ثمنه الأجيال القادمة.
- في تقرير لمنظمة Bloomberg Business تنبأت المنظمة وهي من الثقات في مجال الاقتصاد بأن أهم ٢٠ اقتصادًا بالعالم في العام ٢٠٣٠ سيكون كالتالي :-

الترتيب	اسم الدولة	حجم الناتج القومي بالتريليون دولار
١	الولايات المتحدة الأمريكية	٢٤.٨
٢	الصين	٢٢.٢
٣	الهند	٦.٦
٤	اليابان	٦.٤
٥	ألمانيا	٤.٥
٦	البرازيل	٤
٧	المملكة المتحدة	٣.٦
٨	فرنسا	٣.٣
٩	كندا	٢.٦
١٠	روسيا	٢.٤

١١	إيطاليا	٢.٣
١٢	المكسيك	٢.٣
١٣	أندونيسيا	٢.١
١٤	أستراليا	١.٩
١٥	كوريا الجنوبية	١.٩
١٦	إسبانيا	١.٨
١٧	تركيا	١.٦
١٨	السعودية	١.٣
١٩	نيجيريا	١
٢٠	هولندا	١

التقرير لم يتضمن إسرائيل التي رغم أن اقتصادها كحجم ليس ضمن أهم عشرين اقتصاداً إلا أنه يقع ضمن الاقتصاديات المتطورة، والتي تضمن من خلاله تمويلاً جيداً لعناصر قوتها الشاملة، كما لم يتضمن التقرير إيران على الرغم من أنه وعلى رأس ألبوماتها أن تدخل ضمن نادي العشرين الكبار بسبب ضعف معدلات النمو المطلوبة لتحقيق هذا الهدف والتشكك الحقيقي في بلوغه في ظل معدلات النمو والاستثمارات الحالية، وتبقى مصر تغرد خارج السرب بلا أي أمل أو خطط حقيقية تجعلنا نطمح في دخول نادي العشرين الكبار. لا أعلم ما الذي ينقصنا حتى نقود تحولاً ضخماً على أرضنا بهدف تحقيق حلم الولايات المتحدة العربية تكون القاهرة هي عاصمته ومصر العظمى قلبه ودرعه وسيفه؟

○ المخاطر الاجتماعية والسياسية والبيئية.

- ١- الأمية.
- ٢- نسبة الفقر.
- ٣- تلوث البيئة.

- ٤- البطالة.
 - ٥- التطرف الديني.
 - ٦- الفتنة الطائفية.
 - ٧- الممارسات القمعية للأجهزة السيادية والأمنية.
 - ٨- ضعف الأحزاب وغياب حياة سياسية طبيعية.
 - ٩- ضعف مخرجات التعليم بكل مراحلها.
 - ١٠- غياب البحث العلمي المرتبط بالمشاكل الحقيقية التي يواجهها المجتمع وعدم ربطه بالخطط العامة للدولة والخطة الاستراتيجية ٢٠٣٠.
 - ١١- تدهور المرافق الصحية وعدم كفاءتها.
 - ١٢- غياب البنية التحتية الضرورية عن قطاع كبير من المواطنين يعانون من ندرة مياه الشرب الصحية ومرافق الصرف الصحي والملاجئ وانقطاع الكهرباء لأو عدم وجودها اصلا.
- الحديث عن تلك المخاطر السابقة يطول وسوف نتناوله بالتفصيل في الجزء الثاني من الكتاب والذي سيتناول خطط مقترحة وبرامج تفصيلية وأولويات نعتقد أنها كفيلة لتحقيق ما نحلّم به وهو البعث من جديد.

خارطة طريق نحو تحقيق مشروع نهضة مصر العظمى Road Map

الآن وبعد أن تناولنا عناصر القدرة الشاملة للأمة المصرية وباقي الأمم بالإقليم، وبعد أن أوضحنا وباختصار شديد المخاطر المتوقعة على أمننا القومي، يبقى بالإضافة إلى الثمانية عناصر التي حددناها والتي تتشكل منها قدرات الدول يتبقى عنصر أخير مهم هو عنصر الإدارة، إدارة الدولة هي بمثابة الروح في جسد الدولة، لا فائدة للجسد بلا روح ولا أثر للروح بلا جسد يحتويها، الإدارة هي مجموعة من القيم والاستراتيجيات والسياسات والتكتيكات والقوانين تقود كافة أنشطة الدولة وعناصر قوتها نحو تحقيق الأهداف القومية العليا، التي تضعها النخبة السياسية للدولة. فيما يلي خارطة طريق لبرنامج ضخم للإصلاح السياسي والاقتصادي والتشريعي، تمثل الأساس للبعث من جديد،

الأهداف القومية الرئيسية

إن الأمم في نهضتها يجب أن يكون لديها هدف أو عدة أهداف سامية تتطلع إليها وتتخذ كافة السبل وتسخر كل الامكانيات لبلوغها. وأية خطة قومية لأية دولة أو جماعة يجب أن يكون لديها هذا الهدف أو عدة أهداف ومن وجهة نظري فإن أهم الأهداف السامية للأمة المصرية في المرحلة الحالية وعلى المدى البعيد والتي أعتقد تحديدا خلال فترة يجب أن لا تزيد عن عشرين عاماً:

- ١- أن تمتلك مصر نظاما سياسيا ديموقراطيا حديثا، يضمن الحرية والعدل والمساواة لكافة المواطنين، ويصون الحريات ويؤسس لدولة القانون ويحمي الأموال والأعراض، ويضمن استقلال وكفاءة القضاء وسرعة التقاضي ونزاهة القضاة وديموقراطية ودقة وسلامة القرارات السياسية وبما يحمي المجتمع وبناء الدولة من التفكك أو الصراع أو الطائفية، ويضمن نزاهة الانتخابات وتحقيق إرادة الأمة. إن اليوم الذي تمتلك فيه مصر هذا النظام ويشهد له العالم بالحدثة والتوازن بين السلطات والتقدم فإننا لن نكون قد أمنا الموارد المالية والبشرية والعلمية اللازمة والمطلوبة لنهضتنا وقطعنا شوطا طويلا في طرق تقدمنا نحو الريادة الاقليمية والعربية والإسلامية والإفريقية وأن نؤمن لمصر مكانة متقدمة بين دول العالم أجمع. ومن وجهة نظري أعتقد أن الدستور الألماني أكثر الدساتير التي يمكن أن تتفاعل مع التحديات المستقبلية للأمة وأهمها التأسيس للحكم المحلي والتخلص من مركزية الإدارة ويستجيب الى آمالنا الواسعة في دولة مدنية عصرية.
- ٢- أن تكون القاهرة عاصمة اقتصادية للشرق الأوسط ككل وأن تكون مصر واحة الاستثمار، والدولة الأولى الجاذبة للاستثمارات طويلة ومتوسطة وقصيرة المدى بالمنطقة وفي سبيل تحقيق هذا الهدف فإنني أعتقد أننا يمكن وبسهولة أن نضاعف الناتج القومي الإجمالي المصري ثلاث مرات في فترة لا تزيد عن عشرة سنوات وأن نضاعفه من سبعة إلى عشرة مرات في غضون عشرين عاما من الآن. تلك الأهداف ليست ترفا بل هي الأرقام المنطقية المناسبة حتى نعوض ما فات، وأن نضمن لوطننا وشعبنا ما يستحقه من حياة كريمة ومكانة بين الأمم العظيمة.

٣- كما أنه ومن الأهداف السامية للأمة أن تمتلك مصر جيشا حديثا مدربا تدريبيا عاليا يركز على عقيدة واضحة وطموحة وقيادة وإدارة منظمة وقاعدة تصنيعية واسعة ومتقدمة، ومراكز أبحاث متفوقة وبرامج تسليح عالية التكنولوجيا تلبي حاجتنا المتنوعة، وبخاصة في تكنولوجيا الدفاع الجوي والحرب الإلكترونية والقوات البحرية وغيرها من فروع العلم العسكري، وأن لا ننسى دعم أكاديمية ناصر العليا لتكون من أرقى معاهد العلم والبحوث العسكرية، وأن يدعم هذا الجيش ومؤسساته علاقات سياسية واستخباراتية متميزة وفوق العادة مع الدول الكبرى.

٤- أن تمتلك مصر نظاما تعليميا متفوقا يراعي قيم المجتمع وثوابته الدينية والثقافية واللغوية، ويحقق التفوق النوعي للثروة البشرية المصرية عن باقي الأمم الأخرى ويغذي الأمة المصرية بالموهب والعقول الفذة في كافة مجالات العلم والادارة والطب والهندسة والتخطيط الاستراتيجي وغيرها من فروع العلم التطبيقي والثقافة وعلوم الإنسانيات. يبث القيم الدينية الإنسانية الرفيعة في عقول ووجدان أطفالنا وأولادنا وشبابنا يجعلهم منفتحين على باقي الأمم الأخرى والثقافات والحضارات دون تفریط في ثوابتنا الدينية أو الحضارية، ودون طمس لهويتنا المصرية الإسلامية العربية وتاريخ الكنيسة القبطية المصرية العريق، متمسكين بقيم تعلموا من العلم والثقافة والإبداع والعمل الشريف والتعايش السلمي بين الأمم وتكامل الحضارات وليس التصارع بينها، وتتمسك بقيم الحرية والعدل والمساواة واحترام الحريات العامة والخاصة، وأن يكون هذا النظام ملبيا لحاجات المجتمع من الموارد البشرية اللازمة لتقدمه ورفعته وكافلا الحياة الكريمة وسيادة القانون والحرية لكافة أبناء الأمة. وأن تخضع جميع مؤسسات الدولة التعليمية لرقابة صارمة لضمان جودة العملية التعليمية بكل عناصرها، وتوافقها مع أرقى المعايير الدولية من حيث تفوق العامل البشري واحترافه وتهيئة بيئة حاضنة ومتطورة.

٥- أن تمتلك مصر القوة الناعمة الأولى عربيا وأفريقيا وإسلاميا عن طريق دعم مكانة الأزهر الشريف والكنيسة القبطية محليا وعالميا، وأن يتم توفير الدعم

التشريعي والمادي لإنطلاق صناعة السينما والمسرح من جديد، وأن تعود لسابق عهدها هوليدود الشرق وتشجيع ودعم وحماية ورعاية المواهب المصرية في الشعر، والكتابة المسرحية، والسينمائية، والقصصية، والفنون التشكيلية، وكافة مجالات الثقافة، والإعلام الأخرى، وأهمها القنوات الفضائية الإخبارية وقنوات الدراما والقنوات المتخصصة الأخرى.

٦- أن تمتلك مصر منظومة أمنية داخلية تمثل نواة هامة وأساس متين لحماية الدولة داخليا وخارجيا، ويجب أن تدعم من الآن وأن يعاد هيكله جهاز الأمن القومي ووزارة الداخلية بكامل أجهزتهم وفروعهم، بما يتضمنه هذا من دعم مادي وبشري بالكفاءات والمواهب، وتحديث في الهياكل الإدارية والوظيفية، وتحديث طرق العمل والتخاطب والاتصال داخل تلك الأجهزة، ومع باقي أجهزة ومؤسسات الدولة، واستبعاد العناصر المشكوك في كفاءتها المهنية وولائها لقيم الثورة وانتصارها للقيم الانسانية والدينية الرفيعة، مع التأكيد على ضرورة التدريب والارتقاء بالمستويات المهارية لأعضاء تلك الأنظمة الأمنية ومطابقتها لمعايير تقييم الأداء الدولية في المؤسسات الشبيهة بالدول الكبرى.

إن المكانة المرموقة التي ننشدها للأمة المصرية في الخريطة العالمية والتي تستحقها بعد ثورة ٢٥ يناير نتيجة تضحيات وكفاح الآلاف من أبنائها، يجب أن يدعمها اقتصاد قوي ومتين، ولا يخفى على أحد أن القوة الاقتصادية عنصر محوري ورئيس من عناصر القوة الشاملة لأية دولة أو قومية، لهذا فان هدف التفوق الاقتصادي والتمكين لمصر بالتحكم في اقتصاد المنطقة ككل هو ضمانه راسخة للأمن القومي المصري وضمانه مستحقة لحياة كريمة لعموم شعبنا الكريم ومستقبله الزاهر بإذن الله.

محاور تحقيق الأهداف القومية

من هذا المنطلق وبناء على ما سبق فإنني أحب أن أؤكد على النقاط الهامة التالية التي يجب أن تتوافر في أية خطة قومية حالية أو مستقبلية للوصول إلى الأهداف السابقة.

١- الدستور

الدستور هو الترجمة العصرية للعقد الاجتماعي. هو الذي يضمن ويحدد ويشكل كافة مظاهر الحياة فوق أرض الوطن. بقدر ما نمتلك دستوراً مدنياً ديمقراطياً يراعي قيمنا الدينية الأساسية ويؤكد على احترام القيم الإنسانية الرفيعة، ويصون حقوق الإنسان ويحفظ الدم والمال والعرض؛ يؤكد على شفافية السلطات الحكومية وديمقراطية وقانونية أعمالها ويحارب الفساد السياسي والإداري، والاقتصادي، ويحمي حقوق الأفراد كافة دون تمييز ديني أو عرقي أو طائفي بقدر ما نؤسس بنیان نهضتنا على أسس سليمة. يجب أن يؤكد دستورنا على ما يلي:-

- ١- كرامة الإنسان والتزام سلطات الدولة بالحقوق الأساسية الشخصية للفرد، بما يحفظ كرامته وشئونه الشخصية وحرية العقيدة، والتعبير عن الرأي طالما لم تتعارض مع الدستور والأعراف والتقاليد التي يحددها القضاء.
- ٢- المساواة بين الرجال والنساء وحظر التمييز في الوظائف الحكومية أو الخاصة.
- ٣- حرية الرأي والإعلام والفن والعلم والتجمع والتظاهر.
- ٤- سرية الرسائل البريدية وما شابه وحرمة التجسس أو التصنت على الاتصالات الهاتفية دون أسباب قانونية وبعد موافقة النائب العام لمدة قصيرة بعدها يحتاج الأمر إلى موافقة قاضي.
- ٥- حرية التنقل ومزاولة الأعمال طالما كانت قانونية مع تجريم العمل القسري.
- ٦- احترام حرمة السكن واحترام الملكيات الخاصة المادية أو المعنوية وحظر التأميم.
- ٧- الرقابة على سلطات الدولة بكل شفافية، وتقاسم الصلاحيات بين الحكومة المركزية وسلطات الأقاليم والمحافظات، وضمان حق الحكم المحلي لكافة مناطق القطر المصري.
- ٨- تحمل المسؤولية عند الإخلال بالواجب الوظيفي العام، ومنها المسؤولية السياسية ومراقبة أداء المؤسسات الحكومية العامة، بما لا يخل بالأمن القومي والسلم الاجتماعي والوضع الاقتصادي.

٩- حظر التحضير لحرب هجومية، والرقابة على الأسلحة الحربية، وقواعد إدارة الدولة في أوقات الحرب أو الكوارث القومية، مع التأكيد على العقيدة الهجومية للجيش المصري والتأكيد على احترام الميثاق والعهد الدولي والتعايش السلمي بين الدول والقيام بدور فاعل في حفظ السلم والأمن العالمي.

١٠- توزيع المسؤوليات وسلطات الدولة، بما يضمن حسن سير العمل التنفيذي والتشريعي والقضائي ويضمن الأمن القومي المصري بكل عناصره.

٢- التخطيط الشامل

إن الخطة الرئيسية يجب أن يكون محتواها الأهم تخطيط الأماكن الحضارية، وبالأخص المدن والقضاءات، وخصوصا العاصمة، تخطيطًا عصريًا يُراعى فيه تحديد الاتجاهات الرئيسية في التوسع والنمو السكني والصناعي والزراعي والتجاري والخدمي آخذًا في الاعتبار مناطق تمركز الثروات الطبيعية والخدمية، والمظهر الجمالي والحضاري، وأن يراعى في هذا التخطيط وجود أدوات حكومية فاعلة ومدربة وحديثة تضمن تنفيذه، وتمنع أية تجاوزات تخرج عن نطاقه وتتأكد من سرعة ودقة تنفيذه في كافة أرجاء الوطن. ولا مانع من أن نوكل لأحد المكاتب الاستشارية الدولية ذات السمعة الطيبة في هذا المجال مهمة وضع هذا المخطط بكل تفاصيله. إن التخطيط العصري لكافة مظاهر العمران يؤكد للمستثمرين قدرة الإدارة الحكومية على التخطيط والتنفيذ والإبداع.

٣- تطوير وتحديث الهيكل الإداري للدولة

إنه وبعد اعتماد المخطط الإقليمي الشامل لكافة محافظات ومدن وقضاءات مصر، وبعد تحديد أماكن الاستثمار لكافة الأنشطة الاقتصادية، واتجاهات توسعها، وشروط البناء والعمران آخذة في الاعتبار سلامة البيئة ونظافتها، فإن تطوير الإدارة الحكومية بشكل جاد وعصري يتضمن رفع المستوى المهاري والمادي للموظفين كافة، بمختلف درجاتهم الوظيفية وتدريبهم وفق أحدث مناهج الإدارة الحديثة، ووضع أنظمة ولوائح إدارية حديثة تضمن رفع الإنتاجية، ودقة واحترافية الأعمال وبما يحارب الفساد والرشوة وسوء الإدارة لتكون دواوين

العمل الحكومي بالإقليم واجهة مشرفة أمام الداخل والخارج، وبخاصة دواوين المطارات، ومنافذ الدخول إلى الإقليم البرية والجمارك والضرائب والبلديات، وأقسام الشرطة والوزارات الخدمية، كوزارة الضمان الاجتماعي والتأمينات، ووزارة العمل والبلديات. وأيضا يمكن الاستفادة من تجارب دول أخرى كإمارة دبي، التي خطت خطوات كبيرة نحو تحديث دوائر العمل الحكومية وبخاصة الدوائر الخدمية كالتي تم ذكرها سابقاً.

٤- تحديد أولويات الاستثمار الحكومي

وإنه ومن المفيد أن لا يغيب عن أعيننا أن توجيه غالبية الموارد الحكومية المتاحة نحو مجالات، مثل: الصحة، والتعليم، ومحاربة الفقر، والبطالة، هو من أهم واجبات الحكم، وهو استثمار وليس عبئاً أو تكلفة، فأهم عنصر من عناصر جذب الاستثمارات وتشجيع النمو الاقتصادي هو توافر الموارد البشرية المؤهلة تأهيلاً حقيقياً، ذات الجودة العالية عقلياً وبدنياً وعلمياً، وهنا ينبغي الإشارة إلى ضرورة تحديث مناهج التعليم؛ لتكون طبقاً للمعايير الدولية وتهيئة المدارس والجامعات؛ لتكون منارات للعلم والتطوير وبيئة مشجعة على الابتكار ونشر الحداثة بالمجتمع، وهذا مما يؤدي إلى رفع تنافسية المواطن المصري في سوق العمل داخلياً وخارجياً، ويعظم دوره في بناء مجتمعه ونهضته، وهنا لا ينبغي أن يغيب عننا أهمية الاهتمام بتعلم اللغات الأجنبية وبخاصة العربية والإنجليزية؛ فالمحيط العربي للأمة المصرية هام اقتصادياً وسياسياً، واللغة الإنجليزية صارت اللغة الدولية للمعاملات الدولية والبحوث العلمية. كما أن توسيع مظلة التأمين الصحي لتشمل كافة المواطنين، ورفع مستوى المستشفيات الطبية للمستويات الدولية، ويجب أن يكون من ضمن أولويات الحكم وعاملاً هاماً من عوامل جذب الاستثمارات، وخلق بنية أساسية خدمية متطورة.

٥- (تحديث القوانين وترسيخ قيم الدولة المدنية)

إن التأكيد على ضرورة تحديث القوانين وبالذات ذات البعد الاقتصادي وشيوع مبدأ الدولة المدنية، وسيادة القانون، وسن التشريعات اللازمة لتحقيق مبادئ العدل والمساواة، وعدم التمييز ومحاربة الفساد وحرية الإعلام والشفافية

في كافة أعمال السلطة التنفيذية، وتحقيق سرعة التقاضي ورد الحقوق ورفع المظالم من الشروط الواجبة واللازمة لتحقيق التقدم الاقتصادي، وضمان معدلات نمو محترمة تساعدنا نحو هدفنا المحوري؛ لنكون قاطرة الشرق الأوسط الاقتصادية. ولا يخفى على أحد أهمية سن القوانين المشجعة للنمو الاقتصادي والتي تعطي ميزة تنافسية لمصر عن غيره من المناطق الأخرى، مثل سن وتطوير قوانين حماية الملكية الفكرية، ومنع الاحتكارات، وتجريم غسل الأموال، ومكافحة التهرب الضريبي، وإنشاء المحكمة الاقتصادية، وتفعيل الدور الحاكم والتنفيذي للغرف التجارية في فض المنازعات، ومراقبة انضباط الأسواق وحسن سير المنظومة الاقتصادية مع إعطاء أولوية للتحديث المستمر لقوانين الاستثمار والضرائب والجمارك وسرعة البت في القضايا الاقتصادية، مع سن التشريعات المشددة لمنع التلاعب بالمواصفات والغش التجاري والمماطلة في سداد الالتزامات المالية والقانونية نحو الشركات، وأيضا الأفراد مع تسهيل إجراءات دخول وخروج البضائع والأفراد وحرية دخول وخروج رؤوس الأموال، دون الإخلال بالجانب الأمني، مع تسهيل دخول الأجانب إلى البلاد من المنافذ الحدودية أو المطارات، وما يترتب عليه من تغيير في فكر وعقيدة الأجهزة الأمنية والتجهيزات الأمنية بمنافذ الدخول إلى مصر.

٦- تهيئة بيئة قوية لجذب الاستثمارات الخارجية)

الجدير بالذكر أنه يجب أن لا تغيب عنا حقيقة، وهي أن هناك مناطق أخرى بالشرق الأوسط تتطلع لأن يكون لها ترتيب الصدارة في الخريطة السياسية والاقتصادية الإقليمية وبالأخص السعودية، والإمارات، وقطر، واسرائيل شرقاً، وتونس، والجزائر غرباً.

ومن هذا المنطلق أجد أنه من الضروري سرعة العمل على إنشاء مناطق حرة على غرار جبل «علي» بدبي، تدار بطريقة محترفة وخبرات عالمية وأقترح البدء بعمل عدة مناطق حرة بجانب المناطق الحرة الحالية ببورسعيد، والقاهرة، والعين السخنة، وأن نبدأ وفوراً عمل مناطق حرة بكل من الإسكندرية ومنفذ مصر الحدودي بنويبع أو رفح، وأخرى بالسلموم، وواحدة على الحدود الجنوبية لمصر، إما بالگردقة أو أسوان.

كما أنه واتفاقاً مع هدف تحسين بيئة الاستثمار أن نؤكد على تحديث وتطوير المنافذ الجمركية؛ بما يكفل سرعة أداؤها وتقليل الإجراءات في داخلها، وتحديث ودعم هيئة المواصفات القياسية المصرية، وهيئة الرقابة على الصادرات والواردات، وهيئات وزارة الصحة، والزراعة، العاملة بالمنافذ الجمركية، وكذلك تطوير شبكة الطرق الداخلية والخارجية طبقاً للمعايير الدولية، مع تحديث البنية الأساسية كصرف صحي ومياه، وتطوير بيئة الاتصالات الهاتفية والخلوية والإنترنت، وتحديث العمل بالبنوك وبورصة الأوراق المالية، وإنشاء بورصات السلع والمواد الأساسية، وإعادة تخطيط كامل منظومة التجارة الداخلية، وكافة الجهات التي تمس النشاط الاقتصادي الكلي والجزئي. مع دعم وتطوير أداء الغرف التجارية ومجالس التصدير المختلفة، وأن يكون دور تلك المنظمات دوراً رئيساً في صياغة وتحديث القوانين الحاكمة للنشاط الاقتصادي الكلي والجزئي بالإضافة إلى الحكومة والبرلمان.

خاتمة

إن المسؤولية عظيمة، والهدف صعب، ويحتاج إلى الكثير من الجهد والتضحيات، والعمل الدؤوب ليل ونهار، فالفرق بين الأمم المتقدمة والأمم ذات القدر القليل من العصرية أن الأولى ذات أهداف نبيلة وعظيمة وواضحة، وأنها تملك الرؤية والإمكانيات البشرية اللازمة لكي تحدد أهدافها وتعنى أهميتها؛ ثم تحدد الوسائل العملية لبلوغها وتحقيقها، أما الأمم الأخرى الضعيفة فهي التي تنكفي على همومها الداخلية، وتتمترس حول أهداف دنيا سياسيا واقتصاديا، بل وفي بعض الدول جدل عقائدي وديني سقيم؛ لهذا فإنني أدعو الله ﷻ أن يلهمنا الصواب ونأى بوطننا عن كل ما يعرقل ويعوق انطلاقته، وأن يوفقنا لخدمة شعبنا العظيم.

سوف نتناول في الجزء الثاني من كتابنا الخطوات العملية والخطط التنفيذية لتحقيق ما ورد بخارطة الطريق السابقة، كما سنتناول رؤيتنا للنظام السياسي العام للدولة، وأهم بنود الدستور المقترح لوضع هذا النظام موضع التطبيق، كما سنتناول محاور عمل الخطط الواجبة للتغيير في كافة السلطات ومؤسسات الدولة، كما سنشرح الخطط السريعة لتحقيق معدلات نمو اقتصادي سريع، وخطط محاربة الفقر، والجهل، والمرض، والبطالة، وتحسين الخدمات العامة، التي تقدم للمواطنين ووسائل تطوير الجهاز الإداري للدولة، ومكافحة الفساد وشبكات مراكز القوى الأمنية.

إنني بكتابي هذا أتمنى أن يكون قريباً متواضعاً لوطنٍ علينا جميعاً غالي، ويستحق التضحية بالنفس والمال، وكل نفيس، إنني بكتابي هذا أحمل باقة زهور لكل من مات شهيداً حتى نبقى أحراراً، وكل من أفنى عمره وأمعن عقله وتفكيره حتى لا ننفد الرؤية الصحيحة والاتجاه الصائب نحو التقدم والرقي، كتابي هذا

أرجو أن يكون بعثاً جديداً للأمة المصرية العظيمة، بعثاً لمجدها القديم وتفوقها الساحق وريادتها الفريدة، أتمنى أن يكون كتابي شُعلة أمل بسيطة لأحفاد لن أراها وأجيالٍ عديدة قادمة أرجو من الله أن تعيش فوق تراب هذا الوطن بعزة ومنعة وأمن وأمان ورفاة وسعادة، وقبل كل شيء استقلال.

تم بحمد الله الجزء الأول

القاهرة ٢٠١٧

رسالة ..

إلى كل إنسان على هذا الكوكب الافتراضى .. كن فى
الحياة إنسان .. وصل رسالة طيبة للناس وانشر بينهما
الخير والحب والسلام .. كن أنت فقط ولا تحاول أن
تكون غيرك .. اصنع لنفسك عالم يليق بك .. إزرع
داخلك الثقة والطموح والتفاؤل والرضا وحب الله
والذات والوطن .

" الناشر "

للتواصل مع الدار :

www.facebook.com/dar.cleopatra

Gmail : dar.cleopatra@gmail.com

للاتصال:

01019983371 / 01125574129 / 0225244534